تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد السابع

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/٩٣٤٩

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

كافة حقوق الطبع محفوظة
لمؤسسة قرطبة
للطبع والنشر والتوزيع

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

تفسير
القرآن العظيم

تفسير سورة الأنفال

وهي مدنية

آياتها : سبعون[١] وست آيات ، كلماتها : ألف كلمة ، وستمائة كلمة ، وإحدى وثلاثون كلمة ، حروفها : خمسة آلاف ومئتان ، وأربعة وتسعون حرفًا ، والله أعلم .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾

قال البخاري(١) : قال ابن عباس : ﴿ **الأنفال** ﴾ الغنائم . حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا سعيد بن سليمان ، أخبرنا[٢] هُشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ؛ قال : قلت لابن عباس ، رضي الله عنهما : سورة الأنفال ؟ قال : نزلت في بدر . أما ما علَّقه عن ابن عباس ، فكذلك رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٢) أنه قال : ﴿ **الأنفال** ﴾ الغنائم ، كانت لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خالصة ، ليس لأحد منها شيء . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، والضحاك ، وقتادة ، وعطاء الخراساني ، ومقاتل بن حيان ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد : إنها الغنائم(٣) . وقال الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس(٤) أنه قال : ﴿ **الأنفال** ﴾ المغانم[٣] ، قال فيها لبيد[٤] :

إنّ تقوى ربنا خيرُ نَفَلْ وبإذن الله رَيثي وَعَجَلْ(٥)

وقال ابن جرير(٦) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني مالك بن أنس ، عن ابن

(١) - رواه البخاري ، كتاب التفسير برقم (٤٦٤٥) .
(٢) - تفسير ابن جرير (١٥٦٣٣/٣) .
(٣) - تفسير ابن جرير (١٥٦٢٨/٣ : ١٥٦٣٧) .
(٤) - **إسناده ضعيف جدًا** ؛ من أجل الكلبي . والأثر أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن المنذر فيما عزاه إليهما السيوطي في الدر (٢٩٥/٣) .
(٥) - البيت في تفسير ابن جرير (٣٦٦/١٣) ولسان العرب مادة (نفل) .
(٦) - رواه مالك في الموطأ (٣٦٣/٢) ومن طريقه ابن جرير في تفسيره برقم ١٥٦٤٦ - (٣٦٤/١٣) .=

[١] - في خ : « أربعون » .
[٢] - في خ : « ثنا » .
[٣] - في خ : « الغنائم » .
[٤] - في خ : « لبيب » .

شهاب ، عن القاسم بن محمد قال : سمعت رجلًا يسأل ابن عباس عن ﴿ **الأنفال** ﴾ فقال ابن عباس ، رضي اللّٰه عنهما : الفرس من النَّفَل ، والسلَب من النفل . ثم عاد لمسألته ، فقال ابن عباس ذلك أيضًا . ثم قال الرجل : ﴿ **الأنفال** ﴾ التي قال اللّٰه في كتابه ، ما هي ؟ قال القاسم : فلم يزل يسأله حتى كاد يُحرجه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب .

وقال عبد الرزاق(٧) : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن القاسم بن محمد قال : قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب ، رضي اللّٰه عنه ، إذا سئل عن شيء قال : لا آمرك ولا أنهاك . ثم قال ابن عباس : واللّٰه ما بعث اللّٰه نبيه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلا زاجرًا آمرًا محلًّا محرمًا . قال القاسم : فسُلِّط على ابن عباس رجل ، يسأله[١] عن الأنفال ، فقال ابن عباس : كان الرجل يُنَفَّل فرس الرجل وسلاحه ، فأعاد عليه الرجل ، فقال له مثل ذلك ، ثم أعاد عليه حتى أغضبه ، فقال ابن عباس : أتدرون ما مَثَل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر ابن الخطاب ، حتى سالت الدماء علىٰ[٢] عقبيه - أو على رجليه - فقال الرجل : أما أنت فقد انتقم اللّٰه لعمر منك .

وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس ، أنه فسر النفل بما ينفله الإمام لبعض الأشخاص من سَلَب أو نحوه ، بعد قَسْم أصل المغنم ، وهو المتبادر إلىٰ فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفَل ، واللّٰه أعلم .

وقال ابن أبي نجيح(٨) : عن مجاهد : إنهم سألوا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عن الخُمس بعد الأربعة الأخماس ، فنزلت : ﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ .

وقال ابن مسعود ومسروق : لَا نفَل يوم الزحف ، إنما النفل قبل التقاء الصفوف[٣] . رواه ابن أبي حاتم عنهما .

وقال ابن المبارك وغير واحد ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح :

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى : ابن أبي شيبة ، وأبي عبيد ، وعبد بن حميد ، والنحاس ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(٧) - تفسير عبد الرزاق (٢٣١/١) وصبيغ هو « ابن عسل » ويقال : « ابن سهل » التميمي . انظر قصته في : الإصابة (١٩٨/٢) .

(٨) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٦٤٩/١٣) .

---

[١] - في خ : « فسأله » .

[٢] - في خ : « في » .

[٣] - في خ : « الصوف » .

﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ قال : يسألونك فيما شذ من المشركين إلىٰ المسلمين في غير قتال ، من دابة ، أو عبد ، أو أمة ، أو متاع ، فهو نفل للنبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يصنع به ما يشاء .

وهذا يقتضي أنه فسر الأنفال بالفيء وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال .

قال ابن جرير(٩) : وقال آخرون : هي أنفال السرايا .

حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا علي بن صالح بن حيّ قال : بلغني في قوله تعالىٰ : ﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ قال : السرايا .

ويعني هذا ما ينفله الإمام لبعض السرايا زيادة علىٰ قَسْمهم مع بقية الجيش ، وقد صرح بذلك الشعبي ، واختار ابن جرير أنها الزيادات علىٰ القسم ، ويشهد لذلك ما ورد في سبب نزول الآية ، وهو ما رواه الإمام أحمد حيث قال(١٠) :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا أبو إسحاق الشيباني ، عن محمد بن عبيد الله الثقفي ، عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر ، وقتل أخي عمير ، وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه ، وكان يسمىٰ : « **ذا الكَتِيفَة**(١١) » ، فأتيت به النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **اذهب فاطرحه في القَبَض**(١٢) » ، قال : فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله ، من قتل أخي وأخذ سلبي ، قال : فما جاوزت إلا يسيرًا ، حتىٰ نزلت سورة الأنفال ، فقال لي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، « **اذهب فخذ سيفك** » .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٣) : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا أبو بكر ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن مصعب بن سعد ، عن سعد بن مالك قال : قلت : يا رسول الله ، قد شفاني الله اليوم من المشركين ، فهب لي هذا السيف ، فقال : « **إن هذا السيف لا لك ولا لي ، ضعه** » قال : فوضعته ، ثم رجعت فقلت : عسى أن يعطي هذا السيف اليوم من

---

(٩) – تفسير ابن جرير (١٣/١٥٦٣٨) .

(١٠) – المسند ١٥٥٦ – (١/١٨٠) ، ومحمد بن عبيد الله الثقفي أبو عون : ثقة ، ولكنه لم يدرك سعدًا ، قاله ابن أبي حاتم في المراسيل (٦٧) . ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام في الأموال (٣٠٣) ، وعزاه في الدر المنثور لابن أبي شيبة ، وأحمد ، وابن جرير ١٥٦٥٩ – (١٣/٣٧٣) ، وابن مردويه .

(١١) – الكتيف : السيف الصفيح ، أي العريض .

(١٢) – القَبَض : بمعنى المقبوض ، وهو ما جمع من الغنيمة قبل أن تقسم .

(١٣) – المسند ١٥٣٨ – (١/١٧٨) ورواه أبو داود في الجهاد برقم (٢٧٤٠) ، والترمذي في التفسير برقم (٣٠٧٩) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١١٩٦) .

لايبلي بلائي ، قال : إذا[١] رجل يدعوني من ورائي ، قال : قلت : قد أنزل الله فيَّ شيئًا ؟ قال : كنت سألتني السيف ، وليس هو لي ، وإنه قد وهب لي ، فهو لك . قال : وأنزل الله هذه الآية : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول** ﴾ .

ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، من طرق عن أبي بكر بن عياش ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وهكذا رواه أبو داود الطيالسي(١٤) : أخبرنا شعبة ، أخبرنا سماك بن حرب ، قال : سمعت مصعب بن سعد ، يحدث عن سعد ، قال : نزلت فيَّ أربع آيات : أصبت سيفًا يوم بدر ، فأتيت النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقلت : نَفِّلْنِيهِ ، فقال : « **ضعه من حيث أخذته** » ، مرتين ، ثم عاودته فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **ضعه من حيث أخذته** » ؛ فنزلت هذه الآية : ﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ .

وتمام الحديث في نزول : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنما الخمر والميسر** ﴾ ، وآية الوصية . وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة به(١٥) .

وقال محمد بن إسحاق (١٦) : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يقول : أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر ، وكان السيف يدعىٰ بالمرزبان ، فلما أمر رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، الناس أن يردوا ما في أيديهم من النفَل ، أقبلت به فألقيته في النفل ، وكان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لايمنع شيئًا يُسأله ، فرآه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، فسأله رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فأعطاه ، إياه .

ورواه ابن جرير من وجه آخر(١٧) .

---

(١٤) - مسند الطيالسي برقم (٢٠٨) .

(١٥) - رواه مسلم من حديث محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، نحوه ، برقم ٣٤ - (١٧٤٨) .

(١٦) - رواه ابن جرير في تفسيره ١٥٦٦٠ - (٣٧٤/١٣) من طريق ابن إسحاق ، به .

(١٧) - رواه ابن جرير من حديث يحيى بن جعفر ، قال : حدثنا أحمد بن أبي بكر ، عن يحيى بن عمران ، عن جده عثمان بن الأرقم ، وعن عمه ، عن جده قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم يوم بدر : « **ردُّوا ما كان من الأنفال ...** » الحديث برقم ١٥٦٦١ - (٣٧٥/١٣) .

---

[١] - سقط من : ت .

(سبب آخر في نزول الآية)

وقال الإمام أحمد (١٨) : حدثنا محمد بن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن ، عن سليمان بن موسي ، عن مكحول ، عن أبي أمامة قال : سألت عبادة عن الأنفال ، فقال : فينا - أصحاب بدر - نزلت ، حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فانتزعه الله من أيدينا ، وجعله إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقسمه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بين المسلمين عن بواء - يقول : عن سواء .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٩) : حدثنا معاوية بن عمرو ، أخبرنا أبو إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش[١] بن أبي ربيعة ، عن سليمان بن موسي ، عن أبي سلام ، عن أبي أمامة ، عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فشهدت معه بدرًا ، فالتقىٰ الناس ، فهزم الله تعالىٰ العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، وأكَبَّت طائفة علىٰ العسكر يحوونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لايصيب العدو منه غرة ، حتىٰ إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم إلىٰ بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها ، فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق به منا ، نحن منعنا عنها العدو وهزمناهم ، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : [لستم أحق بها منا ، نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، و][٢]خفنا أن يصيب العدو منه غرة ، فاشتغلنا به ؛ فنزلت : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ ، فقسمها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بين المسلمين ، وكان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا أغار في أرض العدو نفل الربع ، فإذا أقبل - [وكلّ الناس][٣] - راجعًا ، نفل الثلث ، وكان يكره الأنفال [ويقول : « **ليرد قويّ المؤمنين على ضعيفهم**][٤] » .

---

(١٨) - المسند ٢٢٨٥٢ - (٣٢٢/٥) ، وأورده الهيثمي (٢٦/٧) وقال : رواه أحمد ورجال الطريقين - يعني هذا ، والحديث التالي - ثقات .

(١٩) - عبد الرحمن بن الحارث بن عياش بن أبي ربيعة : صدوق له أوهام ، روى له البخاري في الأدب المفرد والأربعة . فهو ليس من رجال مسلم . والحديث في المسند ٢٢٨٦٧ - (٣٢٤/٥) ، وأورده الهيثمي والحديث الذي قبله (٢٦/٧) وقال : رجال الطريقين ثقات . ورواه ابن جرير في تفسيره ١٥٦٥٤ ، ١٥٦٥٥ - (٣٦٩/١٣) .

---

[١] - في خ : « عباس » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

ورواه الترمذي(٢٠) وابن ماجة ، من حديث سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، به نحوه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

ورواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من حديث عبد الرحمن بن الحارث ، وقال الحاكم : صحيح الإِسناد علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه .

وروىٰ أبو داود ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن مردويه(٢١) - واللفظ له - وابن حبان ، والحاكم من طرق ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر ، قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا** » فتسارع[١] في ذلك شبان الرجال ، وبقي الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت المغانم جاءوا يطلبون الذي جعل لهم ، فقال الشيوخ : لاتستأثروا علينا ؛ فإنا كنّا ردءًا لكم ، لو انكشفتم لفئتم إلينا ، فتنازعوا ، فأنزل اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وأطيعوا اللّٰه ورسوله إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

وقال الثوري(٢٢) ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر ، قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من قتل قتيلًا فله كذا وكذا ، ومن أتى بأسير فله كذا وكذا** » فجاء أبو اليسر بأسيرين ، فقال : يا رسول اللّٰه ! وعدتنا ، فقام سعد ابن عبادة فقال : يارسول اللّٰه ! إن أعطيت هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء ، وإنه لم يمنعنا من هذا زهادة في الأجر ، ولا[٢] جبن عن العدو ، وإنما قمنا هذا المقام محافظةً عليك ، نخاف أن يأتوك من ورائك ، فتشاجروا ، ونزل القرآن : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال للّٰه والرسول** ﴾ قال : ونزل القرآن : ﴿ **اعلموا أنما غنمتم من شيء فأن للّٰه خمسه** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

وقال الإِمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه اللّٰه(٢٣) في كتاب « الأموال الشرعية وبيان

---

(٢٠) - الحديث رواه الترمذي برقم (١٥٦١) ، وابن ماجة برقم (٢٨٥٢) ، وابن حبان برقم (١٦٩٣) « موارد » ، والحاكم في المستدرك (١٣٦/٢) ، ومن طريقه البيهقي (٢٩٢/٦) مطولاً ، ومختصراً ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه .

(٢١) - رواه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب : النفل برقم (٢٧٣٧) ، والنسائي في الكبرى برقم (١١١٩٧) ، وابن جرير في تفسيره ١٥٦٥٠ ، ١٥٦٥٣ - (٣٦٨/١٣) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٢٦) ، والبيهقي في الكبرى (٣١٥/٦) .

(٢٢) - **إسناده ضعيف جدًا** ، رواه عبد الرزاق في المصنف برقم (٩٤٨٣) عن الثوري ، به .

(٢٣) - الأموال (ص ٤٣١) .

---

[١] - في خ : « فتنازع » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

جهاتها ومصارفها » : أما الأنفال فهي المغانم ، وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب ، فكانت الأنفال الأولىٰ [لرسول الله][١] صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول الله تعالىٰ : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول** ﴾ ، فقسمها يوم بدر علىٰ ما أراه الله من غير أن يخمسها علىٰ ما ذكرناه في حديث سعد ، ثم نزلت بعد ذلك آية الخمس ، فنسخت الأولىٰ .

قلت : هكذا روىٰ علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس سواء ، وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي .

وقال ابن زيد : ليست منسوخة بل هي محكمة .

قال أبو عبيد : وفي ذلك آثار . .. والأنفال أصلها جماع الغنائم ، إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله ، على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة ، ومعنىٰ الأنفال في كلام العرب : كل إحسان فعله فاعل تفضلًا من غير أن يجب ذلك عليه ، فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم ، وإنما [هو شيء][٢] خصهم الله[٣] به تطولًا منه عليهم ، بعد أن كانت المغانم محرمة علىٰ الأمم قبلهم ، فنفلها الله تعالىٰ هذه الأمة . فهذا أصل النفل .

قلت : شاهد هذا في الصحيحين عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي** » فذكر الحديث إلىٰ أن قال : « **وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي** » وذكر تمام الحديث(٢٤) .

ثم قال أبو عبيد : ولهذا سُمي ما جعل الإمام للمقاتلة نفلًا ، وهو تفضيله بعض الجيش علىٰ بعض بشيء سوىٰ سهامهم ، يفعل ذلك بهم علىٰ قدر الغناء عن الإسلام والنكاية في العدو ، وفي النفل الذي ينفله الإمام سنن أربع ، لكل واحدة منهن موضع غير موضع الأخرىٰ :

(فإحداهن) : في النفل لا خمس فيه ، وذلك السلب .

(والثانية) : في[٤] النفل الذي يكون من الغنيمة بعد إخراج الخمس ، وهو أن يوجه الإمام السرايا في أرض الحرب ، فتأتي بالغنائم ، فيكون للسرية مما جاءت به الربع أو الثلث [بعد

---

(٢٤) - تقدم تخريج هذا الحديث عند تفسير الآية : ٤٣ من سورة النساء .

---

[١] - في ز ، خ : « إلى النبي » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

الخمس][١] .

(والثالثة) : في النفل من الخمس نفسه ، وهو أن تحاز الغنيمة كلها ، ثم تخمس ، فإذا صار الخمس في يدي الإمام نفل منه علىٰ قدر ما يرىٰ .

(والرابعة) : في النفل في جملة الغنيمة قبل أن يخمس منها شيء ، وهو أن يعطي الأدلاء ورعاة الماشية والسُّوَّاق لها ، وفي كل ذلك اختلاف .

قال الربيع : قال الشافعي : الأنفال أن لا يخرج[٢] من رأس الغنيمة قبل الخمس شيء غير السلب .

قال أبو عبيد : والوجه الثاني من النفل : هو شيء زيدوه غير الذي كان لهم ، وذلك من خمس النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فإن له خمس الخمس من كل غنيمة ، فينبغي للإمام أن يجتهد ، فإذا كثر العدو ، واشتدّت شوكتهم ، وقل من بإزائه من المسلمين ، نفل منه اتباعًا لسنة رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وإذا لم يكن ذلك لم ينفل .

(والوجه الثالث) من النفل : إذا بعث الإمام سرية أو جيشًا ، فقال لهم قبل اللقاء : من غنم شيئًا [فهو له][٣] بعد الخمس ، فذلك لهم علىٰ ما شرط الإمام ؛ لأنهم علىٰ ذلك غزوا ، وبه رضوا . انتهىٰ كلامه .

وفيما تقدّم من كلامه ، وهو قوله : إن غنائم بدر لم تخمس - نظر ، ويرد عليه حديث علي بن أبي طالب في شارفيه الذين حصلا له من الخمس يوم بدر ، وقد بينت ذلك في كتاب السيرة بيانًا شافيًا (٢٥) . ولله الحمد والمنة[٤] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فاتقوا اللّٰه وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ أي : اتقوا اللّٰه في أموركم ، وأصلحوا فيما بينكم، ولا تظالموا ، ولا تخاصموا ، ولا تشاجروا ، فما آتاكم اللّٰه من الهدىٰ والعلم خير مما تختصمون بسببه . ﴿ **وأطيعوا اللّٰه ورسوله** ﴾ أي : في قسمه بينكم علىٰ ما أراده[٥] اللّٰه ، فإنه إنما[٦] قسمه كما أمره اللّٰه من العدل والإنصاف .

وقال ابن عباس(٢٦) : هذا تحريج من اللّٰه [على المؤمنين][٧] أن يتقوا ويصلحوا ذات

(٢٥) - السيرة لابن كثير (٢/٤٦٦) .
(٢٦) - رواه ابن جرير (١٣/١٥٦٨١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « تخرج » .
[٣] - في ز ، خ : « فله » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « أراه » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

بينهم . وكذا قال مجاهد .

وقال السدي : ﴿ فاتقوا اللّٰه وأصلحوا ذات بينكم ﴾ أي : لا تستبوا .

ولنذكر هاهنا حديثًا[١] أورده الحافظ أبو يعلىٰ أحمد بن علي بن المثنىٰ الموصلي ، رحمه اللّٰه ، في مسنده فإنه قال(٢٧) : حدثنا مجاهد بن موسى ، حدثنا عبد اللّٰه بن بكر[٢] ، حدثنا عباد بن شيبة الحبطي[٣]، عن سعيد بن أنس ، عن أنس -رضي اللّٰه عنه- قال : بينا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جالس ، إذ رأيناه ضحك حتىٰ بدت ثناياه ، فقال عمر : ما أضحكك يا رسول اللّٰه ؟ بأبي أنت وأمي ! فقال : « **رجلان جثيا من أمّتي بين يدي رب العزة تبارك وتعالىٰ ، فقال أحدهما : يا رب خذ لي مظلمتي من أخي . قال اللّٰه تعالىٰ : أعط أخاك مظلمته ، قال : يا رب ، لم يبق من حسناتي شيء . قال : رب ، فليحمل عني من أوزاري** » قال : وفاضت عينا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بالبكاء ، ثم قال : « **إن ذلك ليوم عظيم ، يوم يحتاج الناس إلىٰ من[٤] يتحمل عنهم من أوزارهم ، فقال اللّٰه تعالىٰ للطالب : ارفع بصرك فانظر في الجنان ، فرفع رأسه فقال : يارب ، أرىٰ مدائن من فضة ، وقصورًا[٥] من ذهب ، مكللة باللؤلؤ ، لأيّ نبي هذا ؟ لأي صديق هذا ؟ لأي شهيد هذا ؟ قال : هذا لمن أعطىٰ الثمن ، قال : يارب ، ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه ، قال : ماذا يارب ؟ قال : تعفو عن أخيك ، قال : يارب ، فإني قد**

(٢٧) - لم نقف عليه في المطبوع من مسند أبي يعلى ، وقد رواه الحاكم في المستدرك (٥٧٦/٤) من طريق عباد بن شيبة الحبطي ، عن سعيد بن أنس ، به . وكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله ، رقم (١١٨) ص ١٠٩ .

وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبي فقال : « عباد بن شيبة الحبطي ، عن سعيد ، والأول ضعيف ، وشيخه لا يعرف » .

وعزاه صاحب كنز العمال للخرائطي في مكارم الأخلاق ، وذكره المنذري في الترغيب (٢١٠/٣) وعزاه أيضاً للبيهقي في البعث والنشور .

وقال البخاري في التاريخ الكبير (٤٥٩/٣) : سعيد بن أنس ، عن أنس ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في المظالم ، لا يتابع عليه ، وأورده ابن أبي حاتم (٣/٤) ولم يذكر فيه جرحاً . وذكره العقيلي (٩٨/٢) وقال : مجهول في النقل ، وأورد قول البخاري .

وعباد بن شيبة ذكره ابن حبان في المجروحين (١٧١/٢) وقال : يروي عن سعيد بن أنس ، روى عنه عبد الله ابن بكر السهمي : منكر الحديث جدًا ، على قلة روايته ، لا يجوز الاحتجاج به ؛ لما انفرد به من المناكير .

[١] - في ز : « حديث » .
[٢] - في ز ، خ : « بكير » .
[٣] - في ز ، خ : « الحنظلي » .
[٤] - في خ : « أن » .
[٥] - في ز : « قصور » .

عفوت عنه ، **قال الله تعالىٰ : خذ بيد أخيك فأدخله الجنة »** . ثم قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : **« فاتقوا الله ، وأصلحوا ذات بينكم ، فإن الله تعالىٰ يصلح بين المؤمنين يوم القيامة »** .

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في[١] قوله : **﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾** قال : المنافقون ، لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء[٢] فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا يتوكلون ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا يؤدّون زكاة أموالهم ، فأخبر الله تعالىٰ أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف الله[٣] المؤمنين فقال : **﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾** فأدَّوْا فرائضه - **﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا ﴾** يقول : تصديقًا **﴿ وعلىٰ ربهم يتوكلون ﴾** يقول : لا يرجون غيره .

وقال مجاهد : **﴿ وجلت قلوبهم ﴾** فرقت ، أي : فزعت وخافت . وكذا قال السدي وغير واحد .

وهذه صفة المؤمن حق المؤمن ، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه ، أي خاف منه ، ففعل أوامره ، وترك زواجره ، كقوله تعالىٰ : **﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا علىٰ ما فعلوا وهم يعلمون ﴾** . وكقوله تعالىٰ : **﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهىٰ النفس عن الهوىٰ فإن الجنة هي المأوىٰ ﴾** . ولهذا قال سفيان الثوري : سمعت السدي يقول في قوله تعالىٰ : **﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾** قال : هو الرجل يريد أن يظلم - أو قال : يهم بمعصية - فيقال له : اتق الله فَيَجِلُ قلبه .

وقال الثوري أيضًا ، عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم ، عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء في قوله : **﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾** قالت : الوجل في

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ . [٣] - سقط من : ز ، خ .

القلب كإحراق[١] السعفة، أما تجد لها[٢] قشعريرة ؟ قال : بلىٰ . قالت : إذا وجدت ذلك ، فادع اللّٰه عند ذلك ؛ فإن الدعاء يذهب ذلك .

وقوله : ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وإذا ما أُنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون** ﴾ .

وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها علىٰ زيادة الإِيمان وتفاضله في القلوب ، كما هو مذهب جمهور الأمة[٣] . بل قد حكىٰ الإِجماع علىٰ ذلك غير واحد من الأئمة ، كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد ، كما بينا ذلك مستقصى في أول شرح البخاري ، ولله الحمد والمنة .

﴿ **وعلىٰ ربهم يتوكلون** ﴾ أي : لايرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يلوذون إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويعلمون أن[٤] ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك ، وحده لا شريك له ، ولا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب ، ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل علىٰ اللّٰه جماع الإِيمان .

وقوله : ﴿ **الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ ، ينبه تعالىٰ بذلك علىٰ أعمالهم ، بعد ما ذكر اعتقادهم . وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها ، وهو إقامة الصلاة ، وهو حق اللّٰه تعالىٰ .

وقال قتادة : إقامة الصلاة : المحافظة علي مواقيتها ، ووضوئها ، وركوعها ، وسجودها .

وقال مقاتل بن حيان : إقامتها : المحافظة علىٰ مواقيتها ، وإسباغ الطهور فيها[٥] ، وتمام ركوعها وسجودها ، وتلاوة القرآن فيها ، والتشهد ، والصلاة علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - هذا إقامتها .

والإِنفاق مما رزقهم اللّٰه : يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد ، من واجب ومستحب ، والخلق كلهم عيال اللّٰه فأحبهم إلىٰ اللّٰه أنفعهم لخلقه .

قال قتادة في قوله : ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ فأنفقوا مما أعطاكم اللّٰه ، فإنما هذه الأموال عَواري وودائع عندك يا بن آدم ، أوشكت أن تفارقها .

---

[١] - في ت : « كاحتراق » .
[٢] - في ت : « له » .
[٣] - في خ : « الأئمة » .
[٤] - في ز : « أنه » .
[٥] - في ز : « منها » .

وقوله : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقًّا ﴾ أي : المتصفون بهذه الصفات ، هم المؤمنون حق الإيمان .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٢٨) : حدثنا محمد بن عبد اللّٰه الحضرمي ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن يزيد السكسكي ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن محمد بن أبي الجهم ، عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال له : « **كيف أصبحت يا حارث ؟** » قال : أصبحت مؤمنًا حقًّا . قال : « **انظر ماذا تقول ؛ فإن لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلىٰ عرش ربي بارزًا ، وكأني أنظر إلىٰ أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلىٰ أهل النار يتضاغون**[١] **فيها . فقال : « يا حارث ، عرفت فالزم »** ثلاثًا .

---

(٢٨) - المعجم الكبير (٢٦٦/٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (٥٧/١) : « رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه » .

وروى هذا الحديث ابن المبارك في الزهد ، عن معمر ، عن صالح بن مسمار أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **يا حارث** ... » فذكره . وكذا أخرجه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن صالح بن مسمار وجعفر بن برقان أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال للحارث .... فذكره ، وأخرجه في التفسير - يعني عبد الرزاق - عن الثوري .

ورواه البزار كما في مختصر زوائد البزار (٢٣) فقال البزار : حدثنا أحمد بن محمد الليثي ، ثنا يوسف بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ... فذكره إلا أنه سماه حارثة وقال البزار : تفرد به يوسف ، وهو لين الحديث .

قال الحافظ في الإصابة : وجاء موصولاً من طريق أخرى ، وأخرجه الطبراني ٣٣٦٧ - (٣٠٢/٣) من طريق سعيد بن أبي هلال ، عن محمد بن أبي الجهم . وابن منده من طريق سليمان بن سعيد ، عن الربيع بن لوط - كلاهما - عن الحارث بن مالك أنه جاء إلى النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال ... فذكره .

قال ابن منده : ورواه زيد بن أبي أنيسة ، عن عبد الكريم بن الحارث ، عن الحارث بن مالك .

ورواه جرير بن عتبة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أنس أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم دخل المسجد فإذا الحارث بن مالك ، فحركه برجله .... فذكر الحديث .

وروى البيهقي في الشعب من طريق يوسف بن عطية الصفار ، وهو ضعيف جدًّا ، عن أنس أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لقي الحارث يوماً فقال : « **كيف أصبحت ؟** ... » الحديث بطوله .

قال البيهقي : هذا منكر ، وقد خبط فيه يوسف فقال مرة : الحارث ، وقال مرة : حارثة .

وقال أبو عاصم بن خشيش بن أصرم في كتاب الاستقامة له : حدثنا عبد العزيز بن أبان ، أخبرنا مالك =

---

[١] - في ز : « يتظاغون » . ومعنى يتضاغون : أي : يتصايحون ويبكون ؛ يقال : ضغا يضغوا ضغوًا وضغاءً إذا صاح وضجَّ .

وقال عمرو بن مرة في قوله تعالىٰ : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقًّا ﴾ ، إنما أنزل القرآن بلسان العرب ، كقولك : فلان سيد حقًّا ، وفي القوم سادة ، وفلان تاجر حقًّا ، وفي القوم تجار . وفلان شاعر حقًّا [وفي القوم][١] شعراء .

وقوله : ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ أي : منازل و[٢]مقامات ودرجات في الجنات . كما قال تعالىٰ : ﴿ هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ﴾ .

﴿ ومغفرة ﴾ أي : يغفر لهم السيئات ، ويشكر لهم الحسنات .

وقال الضحاك في قوله : ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ : أهل الجنة بعضهم فوق بعض ، فيرىٰ[٣] الذي هو فوق فضله علىٰ الذي هو أسفل منه ، ولا يرىٰ الذي هو أسفل منه أنه فُضِّل عليه أحد .

ولهذا جاء في الصحيحين(٢٩) ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن أهل عليين ليراهم من أسفل منهم ، كما ترون[٤] الكوكب الغابر[٥] في أفق من آفاق السماء** » . قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء ، لا ينالها غيرهم ؟ فقال : « **بلىٰ ، والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين** » .

وفي الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن(٣٠) من حديث عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل**[٦]

ابن مغول ، عن فضل بن غزوان قال : أغير على سرح المدينة ، فخرج الحارث بن مالك فقتل منهم ثمانية ، ثم قال : وهو الذي قال له النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **كيف أصبحت يا حارثة ؟** » ورواه ابن أبي شيبة ، عن ابن نمير ، عن مالك بن مغول بالمرفوع ، ولم يذكر فضيل بن غزوان . قال ابن صاعد بعد أن أخرجه عن الحسين بن الحسن المروزي ، عن ابن المبارك : لا أعلم صالح بن مسمار أسند إلا حديثًا واحدًا ، لا يثبت موصولاً اهـ من الإصابة (٥٩٧/١) .

(٢٩) - صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : صفة الجنة ... برقم (٣٢٥٦) ، وصحيح مسلم برقم (٢٨٣١) ، من حديث أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه .

(٣٠) - **إسناده ضعيف لضعف عطية العوفي** ، ورواه أحمد ، ١١٢٢٠ ، ١١٢٢٧ ، ١١٦٠٤ (٢٦/٣ ، ٢٧ ، ٦١) وأخرجه أبو داود - كتاب الحروف والقراءات ، (٣٩٨٧) . والترمذي - كتاب المناقب ، باب : مناقب أبي بكر الصديق - (٣٦٥٩) . وابن ماجه - في المقدمة ، باب : في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - (٩٦) . والحميدى - (٧٥٥) ، وعبد بن حميد (٨٨٧) ، وأبو يعلى =

[١] - مكررة في ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « فترى » .
[٤] - في خ : « يرون » .
[٥] - في ز : « العابر » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

الدرجات العلىٰ ، كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء ، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما » .

كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾

قال الإمام أبو جعفر الطبري : اختلف المفسرون في السبب الجالب لهذه « **الكاف** » في قوله : ﴿ **كما أخرجك ربك** ﴾ فقال بعضهم : شُبّه به في الصلاح للمؤمنين ، اتقاؤهم ربهم ، وإصلاحهم ذات بينهم ، وطاعتهم لله[١] ورسوله .

ثم روي عن عكرمة نحو هذا .

ومعنىٰ هذا أن الله تعالىٰ يقول: كما أنكم لما اختلفتم في المغانم، وتشاححتم فيها ، فانتزعها الله منكم ، وجعلها إلىٰ قَسْمه وقَسْم رسوله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقسمها علىٰ العدل والتسوية ، فكان هذا هو المصلحة التامة لكم ، وكذلك لما كرهتم الخروج إلىٰ الأعداء من قتال ذات الشوكة – وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم ، وإحراز عيرهم – فكان عاقبة كراهتكم للقتال – بأن قدّره لكم ، وجمع به بينكم وبين عدوكم علىٰ غير ميعاد – رَشَدًا وهدىٰ ، ونصرًا وفتحًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم**

= (١١٣٠،١١٧٨، ١٢٧٨) . والطبراني في الأوسط – (٢٩٥١،٣٤٢٧) ، وأبو نعيم في الحلية – (٧/ ٢٥٠) . والبغوي في شرح السنة (٣٨٩٢،٣٨٩٣) ، والبيهقي في البعث (٢٥٠) وغيرهم .

وهو عند أحمد أيضاً برقم (١١٤٨٣،١١٧٠٧،١١٨٩٨،١١٩٥٦) (٣/٥٠،٧٢،٩٣،٩٨) . من طرق عن عطية العوفى ، به . وأخرجه ابن عدي في الكامل (٦/٢٠٩٨) من طريق كوثر بن حكيم عن أبي سعيد به . وكوثر هذا ضعفه أبو زرعة ، وقال أحمد : أحاديثه بواطيل ، ليس بشيء .وقال ابن عدي : عامة ما يرويه غير محفوظ . وقال الدارقطني : متروك الحديث [انظر لسان الميزان لابن حجر ت (٦٧٦٨) (٤/ ٥٧٩)]

---

[١] – في ز ، خ : « الله » .

لاتعلمون ﴾ .

قال ابن جرير : وقال آخرون : معنىٰ ذلك : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق** ﴾ علىٰ كره من فريق من المؤمنين ، كذلك هم كارهون للقتال ، فهم يجادلونك فيه بعدما تبين لهم . ثم روى نحوه عن مجاهد ؛ أنه قال : ﴿ **كما أخرجك ربك** ﴾ قال : كذلك يجادلونك في الحق .

وقال السدي : أنزل الله فيٰ خروجه إلىٰ بدر ومجادلتهم إياه ، فقال : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون** ﴾ لطلب المشركين ، ﴿ **يجادلونك [فيٰ الحق]**[١] **بعدما تبين** ﴾ .

وقال بعضهم : يسألونك عن الأنفال مجادلة ؛ كما جادلوك يوم بدر فقالوا : أخرجتنا للعير ، ولم تعلمنا قتالًا فنستعدَّ له .

قلت : رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إنما خرج من المدينة طالبًا لعير أبي سفيان ، التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام ، فيها أموال جزيلة لقريش ، فاستنهض رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، المسلمين من[٢] خَفَّ منهم ، فخرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا ، وطلب نحو الساحل من علىٰ طريق بدر ، وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في طلبه ، فبعث ضمضم بن عمرو نذيرًا إلىٰ مكة ، فنهضوا في قريب من ألف مُقَنَّع ما بين التسعمائة إلىٰ الألف، وتيامن أبو سفيان بالعير إلىٰ سيف البحر فنجا، وجاء النفير فوردوا ماء بدر، وجمع الله بين[٣] المسلمين والكافرين علىٰ غير ميعاد ، لما يريد الله تعالىٰ من إعلاء كلمة المسلمين ، ونصرهم علىٰ عدوهم ، والتفرقة بين الحق والباطل ، كما سيأتي بيانه .

والغرض أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لما بلغه خروج النفير ، أوحىٰ الله إليه يَعِدُه إحدىٰ الطائفتين ؛ إما العير وإما النفير ، ورغب كثير من المسلمين إلىٰ العير ؛ لأنه كسب بلا قتال ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين** ﴾ .

قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره(٣١) : حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني ،

(٣١) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٤/٤) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤/٦) وقال : إسناده حسن ، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٣٢٣/٢) مختصراً . =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « في » .

[٣] - سقط من : ز .

حدثنا بكر بن سهل ، حدثنا عبد الله بن يوسف ، حدثنا ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن أسلم بن[١] أبي عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ونحن[٢] بالمدينة : « **إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة ، فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير ؛ لعل الله أن[٣] يُغنمناها** ؟ » فقلنا : نعم ، فخرج وخرجنا ، فلما سرنا يومًا أو يومين قال لنا : « **ما ترون في قتال القوم ، فإنهم قد أخبروا بمخرجكم** ؟ » فقلنا : لا والله ، ما لنا طاقة بقتال العدو ، ولكنا أردنا العير . ثم قال : « **ما ترون في قتال القوم** ؟ » فقلنا مثل ذلك ، فقال المقداد بن عمرو : إذًا لا نقول ، لك يا رسول الله ؛ كما قال قوم موسىٰ لموسىٰ : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** ﴾ . قال : فتمنينا - معشر الأنصار - أن لو قلنا كما قال المقداد ، أحب إلينا من[٤] أن يكون لنا مال عظيم . قال : فأنزل الله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون** ﴾ . وذكر تمام الحديث .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث ابن لهيعة بنحوه .

وروىٰ ابن مردويه أيضًا من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، عن أبيه ، عن جده ؛ قال : خرج رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ بدر ، حتىٰ إذا كان بالروحاء ، خطب الناس فقال : « **كيف ترون** ؟ » فقال أبو بكر رضي الله تعالىٰ عنه : يا رسول الله ، بلغنا أنهم [بمكان كذا][٥] وكذا . قال : ثم خطب الناس فقال : « **كيف ترون** ؟ » ؟ فقال عمر مثل قول أبي بكر ، ثم خطب الناس فقال : « **كيف ترون** » فقال سعد بن معاذ : يارسول الله ؛ إيانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ، ما سلكتها قط ، ولا لي بها علم ، ولئن سرت حتىٰ تأتي(برك الغماد) من ذي يمن لنسيرن معك ، ولا نكون كالذين قالوا لموسىٰ : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، ولعلك أن تكون خرجت لأمر ، وأحدث الله[٦] إليك غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك ، فامض له ، فَصِلْ حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وَعَادِ من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، فنزل القرآن

= وبكر بن سهل : قال في اللسان : حمل الناس عنه ، وهو مقارب الحال . وقال النسائي : ضعيف ، وقال مسلمة بن قاسم : تكلم الناس فيه ، ووضعوه من أجل الحديث الذي حدث به عن سعيد بن كثير ، عن يحيى بن أيوب ، عن مجمع بن كعب ، عن مسلمة بن مخلد رفعه « **اعروا النساء يلزمن الحجاب** » . قال الحافظ : حديث مسلمة أخرجه الطبراني عنه .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « بكذا » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

علىٰ قول سعد : ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون** ﴾ الآيات .

وقال العوفي(٣٢) ، عن ابن عباس : لما شاور النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في لقاء العدو ، وقال له سعد بن عبادة ما قال ، وذلك يوم بدر ، أمر الناس فعبئوا[١] للقتال ، وأمرهم بالشوكة ، فكره ذلك أهل الإيمان ، فأنزل اللَّه ﴿ **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلىٰ الموت وهم ينظرون** ﴾ .

[وقال مجاهد : ﴿ **يجادلونك في الحق** ﴾ ، في القتال . وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **يجادلونك في الحق** ﴾][٢] أي : كراهية للقاء المشركين ، وإنكارًا لمسير قريش حين ذكروا لهم .

وقال السدي : ﴿ **يجادلونك في الحق بعد ما تبين** ﴾ أي : بعد ما تبين لهم [أنك لا][٣] تفعل إلا ما أمرك اللَّه به .

قال ابن جرير : وقال آخرون : عنى بذلك المشركين .

حدثنا يونس ، أنبأنا ابن وهب ؛ قال : قال ابن زيد في قوله تعالىٰ : ﴿ **يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلىٰ الموت وهم ينظرون** ﴾ ، قال : هؤلاء المشركون جادلوه في الحق ، ﴿ **كأنما يساقون إلىٰ الموت** ﴾ حين يدعون إلىٰ الإسلام ﴿ **وهم ينظرون** ﴾ قال : وليس هذا من صفة الآخرين . هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر .

ثم قال ابن جرير : ولا معنىٰ لما قاله ؛ لأن الذي قبل قوله : ﴿ **يجادلونك في الحق** ﴾ خبر عن أهل الإيمان ، والذي يتلوه خبر عنهم ، والصواب قول ابن عباس وابن إسحاق : إنه خبر عن المؤمنين .

وهذا الذي نصره ابن جرير هو الحق ، وهو الذي يدل عليه سياق الكلام . واللَّه أعلم .

وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه(٣٣) : حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير وعبد الرزاق ؛ قالا : حدثنا

(٣٢) - **إسناده ضعيف جدًا** ، وهو عند الطبري برقم (١٥٧١٢/١٣) .
(٣٣) - **إسناده صحيح** ، وهو المسند ٢٠٢٢ - (٢٢٩/١) من رواية يحيى بن أبي بكير و٢٨٧٥ - (٣١٤/١) من رواية عبد الرزاق . ورواه الترمذي ٣٠٨٠ - (٢٦٩/٥) وقال : حديث حسن . ورواه الحاكم=

[١] - في ز : « فتعبوا » ، خ : « فتعبئوا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لما » .

إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قيل لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين فرغ من بدر ، عليك بالعير ليس دونها شيء ، فناداه العباس بن عبد المطلب - قال عبد الرزاق : وهو أسير في وثاقه - ثم اتفقا : أنه لا يصلح لك . قال : « **ولم ؟** » قال : لأن الله - عز وجل - إنما وعدك إحدىٰ الطائفتين ، وقد أعطاك ما وعدك .

إسناد جيد ، ولم يخرجوه[١] .

ومعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم** ﴾ أي : يحبون أن الطائفة التي لا حَدَّ لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم ، وهي العير ، ﴿ **ويريد الله أن يحق الحق بكلماته** ﴾ أي : هو يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التي لها الشوكة والقتال ؛ ليظفركم بهم وينصركم عليهم ، ويظهر دينه ، ويرفع كلمة الإسلام ، ويجعله غالبًا علىٰ الأديان ، وهو أعلم بعواقب الأمور ، وهو الذي يدبركم بحسن تدبيره ، وإن كان العباد يحبون خلاف ذلك فيما يظهر لهم ، كما قال : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله(٣٤) : حدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس - كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر - قالوا : لما سمع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بأبي سفيان مقبلًا من الشام ندب المسلمين إليهم . وقال : « **هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها[٢] ؛ لعل الله أن ينفلكموها** » ، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم ، يلقىٰ حربًا ، وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفًا علىٰ أمر الناس ، حتىٰ أصاب خبرًا من بعض الركبان : أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ؛ فَحَذِرَ عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلىٰ أهل[٣] مكة ، وأمره أن يأتي قريشًا ، فيستنفرهم إلىٰ أموالهم ، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه ، فخرج

= (٣٥٧/٢ العلمية) . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١٦٩/٣) للفريابي ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وأبي يعلى ٢٣٧٣ - (٢٦١/٤) ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ١١٧٣٣ - (١١/ ٢٧٩) ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه .

(٣٤) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٧٢٠/١٣) . وهو في السيرة لابن هشام (٢٥٧/٢ ، ٢٥٨ ثم ٢/ ٢٦٦ ، ٢٦٧) وتاريخ الطبري (٢٧٠/٢ ، ٢٧٣) .

[١] - في ت : « يخرجه » .

[٢] - في ز ، خ : « إليه » .

[٣] - سقط من : ز .

ضمضم بن عمرو سريعًا إلىٰ مكة ، وخرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في أصحابه ، حتىٰ بلغ واديًا يقال له « **ذَفِران** » ، فخرج منه ، حتىٰ إذا كان ببعضه نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر - رضي اللّٰه عنه - فقال فأحسن ، ثم قام عمر رضي اللّٰه عنه فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول اللّٰه ، امض لما أمرك اللّٰه به ؛ فنحن معك ، واللّٰه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** ﴾ ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما[١] مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلىٰ « **برك الغماد** » - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه ، حتىٰ تبلغه . فقال له رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه تعالىٰ عليه وآله وسلم ، خيرًا ، ودعا له بخير . ثم قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أشيروا علي أيها الناس** » ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وذلك أنهم [ ][٢] حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله ، إنا برآء من ذمامك حتىٰ تصل إلىٰ دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترىٰ عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلىٰ عدو من بلادهم ، فلما قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ذلك ، قال له سعد بن معاذ : واللّٰه لكأنك تريدنا يا رسول اللّٰه ؟ قال : « **أجل** » . فقال : قد[٣] آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك علىٰ ذلك عهودنا ومواثيقنا علىٰ السمع والطاعة ، فامض يا رسول اللّٰه لما أردتَ ، فوالذي بعثك بالحق ، إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما يتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقىٰ بنا عدونا غدًا ، إنا لصُبُرٌ عند الحرب ، صُدق عند اللقاء ، ولعل اللّٰه يريك منا ما تقر به عينك ، فَسِر بنا علىٰ بركة اللّٰه ، فَسُرَّ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بقول سعد ، ونشّطه ذلك ، ثم قال : « **سيروا علىٰ بركة اللّٰه ، وأبشروا ؛ فإن اللّٰه قد[٤] وعدني إحدىٰ الطائفتين ، واللّٰه لكأني الآن أنظر إلىٰ مصارع القوم** » .

وروىٰ العوفي عن ابن عباس نحو هذا ، وكذلك قال السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم وغير واحد من علماء السلف والخلف ، اختصرنا أقوالهم اكتفاء بسياق محمد بن إسحاق .

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

[١] - في ز ، خ : « معكم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « كانوا » .

[٣] - في خ : « فقد » .

[٤] - سقط من : ت .

﴿مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

قال الإمام أحمد(٣٥) : حدثنا أبو نوح قراد ، حدثنا عكرمة بن عمار ، حدثنا سماك الحنفي أبو زُمَيل ، حدثني ابن عباس ، حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ قال : لما كان يوم بدر نظر النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ أصحابه ، وهم ثلاثمائة ونيف ، ونظر إلىٰ المشركين فإذا هم ألف وزيادة ، فاستقبل النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، القبلة [ثم مَدَّ يديه][١] وعليه رداؤه وإزاره ثم قال : « [**اللهم ، أين ما وعدتني**][٢] . **اللهم** ، [**أنجز لي ما وعدتني**][٣] . **اللهم ؛ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبدًا** » . قال : فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتىٰ سقط رداؤه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ [رداءه فردَّاه][٤] - ألبسه[٥] - ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : يا نبي الله ؛ كفاك[٦] مناشدتك ربك ؛ فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾ . فلما كان يومئذ التقوا ، فهزم الله المشركين ، فقُتِل منهم سبعون رجلًا ، وأسر منهم سبعون رجلًا ، واستشار رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليًا ، فقال أبو بكر :

يا رسول الله ؛ هؤلاء بنو العم [ ][٧] والعشيرة والإخوان ، وإني أرىٰ أن تأخذ منهم الفدية ؛ فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا علىٰ الكفار ، وعسىٰ أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما ترىٰ يا بن الخطاب** » قال : قلت : والله[٨] ما أرىٰ ما رأىٰ أبو بكر ، ولكني أرىٰ أن تمكنني من فلان - قريب لعمر - فأضربَ عنقه ، وتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان - أخيه - فيضرب عنقه ، حتىٰ يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فَهَوِي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، وأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد - قال عمر : - فغدوت[٩] إلىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه

(٣٥) - رواه أحمد في المسند (١/٣٠) و مسلم برقم (١٧٦٣) وأبو داود برقم (٢٦٩٠) والترمذي برقم (٣٠٨١) ، وابن جرير (١٣/١٥٧٣٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - مكررة في : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « كذلك » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « والعم » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في خ : « فغدوا » .

وسلم ، وأبي[١] بكر وهما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، ما[٢] يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيتُ ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **الذي[٣] عرض علي أصحابك[٤] من أخذهم الفداء ، قد عرض عليّ عذابكم أدنىٰ من هذه الشجرة** » لشجرة قريبة ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرىٰ حتىٰ يثخن في الأرض** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم** ﴾ من الفداء ، ثم أحلَّ لهم الغنائم . فلما كان يوم أحد من العام المقبل ، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر ، من أخذهم الفداء ؛ فقتل منهم سبعون ، وفر أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وكسرت رباعيته ، وهُشمت البيضة علىٰ رأسه ، وسال الدم علىٰ وجهه ، فأنزل الله : ﴿ **أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنىٰ هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ، بأخذكم الفداء .

ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن جرير وابن مردويه من طرق ، عن عكرمة بن عمار به . وصححه علي بن المديني والترمذي ، وقالا : لا يعرف إلا من حديث عكرمة بن عمار اليمامي[٥] » .

وهكذا روىٰ علي بن أبي طلحة والعوفي ، عن ابن عباس ؛ أن هذه الآية الكريمة ، قوله : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم** ﴾ أنها في دعاء النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وكذا قال يزيد بن تبيع والسدي وابن جريج .

وقال أبو بكر بن عياش(٣٦) ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ؛ قال : لما كان يوم بدر جعل النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يناشد ربه أشد النِّشدَة ، يدعو ، فأتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : يا رسول الله ؛ بعض نِشْدَتك ، فوالله ليفين الله لك بما وعدك .

وقال البخاري(٣٧) في « كتاب المغازي » باب قول الله تعالىٰ : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **فإن الله شديد العقاب** ﴾ حدثنا أبو نعيم ، حدثنا إسرائيل ، عن مخارق ، عن طارق [بن شهاب][٦] ؛ قال : سمعت ابن مسعود يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا ، لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عُدل به ؛ أتىٰ النبي

(٣٦) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٧٤١/١٣) .
(٣٧) - صحيح البخاري برقم (٣٩٥٢) .

[١] - في ز ، خ : « وأبو » .
[٢] - في ز : « ماذا » .
[٣] - في ز ، خ : « للذي » . والمثبت من المسند.
[٤] - في خ : « أصاحبك » .
[٥] - في ت : « اليماني » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو يدعو علىٰ المشركين فقال : لا نقول كما قال قوم موسىٰ لموسىٰ[١] : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا** ﴾ ، ولكن نقاتل عن يمينك ، وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أشرق وجهه وسره ، [يعني : قوله][٢] .

وحدثنا محمد بن عبد اللّٰه بن حَوشب(٣٨) ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد الحذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يوم بدر : « **اللهم ، أنشدك عهدك ووعدك . اللهم ، إن شئت لم[٣] تُعْبَد** » . فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك . فخرج وهو يقول : ﴿ **سيُهزم الجمع ويولون الدُّبُر** ﴾ .

ورواه النسائي ، عن بندار ، عن عبد الوهاب بن[٤] عبد المجيد الثقفي .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **بألف من الملائكة مردفين** ﴾ أي : يردف بعضهم بعضًا ، كما قال هارون بن عنترة[٥] ، عن ابن عباس : ﴿ **مردفين** ﴾ متتابعين .

ويحتمل أن المراد ﴿ **مردفين** ﴾ لكم ، أي : نجدة لكم ، كما قال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **مردفين** ﴾ ، يقول : المدد ، كما تقول ايت[٦] الرجل فزده كذا وكذا .

وهكذا قال مجاهد وابن كثير القارئ وابن زيد : ﴿ **مردفين** ﴾ : مُمَدّين .

وقال أبو كُدَينة ، عن قابس[٧] ، عن أبيه ، عن ابن عباس ﴿ **ممدكم[٨] بألف من الملائكة مردفين** ﴾ ، قال : وراء كل مَلَكٍ ملك .

وفي رواية بهذا الإسناد : ﴿ **مردفين** ﴾ ، قال : بعضهم علىٰ أثر بعض . وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة .

وقال ابن جرير(٣٩) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا إسحاق ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ،

---

(٣٨) - صحيح البخاري برقم (٣٩٥٣) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٥٥٧) .

(٣٩) - رواه ابن جرير (١٥٧٥٦/١٣) ، وعبد العزيز بن عمران قال البخاري : منكر الحديث ، لا يكتب حديثه ، وقال ابن أبي حاتم : منكر الحديث جدًا . والزمعي : هو موسى بن يعقوب الزمعي : ثقة تكلم فيه . وأبو معاوية : هو عبد الرحمن بن معاوية بن الحويرث : ثقة ، متكلم فيه حتى قالوا : لا يحتج به .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « أن » .

[٤] - في ز : « عن » .

[٥] - في ز ، خ : « هبيرة » .

[٦] - في ز : « أنت » .

[٧] - في ز ، خ : « قابوس » .

[٨] - بعده في خ : « ربكم » .

حدثني عبد العزيز بن عمران[١]، عن الزمعي، عن أبي الحويرث، عن محمد بن جبير ، عن علي رضي الله عنه قال : نزل جبريل [في ألف][٢] من الملائكة عن ميمنة النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميسرة النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم][٣] ، وأنا في الميسرة .

وهذا يقتضي - لو صح إسناده - أن الألف مردفة بمثلها ؛ ولهذا قرأ بعضهم : ﴿ مردَفين ﴾ بفتح الدال ، فالله أعلم .

والمشهور ما رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ قال : وأمد الله نبيه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، والمؤمنين بألف من الملائكة ، فكان جبريل في خمسمائة من الملائكة مُجَنِّبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة .

وروىٰ الإمام أبو جعفر بن جرير ومسلم(٤٠) ، من حديث عكرمة بن عمار ، عن أبي زُمَيل سماك بن وليد الحنفي ، عن ابن عباس ، عن عمر الحديث المتقدم . ثم قال أبو زميل : حدثني ابن عباس قال : بينا رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس[٤] [يقول : « أقدم حيزوم » . إذ نظر إلىٰ المشرك أمامه ، فخر مستلقيًا ، قال][٥] : فنظر إليه ، فإذا هو قد خطم أنفه[٦] ، وشق وجهه كضربة السوط ، فاخضر[٧] ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري ، فحدث ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : « **صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة** » ، فَقَتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .

وقال البخاري(٤١) : « باب شهود الملائكة بدرًا »: حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جرير ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي ، عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال : جاء جبريل إلىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : « **من أفضل المسلمين** » أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة .

---

(٤٠) - ابن جرير (١٥٧٣٤/١٢) وهو عند مسلم في الجهاد والسير برقم (١٧٦٣) .
(٤١) - صحيح البخاري ، كتاب المغازي برقم (٣٩٩٢) .

---

[١] - في ز : « عهران » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « بألف » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - في ز : « فاحضر » .

انفرد بإخراجه البخاري، وقد رواه الطبراني(٤٢) في المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج وهو خطأ، والصواب رواية البخاري، والله أعلم.

وفي الصحيحين(٤٣) أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لعمر، لما شاوره في قتل حاطب بن أبي بلتعة: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد[١] اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

قوله تعالى: ﴿**وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله**﴾. أي: وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بشرى، ﴿**ولتطمئن به قلوبكم**﴾، وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم، بدون ذلك ؛ ولهذا قال ﴿**وما النصر إلا من عند الله**﴾، كما قال تعالى: ﴿**فإذا[٢] لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منًّا بعدُ وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم**﴾، وقال تعالى: ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب[٣] [ ][٤] الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين**﴾.

فهذه حكمٌ شَرَع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها، وقد كان تعالى إنما يعاقب الأمم السالفة المكذبة للأنبياء بالقوارع التي تعم تلك الأمة المكذبة، كما أهلك قوم نوح بالطوفان، وعادًا الأولى بالدَّبُور، وثمود بالصيحة، وقوم لوط بالخسف والقلب وحجارة السجيل[٥]، وقوم شعيب بيوم الظلة، فلما بعث الله تعالى موسى، وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليم، ثم أنزل على موسى التوراة، شرع فيها قتال الكفار، واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك، كما قال تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر**﴾، وقتل المؤمنين للكافرين أشد إهانة[٦] للكافرين، وأشفى لصدور المؤمنين، كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة: ﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين**﴾.

---

(٤٢) - المعجم الكبير رقم ٤٤١٢ - (٢٧٧/٤).

(٤٣) - البخاري في الجهاد والسير، باب: الجاسوس، برقم (٣٠٠٧)، ومسلم في فضائل الصحابة، برقم (٢٤٩٤).

---

[١] - سقط من: ت.

[٢] - في ز: «وإذا».

[٣] - في ز: «يهدي».

[٤] - في ز، خ: «القوم».

[٥] - في ز: «السجين».

[٦] - في ز: «أهنة».

ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين ازدرائهم أنكىٰ لهم وأشفىٰ لصدور حزب الإيمان ، فَقَتْلُ[١] أبي جهل في معركة القتال وحومة الوغىٰ أشد إهانة[٢] له من أن يموت علىٰ فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك، كما مات أبو لهب - لعنه الله - بالعَدَسة(٤٤) ، بحيث لم يقربه أحد من أقاربه ، وإنما غسلوه بالماء قذفًا من بعيد ، ورجموه حتىٰ دفنوه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن الله عزيز حكيم** ﴾ أي : له العزة ولرسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ . ﴿ **حكيم** ﴾ فيما شرعه من قتال الكفار ، مع القدرة علىٰ دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته ، سبحانه وتعالىٰ .

إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾

يذكرهم الله تعالىٰ بما أنعم به عليهم من إلقائه النعاس عليهم ، أمانًا من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، وكذلك فعل تعالىٰ بهم يوم أحد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسًا يغشىٰ طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم** ﴾ . قال أبو طلحة : كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد ، ولقد سقط السيف من يدي مرارًا يسقط وآخذه ، ويسقط وآخذه ، ولقد نظرت إليهم يميدون وهم تحت الحجف .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ(٤٥) : حدثنا زهير ، حدثنا ابن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي

---

(٤٤) - قال ابن الأثير في النهاية (١٩٠/٣) في حديث أبي رافع : « أن أبا لهب رماه الله بالعدسة » وهي بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد ، من جنس الطاعون ، تقتل صاحبها غالبًا » .

(٤٥) - **إسناده صحيح** ، وهو في مسند أبي يعلى ٢٨٠ - (٢٤٢/١) ورواه أحمد في مسنده (١٢٥/١) من طريق عبد الرحمن بن مهدي ، بهذا الإسناد ، ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق ابن خزيمة برقم (١٦٩٠ موارد) .

---

[١] - في خ : « كقتل » . [٢] - في ز : « أهنة » .

إسحاق ، عن حارثة بن[١] مضرب ، عن علي رضي الله عنه ؛ قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يصلي تحت شجرة ، ويبكي حتىٰ أصبح .

وقال سفيان الثوري ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : النعاس في القتال أمنة من الله ، وفي الصلاة من الشيطان .

وقال قتادة : النعاس في الرأس ، والنوم في القلب .

قلت : أما النعاس فقد أصابهم يوم أحد ، وأمر ذلك مشهور جدًّا ، وأما يوم بدر فهذه الآية الشريفة إنما هي في سياق قصة بدر ، وهي دالة علىٰ وقوع ذلك أيضًا ، وكأن ذلك كان سجية للمؤمنين عند شدة البأس ؛ لتكون[٢] قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله ، وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونِعَمِه عليهم ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **فإن مع العسر يسرًا * إن مع العسر يسرًا** ﴾ ، ولهذا جاء[٣] في الصحيح أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه ، وهما يدعوان ، أخذت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سِنَة من النوم ، ثم استيقظ متبسمًا ، فقال : « **أبشر يا أبا بكر ، هذا جبريل علىٰ ثناياه النَّقْعُ** » . ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قوله تعالىٰ : ﴿ **سيُهزم الجَمْعُ ويولون الدبر** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وينزل عليكم من السماء ماء** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ قال : نزل النبي صلىٰ الله عليه وسلم - يعني : حين[٤] سار إلىٰ بدر - والمسلمون[٥] بينهم وبين الماء رملة دعْصَة ، فأصاب المسلمين ضعف شديد ، وألقىٰ الشيطان في قلوبهم الغيظ ، يوسوس بينهم : تزعمون أنكم أولياء الله تعالىٰ وفيكم رسوله ، وقد غلبكم المشركون علىٰ الماء ، وأنتم تصلون مُجْنبين ؛ فأمطر الله عليهم مطرًا شديدًا ، فشرب المسلمون وتطهروا ، وأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وأنشف الرمل حين أصابه المطر ومشىٰ الناس عليه والدواب ، فساروا إلىٰ القوم ، وأمد الله نبيه صلىٰ الله عليه وسلم والمؤمنين بألف من الملائكة ؛ فكان جبريل في خمسمائة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة .

وكذا قال العوفي عن ابن عباس : إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها ، نزلوا علىٰ الماء يوم بدر فغلبوا المؤمنين عليه ؛ فأصاب المؤمنين الظمأ ، فجعلوا يصلون

---

[١] - في ز : « عن » .
[٢] - في ز : « تكون » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « والمشركون » .

مجنبين محدثين ، حتىٰ تعاطوا ذلك في صدورهم ، فأنزل اللَّه من السماء ماء ، حتىٰ سال الوادي، فشرب المؤمنون ، وملئوا الأسقية ، وسقوا الركاب ، واغتسلوا من الجنابة ، فجعل اللَّه في ذلك طهورًا ، وثبت الأقدام ، وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة ، فبعث اللَّه المطر عليها فضربها حتىٰ اشتدت ، وثبتت[١] عليها الأقدام .

ونحو ذلك رُوي عن قتادة والضحاك والسدي .

وقد رُوي عن سعيد بن المسيب والشعبي والزهري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه طَش أصابهم يوم بدر .

والمعروف أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لما سار إلىٰ بدر ، نزل على أدنىٰ ماء هناك ، أي : أول ماء وجده فتقدم إليه الحباب بن المنذر ، فقال : يارسول الله ، هذا المنزل الذي نزلته منزل أنزلكه اللَّه ؛ فليس لنا أن نجاوزه ، أو منزل نزلته للحرب والمكيدة ؟ فقال : « **بل منزل نزلته للحرب والمكيدة** » . فقال : يا رسول اللَّه ، إن هذا ليس بمنزل ، ولكن سِرْ بنا حتىٰ ننزل علىٰ أدنىٰ ماء يلي القوم ، ونُغَوِّر ما وراءه[٢] من القُلُب ، ونستقي الحياض ، فيكون لنا ماء وليس لهم ماء ، فسار رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ففعل كذلك .

وفي مغازي « **الأموي** » (٤٦) أن الحباب لما قال ذلك ، نزل ملك من السماء ، وجبريل جالس عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال ذلك الملك : يا محمد ؛ إن ربك يقرئك[٣] السلام ، ويقول لك : إن الرأي ما أشار به « **الحباب بن المنذر** » ، فالتفت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلىٰ جبريل عليه السلام فقال : « **هل تعرف هذا ؟** » فنظر إليه فقال : ما كل الملائكة أعرفهم ، وإنه مَلَكٌ وليس بشيطان .

وأحسن ما في هذا ما رواه الإمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب « **المغازي** » - رحمه اللَّه(٤٧) - حدثني يزيد بن رُومان ، عن عروة بن الزبير ؛ قال : بعث اللَّه السماء ، وكان الوادي دَهْسًا ، فأصاب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأصحابه ما لبَّد لهم الأرض ، ولم يمنعهم من المسير ، وأصاب قريشًا ما لم يقدروا علىٰ أن يرتحلوا معه .

---

(٤٦) - ورواه الواقدي في المغازي (٥٤/١) إلى هذا الموضع . فقال : « حدثني ابن أبي حبيبة ، عن رواد بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نزل جبريل .. فذكره » .

(٤٧) - السيرة النبوية لابن هشام (٦٢٠/١) .

---

[١] - في ز : « وثبت » .

[٢] - في ز : « وراءنا » .

[٣] - في ز ، خ : « يقرأ عليك » .

وقال مجاهد : أنزل الله عليهم المطر قبل النعاس ؛ فأطفأ بالمطر الغبار ، وتلبدت به الأرض ، وطابت نفوسهم وثبتت به أقدامهم .

وقال ابن جرير(٤٨) : حدثنا هارون بن إسحاق ، حدثنا مصعب بن المقدام ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا أبو إسحاق ، عن حارثة[١] ، عن علي رضي الله عنه قال : أصابنا من الليل طَشٌّ من المطر - يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر - فانطلقنا تحت الشجر والحجف ، نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [يدعو ربه :« **اللهم ، إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض** » . فلما أن طلع الفجر نادىٰ : « **الصلاة ، عباد الله !** » فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلىٰ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم][٢] ، وحرض علىٰ القتال .

وقوله : ﴿ **ليطهركم به** ﴾ أي : من حدث أصغر أو أكبر ، وهو تطهير الظاهر[٣] ، ﴿ **ويذهب عنكم رجز الشيطان** ﴾ أي : من وسوسة أو خاطر سيئ وهو تطهير الباطن ، كما قال تعالىٰ في حق أهل الجنة : ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة** ﴾ فهذا زينة الظاهر[٤] ، ﴿ **وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا** ﴾ أي : مطهرًا لما كان من غل أو حسد أو تباغض ، وهو زينة الباطن وطهارته .

﴿ **وليربط على قلوبكم** ﴾ أي : بالصبر والإقدام علىٰ مجالدة الأعداء ، وهو شجاعة الباطن . ﴿ **ويثبت به الأقدام** ﴾ وهو شجاعة الظاهر ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **إذ يوحي ربك إلىٰ الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا** ﴾ وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالىٰ لهم ليشكروه عليها ، وهو أنه - تعالىٰ وتقدّس وتبارك وتمجد - أوحىٰ[٥] إلىٰ الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين ، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا .

قال ابن إسحاق : وازرُوهم . وقال غيره : قاتلوا معهم . وقيل : كثّروا سَوَادهم . وقيل : كان ذلك بأن الملَك كان يأتي الرجل من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، يقول : سمعت هؤلاء القوم يعني المشركين يقولون : والله لئن حملوا علينا لننكشفن ، فيحدّث المسلمون بعضهم بعضًا بذلك ؛ فتقوىٰ أنفسهم . حكاه ابن جرير ، وهذا لفظه بحروفه .

---

(٤٨) - رواه ابن جرير (١٣/١٥٧٦٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « جارية » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « الظاهر » .

[٤] - في ز : « الظاهر » .

[٥] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب** ﴾ أي : ثبتوا أنتم المؤمنين[١] ، وقووا أنفسهم على أعدائهم ، عن أمري لكم بذلك ، سألقي الرعب والمذلة والصغار على من خالف أمري ، وكذب رسولي ؛ ﴿ **فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** ﴾ أي : اضربوا الهام ففلقوها ، واحتزوا الرقاب فقطعوها ، وقطعوا الأطراف منهم ، وهي أيديهم وأرجلهم .

وقد اختلف المفسرون في معنى : ﴿ **فوق الأعناق** ﴾ فقيل : معناه اضربوا الرءوس . قاله عكرمة .

وقيل : معناه ﴿ **فوق الأعناق** ﴾ أي على الأعناق ، وهي الرقاب . قاله الضحاك وعطية العوفي .

ويشهد لهذا المعنى أن الله تعالى أرشد المؤمنين إلى هذا في قوله تعالى : ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق** ﴾ .

وقال وكيع(٤٩) ، عن المسعودي ، عن القاسم ، **قال** : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله ؛ إنما بعثت بضرب الرقاب** ، [**وشد الوثاق**][٢] » .

واختار ابن جرير أنها [ ][٣] تدل على ضرب الرقاب وفلق الهام .

قلت : وفي مغازي الأموي أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، جعل يمر بين القتلى يوم بدر ، فيقول : « **نُفَلِّقُ**[٤] **هامًا** ... » .

فيقول أبو بكر :

... من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما(٥٠)

فيبتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأول البيت ، ويستطعم أبا بكر - رضي الله عنه - إنشاد آخره ؛ لأنه كان لا يحسن إنشاد الشعر ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له** ﴾ .

---

(٤٩) - **إسناده ضعيف لإرساله** ، ورواه ابن جرير في تفسيره (١٥٧٨٤/١٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٩٠/١٢) من طريق وكيع بهذا الإسناد .

(٥٠) - البيت للحصين بن الهمام المري ، وهو في « الشعر والشعراء » لابن قتيبة (٦٤٨/٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « المسلمين » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « قد » .

[٤] - في ز : « يفلق » .

وقال الربيع بن أنس : كان الناس يوم بدر يعرفون قتلىٰ الملائكة ممن قتلوهم[١] ، بضرب فوق الأعناق وعلىٰ البنان ، مثل سمة النار قد أحرق به .

وقوله : ﴿ **واضربوا منهم كل بنان** ﴾ قال ابن جرير : معناه : واضربوا من عدوكم أيها المؤمنون كل طرف ومَفصل ، من أطراف أيديهم وأرجلهم ، والبنان : جمع بنانة ، كما قال الشاعر(٥١) :

ألا ليتني قطَّعْتُ مني بنانة ولاقيته[٢] في البيت يقظان حاذرًا[٣]

وقال علي بن أبي طلحة(٥٢) ، عن ابن عباس : ﴿ **واضربوا منهم كل بنان** ﴾ يعني بالبنان الأطراف . وكذا قال الضحاك وابن جريج .

وقال السدي : البنان الأطراف ، ويقال : كل مفْصَل .

وقال عكرمة وعطية العوفي والضحاك في رواية أخرىٰ : كل مفصل .

وقال الأوزاعي في قوله تعالىٰ : ﴿ **واضربوا منهم كل بنان** ﴾ قال : اضرب منه الوجه والعين ، وارمه بشهاب من نار ، فإذا أخذته حرم ذلك كله عليك .

وقال العوفي ، عن ابن عباس ، فذكر قصة بدر إلىٰ أن قال : فقال أبو جهل : لا تقتلوهم قتلًا ، ولكن خذوهم أخذًا ، حتىٰ تعرفوهم الذي صنعوا من طعنهم[٤] في دينكم ، ورغبتهم عن اللات والعزىٰ. فأوحىٰ اللَّه إلىٰ الملائكة : ﴿ **أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان**﴾، فقتل أبو جهل (لعنه اللَّه) في تسعة وستين رجلًا ، وأسر عقبة بن أبي معيط فقتل صبرًا ، فوفىٰ ذلك سبعين ، يعني : قتيلًا .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك بأنهم شاقوا اللَّه ورسوله** ﴾ أي : خالفوهما فساروا في شق ، وتركوا الشرع والإِيمان به واتباعه في شق ، وهو مأخوذ أيضًا من شق العصا ، وهو جعلها فرقتين ، ﴿ **ومن يشاقق اللَّه ورسوله فإن اللَّه شديد العقاب** ﴾ أي : هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه ، لا يفوته شيء ، ولا يقوم لغضبه شيء ، تبارك وتعالىٰ لا إله

---

(٥١) - هو العباس بن مرداس السلمي ، والبيت في تفسير ابن جرير (١٣/٤٣١) ، ولسان العرب مادة (بنن) .

(٥٢) - رواه ابن جرير (١٣/١٥٧٩٢) .

---

[١] - في ز : « قتلواهم » .

[٢] - في ز : « لافيته » .

[٣] - في ز : « جادرًا » .

[٤] - في ز : « طغيهم » .

[غيره ، ولا رب][١] سواه .

﴿ **ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار** ﴾ هذا خطاب للكفار ، أي : ذوقوا هذا العذاب والنكال في الدنيا ، واعلموا أيضًا أن للكافرين عذاب النار في الآخرة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ متوعدًا علىٰ الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا** ﴾ أي : تقاربتم منهم ودنوتم منهم[٢] . ﴿ **فلا تولوهم الأدبار** ﴾ أي : تفروا وتتركوا أصحابكم . ﴿ **ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفًا لقتال** ﴾ أي : يفر بين يدي قرنه مكيدة ؛ ليريه أنه قد[٣] خاف منه فيتبعه ، ثم يكر عليه فيقتله ، فلا بأس عليه في ذلك ، نص عليه سعيد بن جبير والسدي .

وقال الضحاك : أن يتقدم عن أصحابه ليرىٰ غرة من العدّو فيصيبها .

﴿ **أو متحيزًا إلىٰ فئة** ﴾ أي : فر من هاهنا إلىٰ فئة أخرىٰ من المسلمين ؛ يعاونهم ويعاونوه ، فيجوز له ذلك حتىٰ لو[٤] كان في سرية ، ففر إلىٰ أميره أو إلىٰ الإمام الأعظم ، دخل في هذه الرخصة .

قال الإمام أحمد(٥٣) : حدثنا حسن ، حدثنا زهير ، حدثنا يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلي ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فحاص الناس حيصة ، وكنت فيمن حاص[٥] ، فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب[٦] ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا ، ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : « **من القوم ؟** » فقلنا : نحن

(٥٣) - **إسناده ضعيف** ، يزيد بن أبي زياد تكلم فيه غير واحد من الأئمة ، وهو في المسند ٥٣٨٤ - (٢/ ٧٠) وسنن أبي داود برقم (٢٦٤٧) وسنن الترمذي برقم (١٧١٦) وسنن ابن ماجة برقم (٣٧٠٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في م : « إليهم » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « ولو » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « بغضب » .

الفرارون . فقال : « **لا ، بل أنتم العكارون**(*) ، **أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين** » . قال : فأتيناه حتىٰ قبلنا يده ، وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة من طرق : عن يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذي : حسن لا نعرفه إلا من [حديث ابن أبي زياد][١] .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن أبي زياد به ، وزاد في آخره : وقرأ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، هذه الآية : ﴿ **أو متحيزًا إلىٰ فئة** ﴾ .

قال أهل العلم : معنىٰ قوله: « **العكارون** » أي : العطافون ، وكذلك قال عمر بن الخطاب : - رضي الله عنه - [في أبي عبيدة][٢] ، لما قتل على الجسر[٣] بأرض فارس ، لكثرة الجيش من ناحية المجوس ، فقال عمر : لو انحاز إليّ كنت له فئة . هكذا رواه محمد ابن سيرين ، عن عمر(٥٤) .

وفي رواية أبي عثمان النهدي ، عن عمر قال : لما قتل أبو عبيدة[٤] ؛ قال عمر : أيها الناس ، أنا فئتكم(٥٥) .

وقال مجاهد : قال عمر : أنا فئة كل مسلم .

وقال عبد الملك بن عمير ، عن عمر : أيها الناس ، لا تغرنكم هذه الآية ، فإنما كانت يوم بدر ، وأنا[٥] فئة كل[٦] مسلم .

وقال ابن أبي حاتم(٥٦) : حدثنا أبي ، حدثنا حسان بن عبد الله المصري ، حدثنا خلاد ابن سليمان الحضرمي ، حدثنا نافع أنه سأل ابن عمر ، قلت : إنا قوم لا نثبت عند قتال عدونا ، ولا ندري من الفئة : إمامنا أو عسكرنا ؟ فقال : إن الفئة رسول الله صلىٰ الله عليه

(*) العكارون : أي الكرارون إلى الحرب ، والعطافون نحوها ، يقال للرجل يولي عن الحرب ثم يكر راجعاً إليها : عكر ، واعتكر ، وعكرت عليه إذا حملت .النهاية ٢٨٣/٣)

وحاص المسلمون حيصة : أي جالوا جولة يطلبون الفرار ، والمحيص : المهرب ، والمحيد ، ويروى بالجيم ، والضاد المعجمة (النهاية ٤٦٨/١) .

(٥٤) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٨١٢/١٣) .

(٥٥) - رواه ابن جرير (١٥٨١٤/١٣) .

(٥٦) - رواه ابن أبي حاتم (٨٨٩٧/٥)

---

[١] - في ز ، خ : « حديثه » .

[٢] - في ز ، خ : « عن أبي عبيد » .

[٣] - في ز : « الحر » .

[٤] - في خ : « عبيد » .

[٥] - في ز ، خ : « أنه » .

[٦] - في ز : « لكل » .

وسلم . فقلت : إن الله يقول : ﴿ **إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا فلا تولوهم الأدبار** ﴾ . فقال : إنما نزلت هذه الآية في يوم بدر ، لا قبلها ولا بعدها .

وقال الضحاك في قوله : ﴿ **أو متحيزًا إلى فئة** ﴾ المتحيز الفار إلىٰ النبي وأصحابه ، وكذلك من فر اليوم إلىٰ أميره أو أصحابه .

فأما إن كان الفرار لا عن سبب من هذه الأسباب ؛ فإنه حرام وكبيرة من الكبائر ، لما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال(٥٧) : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اجتنبوا السبع الموبقات** » قيل : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : « **الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** » .

[ولهذا الحديث][١] شواهد من وجوه أخر ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فقد باء** ﴾ أي : رجع ﴿ **بغضب من الله ومأواه** ﴾ أي : مصيره ومنقلبه يوم ميعاده [ ][٢] ﴿ **جهنم وبئس المصير** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٥٨) : حدثنا زكريا بن عدي ، حدثنا عبيد الله بن عمرو الرقي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، حدثنا جبلة بن سحيم ، عن أبي المثنىٰ العبدي ، سمعت السدوسي - يعني ابن الخصاصية[٣] - وهو بشير بن معبد - قال : أتيت ، النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، لأبايعه ؛ فاشترط عليَّ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدي الزكاة ، وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أصوم شهر رمضان ، وأن أجاهد في سبيل الله . فقلت : يا رسول الله ، أما اثنتان[٤] فوالله لا أطيقهما ؛ الجهاد : فإنهم زعموا أنه[٥] من ولىٰ الدبر ، فقد باء بغضب من الله ؛ فأخاف إن حضرت ذلك خشعت نفسي وكرهت الموت . والصدقة: فوالله مالي إلا غنيمة وعشر ذَوْد هن رَسَل أهلي

(٥٧) - صحيح البخاري في الوصايا برقم (٢٧٦٦) ، وصحيح مسلم في الإيمان برقم (٨٩) .

(٥٨) - المسند برقم ٢٢٠٤٧ - (٥/٢٢٤) . ورواه الطبراني في الكبير (٢/٤٤ ، ٤٥ رقم ١٢٣٣ ، ١٢٣٤) ، وفي الأوسط كما في مجمع البحرين (١/٨٤ رقم ٤٠) من طرقٍ عن عبيد الله بن عمرو به . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٤٢) وقال : رواه أحمد ، والطبراني في الكبير ، والأوسط ، واللفظ للطبراني ، ورجال أحمد موثقون .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « وله » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ، ز : «مأواه».

[٣] - في ز : « الحضاضية » .

[٤] - في خ : « اثنتين » .

[٥] - في ت : « أن » .

وحمولتهم. فقبض رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يده ، ثم حرك يده ، ثم قال : « **فلا[١] جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة إذًا ؟** » فقلت[٢] : يا رسول الله ، أنا[٣] أبايعك . فبايعته عليهن كلهن .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه في الكتب الستة .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥٩) : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ بن حمزة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم أبو النضر ، حدثنا يزيد بن ربيعة ، حدثنا أبو الأشعث ، عن ثوبان ، عن النبي، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف** » .

وهذا أيضًا حديث غريب جدًا .

وقال الطبراني أيضًا (٦٠) : حدثنا العباس بن الفضل[٤] الأسفاطي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حفص بن عمر الشني[٥] ، حدثني عمرو بن مرة ، قال : سمعت بلال بن يسار بن زيد مولىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : سمعت أبي يحدث عن جدي ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من قال : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو وأتوب إليه ، غفر له وإن كان قد فر من الزحف** » .

وهكذا رواه أبو داود عن موسىٰ بن إسماعيل به . [وأخرجه الترمذي عن البخاري ، عن موسىٰ بن إسماعيل به][٦] . وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

---

(٥٩) - **إسناده ضعيف** ، وهو في المعجم الكبير (٩٥/٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠٤/١) : « فيه يزيد ابن ربيعة ضعيف » . وأحمد بن محمد بن يحيى : ضعفه ابن حبان .

(٦٠) - المعجم الكبير ٤٦٧٠ - (٨٩/٥) ، وهو في سنن أبي داود ، في الصلاة ، باب : الاستغفار ، برقم (١٥١٧) ، وسنن الترمذي في الدعوات برقم (٣٥٧٧) . وقال المنذري : وإسناده جيد متصل ، فقد ذكر البخاري في تاريخه الكبير أن بلالاً سمع من أبيه يسار ، وأن يسار سمع من أبيه زيد مولى رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وقد اختلف في يسار والد بلال هل هو بالباء الموحدة أو بالياء المثناة تحت .

ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال : صحيح على شرطهما ؛ إلا أنه قالها ثلاثاً . ورواه الطبراني في الصغير (٩١/٢) من حديث علي بن حميد ، عن عمرو بن فرقد ، عن عبد الله بن المختار ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، وقال : لم يروه عن أبي إسحاق إلا عبد الله بن المختار البصري ، ولا عن عبد الله إلا عمرو بن فرقد ، تفرد به علي بن حميد ، ورواه في الكبير من حديث ابن مسعود .

---

[١] - في ت : « لا » .
[٢] - في ت : « قلت » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « المفضل » .
[٥] - في ز ، خ : « السني » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قلت : ولا يعرف لزيد مولىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم عنه سواه .

وقد ذهب ذاهبون إلىٰ أن الفرار إنما كان حرامًا علىٰ الصحابة ؛ لأنه [يعني الجهاد][١] كان فرض عين عليهم ، وقيل : علىٰ الأنصار خاصة ؛ لأنهم بايعوا علىٰ السمع والطاعة في المنشط والمكره . وقيل : المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة ، يروىٰ هذا عن عمر ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وأبي نضرة ، ونافع مولىٰ ابن عمر ، وسعيد ابن جبير ، والحسن البصري ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك وغيرهم .

وحجتهم في هذا : أنه لم تكن عصابة لها شوكة يفيئون إليها سوى[٢] عصابتهم تلك ، كما قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض**(٦١) . **ولهذا قال عبد اللَّه بن المبارك**(٦٢) **، عن مبارك بن فضالة ، عن الحسن في قوله : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾** قال : ذلك يوم بدر ، فأما اليوم فإن انحاز إلىٰ فئة أو مصر - أحسبه قال : فلا بأس عليه .

وقال ابن المبارك أيضًا(٦٣) ، عن ابن لهيعة ، حدثني يزيد بن أبي حبيب قال : أوجب اللَّه تعالى لمن فر يوم بدر النار ، قال : **﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلىٰ فئة فقد باء بغضب من اللَّه ﴾** ، فلما كان يوم أحد بعد ذلك ، قال : **﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقىٰ الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ ولقد عفا اللَّه عنهم ﴾** ، ثم كان يوم حنين بعد ذلك بسبع سنين ، قال : **﴿ ثم وليتم مدبرين * ثم يتوب اللَّه من بعد ذلك علىٰ من يشاء ﴾** .

وفي سنن أبي داود ، والنسائي ، ومستدرك الحاكم ، وتفسير ابن جرير ، وابن مردويه من حديث داود بن أبي هند ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد(٦٤) أنه قال في هذه الآية : **﴿ ومن يولهم يومئذ دبره ﴾** إنما أنزلت في أهل بدر .

وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حرامًا علىٰ غير أهل بدر ؛ وإن كان[٣]

---

(٦١) - رواه مسلم في الجهاد والسير ، برقم (١٧٦٣) ، والترمذي في التفسير ، سورة الأنفال برقم (٣٠٨١) ، وأحمد برقم (٢٢١) من حديث عمر .

(٦٢) - رواه الطبري (١٣/١٥٨٠٩) .

(٦٣) - رواه ابن جرير برقم (١٣/١٥٨١١) .

(٦٤) - رواه أبو داود في الجهاد ، باب : التولي يوم الزحف ، برقم (٢٦٤٨) ، والنسائي في الكبرى برقم (١١٢٠٣) ، والحاكم في المستدرك (٢/٣٢٧) ، وابن جرير (١٣/١٥٨٠٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ت : « إلا » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

سبب [نزول الآية][١] فيهم ، كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم ، من أن الفرار من الزحف من الموبقات ، كما هو مذهب الجماهير ، والله أعلم .

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾

يبين تعالىٰ أنه خالق أفعال العباد ، وأنه المحمود علىٰ جميع ما صدر عنهم من خير ؛ لأنه هو الذي وفقهم لذلك ، وأعانهم عليه[٢] ، ولهذا قال : ﴿ **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم** ﴾ أي : ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم ، مع كثرة عددهم وقلة عددكم ، أي[٣] : بل هو الذي أظفركم عليهم ، كما قال : ﴿ **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئًا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** ﴾ ، يعلم تبارك وتعالىٰ أن النصر ليس عن[٤] كثرة العدد ، ولا بلبس اللأمة والعدد ، وإنما النصر من [عند الله][٥] تعالىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم أيضًا : في شأن القبضة من التراب ، التي حصب بها وجوه المشركين[٦] يوم بدر ، حين خرج من العريش ، بعد دعائه وتضرعه واستكانته ، فرماهم بها ، وقال : « **شاهت الوجوه** » ، ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا ، فأوصل الله تلك الحصباء إلىٰ أعين المشركين ؛ فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ** ﴾ أي : هو الذي بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت .

قال علي بن أبي طلحة(٦٥) ، عن ابن عباس : رفع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يديه - يعني يوم بدر - فقال : « **يارب ، إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبدًا** » . فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ، فارم بها في وجوههم ، [فأخذ قبضة من

(٦٥) - رواه ابن جرير برقم (١٣/١٥٨٢٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « النزول » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « على » .
[٥] - في خ : « عنده » .
[٦] - في ت : « الكافرين » .

التراب ، فرمىٰ بها في وجوههم][١] ، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين .

وقال السدي : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لعليٍّ رضي اللّٰه عنه يوم بدر : « **أعطني حصبًا من الأرض** ». فناوله[٢] حصبًا عليه تراب ، فرمىٰ به في وجوه القوم ، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ، ثم[٣] ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، وأنزل اللّٰه : ﴿ **فلم تقتلوهم ولكن اللّٰه قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن اللّٰه رمىٰ** ﴾ .

وقال أبو معشر المدني(٦٦) ، عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قالا : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، أخذ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قبضة من تراب فرمىٰ بها في وجوه القوم ، وقال : « **شاهت الوجوه** » . فدخلت في أعينهم كلهم ، وأقبل أصحاب رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقتلونهم ويأسرونهم ، وكانت هزيمتهم في رمية رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأنزل اللّٰه : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن اللّٰه رمىٰ** ﴾ .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن اللّٰه رمىٰ** ﴾ قال : هذا يوم بدر ، أخذ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثلاث حصيات[٤] ، فرمىٰ بحصاة[٥] ميمنة القوم ، وحصاة[٦] في ميسرة القوم ، وحصاة[٧] بين أظهرهم ، وقال : « **شاهت الوجوه** » . فانهزموا .

وقد روي في هذه القصة(٦٧) ، عن عروة [ابن الزبير و][٨] مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة وغير واحد من الأئمة : أنها نزلت في رمية النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يوم بدر ، وإن كان[٩] قد فعل ذلك يوم حنين أيضًا .

---

(٦٦) - رواه ابن جرير برقم (١٣/١٥٨٢٣)

(٦٧) - انظر : تفسير ابن جرير (١٣/٤٤٣-٤٤٥) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « فناولته » .

[٣] - في ز : « و » ، سقط من : خ .

[٤] - في ز : « حصبات » .

[٥] - في ز : « بحصبات » ، خ : « بحصيات » .

[٦] - في ز : « حصبات » ، خ : « وحصيات » .

[٧] - في ز : « حصبات » ، خ : « وحصيات » والمثبت من تفسير الطبري .

[٨] - في خ : « عن » .

[٩] - سقط من : ز .

وقال أبو جعفر بن جرير(٦٨) : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، حدثنا موسىٰ بن يعقوب بن عبد الله بن زمعة[١] ، عن يزيد ابن عبد الله ، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة[٢] ، عن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر سمعنا صوتًا وقع من السماء ، كأنه صوت حصاة وقعت في طست ، ورمىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، تلك الرمية فانهزمنا .

غريب من هذا الوجه ، وهٰهنا قولان آخران غريبان جدًّا :

(أحدهما) :

قال ابن جرير(٦٩) : حدثنا محمد بن عوف الطائي ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان بن عمرو[٣] ، حدثنا عبد الرحمن بن جبير : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم - يوم ابن أبي الحقيق بخيبر - دعا بقوس فأتي بقوس طويلة ، وقال : « **جيئوني بقوس غيرها** » فجاءوه بقوس كبداء(٧٠) ، فرمىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، الحصن ، فأقبل السهم يهوي ، حتىٰ قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمىٰ** ﴾ .

وهذا غريب ، وإسناده جيد إلىٰ عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، ولعله اشتبه عليه ، أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله ، وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة ، وهذا مما لا يخفىٰ علىٰ أئمة العلم ، والله أعلم .

(والثاني) : روىٰ ابن جرير أيضًا ، والحاكم في مستدركه(٧١) ، بإسناد صحيح إلىٰ سعيد بن المسيب والزهري أنهما قالا : أنزلت في رمية النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يوم أحد أبي بن خلف بالحربة ، وهو في لأمته فخدشه في ترقوته ، فجعل يتدأدأ(٧٢) عن فرسه

---

(٦٨) - تفسير ابن جرير (١٥٨٢٢/١٣) وهو ضعيف لضعف عبد العزيز بن عمران . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤/٦) وقال : رواه الطبراني في الكبير ، والأوسط ، وإسناده حسن .

(٦٩) - رواه ابن أبي حاتم (٨٩١١/٥) ، ورواه الواحدي في أسباب النزول (١٧٤) وقد سقط هذا الأثر والذي يليه من نص ابن جرير وأثبته المحقق في الهامش (٤٤٦/١٣) .

(٧٠) - أي : معتدلة جيدة .

(٧١) - المستدرك (٣٢٧/٢) .

(٧٢) - أي : تدحرج وسقط .

---

[١] - في ز : « ربيعة » .

[٢] - في ز : « حتمة » .

[٣] - في خ : « عمر » .

مرارًا ، حتىٰ كانت وفاته بعد أيام ، قاسىٰ فيها العذاب الأليم ، موصولًا بعذاب البرزخ المتصل بعذاب الآخرة .

وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضًا جدًّا ، ولعلهما أرادا : أن الآية تتناوله بعمومها ، لا أنها نزلت فيه خاصة ، كما تقدم ، والله أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في قوله : ﴿ **وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسنًا** ﴾ أي : ليعرّف المؤمنين [من][1] نعمته عليهم ؛ من إظهارهم علىٰ عدوهم ، مع كثرة عدوهم وقلة عددهم ؛ ليعرفوا بذلك حقه ، ويشكروا بذلك نعمته (٧٣) .

وهكذا فسر ذلك[2] ابن جرير أيضًا ، وفي الحديث : « **وكل بلاء حسن أبلانا** » .

وقوله : ﴿ **إن الله سميع عليم** ﴾ أي : سميع الدعاء ، عليم بمن يستحق النصر والغلب .

وقوله : ﴿ **ذلكم[3] وأن الله موهن كيد الكافرين** ﴾ هذه بشارة أخرىٰ مع ما حصل من النصر ، أنه أعلمهم تعالىٰ بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل ، مصغر أمرهم ، وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار ، ولله الحمد والمنة .

إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

يقول تعالىٰ للكفار : ﴿ **إن تستفتحوا** ﴾ أي : تستنصروا وتستقضوا الله ، وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين ، فقد جاءكم ما سألتم ، كما قال محمد بن إسحاق وغيره ، عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعير[4] ؛ أن أبا جهل قال يوم بدر :اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنْه الغداة . وكان ذلك[5] استفتاحًا منه ، فنزلت : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾ إلىٰ آخر الآية .

---

(٧٣) - تفسير ابن جرير (١٣/١٥٨٣٠) .

---

[1] - سقط من خ .

[2] - سقط من : ت .

[3] - سقط من : ز ، خ .

[4] - في ز : « صغير » .

[5] - سقط من : ت .

وقال الإمام أحمد(٧٤) : حدثنا يزيد - يعني : ابن هارون - أخبرنا محمد بن إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبد اللَّه بن ثعلبة ، أن أبا جهل قال حين التقى القوم : اللهم ، أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا نعرف ، فأحنْه الغداة . فكان المستفتح .

وأخرجه النسائي في التفسير من حديث صالح بن كيسان ، عن الزهري ، به . وكذا رواه الحاكم في مستدركه ، من طريق الزهري به ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . وروي نحو[١] هذا عن ابن عباس ومجاهد ، والضحاك وقتادة ، ويزيد بن رومان وغير واحد .

وقال السدي : كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر ، أخذوا بأستار الكعبة ، فاستنصروا اللَّه، وقالوا : اللهم، انصر أعلى الجندين ، وأكرم الفئتين ، وخير القبيلتين . فقال اللَّه : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾ يقول : قد نصرت ما قلتم ، وهو محمد ﷺ .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو قوله تعالى إخبارًا عنهم : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن تنتهوا** ﴾ أي : عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله ، ﴿ **فهو خير لكم** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة .

[وقوله تعالى][٢] : ﴿ **وإن تعودوا نعد** ﴾ ، [ ][٣] كقوله : ﴿ **وإن عدتم عدنا** ﴾ معناه : وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة ، نعد لكم بمثل هذه الوقعة[٤] .

وقال السدي : ﴿ **وإن تعودوا** ﴾ أي : إلى الاستفتاح ﴿ **نعد** ﴾ أي[٥] : إلى الفتح لمحمد صلى اللَّه عليه وسلم ، والنصر له ، وتظفيره على أعدائه ، والأول أقوى .

﴿ **ولن تغني عنكم فئتكم شيئًا ولو كثرت** ﴾ أي : ولو جمعتم من الجموع ما عسى أن تجمعوا ، فإن من كان اللَّه معه ، فلا غالب له ، فإن اللَّه مع المؤمنين ، وهم الحزب النبوي والجناب المصطفوي .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أي » .
[٤] - في ت : « الواقعة » .
[٥] - سقط من : ز .

ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾

يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ، ويزجرهم عن مخالفته ، والتشبه بالكافرين به المعاندين له ، ولهذا قال : ﴿ **ولا تولوا عنه** ﴾ أي : تتركوا طاعته وامتثال أوامره ، وترك زواجره ﴿ **وأنتم تسمعون** ﴾ أي : بعد ما علمتم ما دعاكم إليه .

﴿ **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون** ﴾ قيل : المراد المشركون . و[١]اختاره ابن جرير .

وقال ابن إسحاق : هم المنافقون ؛ فإنهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا ، وليسوا كذلك .

ثم أخبر تعالىٰ أن هذا الضرب من بني آدم شر الخلق والخليقة، فقال: ﴿ **إن شر الدواب عند الله الصم** ﴾ أي : عن سماع الحق ، ﴿ **البكم** ﴾ عن فهمه ؛ ولهذا قال : ﴿ **الذين لا يعقلون** ﴾ فهؤلاء شر البرية ؛ لأن كل دابة مما سواهم مطيعة للّٰه فيما خلقها له ، وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا ؛ ولهذا شبههم بالأنعام في قوله : ﴿ **ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون** ﴾ ، وقال في الآية الأخرى : ﴿ **أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ .

وقيل : المراد بهؤلاء المذكورين نفر من بني عبد الدار من قريش . روي عن ابن عباس ومجاهد ، واختاره ابن جرير .

وقال محمد بن إسحاق : هم المنافقون .

قلت : ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا ؛ لأن كلًّا منهم مسلوب الفهم الصحيح ، والقصد إلىٰ العمل الصالح .

ثم أخبر تعالىٰ بأنهم لا فهم لهم صحيح ، ولا قصد لهم صحيح ، لو فرض أن لهم فهمًا ، فقال : ﴿ **ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم** ﴾ أي : لأفهمهم ، وتقدير الكلام ولكن لا خير فيهم ، فلم يفهمهم ؛ لأنه يعلم أنه ﴿ **لو أسمعهم** ﴾ أي : أفهمهم ﴿ **لتولوا** ﴾ عن ذلك قصدًا وعنادًا بعد فهمهم ذلك . ﴿ **وهم معرضون** ﴾ عنه .

---

[١] - سقط من : ز .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾

قال البخاري(٧٥) : ﴿ استجيبوا ﴾ أجيبوا ﴿ لما يحييكم ﴾ لما يصلحكم . حدثنا[١] إسحاق ، حدثنا روح ، حدثنا شعبة ، عن خبيب بن عبد الرحمن ؛ قال : سمعت حفص ابن عاصم يحدث ، عن أبي سعيد بن المعلى - رضي الله عنه - قال : كنت أصلي ، فمر [بي النبي][٢] صلىٰ الله عليه وسلم فدعاني ، فلم آته حتىٰ صليت ، ثم أتيته ، فقال : « **ما منعك أن تأتيني ؟ ألم يقل الله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾** ». ثم قال : « **لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج** ». فذهب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ليخرج ، فذكرت له - وقال معاذ : حدثنا شعبة ، عن خبيب بن عبد الرحمن ، سمع حفص بن عاصم ، سمع أبا سعيد رجلًا من أصحاب النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بهذا - وقال : هي[٣] ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ السبع المثاني .

هذا لفظه بحروفه ، وقد تقدم الكلام علىٰ هذا الحديث بذكر طرقه في أول تفسير الفاتحة .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **لما يحييكم** ﴾ قال : الحق[٤] .

وقال قتادة : ﴿ **لما يحييكم** ﴾ قال : هو هذا القرآن ، فيه النجاة والتقاة والحياة .

وقال السدي : ﴿ **لما يحييكم** ﴾ ففي الإسلام إحياؤهم بعد موتهم بالكفر .

وقال محمد بن إسحاق(٧٦) ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ أي : للحرب التي أعزكم الله تعالىٰ بها بعد الذل ، وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم .

---

(٧٤) - المسند ٢٣٧٧٢ - (٤٣١/٥) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٢٠١) والمستدرك (٣٢٨/٢) .

(٧٥) - البخاري في تفسير القرآن ، باب : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ...** ﴾ برقم (٤٦٤٧) .

---

[١] - في : « حدثني » .

[٢] - في ز : « رسول الله » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « للحق » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **واعلموا أن اللَّه يحول بين المرء وقلبه** ﴾ قال ابن عباس : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، وبين الكافر وبين الإِيمان(٧٧) .

رواه الحاكم في مستدركه موقوفًا(٧٨) ، وقال : صحيح ولم يخرجاه . ورواه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعًا (٧٩) ، ولا يصح ؛ لضعف إسناده ، والموقوف أصح . وكذا قال مجاهد وسعيد وعكرمة والضحاك وأبو صالح وعطية ومقاتل بن حيان والسدي في رواية عن مجاهد في قوله : ﴿ **يحول بين المرء وقلبه** ﴾ حتىٰ تركه لا يعقل .

وقال السدي : يحول بين الإِنسان وقلبه ؛ فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه .

وقال قتادة : هو كقوله : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ .

وقد وردت الأحاديث عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بما يناسب هذه الآية .

وقال الإِمام أحمد(٨٠) : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس بن مالك -رضي اللَّه عنه- قال : كان النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يكثر أن يقول : « **يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي علىٰ دينك** » . [قال][١] فقلنا : يا رسول اللَّه ، آمنا بك ، وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ . قال : « **نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع اللَّه تعالىٰ يقلبها** » .

وهكذا رواه الترمذي في كتاب القدر من جامعه ، عن هناد بن السري ، عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير ، عن الأعمش - واسمه سليمان بن مهران - عن أبي سفيان - واسمه طلحة بن نافع - عن أنس ، ثم قال : حسن .

وهكذا روي عن غير واحد ، عن الأعمش ، ورواه بعضهم عنه ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وحديث أبي سفيان عن أنس أصح(٨١) .

---

(٧٦) - رواه ابن جرير موقوفاً على ابن إسحاق - قوله - رقم ١٢م٠١٥٨٧٣) .

(٧٧) - رواه ابن جرير (١٥٨٨٩/١٣) .

(٧٨) - المستدرك (٣٢٨/٢) ولفظه : « يحول بين الكافر ، وبين الإيمان ، ويحول بين المؤمن وبين المعاصي » .

(٧٩) - ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٥/٤) .

(٨٠) - رواه أحمد في المسند ١٢١٢٧ - (١١٢/٣) ، ١٢٧٢٢ - (٢٥٧/٣) عن عفان عن عبد الواحد عن الأعمش به ، والترمذي برقم (٢١٤٠) . ورواه الحاكم مختصراً (٥٢٦/١) ، ورواه أبو يعلى ٣٦٨٧ - (٣٥٩/٦) ، و٣٦٨٨ - (٣٦٠/٦) وروى الطبراني من حديث ثابت عن أنس : أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم كان يدعو : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

---

[١] - سقط من خ ..

(حديث آخر) [قال الإمام أحمد][١] ، وقال عبد بن حميد في مسنده(٨٢) : حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا شعبة عن الحكم ، عن ابن أبي ليلى ، عن بلال - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو : « **يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك** » هذا حديث جيد الإسناد إلا أن فيه انقطاعًا ، وهو مع ذلك على شرط أهل السنن ، ولم يخرجوه .

(حديث آخر) قال[٢] الإمام أحمد(٨٣) : حدثنا الوليد بن مسلم قال : سمعت ابن جابر يقول : حدثني بسر[٣] بن عبد الله الحضرمي ، أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول : سمعت النواس بن سمعان الكلابي - رضي الله عنه - يقول : سمعت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين ، إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه** » . وكان يقول : « **يا مقلب القلوب ، ثبت قلوبنا على دينك** » . قال : « **والميزان بيد الرحمن ، يخفضه ويرفعه** » .

وهكذا رواه النسائي وابن ماجة ، من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، فذكر مثله .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٨٤) : حدثنا يونس ، حدثنا حماد بن زيد ، عن المعلى ابن زياد ، عن الحسن ؛ أن عائشة قالت : دعوات كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يدعو بها : « **يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك** » . قالت : فقلت : يا رسول الله ، إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء . فقال : « **إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله ؛ فإذا شاء أزاغه ؛ وإذا شاء أقامه** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٨٥) : حدثنا هاشم ، حدثنا عبد الحميد ، حدثني[٤]

(٨١) - رواه الحاكم في المستدرك (٢٨٨/٢) من طريق الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، رضي الله عنه ، وقال : وقد أخرج مسلمٌ حديث عبد الله بن عمرو في قلوب بني آدم . ورواه أبو يعلى ٢٣١٨ - (٢٠٧/٤) .

(٨٢) - رواه أحمد ، وعبد بن حميد كما في المنتخب برقم (٣٥٩) .

(٨٣) - المسند ١٧٦٦٧ - (١٨٢/٤) وسنن النسائي الكبرى برقم (٧٧٣٨) وسنن ابن ماجة برقم (١٩٩) .

(٨٤) - المسند (٩١/٦) . وروى الطبراني معناه في الأوسط (٣١٩/٢) رقم ١٥٥٣ ، من حديث مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن مبارك إلا معلى ، تفرد به إبراهيم .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٢] - في ز : « وقال » .

[٣] - في خ : « بشر » .

[٤] - في خ : « حدثنا » .

شهر ، سمعت أم سلمة تحدث ؛ أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كان يكثر في دعائه ، يقول: « **اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي علىٰ دينك** » . قالت : فقلت[١] : يا رسول اللّٰه ، أو إن القلوب لتقلب ؟ قال : « **نعم ، ما خلق اللّٰه من بشر من بني آدم ، إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع اللّٰه عز وجل ؛ فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه ، فنسأل اللّٰه ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة ، إنه هو الوهاب** » . قالت : فقلت[٢] : يا رسول اللّٰه ؛ ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي ؟ قال : « **بلىٰ ، قولي : اللهم رب النبي محمد ، اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتني** » .

(حديث آخر) : قال الإمام أحمد(٨٦) : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، أخبرني أبو هانئ ، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي ، أنه سمع عبد اللّٰه بن عمرو ، أنه سمع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول : « **إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد ، يصرف كيف شاء** » . ثم قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا إلىٰ طاعتك** » .

انفرد[٣] بإخراجه مسلم عن البخاري ، فرواه مع النسائي من حديث حيوة بن شريح المصري به .

وَاتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

يحذر تعالىٰ عباده المؤمنين ﴿ **فتنة** ﴾ ، أي : اختبارًا ومحنة يعم بها المسيئ وغيره ، لا يخص بها أهل المعاصي ، ولا من باشر الذنب ، بل يعمها[٤] حيث لم تدفع وترفع ، كما قال الإمام أحمد(٨٧) : حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا شداد بن سعيد ، حدثنا

(٨٥) – المسند (٣٠١/٦) ، ورواه الترمذي في السنن برقم (٣٥٢٢) من طريق شهر بن حوشب ، به . قال الترمذي : « هذا حديث حسن » . ورواه الطبراني (٣٣٨/٢٣) رقم ٧٨٥ ، ورواه الطبراني أيضاً من حديث الحسن ، عن أمه ، عن أم سلمة (٣٦٦/٢٣) رقم ٨٦٥ .

(٨٦) – المسند ٦٥٦٩ – (١٦٨/٢) ، وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٥) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٧٨٦١) .

(٨٧) – المسند (١٦٥/١ ، ١٦٧) .

[١] – في ز : « قلت » .

[٢] – في ز : « قلت » .

[٣] – في خ : « تفرد » .

[٤] – في خ : « يعمهما » .

غيلان بن جرير ، عن مطرف ؛ قال : قلنا للزبير : يا أبا عبد اللّٰه ؛ ما جاء بكم ؟ ضيعتم الخليفة الذي قتل ، ثم جئتم تطلبون بدمه ؟ فقال الزبير -رضي اللّٰه عنه- : إنا قرأنا على عهد رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر وعثمان رضي اللّٰه عنهم : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ لم نكن نحسب أنا أهلها ، حتى وقعت منا حيث وقعت .

وقد رواه البزار(٨٨) ، من حديث مطرف ، عن الزبير . وقال : لا نعرف مطرِّفًا روى عن الزبير غير هذا الحديث .

وقد روى النسائي(٨٩) ، من حديث جرير[١] بن حازم ، عن الحسن ، عن الزبير نحو هذا .

و[٢]روى ابن جرير(٩٠) ، حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن قال : قال الزبير : لقد خوفنا بها[٣] ، يعني قوله تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ ، ونحن مع رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، وما ظننا أنا خصصنا بها خاصة .

وكذا رواه حميد ، عن الحسن ، عن الزبير ، رضي اللّٰه عنه(٩١) .

وقال داود بن أبي هند ، عن الحسن في هذه الآية ، قال : نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضي اللّٰه عنهم(٩٢) .

وقال سفيان الثوري ، عن الصلت بن دينار ، عن عقبة بن صهبان[٤] ، سمعت الزبير يقول : لقد قرأت هذه الآية زمانًا ، وما أرانا من أهلها ، فإذا نحن المعنيون بها : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن اللّٰه شديد العقاب** ﴾(٩٣) .

---

(٨٨) - مسند البزار برقم (٩٧٦) ، وفي إسناده الحجاج بن نصير ، وهو ضعيف .
(٨٩) - وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٢٠٦) .
(٩٠) - تفسير ابن جرير (١٥٩١٣/١٣) .
(٩١) - رواه ابن جرير (١٥٩٠٥/١٣) ، وفي إسناده زيد بن عوف : ضعيف .
(٩٢) - رواه ابن جرير (١٥٩٠٣/١٣) .
(٩٣) - رواه ابن جرير (١٥٩٠٦/١٢) .

---

[١] - في ز : « جابر » .
[٢] - في م : « وقد » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « ضبيان » .

وقد روي من غير وجه ، عن الزبير بن العوّام .

وقال السدي : نزلت في أهل بدر خاصة ، فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ يعني أصحاب النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، خاصة .

وقال في رواية له[١] ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : أمر اللّه المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين ظهرانيهم ، فيعمهم اللّه بالعذاب .

وهذا تفسير حسن جدًّا ، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ : هي أيضًا لكم . وكذا قال الضحاك ويزيد بن أبي حبيب وغير واحد .

وقال ابن مسعود : ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل علىٰ فتنة ، إن اللّه تعالىٰ يقول : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ ، فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن . رواه ابن جرير .

والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم ، وإن كان الخطاب معهم - هو الصحيح ؛ ويدل [على ذلك][٢] الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن ؛ ولذلك كتاب مستقل يوضح فيه إن شاء اللّه تعالىٰ ، كما فعله الأئمة وأفردوه بالتصنيف ؛ ومن أخص ما يذكر هٰهنا ، ما رواه الإمام أحمد حيث قال(٩٤) : حدثنا أحمد بن الحجاج ، أخبرنا عبد اللّه - يعني : ابن المبارك - أنبأنا سيف بن أبي سليمان ، سمعت عدي بن عدي الكندي يقول ؛ حدثني مولىٰ لنا أنه سمع جدي - يعني : عدي بن عميرة - يقول : سمعت رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يقول : « **إن اللّه - عز وجل - لا يعذب العامّة بعمل الخاصة ؛ حتىٰ يروا المنكر بين ظهرانيهم ، وهم قادرون علىٰ أن ينكروه ، فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب اللّه الخاصة والعامّة** » .

(٩٤) - **إسناده ضعيف** ، لجهالة الراوي عن عدي بن عميرة ، وهو في المسند ١٧٧٧ - (١٩٢/٤) ، ورواه أحمد ١٧٧٧٣ - (١٩٢/٤) ، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١٣٨/١٧ - ١٣٩) حديث (٣٤٣ ، ٣٤٤) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧١/٧) وقال : رواه أحمد من طريقين - إحداهما هذه ، والأخرى : حدثني عدي بن عدي ، حدثني مولى لنا ... وهو الصواب - وكذا رواه الطبراني ، وفيه رجل لم يسم ، وبقية رجال أحد الأسانيد ثقات .

[١] - في ز ، خ : « عنه » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « عليه » .

فيه رجل مبهم[١] ، ولم يخرجوه في الكتب الستة ، ولا واحد منهم ، والله أعلم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٩٥) : حدثنا سليمان الهاشمي ، حدثنا إسماعيل - يعني : ابن جعفر - أخبرني عمرو بن أبي عمرو[٢] ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل ، عن حذيفة بن اليمان ؛ أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهونّ عن المنكر ، أو[٣] ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم** » .

ورواه عن أبي سعيد(٩٦) ، عن إسماعيل بن جعفر ، وقال : « **أو ليبعثن الله عليكم قومًا ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم** » .

وقال الإمام[٤] أحمد(٩٧) : حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا رزين[٥] بن حبيب الجهني ، حدثني أبو الرقاد ، قال : خرجت مع مولاي ، فدفعت إلىٰ حذيفة ، وهو يقول : إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة ، علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيصير منافقًا ، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات ؛ لتأمرن بالمعروف ، و[٦]لتنهون عن المنكر ، ولتحاضن علىٰ الخير ، أو ليسحتنكم الله جميعًا بعذاب ، أو ليؤمرن عليكم شراركم ؛ ثم يدعو[٧] خياركم فلا يستجاب لهم .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد أيضًا(٩٨) : حدثني[٨] يحيىٰ بن سعيد ، عن زكريا ، حدثنا عامر رضي الله عنه ؛ قال : سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنه يخطب يقول - وأومأ بأصبعيه إلىٰ أذنيه[٩] - يقول : مثل القائم علىٰ حدود الله ، والواقع فيها ، والمدهن

---

(٩٥) - المسند ٢٣٤٠٨ - (٣٨٨/٥) ، ورواه الترمذي في كتاب الفتن ، باب : ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤٦٨/٤/رقم : ٢١٦٩) .

(٩٦) - المسند ٢٣٤٣٤ - (٣٩١/٥) .

(٩٧) - المسند ٢٣٤١٩ - (٣٩٠/٥) . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٧/١٠) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه أبو الرقاد الجهني ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات » .

(٩٨) - المسند ١٨٤٢٢ - (٢٦٩/٤) ، وصحيح البخاري برقم (٢٤٩٣) ، (٢٦٨٦) وسنن الترمذي برقم (٢١٧٣) .

---

[١] - في ز : « منهم » .
[٢] - في ز ، خ : « عمر » .
[٣] - في ز : « و » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « زر » .
[٦] - في ز : « أو » .
[٧] - في ز : « يدعوا » .
[٨] - في خ : « حدثنا » .
[٩] - في خ : « أذنه » .

فيها ؛ كمثل قوم ركبوا سفينة ، فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها ، وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء ، مروا على من فوقهم فآذوهم ؛ فقالوا : لو خرقنا في نصيبنا خرقًا فاستقينا منه ، ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعًا ؛ وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعًا .

انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم ، فرواه في الشركة والشهادات ، والترمذي في الفتن ، من غير وجه ، عن سليمان بن مهران الأعمش ، عن عامر بن شراحيل الشعبي ، به .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٩٩) : حدثنا حسين ، حدثنا خلف بن خليفة ، عن ليث ، عن علقمة بن مرثد ، عن المعرور بن سويد ، عن أم سلمة زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قالت : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « **إذا ظهرت المعاصي في أمّتي عمهم الله بعذاب من عنده** » . فقلت : يا رسول الله ، أما فيهم أناس صالحون ؟ قال : « **بلى** » قالت: فكيف يصنع أولئك ؟ قال : « **يصيبهم ما أصاب الناس ، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(١٠٠) : حدثنا حجاج بن محمد ، حدثنا[١] شريك ، عن أبي إسحاق ، عن المنذر بن جرير ، عن أبيه قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **ما من قوم يعملون بالمعاصي**[٢] ، **وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيرون - إلا عمهم الله بعقاب ، أو أصابهم العقاب** » .

ورواه أبو داود : عن مسدد ، عن أبي الأحوص ، عن أبي إسحاق ، به .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٠١) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، سمعت أبا إسحاق يحدث، عن عبيد الله بن جرير ، عن أبيه ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال :

---

(٩٩) - المسند ٢٦٧٠٥ - (٣٠٤/٦) ، ورواه بإسناد آخر ٢٦٦٣٧ - (٢٩٤/٦) ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير برقم ٧٤٧ - (٣٢٥/٢٣) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٨/٧) وقال : رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح .

(١٠٠) - المسند ١٩٢٤٨ - (٣٦١/٤) ، ورواه أبو داود برقم (٤٣٣٩) ، وأبو يعلى في مسنده ٧٥٠٨ - (٤٩٧/١٣) ، والطبراني في الكبير ٢٣٧٩ - (١٣٣١/٢) ، وعبد الرزاق في مصنفه ٢٠٧٢٣ - (١١/ ٣٤٨) ، وابن حبان ٣٠٠ - (٥٣٦/١) ، والبيهقي (٩١/١٠) .

(١٠١) - المسند ١٩٢٨٥ - (٣٦٤/٤) ، و١٩٣٠٩ - (٣٦٦/٣) ، وانظر الحديث السابق .

---

[١] - في ز : أخبرنا . [٢] - في ز : « المعاصي » .

« ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله[١] ، ثم[٢] لم يغيروه ، إلا عمهم الله بعقاب » .

ثم رواه أيضًا ، عن وكيع ، عن إسرائيل . وعن عبد الرزاق ، عن معمر ، وعن أسود ، عن شريك ويونس كلهم ، عن أبي إسحاق السبيعي ، به .

وأخرجه ابن ماجة عن علي بن محمد ، عن وكيع ، به(١٠٢) .

وقال الإمام أحمد(١٠٣) : حدثنا سفيان ، حدثنا جامع بن أبي راشد ، عن منذر ، عن الحسن بن محمد ، عن امرأته ، عن عائشة تبلغ به النبي صلىٰ الله عليه وسلم : **« إذا ظهر السوء في الأرض ؛ أنزل الله بأهل الأرض بأسه »** . فقالت[٣] : وفيهم أهل طاعة الله ؟ قال : **« نعم ، ثم يصيرون إلىٰ رحمة الله »** .

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

ينبه تعالىٰ عباده المؤمنين علىٰ نعمه عليهم ، وإحسانه إليهم ، حيث كانوا قليلين فكثرهم ، ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم ، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات ، واستشكرهم فأطاعوه ، وامتثلوا جميع ما أمرهم . وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة ، قليلين مستخفين مضطرين ، يخافون أن يتخطفهم[٤] الناس من سائر بلاد الله ، من مشرك ومجوسي ورومي ، كلهم أعداء لهم ؛ لقلتهم وعدم قوتهم ، فلم يزل ذلك دأبهم ، حتىٰ أذن الله لهم في الهجرة إلىٰ المدينة ، فآواهم إليها ، وقيض لهم أهلها ؛ آووا ونصروا يوم بدر وغيره ، وآسوا بأموالهم ، وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم .

قال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله(١٠٤) في قوله تعالى : **﴿ واذكروا إذ أنتم قليل**

(١٠٢) - سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٤٠٠٩) .

(١٠٣) - المسند ٤٢٢٤٢ - (٤١/٦) ، ورواه الحاكم في المستدرك (٥٢٣/٤) من طريق الحسن بن محمد عن مولاة لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قالت : دخل النبي صلىٰ الله عليه وسلم على عائشة أو على بعض أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأنا عنده فقال ... فذكر الحديث ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٨) وقال : « رواه أحمد وفيه امرأة لم تسم » .

(١٠٤) - رواه ابن جرير في تفسيره (٤٧٨/١٣) .

[١] - في ز : « يعملوه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « قالت » .
[٤] - في ز : « تخطفهم » .

مستضعفون في الأرض ﴾ قال : كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلًّا ، وأشقاه عيشًا ، وأجوعه بطونًا ، وأعراه جلودًا ، وأبينه ضلالًا ، [مكعومين على رأس حجر بين الأسدين : فارس والروم ، ولا و اللَّه ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه][١] ، من عاش منهم عاش شقيًّا ، ومن مات منهم ردي في النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، واللَّه ما نعلم قبيلًا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلًا منهم ، حتىٰ جاء اللَّه بالإسلام ، فمكن به في البلاد ، ووسع به في الرزق ، وجعلهم به ملوكًا علىٰ رقاب الناس ، وبالإسلام أعطىٰ اللَّه ما رأيتم ، فاشكروا [لله نعمه][٢] ؛ فإن ربكم منعم يحب الشكر ، وأهل الشكر في مزيد من اللَّه .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

قال [عبد اللَّه][٣] بن أبي قتادة والزهري (١٠٥) : أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر ، حين بعثه رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلىٰ بني قريظة ؛ لينزلوا علىٰ حكم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فاستشاروه في ذلك ، فأشار عليهم بذلك ، وأشار بيده إلىٰ حلقه ، أي : إنه الذبح ، ثم فطن أبو لبابة ، ورأىٰ أنه قد خان اللَّه ورسوله ؛ فحلف لا يذوق ذواقًا [حتىٰ يموت][٤] ، أو يتوب اللَّه عليه . وانطلق إلىٰ مسجد المدينة ، فربط نفسه في سارية منه[٥] ، فمكث كذلك تسعة أيام ، حتىٰ كان يخر[٦] مغشيًّا عليه من الجهد ، حتىٰ أنزل اللَّه توبته علىٰ رسوله ؛ فجاء الناس يبشرونه بتوبة اللَّه عليه ، وأرادوا [أن يحلوه][٧] من السارية ، فحلف لا يحله منها إلا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بيده ، فحله ، فقال[٨] : يا رسول اللَّه ؛ إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة . فقال : « **يجزيك الثلث أن تصدق به** » .

---

(١٠٥) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/١٥٩٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في م : « الله علىٰ نعمه » .

[٣] - في ز ، خ : « عبد الرزاق » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ : « ليحلوه » .

[٨] - في ز : « وقال » .

وقال ابن جرير(١٠٦) : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا يونس بن الحارث الطائفي ، حدثنا محمد بن عبيد الله أبو[١] عون الثقفي ، عن المغيرة بن شعبة ، قال : نزلت هذه الآية في قتل عثمان -رضي الله عنه- : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول** ﴾ الآية .

وقال ابن جرير أيضًا(١٠٧) : حدثنا القاسم بن بشر بن معروف ، حدثنا شبابة بن سوار ، حدثنا محمد بن المحرم ، قال لقيت عطاء بن أبي رباح فحدثني ، قال : حدثني جابر بن عبد الله ؛ أن أبا سفيان خرج من مكة ، فأتىٰ جبريل رسولَ الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : إن أبا سفيان [كذا وكذا . فقال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم، لأصحابه : « **إن أبا سفيان**][٢] **في موضع كذا وكذا ؛ فاخرجوا إليه واكتموا** » . فكتب رجل من المنافقين إليه : إن محمدًا يريدكم ، فخذوا حذركم . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم** ﴾ الآية .

هذا حديث غريب جدًّا ، وفي سنده وسياقه نظر .

وفي الصحيحين قصة حاطب بن أبي بلتعة (١٠٨)، أنه كتب إلىٰ قريش يعلمهم بقصد رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم ، إياهم عام الفتح ، فأطلع الله رسولَه علىٰ ذلك ، فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه ، واستحضر حاطبًا فأقر بما صنع ، فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، ألا أضرب عنقه ؛ فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ؟ فقال : « **دعه ، فإنه قد شهد بدرًا ، وما[٣] يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ؛ فقد غفرت لكم** » .

قلت : والصحيح أن الآية عامة ، وإن صح أنها وردت علىٰ سبب خاص ، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء ، والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار ، اللازمة والمتعدية .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **وتخونوا أماناتكم** ﴾ الأمانة : الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد ، يعني : الفريضة ، يقول : لا تخونوا : لا تنقضوها .

---

(١٠٦) - تفسير ابن جرير (١٥٩٢٥/١٣)

(١٠٧) - تفسير ابن جرير (١٥٩٢٢/١٣) .

(١٠٨) - تقدم تخريجه عند تفسير الآية : ٩ من هذه السورة .

---

[١] - في تفسير الطبري : ابن .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « ما » .

وقال في رواية : ﴿ لا تخونوا اللّٰه والرسول ﴾ يقول : بترك[١] سنته ، وارتكاب معصيته .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في هذه الآية ، أي : لا تظهروا له من الحق ما يرضىٰ به منكم ، ثم تخالفوه في السر إلىٰ غيره ؛ فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم .

وقال السدي : إذا خانوا اللّٰه والرسول فقد خانوا أماناتهم .

وقال أيضًا : كانوا يسمعون من النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، الحديث ، فيفشونه حتىٰ يبلغ المشركين .

وقال عبد الرحمن بن زيد : نهاكم أن تخونوا اللّٰه والرسول كما صنع المنافقون .

وقوله تعالى : ﴿ **واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ أي : اختبار وامتحان منه لكم إذ أعطاكموها ؛ ليعلم أتشكرونه[٢] عليها ، وتطيعونه[٣] فيها أو تشتغلون بها عنه ، وتعتاضون بها منه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة واللّٰه عنده أجر عظيم** ﴾ ، وقال : ﴿ **ونبلوكم [بالشر والخير] فتنة** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر اللّٰه ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وأن اللّٰه عنده أجر عظيم** ﴾ أي : ثوابه وعطاؤه وجناته ، خير لكم من الأموال والأولاد ؛ فإنه قد يوجد منهم عدو ، وأكثرهم لا يغني عنك شيئًا ، واللّٰه سبحانه هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة ، ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة .

وفي الأثر يقول اللّٰه[٤] تعالىٰ : « **يا بن آدم ، اطلبني تجدني ، فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء** » .

وفي الصحيح(١٠٩) عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، [أنه قال][٥] : « **ثلاثٌ من**

---

(١٠٩) - رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب : حلاوة الإيمان ، حديث ١٦ . ومسلم في كتاب الإيمان من صحيحه برقم ٦٧ - (٤٣) من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه .

---

[١] - في ز : « ترك » .
[٢] - في ز : « أتشكروه » .
[٣] - في ز : « وتطيعوه » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ .

كن فيه وجد بهن[١] حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان [ ][٢] أن يلقىٰ في النار أحب إليه من[٣] أن يرجع إلىٰ الكفر بعد إذ أنقذه الله منه » .

بل حب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، مقدم علىٰ الأولاد والأموال والنفوس ، كما ثبت في الصحيح(١١٠) أنه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين** » .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

قال ابن عباس والسدي ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : ﴿ **فرقانًا** ﴾ : مخرجًا[٤] . زاد مجاهد : في الدنيا والآخرة .

وفي رواية عن ابن عباس : ﴿ **فرقانًا** ﴾ : نجاة . وفي رواية عنه : نصرًا .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **فرقانًا** ﴾ أي : فصلًا بين الحق والباطل .

وهذا التفسير من ابن إسحاق أعم مما تقدم ، وهو[٥] يستلزم ذلك كله ؛ فإن من اتقىٰ الله بفعل أوامره ، وترك زواجره ، وفق لمعرفة الحق من الباطل ، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا ، وسعادته يوم القيامة ، وتكفير ذنوبه وهو محوها ، وغفرها و[٦]سترها عن الناس - سببًا لنيل ثواب الله الجزيل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورًا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم** ﴾ .

وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

---

(١١٠) - صحيح البخاري برقم (١٤) .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز ، خ : يحب .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « نجاة » .
[٥] - في ز : « وقد » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : ﴿ **ليثبتوك** ﴾ ليقيدوك[١] . وقال عطاء وابن زيد : ليحبسوك . وقال السدي : الإِثبات هو الحبس والوثاق .

وهذا يشمل ما قاله هؤلاء وهؤلاء ، وهو مجمع الأقوال ، وهو الغالب من صنيع من أراد غيره بسوء .

وقال سُنَيْد(١١١) ، عن حجاج ، عن ابن جريج ، قال عطاء : سمعت عُبيد بن عُمير يقول : لما ائتمروا بالنبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ؛ قال له عمه أبو طالب : هل تدري ما ائتمروا بك ؟ قال : « **يريدون أن يسحروني**[٢] **أو يقتلوني أو يخرجوني** » . فقال من أخبرك[٣] بهذا ؟ قال : « **ربي** » . قال : نِعْم الرب ربك ، استوص به خيرًا . قال[٤] : « **أنا أستوصي به ! بل هو يستوصي بي** » .

وقال أبو جعفر بن جرير(١١٢): حدثني محمد بن إسماعيل البصري[٥] المعروف بالوساوسي ، أخبرنا عبد الحميد بن أبي روّاد[٦] ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن المطلب بن أبي وداعة ؛ أن أبا طالب قال لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : ما يأتمر بك قومك ؟ قال : « **يريدون أن يسحروني**[٧] **أو يقتلوني أو يخرجوني** » . فقال : من أخبرك[٨] بهذا ؟ قال : « **ربي** » . قال : نعم الرب ربك ؛ فاستوص به خيرًا . قال : « **أنا أستوصي به ؟ ! بل هو يستوصي بي** » . قال : فنزلت : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك** ﴾ الآية .

وذِكْرُ أبي طالب في هذا غريب جدًّا ؛ بل منكر ؛ لأن هذه الآية مدنية ؛ ثم إن هذه القصة ، واجتماع قريش علىٰ هذا الائتمار والمشاورة علىٰ الإِثبات أو النفي أو القتل ، إنما كان ليلة الهجرة سواء ، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين ، لما تمكنوا منه واجترءوا عليه بعد[٩] موت عمه أبي طالب ، الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه ، والدليل علىٰ صحة ماقلنا - ما رواه الإِمام محمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي ، عن عبد اللّٰه بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : وحدثني الكلبي ، عن باذان

---

(١١١) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/١٥٩٦٤) .

(١١٢) - تفسير ابن جرير (١٣/١٥٩٦٣) .

---

[١] - في ز : « ليعتدوك » .

[٢] - في خ : « يسجنوني » .

[٣] - في ز : « خبرك » .

[٤] - في ز : « فقال » .

[٥] - في ز : « المصري » .

[٦] - في ز : « داود » .

[٧] - في خ : « يسجنوني » .

[٨] - في ز : « خبرك » .

[٩] - في ت : « بسبب » .

مولىٰ أم هانئ عن ابن عباس ؛ أن نفرًا من قريش من أشراف كل قبيلة ، اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة ، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل ، فلما رأوه قالوا له : من أنت ؟ قال : شيخ من أهل[١] نجد ، سمعت أنكم اجتمعتم ، فأردت أن أحضركم ، ولن يعدمكم رأيي ونصحي . قالوا : أجل ، ادخل . فدخل معهم ، فقال : انظروا في شأن هذا الرجل ، والله ليوشكن أن يواثبكم في أمركم بأمره . قال : فقال قائل منهم : احبسوه في وثاق ، ثم تربصوا به ريب[٢] المنون حتىٰ يهلك ، كما هلك من كان قبله من الشعراء : زهير والنابغة ، إنما هو كأحدهم . قال : فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال : والله ما هذا لكم برأي ، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلىٰ أصحابه ، فليوشكن أن يثبوا عليه حتىٰ يأخذوه من أيديكم ، فيمنعوه منكم ، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم . قال : فانظروا في غير[٣] هذا .

قال : [فقال][٤] قائل منهم : أخرجوه من بين أظهركم فتستريحوا[٥] منه ؛ فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع ، إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم ، وكان أمره في غيركم . فقال[٦] الشيخ النجدي : والله ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حلاوة قوله[٧] ، وطلاوة[٨] لسانه ، وأخذ[٩] القلوب ما تسمع[١٠] من حديثه ؟ والله لئن فعلتم [ثم استعرض العرب][١١] ليجتمعن عليكم ، ثم[١٢] ليأتين إليكم[١٣] حتىٰ يخرجكم من بلادكم ، ويقتل أشرافكم . قالوا : صدق والله . فانظروا بابًا[١٤] غير هذا .

قال : فقال أبو جهل لعنه الله : والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم تصرمونه بعد ، [لا أرىٰ][١٥] غيره . قالوا : وما هو ؟ قال : نأخذ من كل قبيلة غلامًا شابًا وسيطًا نهدًا ، ثم يعطىٰ كل غلام منهم سيفًا صارمًا ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل ، فما أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون علىٰ حرب قريش كلها ، فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا ، وقطعنا عنا أذاه .

قال : فقال الشيخ النجدي : هذا والله الرأي ، القول ما قال الفتىٰ لا رأي غيره . قال :

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٥] - في ز : « تستريحوا » ، وفي خ : « لتستريحوا ».

[٦] - في ز : « وقال » .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في خ : « وطلاقاة » .

[٩] - في ز : « وأجد » .

[١٠] - في ز : « تشبع » .

[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[١٢] - سقط من : ز .

[١٣] - سقط من : ز ، خ .

[١٤] - في ت : « رأيًا » .

[١٥] - في ز : « ما رأىٰ » .

فتفرقوا على ذلك ، وهم مجمعون له ، فأتى جبريل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه ، وأخبره بمكر القوم ؛ فلم يبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته تلك الليلة ، وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الأنفال ، يذكر نعمه عليه ، وبلاءه عنده : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ . وأنزل في قولهم : تربصوا به [ريب المنون][١] حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : ﴿ **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون** ﴾ ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة ؛ للذي[٢] اجتمعوا عليه من الرأي(١١٣) .

وعن السدي نحو هذا السياق ، وأنزل الله في إرادتهم إخراجه قوله تعالى : ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلًا** ﴾ .

وكذا روى العوفي ، عن ابن عباس . وروي عن مجاهد وعروة بن الزبير وموسى بن عقبة وقتادة ومقسم وغير واحد نحو ذلك .

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: فأقام رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ينتظر أمر الله ، حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به ، وأرادوا به ما أرادوا ، أتاه جبريل - عليه السلام - فأمره أن لا يبيت في مكانه [الذي كان يبيت فيه][٣] ، فدعا[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، فأمره أن يبيت على فراشه ، وأن يتسجى ببرد له أخضر ، ففعل ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم ، وهم على بابه ، وخرج معه بحفنة من تراب ؛ فجعل يذرها على رءوسهم ، وأخذ الله أبصارهم عن نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يقرأ : ﴿ **يس والقرآن الحكيم** ﴾ [إلى قوله][٥] : ﴿ **فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ .

و[٦]قال الحافظ أبو بكر البيهقي(١١٤) : وروي عن[٧] عكرمة ما يؤكد هذا .

---

(١١٣) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٥٩٦٥/١٣) من طريق ابن إسحاق به .

(١١٤) - دلائل النبوة للبيهقي (٤٧٠،٤٦٩/٢) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « الذي » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في ز : « دعا » .

[٥] - سقط من : خ .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - سقط من : خ .

وقد روىٰ ابن حبان في صحيحه(١١٥)، والحاكم في مستدركه، من حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ قال: دخلت فاطمة علىٰ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك يا بنية؟» قالت: يا أبت؛ ومالي لا أبكي، وهؤلاء الملأ من قريش في الحجر، يتعاقدون[١] باللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ، لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك. فقال: «يا بنية، ائتني بوضوء»، فتوضأ رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، ثم خرج إلىٰ المسجد، فلما رأوه قالوا[٢]: إنما هو ذا. فطأطأوا رءوسهم، وسقطت أذقانهم بين أيديهم، فلم يرفعوا أبصارهم، فتناول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها، وقال: «شاهت الوجوه». فما أصاب رجلًا منهم حصاة من حصياته، إلا قتل يوم بدر كافرًا.

ثم قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، ولا أعرف له علة.

وقال الإمام أحمد(١١٦): حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، أخبرني عثمان الجزري[٣]، عن مقسم مولىٰ ابن عباس، أخبره عن ابن عباس في قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك﴾ قال: تشاورت قريش ليلة[٤] بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق. يريدون النبي صلىٰ الله عليه وسلم. وقال بعضهم: بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله نبيه، صلىٰ الله عليه وسلم، علىٰ ذلك، فبات علي رضي الله عنه علىٰ فراش رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم، وخرج النبي صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليًا يحسبونه النبي، صلىٰ الله عليه وسلم، فلما أصبحوا ثاروا إليه؛ فلما رأوا عليًا ردّ الله تعالىٰ مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا

---

(١١٥) - صحيح ابن حبان برقم (١٦٩١موارد) والمستدرك (١٥٧/٣). والحديث في إسناده مسلم بن خالد الزنجي؛ إلا أنه توبع، ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٣٩)، وأخرجه سعيد بن منصور (٣٧٨٩/٢ رقم (٢٩١٣) من طريق إسماعيل بن عياش، وأحمد (٣٠٣/١) من طريق إسحاق بن عيسى، حدثنا يحيى ابن سليم، و(٣٦٨/١) من طريق عبد الرزاق، عن معمر، والبيهقي في الدلائل (٢٤٠/٦) من طريق أبي نعيم، عن بكر بن عياش - جميعهم - عن عبد الله بن عثمان بن خثيم بهذا الإسناد. وأخرجه أيضاً الحاكم (١٥٧/٣) من طريق أبي بكر بن عياش، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن فاطمة مختصراً وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١١٦) - المسند (٣٤٨/١) وأورده الهيثمي في المجمع (٢٧/٧) وقال: «فيه عثمان بن عمرو الجزري وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح».

---

[١] - في م: «يتعاهدون».
[٢] - في ز: «فقالوا».
[٣] - في ز، خ: «الجريري».
[٤] - سقط من: ز، خ.

أدري . فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا في الجبل ، فمرّوا بالغار ، فرأوا علىٰ بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هٰهنا لم يكن نسج العنكبوت علىٰ بابه . فمكث فيه ثلاث ليال .

وقال محمد بن إسحاق (١١٧) ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير في قوله : ﴿ **ويمكرون ويمكر اللّٰه واللّٰه خير الماكرين** ﴾ أي : فمكرت بهم[١] بكيدي المتين حتىٰ خلصتك منهم .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

يخبر تعالىٰ عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعنادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته ، حين[٢] تتلىٰ عليهم ؛ أنهم يقولون : ﴿ **قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا** ﴾ . وهذا منهم قول بلا فعل ، وإلا فقد تحدّوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله ، فلا يجدون إلىٰ ذلك سبيلًا ، وإنما هذا القول منهم يغرون به أنفسهم ومن تبعهم[٣] علىٰ باطلهم .

وقد قيل : إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث ، لعنه اللّٰه ، كما قد نص علىٰ ذلك سعيد بن جبير والسدي وابن جريج وغيرهم ، فإنه لعنه اللّٰه كان قد ذهب إلىٰ بلاد فارس ، وتعلم من أخبار ملوكهم رستم واسفنديار[٤] ، ولما قدم وجد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قد بعثه اللّٰه ، وهو يتلو علىٰ الناس القرآن ، فكان إذا قام ، صلى الله عليه وسلم ، من مجلس جلس فيه النضر فيحدثهم[٥] من أخبار أولئك ، ثم يقول : بالله أينا[٦] أحسن

---

(١١٧) - رواه ابن جرير موقوفاً على ابن إسحاق (١٣/١٥٩٧٥) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « إذا » .
[٣] - في ز : « اتبعهم » .
[٤] - في ز : « اسفنذياد » ، خ : « اسفنذيار » .
[٥] - في ت : « فحدثهم » .
[٦] - في ز ، خ : « أيهما » .

قصصًا : أنا أو محمد ؟ ولهذا لما أمكن اللَّه تعالىٰ منه يوم بدر ، ووقع في الأسارى ؛ أمر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن تضرب رقبته صبرًا بين يديه ، ففعل ذلك ولله الحمد ، وكان الذي أسره المقداد بن الأسود - رضي اللَّه عنه - كما قال ابن جرير :

حدثنا محمد بن بشار(١١٨) ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير؛ قال : قتل النبيُّ صلىٰ اللَّه عليه وسلم يوم بدر صبرًا عقبة بن أبي معيط ، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث ، وكان المقداد أسر النضر ، فلما أمر بقتله قال المقداد : يا رسول اللَّه ، أسيري . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إنه كان يقول في كتاب اللَّه - عز وجل - ما يقول** » . فأمر رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بقتله ، فقال المقداد : يارسول الله ؛ أسيري . فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم « **اللهم ، أغن المقداد من فضلك** » ، فقال المقداد : هذا الذي أردت . قال : وفيه أنزلت هذه الآية : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ .

وكذا رواه هشيم(١١٩) ، عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية[١] ، عن سعيد بن جبير ، أنه قال : المطعم بن عدي بدل طعيمة وهو غلط ؛ لأن المطعم بن عدي لم يكن حيًّا يوم بدر ؛ ولهذا قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يومئذ : « **لو كان المطعم حيًّا ، ثم سألني في هؤلاء النَّتنَى لوهبتهم له** »(١٢٠)

يعني [ ][٢] الأسارىٰ ؛ لأنه كان قد أجار رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يوم رجع من الطائف .

ومعنىٰ ﴿ **أساطير الأولين** ﴾ وهو جمع أسطورة ، أي : كتبهم اقتبسها فهو يتعلم منها ، ويتلوها علىٰ الناس ؛ وهذا هو الكذب البحت كما أخبر اللَّه عنهم في الآية الأخرىٰ : ﴿ **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملىٰ عليه بكرة وأصيلًا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورًا رحيمًا** ﴾ أي : لمن تاب إليه وأناب ، فإنه يتقبل منه ويصفح عنه .

(١١٨) - تفسير ابن جرير (١٣/١٥٩٧٩) .

(١١٩) - تفسير ابن جرير (١٣/١٥٩٨٠) .

(١٢٠) - رواه البخاري ، في كتاب فرض الخمس ، باب : ما منَّ النبي ﷺ على الأسارى من غير الخمس ، برقم (٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم ، رضي الله عنه .

[١] - في ز ، خ : « حية » .

[٢] - في ز ، خ : « عن » .

وقوله : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ هذا من كثرة جهلهم وعتوهم وعنادهم وشدة تكذيبهم وهذا مما عيبوا به ، وكان الأولىٰ لهم أن يقولوا : اللهم ، إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لاتباعه ، ولكن استفتحوا علىٰ أنفسهم ، واستعجلوا العذاب ، وتقديم العقوبة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمىً لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون** ﴾ . ﴿ **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** ﴾ . ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من اللّٰه ذي المعارج** ﴾ . وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة ، كما قال قوم شعيب له : ﴿ **فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ . وقال هؤلاء : ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ .

قال شعبة ، عن عبد الحميد صاحب الزيادي ، عن أنس بن مالك ، قال : هو أبو جهل ابن هشام ؛ قال : ﴿ **اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ ؛ فنزلت : ﴿ **وما كان اللّٰه ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اللّٰه معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ الآية .

رواه البخاري(١٢١) عن أحمد ومحمد بن النضر ، كلاهما عن عبيد اللّٰه بن معاذ ، عن أبيه ، عن شعبة به .

وأحمد هذا هو أحمد بن النضر بن عبد الوهاب ، قاله الحاكم أبو أحمد، والحاكم أبو عبد اللّٰه النيسابوري ، واللّٰه أعلم .

وقال الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله : ﴿ [**وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك**][١] **فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ قال : هو النضر بن الحارث بن كَلَدَة قال : فأنزل اللّٰه : ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع** ﴾ . وكذا قال مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي : إنه النضر بن الحارث . زاد عطاء : فقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وقالوا**[٢] **ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** ﴾ وقال[٣] : ﴿ **ولقد جئتمونا فرادىٰ كما خلقناكم أول مرة** ﴾ وقال : ﴿ **سأل**

---

(١٢١) - صحيح البخاري في كتاب تفسير القرآن ، باب : قوله : ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ﴾ برقم (٤٦٤٨) وطرفه (٤٦٤٩) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

سائل بعذاب واقع للكافرين ﴾ قال عطاء : ولقد أنزل اللَّه فيه بضع عشرة آية من كتاب اللَّه عز وجل .

وقال ابن مردويه : حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا الحسن بن أحمد بن الليث ، حدثنا أبو غسان[١] ، [حدثنا أبو تميلة][٢] ، حدثنا الحسين ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : رأيت عمرو بن العاص واقفًا يوم أحد علىٰ فرس ، وهو يقول : اللهم ، إن كان ما يقول محمد[٣] حقًّا ، فاخسف بي وبفرسي .

وقال قتادة في قوله : **﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ﴾** الآية . قال : قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها ، فعاد اللَّه بعائدته ورحمته علىٰ سفهة هذه الأمة وجهلتها .

وقوله تعالىٰ : **﴿ وما كان اللَّه ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اللَّه معذبهم وهم يستغفرون ﴾** .

قال ابن أبي حاتم(١٢٢) : حدثنا أبي ، حدثنا أبو حذيفة موسىٰ بن مسعود ، حدثنا عكرمة ابن[٤] عمار ، عن أبي زميل سماك الحنفي ، عن ابن عباس ؛ قال : كان المشركون يطوفون بالبيت ، ويقولون : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، فيقول النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **قد قد** » . ويقولون : [لبيك اللهم لبيك ، لبيك][٥] لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك ، ويقولون : غفرانك غفرانك . فأنزل اللَّه : **﴿ وما كان اللَّه ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾** . قال ابن عباس : كان فيهم أمانان : النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، والاستغفار ، فذهب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وبقي الاستغفار .

وقال ابن جرير(١٢٣) : حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز ، حدثنا أبو معشر ، عن يزيد بن رومان ، ومحمد بن قيس ، قالا : قالت قريش بعضها لبعض : محمد أكرمه اللَّه من بيننا : **﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾** . فلما أمسوا[٦] ندموا علىٰ ما قالوا ، فقالوا : غفرانك اللهم ، فأنزل

---

(١٢٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٩٠١٧/٥) ورواه ابن جرير في تفسيره (١٦٠٠٠/١٣) من طريق أبي حذيفة موسى بن مسعود ، به .

(١٢٣) - تفسير ابن جرير (١٦٠٠١/١٣)

---

[١] - في ز : « عسان » .
[٢] - في خ : « عبيدة » .
[٣] - في ز : « محمدا » .
[٤] - في ز : « عن » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « أمنوا » .

الله : ﴿ **وما كان اللّٰه معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ﴿ **وما كان اللّٰه ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾ يقول : ما كان اللّٰه ليعذب قومًا ، وأنبياؤهم بين أظهرهم ، حتىٰ يخرجهم . ثم قال : ﴿ **وما كان اللّٰه معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ يقول : وفيهم من قد سبق له من اللّٰه الدخول في الإيمان ، وهو الاستغفار ﴿ **يستغفرون** ﴾ يعني يصلون ، يعني بهذا أهل مكة .

وروي عن مجاهد وعكرمة وعطية العوفي وسعيد بن جبير والسدي - نحو ذلك .

وقال الضحاك وأبو مالك : ﴿ **وما كان اللّٰه معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ يعني المؤمنين الذين كانوا بمكة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني أبي ، حدثنا عبد الغفار بن داود ، حدثنا النضر بن عربي[١] ؛ قال : قال ابن عباس : إن اللّٰه جعل في هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مجارين[٢] من قوارع العذاب ، ما داما بين أظهرهم ، فأمان قبضه اللّٰه إليه ، وأمان بقي فيكم . قوله : ﴿ **وما كان اللّٰه ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اللّٰه معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ .

وقال أبو صالح عبد الغفار : حدثني بعض أصحابنا ، أن النضر بن عربي حدثه هذا الحديث ، عن[٣] مجاهد ، عن ابن عباس .

وروىٰ ابن مردويه وابن جرير(١٢٤) عن أبي موسىٰ الأشعري نحوًا[٤] من هذا ، وكذا روي عن قتادة ، وأبي العلاء النحوي المقرئ .

وقال الترمذي (١٢٥) : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا ابن نمير ، عن إسماعيل بن إبراهيم ابن مهاجر ، عن عباد بن يوسف ، عن أبي بردة بن أبي موسىٰ ، عن أبيه ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أنزل اللّٰه[٥] علي أمانين لأمتي** : ﴿ **وما كان اللّٰه**

(١٢٤) - تفسير ابن جرير (١٦٠٠٣/١٣) .

(١٢٥) - سنن الترمذي برقم (٣٠٨٢) ، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب ، وإسماعيل بن مهاجر يضعف في الحديث » . وعباد بن يوسف : مجهول .

[١] - في خ : « عدى » .

[٢] - في ز : « محبورين » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « نحو » .

[٥] - سقط من : ز .

ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اللّٰه معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار [إلىٰ يوم القيامة][١] » .

ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه(١٢٦)، من حديث عبد اللّٰه بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد ؛ أن رسول اللّٰه، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **إن الشيطان قال : وعزتك يارب ، لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الرب : وعزتي وجلالي ، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني** » .

ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

وقال الإمام أحمد(١٢٧) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا رشدين - هو ابن سعد - حدثني معاوية بن سعد التجيبي ، عمن حدثه ، عن فضالة بن عبيد ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أنه قال : « **العبد آمن من عذاب اللّٰه ما استغفر اللّٰه عز وجل** » .

﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ

---

(١٢٦) - **إسناده ضعيف** ، وهو في المسند ١١٢٥٣- (٢٩/٣) ، والمستدرك (٢٦١/٤) وأخرجه أبو يعلى - (١٣٩٩) حدثنا زهير ، عن الحسن بن موسى ، عن ابن لهيعة به . وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٩٣٢) والبغوي في شرح السنة (١٢٣٩) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص١٣٣-١٣٤) ورواه أحمد (١١٧٤٦) (٧٦/٣) من طرق ، عن ابن لهيعة به ، وزاد : « وارتفاع مكاني » وهي زيادة منكرة تفرد بها ابن لهيعة ، حيث رواه عن دراج عمرو بن الحارث بدونها . أخرجه الحاكم (٢٦١/٤) من طريق عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج به . وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وليس كما قالا لضعف دراج لاسيما في روايته عن أبي الهيثم . وأخرجه أبو يعلى (١٢٧٣) ، والطبراني في الأوسط (٨٧٨٨) (٣٣٣/٨) .

ورواه أحمد (١١٢٦٠،١١٣٨٣) (٢٩/٣،٤١) من طريق الليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن أبي سعيد به نحوه . قال الشيخ الألباني في الصحيحة - (١٦٤/١) : « هذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين لكنه منقطع بين عمرو - وهو ابن أبي عمرو مولى المطلب - وبين أبي سعيد الخدري ؛ فإنهم لم يذكروا لعمرو رواية عن أحد من الصحابة غير أنس بن مالك .....

والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » - (٢١٠/١٠) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه . والطبراني في الأوسط ، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح ، وكذلك أحد إسنادي أبي يعلى .

(١٢٧) - المسند ٢٣٩٩٩ - (٢٠/٦) . وإسناده ضعيف لضعف رشدين بن سعد وجهالة شيخ معاوية بن سعد .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

يخبر تعالىٰ أنهم أهل لأن يعذبهم ، ولكن لم يوقع ذلك بهم ؛ لبركة مقام الرسول ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بين أظهرهم ؛ ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع اللَّه بهم بأسه يوم بدر ، فقتل صناديدهم ، وأسرت سراتهم ، وأرشدهم تعالىٰ إلىٰ الاستغفار من الذنوب ، التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد .

قال قتادة والسدي وغيرهما[١] : لم يكن القوم يستغفرون ، ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا .

واختاره ابن جرير ؛ فلولا ما كان بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين ؛ لأوقع[٢] بهم البأس الذي لا يرد ، ولكن دفع عنهم بسبب أولئك ، كما قال تعالىٰ في يوم الحديبية : ﴿ **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفًا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل اللَّه في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليما** ﴾ .

قال ابن جرير(١٢٨) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن ابن أبزى ، قال : كان النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بمكة ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وما كان اللَّه ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾ . قال : فخرج النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلىٰ المدينة ، فأنزل اللَّه : ﴿ **وما كان اللَّه معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ . قال : وكان أولئك البقية من المسلمين[٣] الذين بقوا فيها ، يستغفرون - يعني : بمكة - فلما خرجوا أنزل اللَّه : ﴿ **وما لهم أن لا يعذبهم اللَّه وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه** ﴾ قال : فأذن اللَّه في فتح مكة ، فهو العذاب الذي وعدهم .

وروي عن ابن عباس وأبي مالك والضحاك وغير واحد - نحو هذا .

وقد قيل : إن هذه الآية ناسخة لقوله تعالىٰ : ﴿ **وما كان اللَّه معذبهم وهم**

(١٢٨) - رواه ابن جرير (١٣/١٥٩٩٠) .

[١] - في ز : « وغيرهم » .

[٢] - في ت : « لوقع » .

[٣] - في ز : « المؤمنين » .

يستغفرون ﴾ على أن يكون المراد صدور الاستغفار منهم أنفسهم .

قال ابن جرير(١٢٩) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، عن الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة والحسن البصري ، قالا : قال في الأنفال : **﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾** ، فنسختها الآية التي تليها : **﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾** فقوتلوا[١] بمكة ، فأصابهم فيها الجوع والضر .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، من حديث أبي تميلة[٢] يحيىٰ بن واضح .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج وعثمان بن عطاء ، عن عطاء ، عن ابن عباس : **﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾** ثم استثنىٰ أهل الشرك فقال : **﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام ﴾** .

وقوله : **﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾** . أي : وكيف لا يعذبهم الله ، وهم يصدون عن المسجد الحرام ، أي : الذي بمكة ، يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة عنده والطواف به ؛ ولهذا قال : **﴿ وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ﴾** أي هم ليسوا أهل المسجد الحرام ، وإنما أهله النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وأصحابه ، كما قال تعالىٰ : **﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد[٣] الله شاهدين علىٰ أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتىٰ الزكاة ولم يخش إلا الله فعسىٰ أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾** الآية .

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية(١٣٠) : حدثنا سليمان بن أحمد - هو الطبراني - حدثنا جعفر بن إلياس بن صدقة المصري ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا نوح ابن أبي مريم، عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال:

---

(١٢٩) - رواه ابن جرير (١٦٠١٧/١٢) .

(١٣٠) - رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٥٠٠٢) « مجمع البحرين » وقال : « لم يروه عن يحيى إلا نوح تفرد به نعيم » . وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٩/١٠) : « فيه نوح بن أبي مريم وهو ضعيف » .

---

[١] - في ز ، خ : « فقاتلوا » .
[٢] - في خ : « عمرو » .
[٣] - في ز : « مسجد » .

سئل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من آلك ؟ قال : « **كل تقي** » . وتلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **إن أولياؤه إلا المتقون** ﴾ .

وقال الحاكم في مستدركه (١٣١) : حدثنا أبو بكر الشافعي ، حدثنا إسحاق بن الحسن ، حدثنا أبو حذيفة ، حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم[١] ، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة ، عن أبيه ، عن جده قال : جمع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قريشًا[٢] فقال : « **هل فيكم من غيركم ؟** » . فقالوا : فينا ابن أختنا[٣] ، وفينا حليفنا ، وفينا مولانا . فقال : « **حليفنا منا ، وابن أختنا[٤] منا ، ومولانا منا ، إن أوليائي منكم المتقون** » .

ثم قال : هذا صحيح ، ولم يخرجاه .

وقال عروة والسدي ومحمد بن إسحاق في قوله تعالىٰ : ﴿ **إن أولياؤه إلا المتقون** ﴾ قال : هم محمد صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم .

وقال مجاهد : هم المجاهدون من كانوا ، وحيث كانوا .

ثم ذكر تعالىٰ ما كانوا يعتمدونه عند المسجد الحرام ، وما كانوا يعاملونه به ؛ فقال : ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** ﴾ .

قال عبد الله بن عمر[٥] ، وابن عباس ، ومجاهد وعكرمة ، وسعيد بن جبير وأبو رجاء العطاردي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وحجر بن عنبس ، ونبيط بن شريط ، وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو الصفير . وزاد مجاهد : وكانوا يدخلون أصابعهم في أفواههم .

وقال السدي : المكاء : الصفير ، علىٰ نحو طير أبيض ، يقال له : المكاء[٦] ، ويكون بأرض الحجاز ، والتصدية[٧] : [التصفيق[٨]] .

---

(١٣١) - المستدرك (٣٢٨/٢) ، ورواه أحمد من حديث وكيع ، عن سفيان ، عن ابن خثيم به نحوه وفيه زيادة .

---

[١] - في ز : « حسم » .
[٢] - في ز : « غيركم » .
[٣] - في ز : « أخينا » .
[٤] - في ز : « أخينا » .
[٥] - في ز ، خ : « عمرو » .
[٦] - في ز : « المكائلون » .
[٧] - في ز : « وتصدية » .
[٨] - سقط من : خ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو خلاد سليمان بن خلاد ، حدثنا يونس بن محمد المؤدب ، حدثنا يعقوب - يعني ابن عبد اللّه الأشعري - حدثنا جعفر بن [أبي[١]] المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية** ﴾ قال : كانت قريش تطوف بالكعبة[٢] عراة تصفر وتصفق . والمكاء : الصفير . وإنما شبهوا بصفير الطير وتصدية التصفيق .

وهكذا روىٰ علي بن أبي طلحة والعوفي ، عن ابن عباس . وكذا روي عن ابن عمر ومجاهد ، ومحمد بن كعب ، وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، والضحاك وقتادة ، وعطية العوفي ، وحجر بن عَنْبَس[٣] ، وابن أبزى نحو هذا .

وقال ابن جرير(١٣٢) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو عامر[٤] ، حدثنا قرة ، عن عطية ، عن ابن عمر في قوله : ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** ﴾ قال : المكاء : التصفير[٥] ، والتصدية : التصفيق . قال قرة : وحكىٰ لنا عطية فعل ابن عمر ، فصفر ابن عمر ، وأمال خده ، وصفق بيديه .

وعن ابن عمر أيضًا أنه قال : إنهم[٦] كانوا يضعون خدودهم علىٰ الأرض ، ويصفقون ويصفرون . رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عنه .

وقال عكرمة : كانوا يطوفون بالبيت علىٰ الشمال .

قال مجاهد : وإنما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك علىٰ النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، صلاته .

وقال الزهري : يستهزئون بالمؤمنين .

وعن سعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن زيد ﴿ **وتصدية** ﴾ قال : صدُّهم الناس عن سبيل اللّه عز وجل .

قوله : ﴿ **فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ قال الضحاك ، وابن جريج ، ومحمد بن إسحاق : هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي . واختاره ابن جرير ولم يحك غيره .

---

(١٣٢) - رواه ابن جرير (١٣/١٦٠٢٩) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : بالبيت .
[٣] - في خ : « عبس » .
[٤] - في ز : « عمر »والمثبت من ابن جرير ، وخ .
[٥] - في ز ، خ : « الصفير » .
[٦] - سقط من : ز .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ قال : عذاب أهل الإقرار بالسيف ، وعذاب أهل التكذيب بالصيحة والزلزلة .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾

قال محمد بن إسحاق(١٣٣) : حدثني الزهري ومحمد بن يحيىٰ بن حبَّان[١] ، وعاصم ابن عمر بن قتادة ، والحصين[٢] بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد[٣] بن معاذ ؛ قالوا : لما أصيبت[٤] قريش يوم بدر ، ورجع فَلُّهم إلىٰ مكة ، ورجع أبو سفيان بعيره - مشى عبد اللَّه ابن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ، أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك[٥] العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمدًا قد وتركم ، وقتل خياركم ؛ فأعينونا بهذا المال علىٰ حربه ؛ لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن[٦] أصيب منا! ففعلوا . قال : ففيهم[٧] - كما ذكر عن ابن عباس - أنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله** ﴾ إلىٰ قوله[٨] : ﴿ **والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾ .

وهكذا[٩] روي عن مجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحكم بن عتيبة ، وقتادة ، والسدي ، وابن أبزى : أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أحد لقتال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

---

(١٣٣) - ورواه ابن جرير في تفسيره (١٣/١٦٠٦٣) ، وهو في السيرة لابن هشام (٣/٦٤) .

---

[١] - في خ : « حسان » .
[٢] - في ز : « والحصن » .
[٣] - في خ : « سعيد » .
[٤] - في ز : « أصيب » .
[٥] - في ز ، خ : « ذلك » .
[٦] - في ز : « ممن » .
[٧] - في ز : « فيهم » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في خ : « وكذا » .

وقال الضحاك : نزلت في أهل بدر .

وعلىٰ كل تقدير فهي عامة ، وإن كان سبب نزولها خاصًا ، فقد أخبر تعالىٰ أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق ، فسيفعلون ذلك ، ثم[١] تذهب أموالهم ، ﴿ **ثم تكون عليهم حسرة** ﴾ أي ندامة حيث لم تُجدِ شيئًا ؛ لأنهم أرادوا إطفاء نور اللَّه ، وظهور كلمتهم علىٰ كلمة الحق ، واللَّه متم نوره ولو كره الكافرون ، وناصر دينه ، ومعلن كلمته ، ومظهر دينه علىٰ كل دين ، فهذا الخزي لهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب النار ؛ فمن عاش منهم رأىٰ بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه ، ومن قتل منهم أو مات فإلىٰ الخزي الأبدي والعذاب السرمدي ؛ ولهذا قال : ﴿ **فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلىٰ جهنم يحشرون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ليميز اللَّه الخبيث من الطيب** ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ليميز اللَّه الخبيث من الطيب** ﴾ : فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء . وقال السدي : يميز المؤمن من الكافر . وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة ، كقوله : ﴿ **ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** ﴾ ، وقال في الآية الأخرىٰ ﴿ **يومئذ يصدعون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾ .

ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا ، بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين ، وتكون اللام معللة لما جعل اللَّه للكفار[٢] من مال ، ينفقونه في الصد عن سبيل اللَّه ، أي : إنما أقدرناهم علىٰ ذلك : ﴿ **ليميز اللَّه الخبيث من الطيب** ﴾ أي : من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين ؛ أو يعصيه بالنكول عن ذلك ، كقوله : ﴿ **وما أصابكم يوم التقىٰ الجمعان فبإذن اللَّه وليعلم المؤمنين * وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل اللَّه أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالًا لاتبعناكم** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما كان اللَّه ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه حتىٰ يميز الخبيث من الطيب وما كان اللَّه ليطلعكم علىٰ الغيب** ﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم اللَّه الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ . ونظيرتها في براءة أيضًا .

فمعنىٰ الآية علىٰ هذا إنما ابتليناكم بالكفار يقاتلونكم ، وأقدرناهم على إنفاق الأموال وبذلها في ذلك ؛ ليميز اللَّه[٣] الخبيث من الطيب ويجعل[٤] الخبيث بعضه علىٰ بعض

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « للكافرين » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « فيجعل » .

[﴿ فيركمه﴾ أي : يجمعه كله ، وهو جمع الشيء بعضه على بعض ،][١] كما قال تعالى في السحاب : ﴿ **ثم يجعله ركامًا** ﴾ أي : متراكما متراكبًا ، ﴿ **فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون** ﴾ أي : هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة .

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ **قل للذين كفروا إن ينتهوا** ﴾ أي[٢] : عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد ، ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة ؛ يغفر لهم ﴿ما قد سلف﴾ ، أي : من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم ، كما جاء في الصحيح(١٣٤) من حديث أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر** » .

وفي الصحيح أيضًا(١٣٥) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **الإسلام يَجُبّ ما قبله ، والتوبة تجب ما كان قبلها** » .

وقوله : ﴿ **وإن يعودوا** ﴾ أي : يستمروا على ما هم فيه ﴿ **فقد مضت سنة الأوّلين** ﴾ أي : فقد مضت سنتنا في الأولين ، أنهم إذا كذبوا ، واستمروا على عنادهم ، أنا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة .

قال مجاهد في قوله : ﴿ **فقد مضت سنة الأوّلين** ﴾ أي : في قريش يوم بدر ، وغيرها من الأمم . وقال السدي ومحمد بن إسحاق : أي : يوم بدر .

وقوله تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ قال

(١٣٤) - صحيح البخاري ، كتاب استتابة المرتدين برقم (٦٩٢١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم (١٢٠) .

(١٣٥) - رواه أحمد من حديث عمرو بن العاص .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز .

البخاري(١٣٦) : حدثنا الحسن بن عبد العزيز[١]، حدثنا عبد اللَّه بن يحيىٰ ، حدثنا حَيْوَة بن شريح ، عن بكر بن عمرو[٢] ، عن بكير ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رجلًا جاءه فقال : يا أبا عبد الرحمن ؛ ألا تسمع[٣] ما ذكر اللَّه في كتابه : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ الآية . فما يمنعك أن لا تقاتل ، كما ذكر اللَّه في كتابه ؟ فقال : يا بن أخي ، أعيَّر بهذه الآية ولا أقاتل أحب إلي من أن أعير بالآية التي يقول اللَّه ، عز وجل : ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا** ﴾ إلىٰ آخر الآية . قال : فإن اللَّه تعالىٰ يقول : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة** ﴾ قال ابن عمر : قد فعلنا علىٰ عهد رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذ كان الإِسلام قليلًا ، وكان الرجل يفتن في دينه ، إما أن يقتلوه ، وإما أن يوثقوه ، حتىٰ كثر الإِسلام فلم تكن فتنة . فلما رأىٰ أنه لا يوافقه فيما يريد ، قال : فما قولك في علي وعثمان ؟ قال ابن عمر : أما قولي في علي وعثمان ؟ أما عثمان فكان اللَّه قد عفا عنه ، وكرهتم أن يعفو اللَّه[٤] عنه ، وأما علي فابن عم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وخَتَنُه - وأشار بيده[٥] - وهذه ابنته - أو بنته - حيث ترون .

وحدثنا أحمد بن يونس(١٣٧) ، حدثنا زهير ، حدثنا بيان ، أن وبرة حدثه ، قال : حدثني سعيد بن جبير ؛ قال : خرج علينا أو : إلينا ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - فقال رجل[٦] : كيف ترىٰ في قتال الفتنة ؟ فقال : وهل تدري ما الفتنة ؟ كان محمد ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقاتل المشركين ، وكان الدخول عليهم فتنة ، وليس بقتالكم علىٰ الملك .

هذا كله سياق البخاري رحمه اللَّه تعالىٰ .

وقال عبيد اللَّه ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير ، فقالا : إن الناس قد صنعوا ما ترىٰ ، وأنت ابن عمر بن الخطاب ، وأنت صاحب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فما يمنعك أن تخرج ؟ قال : يمنعني أن اللَّه حرم علي دم أخي المسلم ؟ قالوا : أو لم يقل اللَّه : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ قال : قد قاتلنا حتىٰ لم تكن فتنة ، وكان الدين كله لله ، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتىٰ تكون فتنة ، ويكون الدين لغير اللَّه .

---

(١٣٦) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن برقم (٤٦٥٠) .

(١٣٧) - رواه البخاري برقم (٤٦٥١) .

---

[١] - في ز ، خ : « الرحمن » .
[٢] - في ت : « عمر » .
[٣] - في خ : « تصنع » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « بيديه » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

وكذا رواه حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أيوب بن عبد اللَّه اللخمي ، قال : كنت عند عبد اللَّه بن عمر ، رضي اللَّه عنهما ، فأتاه رجل ، فقال : إن اللَّه يقول : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ .

فقال ابن عمر : قاتلت أنا وأصحابي حتىٰ كان الدين كله لله ، وذهب الشرك ، ولم تكن فتنة ، ولكنك وأصحابك تقاتلون حتىٰ تكون فتنة ، ويكون الدين لغير اللَّه . رواهما ابن مردويه .

وقال أبو عوانة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ؛ قال : قال ذو البطين - يعني أسامة بن زيد : لا أقاتل رجلًا يقول : لا إله إلا اللَّه أبدًا . قال[١] : [فقال سعد بن مالك : وأنا والله ، لا أقاتل رجلًا يقول : لا إله إلا اللَّه أبدًا][٢] . فقال رجل : ألم يقل اللَّه : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ فقالا : قد قاتلنا حتىٰ لم تكن فتنة ، وكان الدين كله لله . رواه ابن مردويه .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة** ﴾ يعني : لا يكون شرك .

وكذا قال أبو العالية ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسدي ، ومقاتل ابن حيان[٣] ، وزيد بن أسلم .

وقال محمد بن إسحاق : بلغني عن الزهري ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا : ﴿ **حتىٰ لا تكون فتنة** ﴾ : حتىٰ لا يفتن مسلم عن دينه .

وقوله : ﴿ **ويكون الدين كله لله** ﴾ قال الضحاك ، عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : يخلص التوحيد لله .

وقال الحسن وقتادة وابن جريج : ﴿ **ويكون الدين كله لله** ﴾ : أن يقال : لا إله إلا اللَّه .

وقال محمد بن إسحاق : ويكون التوحيد خالصًا لله ؛ ليس فيه شرك ، ويخلع ما دونه من الأنداد .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **ويكون الدين كله لله** ﴾ لا يكون مع دينكم

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « حبان » .

كفر .

ويشهد لهذا[١] ما ثبت في الصحيحين(١٣٨) عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا : لا إله إلا الله ؛ فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم علىٰ الله عز وجل** » .

وفي الصحيحين(١٣٩) عن أبي موسىٰ الأشعري ؛ قال : سئل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله عز وجل ؟ فقال : « **من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله عز وجل** » .

وقوله : ﴿ **فإن انتهوا** ﴾ [أي : بقتالكم عما هم فيه من الكفر ، فكفوا عنهم ، وإن لم تعلموا بواطنهم][٢] ؛ ﴿ **فإن الله بما يعملون بصير** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم** ﴾ . وفي الآية الأخرىٰ : ﴿ **فإخوانكم في الدين** ﴾ . وقال : ﴿ **قاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا علىٰ الظالمين** ﴾ .

وفي الصحيح(١٤٠) أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف ، فقال : لا إله إلا الله . فضربه فقتله ، فذكر ذلك لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال لأسامة : « **أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟** » . فقال : يا رسول الله ؛ إنما قالها تعوذًا . قال : « **هلا شققت عن قلبه ؟** » . وجعل يقول ويكرر عليه : « **من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟** » قال أسامة : حتىٰ تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا ذلك اليوم .

وقوله : ﴿ **وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولىٰ ونعم النصير** ﴾ أي : وإن استمروا علىٰ خلافكم ومحاربتكم ، فاعلموا أن الله مولاكم و[٣] سيدكم وناصركم علىٰ أعدائكم ، فنعم المولىٰ ونعم النصير .

---

(١٣٨) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان برقم (٢٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان برقم (٢٢) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهما .

(١٣٩) - صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير برقم (٢٨١٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة برقم (١٩٠٤) .

(١٤٠) - صحيح البخاري ، كتاب المغازي برقم (٤٢٦٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم (٩٦) .

---

[١] - في ز : « له » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز .

وقال محمد بن جرير(١٤١) : حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، حدثنا أبي ، حدثنا أبان العطار ، حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ؛ أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء ، فكتب إليه عروة : سلام عليك ؛ فإني أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فإنك كتبت إلي تسألني عن مخرج رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، من مكة ، وسأخبرك به ، ولا حول ولا قوة إلا بالله : كان من شأن خروج[١] رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم من مكة ، أن اللّه أعطاه النبوة ، فنعم النبي ، ونعم السيد ، ونعم العشيرة ، فجزاه اللّه خيرًا ، وعرفنا وجهه في الجنة ، وأحيانا علىٰ ملته ، [وأماتنا عليها][٢] ، وبعثنا عليها ، وأنه لما دعا قومه لما بعثه اللّه له[٣] من الهدىٰ والنور الذي أنزل عليه ، لم يبعدوا منه أول ما دعاهم إليه[٤] ، وكادوا يسمعون منه ، حتىٰ إذا[٥] ذكر طواغيتهم ، وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال ، أنكر ذلك عليه ناس ، واشتدوا عليه ، وكرهوا ما قال ، وأغروا به من أطاعهم ، فانصفق عنه عامة الناس فتركوه ، إلا من حفظه اللّه منهم ، وهم قليل ، فمكث بذلك ما قدر اللّه أن يمكث ، ثم ائتمرت رءوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين اللّه ، من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال ، فافتتن من افتتن ، وعصم اللّه من شاء منهم ، فلما فُعِل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، أن يخرجوا إلىٰ أرض الحبشة ، وكان بالحبشة ملك صالح يقال له : النجاشي ، لا يظلم أحد بأرضه ، وكان يُثنَىٰ عليه مع ذلك ، وكانت أرض الحبشة متجرًا لقريش يتجرون فيها ، وكانت مَسْكَنًا لتجارهم ، يجدون[٦] فيها رفاغا[٧] من الرزق ، وأمنًا ومتجرًا حسنًا ، فأمرهم[٨] بها النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة ، وخاف عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يبرح ، فمكث بذلك سنوات يشتدون علىٰ من أسلم منهم ، ثم إنه فشا الإِسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشرافهم ومنعتهم .

فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة[٩] عن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وعن

---

(١٤١) - تفسير ابن جرير (١٣/٥٣٩ - ٥٤٣) رقم (١٦٠٨٣).

---

[١] - في ز ، خ : « مخرج » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ت : « به » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - في ز : « يتخذون » .

[٧] - في ز : « رفاعا » ، خ : « رقاعًا » .

[٨] - في ز : « وأمرهم » .

[٩] - سقط من : ز ، خ .

أصحابه ، وكانت الفتنة الأولىٰ هي التي[١] أخرجت من خرج[٢] من أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قِبَل أرض الحبشة مخافتها ، وفرارًا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال ، فلما استرخي عنهم ، ودخل في[٣] الإسلام من دخل منهم ، تحدث باسترخائهم عنهم ، فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قد استرخي عمن كان منهم بمكة ، وأنهم لا يفتنون . فرجعوا إلىٰ مكة ، وكادوا يأمنون بها ، وجعلوا يزدادون[٤] ويكثرون ، وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير ، وفشا الإسلام بالمدينة ، وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بمكة ، فلما رأت قريش ذلك تآمرت علىٰ أن يفتنوهم ويشتدوا ، فأخذوهم فحرصوا علىٰ أن يفتنوهم ، فأصابهم جهد شديد ، فكانت الفتنة الأخيرة ؛ فكانت فتنتان ؛ فتنة أخرجت من خرج منهم إلىٰ أرض الحبشة ، حين أمرهم النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بها ، وأذن لهم في الخروج إليها . وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة .

ثم إنه جاء رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من المدينة سبعون نقيبًا ، رءوس الذين أسلموا فوافوه بالحج ، فبايعوه بالعقبة ، وأعطوه عهودهم و [ ][٥] ، علىٰ أنا منك وأنت منا ، وعلىٰ أن[٦] من جاء من أصحابك أو جئتنا ؛ فإنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا . فاشتدت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أصحابه أن يخرجوا إلىٰ المدينة ، وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أصحابه ، وخرج هو . وهي التي أنزل الله - عز وجل - فيها : ﴿ **وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾ .

ثم رواه عن يونس بن عبد الأعلىٰ(١٤٢) ، عن ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروة بن الزبير أنه كتب إلىٰ الوليد - يعني ابن عبد الملك بن مروان - بهذا ... فذكر مثله . وهذا صحيح إلىٰ عروة ، رحمه الله .

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ

(١٤٢) - تفسير ابن جرير (١٣/٥٤٢) .رقم (١٦٠٨٤) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « أخرجت » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « يزادون » .
[٥] - في ت : ومواثيقهم .
[٦] - في ز : « أنه » .

عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)

يبين تعالىٰ تفصيل ما شرعه مخصصًا لهذه الأمة الشريفة ، من بين سائر الأمم المتقدمة [من إحلال المغانم][١] . والغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار بإيجاف الخيل . والركاب والفيء ما أخذ منهم بغير ذلك ؛ كالأموال التي يصالحون عليها ، أو يتوفون عنها ولا وارث لهم ، والجزية والخراج ونحو ذلك ، هذا مذهب الإمام الشافعي في طائفة من علماء[٢] [ ][٣] السلف والخلف .

ومن العلماء من يطلق الفيء علىٰ ما تطلق عليه الغنيمة والغنيمة علىالفيء أيضًا ؛ ولهذا ذهب قتادة إلىٰ أن هذه الآية ناسخة لآية الحشر : ﴿ **ما أفاء اللَّه علىٰ رسوله من أهل القرىٰ فلله وللرسول ولذي القربىٰ واليتامى والمساكين** ﴾ .

قال : فنسخت آية الأنفال تلك ، وجعلت الغنائم أربعة أخماسها[٤] للمجاهدين[٥] ، وخمسًا منها لهؤلاء المذكورين ، وهذا الذي قاله بعيد ؛ لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر ، وتلك نزلت في بني النضير ، ولا خلاف بين علماء السير والمغازي قاطبة أن بني النضير بعد بدر ، وهذا أمر لا يشك فيه ولا يرتاب ، فمن يفرق بين معنىٰ الفيء والغنيمة يقول : تلك نزلت في أموال الفيء ، وهذه في المغانم . ومن يجعل أمر المغانم والفيء راجعًا[٦] إلىٰ رأي الإمام يقول : لا منافاة بين آية الحشر وبين التخميس ، إذا رآه الإمام ، واللَّه أعلم .

فقوله[٧] تعالىٰ : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن للَّه خمسه** ﴾ توكيد لتخميس كل قليل وكثير ، حتى الخيط والمخيط ؛ قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفىٰ كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فأن للَّه خمسه وللرسول** ﴾ اختلف المفسرون هٰهنا ، فقال بعضهم : للَّه نصيب من الخمس ، يجعل في الكعبة .

قال أبو جعفر الرازي(١٤٣) ، عن الربيع ، عن أبي العالية الرياحي ، قال : كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يؤتى بالغنيمة ، فيقسمها[٨] علىٰ خمسة ، تكون أربعة أخماس

(١٤٣) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٣/٥٥٠) رقم (١٦١٠٢) .

[١] - في خ : «بإحلال الغنائم» .
[٢] - في ز : « العلماء » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » .
[٤] - في ت : « أخماس » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « راجع » .
[٧] - في ز : « وقوله » .
[٨] - في ت : « فيخمسها » .

لمن شهدها ، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه ، فيأخذ منه الذي قبض كفه ، فيجعله للكعبة ، وهو سهم اللَّه ، ثم يقسم ما بقي علىٰ خمسة أسهم ؛ فيكون سهم للرسول ، وسهم لذوي القربىٰ ، وسهم لليتامىٰ ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل .

وقال آخرون : ذكر اللَّه هٰهنا استفتاح كلام للتبرك ، وسهم لرسوله عليه السلام .

قال الضحاك ، عن ابن عباس -رضي اللَّه عنهما- : كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم، إذا بعث سرية فغنموا ، خمس الغنيمة ؛ فضرب ذلك الخمس في خمسة[١] ، ثم قرأ : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن للَّه خمسه وللرسول** ﴾ ﴿ **فأن للَّه خمسه** ﴾ مفتاح كلام : ﴿ **للَّه ما في السموات وما في الأرض** ﴾ ، فجعل سهم اللَّه وسهم الرسول ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، واحدًا ، وهكذا قال إبراهيم النخعي ، والحسن بن محمد ابن الحنفية ، والحسن البصري والشعبي ، وعطاء بن أبي رباح ، وعبد اللَّه بن بريدة ، وقتادة ومغيرة وغير واحد : إن سهم اللَّه ورسوله واحد .

ويؤيد هذا ما رواه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناد صحيح(١٤٤) ، عن عبد[٢] اللَّه بن شقيق ، عن رجل [من بلقين(*)][٣] قال : أتيت النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو بوادي القرىٰ ، وهو يعرض فرسًا ، فقلت : يا رسول اللَّه ، ما تقول في الغنيمة ؟ فقال : « **للَّه خمسها ، وأربعة أخماسها للجيش** » . قلت : فما أحد أولىٰ به من أحد ؟ قال : « **لا ، ولا السهم تستخرجه من جيبك ليس أنت أحق به من أخيك المسلم** » .

وقال ابن جرير(١٤٥) : حدّثنا عمران بن موسىٰ ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أبان ، عن الحسن، قال : أوصى [أبو بكر][٤] بالخمس من ماله، وقال : ألا أرضى من مالي بما رضي اللَّه لنفسه .

ثم اختلف قائلو هذا القول ، فروىٰ علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ؛ قال : كانت الغنيمة تقسم[٥] علىٰ خمسة أخماس ؛ فأربعة منها بين من قاتل عليها ، وخمس واحد يقسم علىٰ أربعة أخماس : فربع للَّه وللرسول [صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ولذي القربىٰ - يعني قرابة

---

(١٤٤) - السنن الكبرى (٣٢٤/٦) .

(١٤٥) - تفسير ابن جرير (٥٥٠/١٣) رقم (١٦٠٩٩) .

(*) - بلقين : أصله : بنو القين ، حي من بني أسد ، تخفف العرب ذلك كما قالوا : بلحارث وبلهجيم . يعنون بني الحارث وبني الهجيم . تاج العروس .

---

[١] - في ت : « خمس » .

[٢] - في ز : « عبيد » .

[٣] - في الدر : من بلقين عن ابن عم له .

[٤] - في خ : « الحسن » .

[٥] - في ت : « تخمس » .

النبي صلى اللَّه عليه وسلم][١] فما كان للَّه وللرسول فهو لقرابة النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ولم يأخذ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، من الخمس شيئًا ، [والربع الثاني لليتامىٰ ، والربع الثالث للمساكين ، والربع الرابع لابن السبيل][٢] .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، ثنا أبو معمر المنقري ، ثنا عبد الوارث بن سعيد ، عن حسين المعلم ، عن عبد اللَّه بن بريدة في قوله : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن للَّه خمسه وللرسول** ﴾ قال : الذي للَّه فلنبيه ، والذي للرسول لأزواجه .

وقال عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء بن أبي رباح ؛ قال : خمس اللَّه والرسول واحد ، كان[٣] يحمل منه ويصنع[٤] فيه ما شاء ، يعني النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم (١٤٦) .

وهذا أعم وأشمل ، وهو [أن الرسول][٥] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يتصرف في الخمس الذي جعله اللَّه له بما شاء ، ويرده في أمته كيف شاء ، ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد حيث قال(١٤٧) :

حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن أبي بكر بن عبد اللَّه بن أبي مريم ، عن أبي سلام[٦] الأعرج، عن المقدام بن معد يكرب الكندي، أنه جلس مع عبادة بن الصامت ، وأبي الدرداء ، والحارث بن معاوية الكندي - رضي اللَّه عنهم - فتذاكروا حديث رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال أبو الدرداء لعبادة : يا عبادة ، كلمات رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في غزوة كذا وكذا في شأن الأخماس . فقال عبادة : إن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، صلىٰ بهم في غزوة إلىٰ بعير من المغنم ، فلما سلم قام

---

(١٤٦) - تفسير ابن جرير (١٣/٥٥٠) رقم (١٦١٠٠)

(١٤٧) - المسند (٥/٣١٤ ، ٣١٦) رقم (٢٢٧٨٣، ٢٢٨٠٢) وإسناده ضعيف من أجل أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم . والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (٥/ ١٣/رقم: ٢٦٢٤) من طريق محمد بن عبد الله الحضرمي ، عن عبد الله بن سالم ، عن عبيلة بن الأسود ، عن القاسم بن الوليد ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، عن عبادة بن الصامت . وأخرجه ابن أبي عاصم في الجهاد حديث (٥) بنفس الإسناد ، وأخرجه من طرق أخرى حديث (٦ و٧) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد مفرقًا بعضه في (٥/ ٢٧٢) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير والأوسط بأطول من هنا ، وقال : « وأحد أسانيد أحمد وغيره ثقات » . وفي (٥/ ٣٣٨) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه أبو بكر بن أبي مريم ، وهو ضعيف ».

---

[١] - [٢] - مابين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - زيادة من ابن جرير .

[٤] - في تفسير ابن جرير : يضع .

[٥] - في خ : « أنه » .

[٦] - في خ : « إسلاح » .

رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فتناول وبرة بين أنملتيه ، فقال : « **إن هذه من غنائمكم ، وإنه ليس لي فيها إلا نصيبي معكم ؛ إلا[١] الخمس، والخمس مردود عليكم ؛ فأدوا الخيط والمخيط ، وأكبر من ذلك وأصغر ، ولا تغلّوا ؛ فإن الغلول عار ونار علىٰ أصحابه في الدنيا والآخرة ، وجاهدوا الناس في الله القريب والبعيد ، ولا تبالوا في الله لومة لائم ، وأقيموا حدود الله في السفر والحضر ؛ [ ][٢] وجاهدوا في [سبيل][٣] الله ؛ فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، ينجي الله به من الهم والغم** » .

هذا حديث حسن عظيم ، ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه ، ولكن روىٰ الإمام أحمد أيضًا ، وأبو داود ، والنسائي من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو(١٤٨) ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، نحوه في قصة الخمس ، والنهي عن الغلول .

وعن عمرو بن عبسة[٤] ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، صلىٰ بهم إلىٰ بعير من المغنم فلما سلم ، أخذ وبرة من هذا[٥] البعير ، ثم قال : « **ولا يحل لي من[٦] غنائمكم مثل هذه إلا الخمس ، والخمس مردود فيكم** » . رواه أبو داود والنسائي(١٤٩) .

وقد كان للنبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من المغانم[٧] شيء يصطفيه لنفسه : عبد[٨] أو أمة ، أو فرس[٩] ، أو سيف[١٠] ، أو نحو ذلك . كما نص عليه محمد بن سيرين ، وعامر الشعبي ، وتبعهما علىٰ ذلك أكثر العلماء .

وروىٰ الإمام أحمد ، والترمذي – وحسنه – عن ابن عباس(١٥٠) : أن رسول الله ، صلىٰ

(١٤٨) – المسند (١٨٤/٢) وسنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب : فداء الأسير بالمال برقم (٢٦٩٤) . والنسائي في الهبة (٣٦٨٨) ، وفي قسم الفيء (٤١٣٩) .

(١٤٩) – سنن أبي داود ، كتاب الجهاد برقم (٢٧٥٥) من حديث الوليد بن عتبة ، عن الوليد بن مسلم قال : حدثنا عبد الله بن العلاء أنه سمع أبا إسلام الأسود قال : سمعت عمرو بن عبسة فذكره ، والوليد بن مسلم ثقة إلا أنه يدلس ويسوي ، وقد صرح بالتحديث والسماع في كافة الإسناد فانتفت العلتان .

(١٥٠) – المسند (٢٧١/١) ، وسنن الترمذي برقم (١٥٦١) ، وابن ماجه حديث (٢٨٠٨) ، =

[١] – سقط من : ت .

[٢] – في ز : «وجاهدوا في الله » .

[٣] – سقط من : خ .

[٤] – في ز ، خ : « عنبسة » .

[٥] – في خ : « ذلك » .

[٦] – في ز ، خ : « في » .

[٧] – في ز ، خ : « الغنيمة » .

[٨] – في ز ، خ : « عبدًا » .

[٩] – في ز ، خ : « فرسًا » .

[١٠] – في ز ، خ : « سيفًا » .

الله عليه وسلم ، تنفل سيفه ذا[١] الفقار يوم بدر ، وهو الذي رأىٰ فيه الرؤيا يوم أحد

وعن عائشة ، رضي الله عنها قالت : كانت صفية من الصفي . رواه أبو داود في سننه(١٥١) .

وروىٰ أيضًا بإسناده(١٥٢) ، والنسائي أيضًا عن يزيد بن عبد الله قال : كنا بالمربد ، إذ دخل رجل معه قطعة أديم ، فقرأناها فإذا فيها : « **من محمد رسول الله إلىٰ بني زهير بن أقيش ، إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأديتم الخمس من المغنم ، وسهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، وسهم الصفي ؛ أنتم آمنون بأمان الله ورسوله** » ، فقلنا : من كتب لك هذا ؟ فقال : رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

فهذه أحاديث جيدة تدل علىٰ تقرير هذا وثبوته ، ولهذا جعل ذلك كثيرون من الخصائص له صلوات الله وسلامه عليه ، وقال آخرون : إن الخمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين ، كما يتصرف في مال الفيء .

وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية -رحمه الله- : وهذا قول مالك وأكثر السلف ، وهو أصح الأقوال .

فإذا ثبت هذا وعلم ، فقد اختلف أيضًا في الذي كان يناله - عليه السلام - من الخمس ، ماذا يصنع به من بعده ؟ فقال قائلون : يكون لمن يلي الأمر من بعده . روي هذا عن أبي بكر ، وعلي ، وقتادة وجماعة . وجاء فيه حديث مرفوع(١٥٣) .

وقال آخرون : يصرف في مصالح المسلمين .

وقال آخرون : بل هو مردود علىٰ بقية الأصناف : ذوي القربىٰ ، واليتامىٰ ، والمساكين ، وابن السبيل . اختاره ابن جرير .

= وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث ابن أبي الزناد ، وقد اختلف أهل العلم في النفل من الخمس .

(١٥١) - سنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : ما جاء في سهم الصفي برقم (٢٩٩٤) .

(١٥٢) - سنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : ما جاء في سهم الصفي حديث (٢٩٩٩) ، والنسائي (١٣٤/٧) .

(١٥٣) - رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣٠٣/٦) من طريق الوليد بن جميع عن أبي الطفيل : لما سألت فاطمة أبا بكر عن الخمس فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **إذا أطعم الله نبيًا طعمة ثم قبضه كانت للذي يلي بعده** » فلما وليت رأيت أن أرده على المسلمين .

[١] - في خ : « ذو » .

وقال آخرون : بل سهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وسهم ذوي القربىٰ مردودان علىٰ اليتامىٰ ، والمساكين ، وابن السبيل . قال ابن جرير : وذلك قول جماعة من أهل العراق .

وقيل : إن الخمس جميعه لذوي القربىٰ ، كما رواه ابن جرير(١٥٤) :

حدثنا الحارث، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا عبد الغفار، حدثنا المنهال بن عمرو : سألت عبد اللَّه بن محمد بن علي ، وعلي بن الحسين عن[١] الخمس ، فقالا : هو لنا . فقلت لعلي : فإن اللَّه يقول : ﴿ **واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل** ﴾ فقالا : يتامانا ومساكيننا .

وقال سفيان الثوري ، وأبو نعيم ، وأبو أسامة ، عن قيس بن مسلم ، سألت الحسن بن محمد ابن الحنفية[٢] رحمه اللَّه تعالىٰ ، عن قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن للَّه خمسه وللرسول** ﴾ ، فقال : هذا مفتاح كلام اللَّه ، الدنيا والآخرة . ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال قائلون : سهم النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم تسليمًا للخليفة من بعده ، وقال قائلون : لقرابة النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم . وقال قائلون[٣] : سهم القرابة لقرابة الخليفة ، [واجتمع رأيهم][٤] أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل اللَّه ، فكانا علىٰ ذلك في خلافة أبي بكر وعمر - رضي اللَّه عنهما - .

[قال الأعمش ، عن إبراهيم : كان أبو بكر وعمر][٥] يجعلان سهم النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الكراع والسلاح ؛ فقلت لإبراهيم : ما كان علي يقول فيه ؟ قال : كان أشدهم فيه .

وهذا قول طائفة كثيرة من العلماء - رحمهم اللَّه - .

وأما سهم ذوي القربىٰ ، فإنه يصرف إلىٰ بني هاشم وبني المطلب ؛ لأن بني المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية ، [وفي أول الإسلام][٦] ، ودخلوا معهم في الشعب غضبًا لرسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وحماية له : مسلمهم طاعة للَّه ولرسوله ، وكافرهم حمية للعشيرة وأنفة ، وطاعة لأبي طالب عم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل ، وإن كانوا بني[٧] عمهم ، فلم يوافقوهم على ذلك ، بل حاربوهم

---

(١٥٤) - التفسير (١٦١٢٨/١٣) .

---

[١] - في ز : « على » .
[٢] - في ت : « الحنيفة » .
[٣] - في ت : « آخرون » .
[٤] - في ز : « فاجتمع قولهم على » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « ابنا » ، خ : « أبناء » .

ونابذوهم ومالئوا[١] بطون قريش على حرب الرسول ، ولهذا كان ذم أبي طالب لهم[٢] في قصيدته اللامية أشد من غيرهم ؛ لشدة قربهم ، ولهذا يقول في أثناء قصيدته :

جزىٰ اللَّه عنا عبد شمس ونوفلا ... [عقوبة[٣] [شر عاجل[٤]] غير آجل][٥]
بميزان قسط لا يخيس شعيرة ... له شاهد من نفسه غير عائل
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا ... بني[٦] خَلفَ قيضًا بنا والغياطل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم ... وآل قصي في الخطوب الأوائل

وقال جبير[٧] بن مطعم بن عدي [بن نوفل][٨] : مشيت أنا وعثمان بن عفان يعني ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقلنا : يا رسول اللَّه ، أعطيت بني المطلب من خمس خيبر ، وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة . فقال : « **إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد** » . رواه مسلم(١٥٥) .

وفي بعض روايات هذا الحديث : « **إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام** »(١٥٦) .

وهذا قول جمهور العلماء ، إنهم بنو هاشم وبنو المطلب .

قال ابن جرير : وقال آخرون : هم بنو هاشم . ثم روى عن خصيف عن مجاهد قال : علم اللَّه أن في بني هاشم فقراء ، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة .

وفي رواية عنه ، قال : هم قرابة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، الذين لا تحل لهم الصدقة .

ثم روى عن علي بن الحسين نحو ذلك .

قال ابن جرير(١٥٧) : وقال آخرون بل هم قريش كلها .

---

(١٥٥) - رواه البخاري في فرض الخمس ، باب : من الدليل على أن الخمس للإمام حديث (٣١٤٠) ، وأبو داود (٢٩٧٨ ، ٢٩٧٩ ، ٢٩٨٠) والنسائي في قسم الفيء (٤١٣٦ ، ٤١٣٧) ، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٨١) وأحمد (١٦٢٩٩ ط: إحياء التراث) ولم نقف عليه عند مسلم .

(١٥٦) - سنن النسائي ، باب : قسم الفيء (١٣٠/٧)رقم (٤١٣٧) .

(١٥٧) - تفسير ابن جرير (٥٥٥/١٣) رقم (١٦١١٧) .

---

[١] - في ز : « قالوا » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « بشر عاجلًا » .
[٥] - في حاشية (ز) : «عقوبة سوءٍ من غرام مماثل».
[٦] - في خ : « بنو » .
[٧] - في ز ، خ : « ابن جبير » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[حدثني يونس بن عبد الأعلىٰ ، حدثني عبد اللَّه بن نافع ، عن أبي معشر ، عن سعيد المقبري][١] قال : كتب نجدة إلىٰ عبد اللَّه بن عباس يسأله عن ذوي القربىٰ ؛ فكتب إليه ابن عباس كنا نقول : إنا هم ، فأبىٰ علينا ذلك قومنا ، وقالوا : قريش كلها ذوو قربىٰ .

وهذا الحديث [ ][٢] صحيح، رواه[٣] مسلم(١٥٨) وأبو[٤] داود ، والترمذي ، والنسائي من حديث سعيد المقبري ، [عن يزيد بن هرمز ، أن نجدة كتب إلىٰ ابن عباس يسأله عن ذوي القربىٰ][٥] فذكره ، إلىٰ قوله : فأبىٰ ذلك[٦] علينا قومنا .

والزيادة من أفراد أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني ، وفيه ضعف .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم[٧] بن مهدي المصيصي ، حدثنا المعتمر ابن سليمان ، عن أبيه ، عن حنش ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **رغبت لكم عن غسالة الأيدي ؛ لأن لكم من خمس الخمس ما يغنيكم** » أو « **يكفيكم** » .

هذا حديث حسن الإِسناد ، وإبراهيم بن مهدي هذا وثقه أبو حاتم ، وقال يحيىٰ بن معين : يأتي بمناكير(١٥٩) ، واللَّه أعلم[٨] .

وقوله : ﴿ **واليتامىٰ** ﴾ أي أيتام المسلمين ، واختلف العلماء هل يختص بالأيتام الفقراء ، أو يعم الأغنياء والفقراء ؟ علىٰ قولين .

والمساكين هم المحاويج ، الذين لا يجدون ما يسد خلتهم ومسكنتهم .

﴿ **وابن السبيل** ﴾ هو المسافر أو المريد للسفر إلىٰ مسافة تقصر فيها الصلاة ، وليس له ما ينفقه في سفره ذلك . و[٩] سيأتي تفسير ذلك في آية الصدقات من[١٠] سورة براءة إن شاء اللَّه وبه الثقة وعليه التكلان .

---

(١٥٨) - صحيح مسلم برقم (١٨١٢) وسنن أبي داود برقم (٢٩٨٢) ، وسنن الترمذي برقم (١٥٥٦) وسنن النسائي (١١٢٨/٧) ، وهو عند أبي داود والنسائي من حديث الزهري عن يزيد .

(١٥٩) - انظر : ميزان الاعتدال للذهبي (٦٨/١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين مكرر في : خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « في » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « وأبي » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط من : ت .

[٨] - سقط من : ز .

[٩] - سقط من : خ .

[١٠] - في ز : « في » .

وقوله : ﴿ **إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا علىٰ عبدنا** ﴾ أي : امتثلوا ما شرعنا لكم من الخمس في الغنائم ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وما أنزل علىٰ رسوله ؛ ولهذا جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس(١٦٠) ، في حديث وفد عبد القيس ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لهم : « **وآمركم بأربع وأنهاكم عن أربع : آمركم بالإيمان بالله** » ثم قال : « **هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا الخمس من المغنم** » الحديث بطوله ، فجعل أداء الخمس من جملة الإيمان ، وقد بوب البخاري علىٰ ذلك في كتاب الإيمان من صحيحه ، فقال : « **باب أداء الخمس من الإيمان** » ثم أورد حديث ابن عباس هذا ، وقد بسطنا الكلام عليه[١] في شرح البخاري ، ولله الحمد والمنة(١٦١) .

وقال مقاتل بن حيان[٢] : ﴿ **وما أنزلنا علىٰ عبدنا [يوم الفرقان** ﴾ أي : في القسمة . وقوله ﴿ **يوم الفرقان]**[٣] **يوم التقىٰ الجمعان والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ ينبه تعالىٰ علىٰ نعمته وإحسانه إلىٰ خلقه ، بما فرق به بين الحق والباطل ببدر ، ويسمىٰ الفرقان ؛ لأن الله تعالىٰ أعلىٰ فيه كلمة الإيمان علىٰ كلمة الباطل ، وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه .

قال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس : يوم الفرقان يوم بدر ؛ فرق الله فيه بين الحق والباطل . رواه الحاكم .

وكذا قال مجاهد ، ومقسم ، وعبيد الله بن عبد الله والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد : إنه يوم بدر .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير في قوله : ﴿ **يوم الفرقان** ﴾ يوم فرق الله بين الحق والباطل ، وهو يوم بدر ، وهو أول مشهد شهده رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة ؛ فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو سبع عشرة مضت من رمضان ، وأصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا ، والمشركون بين الألف والتسعمائة ، فهزم الله المشركين ، وقتل منهم زيادة علىٰ السبعين ، وأسر منهم مثل ذلك .

---

(١٦٠) - صحيح البخاري كتاب الإيمان ، باب : أداء الخمس من الإيمان برقم (٥٣) وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم (١٧) .

(١٦١) - وانظر كلام الحافظ ابن حجر في : فتح الباري (١/١٢٩-١٣٥) .

---

[١] - سقط من : ت . [٢] - في خ : « حبان » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقد روىٰ الحاكم في مستدركه(١٦٢) ، من حديث الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن ابن مسعود قال في ليلة القدر : تحروها لإحدىٰ عشرة يبقين ؛ فإن في[١] صبيحتها يوم بدر ؛ وقال : علىٰ شرطهما .

وروي مثله عن عبد الله بن الزبير أيضًا ، من حديث جعفر بن برقان ، عن رجل عنه .

وقال ابن جرير(١٦٣) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يحيىٰ بن واضح ، حدثنا يحيىٰ بن يعقوب أبو طالب ، عن ابن عون ، عن محمد بن عبد الله الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قال [ ][٢] الحسن بن علي : كانت ليلة الفرقان ، يوم التقىٰ الجمعان ، لسبع عشرة[٣] من رمضان ، إسناد جيد قوي .

ورواه ابن مردويه ، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب ، عن علي قال : كانت ليلة الفرقان ليلة التقىٰ الجمعان في صبيحتها ليلة الجمعة ، لسبع عشرة مضت من شهر رمضان .

وهو الصحيح عند أهل المغازي والسير .

وقال يزيد بن أبي حبيب[٤] إمام أهل الديار المصرية في زمانه : كان [يوم بدر][٥] يوم الإثنين . ولم يتابع علىٰ هذا ، وقول الجمهور مقدم عليه ، والله أعلم .

إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)

يقول تعالىٰ [مخبرًا عن][٦] يوم الفرقان : ﴿ **إذ أنتم بالعدوة الدنيا** ﴾ أي : إذ أنتم

---

(١٦٢) - المستدرك (٣/٢٠) .

(١٦٣) - تفسير ابن جرير (١٣/٥٦٢) رقم (١٦١٣٥) ويحيى بن يعقوب : منكر الحديث .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « كان » .
[٣] - في م : « عشر » .
[٤] - في (ز) الكلمة غير واضحة وهى تشتبه بـ « سعيد » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

نزول بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلىٰ المدينة ، ﴿ **وهم** ﴾ أي : المشركون نزول ﴿ **بالعدوة القصوىٰ** ﴾ أي : البعيدة [من المدينة إلىٰ][١] ناحية مكة ، ﴿ **والركب** ﴾ أي : العير الذي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة ، ﴿ **أسفل منكم** ﴾ أي : مما يلي سيف البحر ، ﴿ **ولو تواعدتم** ﴾ [أي : أنتم والمشركون إلىٰ مكان][٢] ، ﴿ **لاختلفتم في الميعاد** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه في هذه الآية ، قال : ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ؛ ما لقيتموهم ، ﴿ **ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا** ﴾ أي : ليقضي الله ما أراد بقدرته ، من إعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله من[٣] غير ملأ منكم ، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه .

وفي حديث كعب بن مالك قال(١٦٤) : إنما خرج رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، والمسلمون يريدون عير قريش حتىٰ جمع الله بينهم وبين عدوهم علىٰ غير ميعاد .

وقال ابن جرير (١٦٥) : حدثني يعقوب ، حدثني ابن علية ، عن ابن عون ، عن عمير بن إسحاق قال : أقبل أبو سفيان في الركب من الشام ، وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وأصحابه ، فالتقوا ببدر ، ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء حتىٰ التقت السقاة ، ونهد الناس بعضهم لبعض .

وقال محمد بن إسحاق في السيرة (١٦٦) : ومضىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علىٰ وجهه ذلك ، حتىٰ إذا كان قريبًا من الصفراء ، بعث بسبس بن عمور[٤] ، وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين يلتمسان الخبر عن أبي سفيان ؛ فانطلقا حتىٰ إذا وردا بدرًا فأناخا بعيريهما إلىٰ تل من البطحاء ، فاستقيا في شن لهما من الماء فسمعا جاريتين تختصمان[٥] : تقول إحداهما[٦] لصاحبتها : اقضيني حقي ، وتقول الأخرىٰ : إنما تأتي[٧] العير غدًا أو بعد غد ؛ فأقضيك حقك ، فخلص بينهما مجدي بن عمرو ، وقال : صدقت ، فسمع ذلك[٨] بسبس

(١٦٤) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب : قصة غزوة بدر برقم (٣٩٥١) .

(١٦٥) - تفسير ابن جرير (٥٦٧/١٣) رقم (١٦١٤٨) .

(١٦٦) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٦١٧/١) .

[١] - في ز : « التي من » ، وسقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - في خ : « عمر » .
[٥] - في ز ، خ : « تختصما » .
[٦] - في ز : « إحديهما » .
[٧] - في خ : « تأت » .
[٨] - في خ : « بذلك » .

وعدي ، فجلسا علىٰ بعيريهما حتىٰ أتيا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأخبراه الخبر .

وأقبل أبو سفيان حين وليا وقد حذر ، فتقدم أمام عيره ، وقال لمجدي بن عمرو : هل أحسست علىٰ هذا الماء من أحد تنكره ؟ فقال : لا والله ، إلا أني قد رأيت راكبين أناخا إلىٰ هذا التل ، فاستقيا في شن لهما ، ثم انطلقا . فجاء أبو سفيان إلىٰ مناخ بعيريهما ، فأخذ من أبعارهما ففته ، فإذا فيه النوىٰ ، فقال : هذه والله علائف يثرب ، ثم رجع سريعًا فضرب وجه عيره ، فانطلق بها ، فساحل حتىٰ إذا رأىٰ أنه قد أحرز عيره [بعث][1] إلىٰ قريش فقال : إن الله قد نجىٰ عيركم وأموالكم ورجالكم فارجعوا .

فقال أبو جهل : والله ، لا نرجع حتىٰ نأتي بدرًا - وكانت بدر سوقًا من أسواق العرب - فنقيم بها ثلاثًا ، فنطعم بها الطعام ، وننحر بها الجزر ، ونسقي بها الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا ؛ فلا يزالون يهابوننا بعدها أبدًا.

فقال الأخنس بن شريق : يا معشر بني زهرة ، إن الله قد نجىٰ[2] أموالكم ونجىٰ صاحبكم فارجعوا ؛ فأطاعوه[3] فرجعت بنو زهرة ، فلم يشهدوها ولا بنو عدي .

قال محمد بن إسحاق(١٦٧) : وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير قال : وبعث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين دنا من بدر علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام في نفر من أصحابه ، يتجسسون له الخبر ، فأصابوا سقاة لقريش ؛ غلامًا لبني سعيد بن العاص ، وغلامًا لبني الحجاج ، فأتوا بهما رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فوجدوه يصلي ، فجعل أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يسألونهما : لمن أنتما ؟ فيقولان : نحن سقاة لقريش ، بعثونا نسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ؛ فضربوهما فلما أزلقوهما قالا : نحن لأبي سفيان ؛ فتركوهما . وركع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وسجد سجدتين[4] ، ثم سلم وقال : « **إذا صدقاكم ضربتموهم وإذا كذباكم تركتموهما ، صدقا والله إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش** » . قالا : هم وراء هذا الكثيب الذي ترىٰ بالعدوة القصوىٰ ، والكثيب : العقنقل ، فقال لهما رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **كم القوم ؟** » قالا : كثير . قال : « **ما عدتهم ؟** » قالا : ما ندري . قال « **كم ينحرون كل يوم ؟** » قالا : يومًا تسعًا ، ويوما عشرًا . قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **القوم ما بين التسعمائة إلىٰ**

(١٦٧) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٦١٦/١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « أنجى » .

[٣] - سقط من : م .

[٤] - في ز : « سجدتيه » .

الألف » ، ثم قال لهما : « **فمن فيهم من أشراف قريش ؟** » قالا : عتبة[١] بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري[٢] بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي بن [نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن][٣] خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ودّ ، فأقبل رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، علىٰ الناس فقال : « **هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها** » .

قال محمد بن إسحاق رحمه اللّه تعالىٰ(١٦٨) : وحدثني عبد اللّه بن أبي بكر بن حزم أن سعد بن معاذ قال لرسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، لما التقىٰ الناس يوم بدر : يا رسول اللّه ، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه ، وننيخ إليك ركائبك ، ونلقى عدونا ؛ فإن أظهرنا[٤] اللّه عليهم وأعزنا فذاك ما نحب ، وإن تكن الأخرىٰ فتجلس علىٰ ركائبك ، وتلحق بمن وراءنا من قومنا ، فقد واللّه تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حبًا منهم ، لو علموا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك ، ويوازرونك وينصرونك. فأثنىٰ عليه رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، خيرًا ودعا له به ، فبني له عريش ، فكان فيه رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وأبو بكر ما معهما غيرهما .

قال ابن إسحاق(١٦٩) : وارتحلت قريش حين أصبحت ، فلما أقبلت و[٥]رآها رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، تصوب من العقنقل ، وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلىٰ الوادي ، فقال : « **اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ؛ تحادّك وتكذب رسولك ، اللهم أحنهم الغداة** » .

وقوله : ﴿ **ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حيّ عن بينة** ﴾ قال محمد بن إسحاق : أي ليكفر من كفر بعد الحجة ، لما رأىٰ من الآية والعبرة ، ويؤمن من آمن علىٰ مثل ذلك . وهذا تفسير جيد ، وبسط ذلك أنه تعالىٰ يقول : إنما جمعكم مع عدوّكم في مكان واحد علىٰ غير ميعاد ؛ لينصركم عليهم ، ويرفع كلمة الحق علىٰ الباطل ، ليصير الأمر ظاهرًا ، والحجة قاطعة ، والبراهين ساطعة ، ولا يبقىٰ لأحد حجة ولا شبهة ، فحينئذ يهلك

---

(١٦٨) – انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٦٢٠/١) .

(١٦٩) – انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٦٢١/١) .

---

[١] – في ز : « علبة » ، خ : « علية » .

[٢] – في ز : « البحتري » .

[٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] – في خ : « أظفرنا » .

[٥] – سقط من : ز .

من هلك أي : يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره ، أنه مبطل لقيام الحجة عليه ، ﴿ **ويحيىٰ من حي** ﴾ أي : يؤمن[١] من آمن ﴿ **عن بينة** ﴾ أي : حجة وبصيرة . والإيمان هو حياة القلوب ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **أو من كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس** ﴾ وقالت عائشة في قصة الإفك : **فيَّ هلك من هلك** ، أي : قال فيها ما قال من [الكذب و][٢] البهتان والإفك .

وقوله : ﴿ **وإن الله لسميع** ﴾ أي : لدعائكم وتضرعكم واستغاثتكم به . ﴿ **عليم** ﴾ أي : بكم ، وأنكم[٣] تستحقون النصر علىٰ أعدائكم الكفرة المعاندين .

إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

قال مجاهد : أراه[٤] الله إياهم[٥] في منامه قليلًا ، وأخبر[٦] النبي صلىٰ الله عليه وسلم أصحابه بذلك ؛ فكان تثبيتًا لهم . وكذا قال ابن إسحاق وغير واحد . وحكىٰ ابن جرير عن بعضهم ، أنه رآهم بعينه التي ينام بها .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا يوسف بن موسىٰ المدبر ، حدثنا أبو قتيبة ، عن سهل السراج ، عن الحسن في قوله : ﴿ **إذ يريكهم الله في منامك قليلًا** ﴾ قال : بعينك .

وهذا القول غريب ، وقد صرح بالمنام هاهنا ، فلا حاجة إلىٰ التأويل الذي لا دليل عليه .

وقوله : ﴿ **ولو أراكهم كثيرًا لفشلتم** ﴾ أي : لجبنتم عنهم ، واختلفتم فيما بينكم ، ﴿ **ولكن الله سلم** ﴾ أي : من ذلك بأن أراكهم قليلًا ﴿ **إنه عليم بذات الصدور** ﴾ أي : بما تجنه الضمائر ، وتنطوي عليه الأحشاء ؛ فـ ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾ .

---

[١] - في خ : « يومئذ » .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٣] - في ز : « فإنكم » .
[٤] - في ز : « أراهم » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « فأخبر » .

وقوله : ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم[١] قليلًا ﴾ وهذا أيضًا من لطفه تعالىٰ بهم ؛ إذ[٢] أراهم إياهم قليلًا في رأي العين ؛ فيجرئهم[٣] عليهم ، ويطمعهم فيهم .

قال أبو إسحاق السبيعي(١٧٠) ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر ، حتىٰ قلت لرجل إلىٰ جنبي[٤] : تراهم سبعين ؟ قال : لا ، بل هم[٥] مائة حتىٰ أخذنا رجلًا منهم فسألناه فقال[٦] : كنا ألفًا . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقوله : ﴿ ويقللكم في أعينهم ﴾ قال ابن أبي حاتم(١٧١) : [حدثنا أبي][٧] ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن الزبير بن الخريت ، عن عكرمة : ﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ويقللكم في أعينهم ﴾ . قال : حضض[٨] بعضهم علىٰ بعض . إسناد صحيح .

وقال محمد بن إسحاق(١٧٢) : حدثني يحيىٰ بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه في قوله تعالىٰ : ﴿ ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا ﴾ أي : [ليلقي بينهم الحرب][٩] للنقمة ممن أراد الانتقام منه ، والإنعام علىٰ من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته .

ومعنىٰ هذا أنه تعالىٰ أغرىٰ كلًّا من الفريقين بالآخر ، وقلله في عينه ليطمع فيه ، وذلك عند المواجهة ، فلما التحم القتال ، وأيد الله المؤمنين [ ][١٠] بألف من الملائكة مردفين ، بقي حزب الكفار[١١] يرىٰ حزب [الإيمان ضعفيه][١٢] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرىٰ كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد

---

(١٧٠) - تفسير ابن جرير (٥٧٢/١٣) رقم (١٦١٥٦) .

(١٧١) - تفسير ابن أبي حاتم (٩١٢٨/٥) .

(١٧٢) - تفسير ابن جرير (٥٧٣/١٣) رقم (١٦١٦٠) .

---

[١] - في ز : « أعينهم » .

[٢] - في ز : « إن » .

[٣] - في ت : « فيجرؤهم » .

[٤] - في ز : « جانبي » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « قال » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز : « حصص » .

[٩] - عند ابن جرير : «ليؤلف بينهم على الحرب» .

[١٠] - في ز : « بالملائكة » .

[١١] - في ز : « الإيمان » .

[١٢] - في ز : « الكفر ضعيف » .

بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين ؛ فإن كلًّا منها حق وصدق ولله الحمد والمنة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾

هذا تعليم من الله [تعالىٰ لعباده][١] المؤمنين ، آداب اللقاء ، وطريق الشجاعة عند مواجهة[٢] الأعداء فقال[٣] : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾** .

ثبت في الصحيحين(١٧٣) ، عن عبد الله بن أبي أوفىٰ ، عن[٤] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه[٥] انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدوّ ، حتى إذا مالت الشمس ؛ قام فيهم فقال : « **يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدوّ ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** » . ثم قام النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وقال : « **اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم** » .

وقال عبد الرزاق(١٧٤) : عن سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تتمنوا لقاء العدوّ ، واسألوا[٦] الله العافية ؛ فإذا لقيتموهم فاثبتوا ، واذكروا الله ، فإن [أجلبوا وضجوا][٧] فعليكم بالصمت[٨]** » .

---

(١٧٣) - صحيح البخاري رقم (٢٩٣٣ ، ٢٩٦٦ ، ٣٠٢٤ ، ٤١١٥ ، ٦٣٩٢ ، ٧٤٨٩) وصحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير رقم (١٧٤٢) .

(١٧٤) - مصنف عبد الرزاق برقم (٩٥١٨) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٥٣/٩) من طريق ابن وهب ، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٦٣/١٢) من طريق عبدة بن سليمان ، كلاهما عن عبد الرحمن بن زياد به .

---

[١] - في ز : « عباده » .
[٢] - في ز : « مواجهته » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « أن » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في ز : « وسلوا » .
[٧] - في ز : « جلبوا وصبحوا » .
[٨] - في ز : « الضمت » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني (١٧٥) : حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوي ، حدثنا أمية بن بسطام ، حدثنا معتمر بن سليمان ، حدثنا[١] ثابت بن زيد ، عن رجل ، عن زيد بن أرقم ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، مرفوعًا[٢] قال : « **إن اللّٰه يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنازة** » .

وفي الحديث الآخر المرفوع(١٧٦) يقول اللّٰه تعالىٰ : « **إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني ، وهو مناجز قرنه** » أي : لا يشغله ذلك الحال عن ذكري ودعائي واستعانتي .

وقال سعيد بن أبي عروبة : عن قتادة في هذه الآية ، قال[٣] : افترض اللّٰه ذكره عند أشغل ما يكون ، عند الضرب[٤] بالسيوف .

وقال ابن أبي حاتم(١٧٧) : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : وجب الإنصات [وذكر اللّٰه][٥] عند الزحف ، ثم تلا هذه الآية ، قلت : يجهرون بالذكر ؟ قال : نعم .

وقال أيضًا(١٧٨): [قرئ على][٦] يونس بن عبد الأعلىٰ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني عبد اللّٰه بن [ ][٧] [عياش][٨] ، عن يزيد بن قوذر[٩] ، عن كعب الأحبار قال : ما من شيء أحب إلىٰ اللّٰه تعالىٰ من قراءة القرآن والذكر ، ولولا[١٠] ذلك ما أمر الناس بالصلاة والقتال ؛ ألا ترون أنه أمر الناس بالذكر عند القتال ، فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا اللّٰه كثيرًا لعلكم تفلحون** ﴾ .

قال الشاعر :

---

(١٧٥) - المعجم الكبير (٢١٣/٥) وفيه راوٍ لم يسم .

(١٧٦) - رواه الترمذي في السنن برقم (٣٥٨٠) من طريق عفير بن معدان ، عن أبي دوس اليحصبي ، عن ابن عائذ ، عن عمارة بن زعكرة مرفوعًا ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، ليس إسناده بالقوي ، ولا نعرف لعمارة بن زعكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث الواحد » .

(١٧٧) - تفسير ابن أبي حاتم (٩١٣٣/٥) .

(١٧٨) - تفسير ابن أبي حاتم (٩١٣٢/٥) .

---

[١] - في ز ، خ : « بن » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « وقال » .

[٤] - في ز : « الضراب » .

[٥] - في ز : « والذكر » .

[٦] - في خ : « قرأ عليَّ » .

[٧] - ما بين المعكوفين في ت : « عبد الله » .

[٨] - في ز : « عباس » .

[٩] - في ز : « فوذر » .

[١٠] - في ز : « وأولى » .

ذكرتك والخطيّ يخطر بيننا وقد نهلت فينا المثقفة السمر

وقال عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل[١] مني[٢] وبيض[٣] الهند تقطر من دمي

فأمر تعالىٰ بالثبات عند[٤] قتال الأعداء ، والصبر علىٰ مبارزتهم ، فلا يفروا ، ولا ينكلوا ، ولا يجبنوا ، وأن يذكروا اللّٰه في تلك الحال ، ولا ينسوه ، بل يستعينوا به ويتوكلوا[٥] عليه ، ويسألوه[٦] النصر علىٰ أعدائهم ، وأن يطيعوا اللّٰه ورسوله في حالهم ذلك : فما أمرهم اللّٰه تعالىٰ به ائتمروا ، وما نهاهم عنه انزجروا ، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضًا فيختلفوا ؛ فيكون سببًا لتخاذلهم وفشلهم .

﴿ **وتذهب ريحكم** ﴾ أي : قوتكم[٧] وحدتكم ، وما كنتم فيه من الإقبال ، ﴿ **واصبروا إن اللّٰه مع الصابرين** ﴾ .

وقد كان للصحابة[٨] -رضي اللّٰه عنهم- في باب الشجاعة والائتمار [بما أمرهم اللّٰه ورسوله][٩] وامتثال ما أرشدهم إليه ، ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم ، ولا يكون لأحد ممن بعدهم ؛ فإنهم ببركة الرسول ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، وطاعته فيما أمرهم ، فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة ، مع قلة عددهم بالنسبة إلىٰ جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم . قهروا الجميع حتىٰ علت كلمة اللّٰه وظهر دينه علىٰ سائر الأديان ، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، في أقل من ثلاثين سنة ، فرضي اللّٰه عنهم وأرضاهم أجمعين ، وحشرنا في زمرتهم إنه كريم وهاب .

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ

---

[١] - في ز : « شواجر » .
[٢] - في ز ، خ : « فينا » .
[٣] - في ز : « فبيض » .
[٤] - في ز ، خ : « في » .
[٥] - في ز : « ويتكلوا » .
[٦] - في ز : « يسالونه » .
[٧] - في ز : « قربكم » .
[٨] - في ز ، خ : « الصحابة » .
[٩] - في ز : « بأوامر اللّٰه » ، خ : « بما أمر اللّٰه » .

ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

يقول تعالىٰ بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله ، وكثرة ذكره ، ناهيًا لهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم ﴿بطرًا﴾ ، أي : دفعًا للحق ، ﴿ **ورئاء الناس** ﴾ وهو المفاخرة والتكبر عليهم ، كما قال أبو جهل لما قيل له : إن العير قد نجا فارجعوا ، فقال : لا[١] والله ، لا نرجع حتىٰ نرد ماء بدر ، وننحر الجزر ، ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان ، وتتحدث العرب بمكاننا [فيها يومنا][٢] أبدًا ؛ فانعكس ذلك عليه أجمع ، لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحِمام ، ورموا[٣] في أطواء[٤] بدر مهانين أذلاء ؛ صغرة أشقياء في عذاب سرمدي أبدي ، ولهذا قال : ﴿ **والله بما يعملون محيط** ﴾ أي : عالم بما جاءوا به وله ، ولهذا جازاهم عليه[٥] شر الجزاء لهم .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس** ﴾ قالوا : هم المشركون الذين قاتلوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوم بدر . وقال محمد بن كعب : لما خرجت قريش من مكة إلىٰ بدر خرجوا بالقيان والدفوف ، فأنزل الله : ﴿ **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم** ﴾ الآية ، حسن لهم ، لعنه الله ، ما جاءوا له ، وما هموا به ، وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس ، ونفىٰ عنهم الخشية من أن يؤتوا في ديارهم من عدوهم بني بكر ، فقال : إني[٦] جار لكم ، وذلك أنه تبدىٰ لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين كذا في الأصول ، لعل الصواب : « فيهابوننا » ، كما سبق في (ص ٨١) من هذا الجزء .

[٣] - في ت : « وركموا » .

[٤] - في خ : « أطوار » .

[٥] - في ز : « على ذلك » .

[٦] - في ز : « أنا » .

سيد بني مدلج ، كبير تلك الناحية ، وكل ذلك منه كما قال تعالىٰ عنه : ﴿ **يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا** ﴾ .

قال ابن جريج[١] : قال ابن عباس في هذه الآية : لما كان يوم بدر سار إبليس[٢] برايته وجنوده مع المشركين ، وألقىٰ في قلوب المشركين أن أحدًا لن يغلبكم ، وإني جار لكم ، فلما التقوا ، ونظر الشيطان إلىٰ إمداد الملائكة ﴿ **نكص علىٰ عقبيه** ﴾ قال : رجع مدبرًا ، وقال : ﴿ **إني أرىٰ ما لاترون** ﴾ الآية .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : جاء إبليس يوم بدر ، في جند من الشياطين ، معه رايته في صورة رجل من بني[٣] مدلج ، والشيطان في صورة سراقة بن مالك ابن جعشم ، فقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم ، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قبضة من التراب ، فرمىٰ بها في وجوه المشركين ، فولوا مدبرين ، وأقبل جبريل - عليه السلام - إلىٰ إبليس ؛ فلما رآه ، وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ، ثم ولىٰ مدبرًا هو[٤] وشيعته ، فقال الرجل : يا سراقة ، أتزعم أنك لنا جار فقال : ﴿ **إني أرىٰ ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ ، وذلك حين رأىٰ الملائكة .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أن إبليس خرج مع قريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، فلما حضر القتال ورأىٰ الملائكة ﴿ **نكص علىٰ عقبيه وقال إني بريء منكم** ﴾ فتشبث به الحارث بن هشام ، فنخر[٥] في وجهه فخر صعقًا ، فقيل له : ويلك يا سراقة ، علىٰ هذه الحال تخذلنا وتبرأ منا ، فقال : ﴿ **إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ .

وقال محمد بن عمر الواقدي (١٧٩) : أخبرني عمر بن عقبة ، عن شعبة مولىٰ ابن عباس ، عن ابن عباس قال : لما تواقف الناس أغمي علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ساعة ، ثم كشف عنه ؛ فبشر الناس بجبريل في جند من الملائكة ميمنة الناس ، وميكائيل في جند آخر ميسرة الناس ، وإسرافيل في جند آخر ألف ، وإبليس قد تصور في صورة سراقة ابن مالك بن جعشم المدلجي يدبر المشركين ، ويخبرهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس ،

(١٧٩) - المغازي للواقدي (٧٠/١) .

[١] - في ت : « جرير » .
[٢] - في ز ، خ : « الجيش » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « فبحر » .

فلما أبصر عدو الله الملائكة ﴿ **نكص علىٰ عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرىٰ ما لا ترون** ﴾ فتشبث به الحارث بن هشام ، وهو يرىٰ أنه سراقة لما سمع من كلامه ، فضرب في صدر الحارث ، فسقط الحارث ، وانطلق إبليس لا يرىٰ حتىٰ سقط في البحر ، ورفع ثوبه ، وقال : يارب موعدك الذي وعدتني .

وفي الطبراني(١٨٠) عن رفاعة بن رافع قريب من هذا[١] السياق ، و[٢]أبسط منه ذكرناه في السيرة .

وقال محمد بن إسحاق(١٨١) : حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت[٣] قريش المسير[٤] ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب ؛ فكاد ذلك أن يثنيهم ، فتبدىٰ لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : أنا جار لكم أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه ؛ فخرجوا سراعًا .

قال محمد بن إسحاق(١٨٢) : فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة ابن مالك ، لا ينكرونه حتىٰ إذا كان يوم بدر ، والتقىٰ الجمعان ، كان الذي رآه حين نكص الحارث بن هشام أو عمير بن وهب ، فقال : أين [أي][٥] سراقة ؟ ومثل[٦] عدو الله فذهب . قال : فأوردهم ثم أسلمهم ، قال : ونظر عدو الله إلىٰ جنود الله قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين ﴿ **فنكص[٧] علىٰ عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرىٰ ما لا ترون** ﴾ وصدق عدو الله ، وقال : ﴿ **إني أخاف الله والله شديد العقاب** ﴾ ، وهكذا روي عن السدي ، والضحاك ، والحسن البصري ، ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم رحمهم الله .

وقال قتادة : وذكر لنا أنه رأىٰ جبريل عليه السلام ، تنزل معه الملائكة ؛ فعلم عدو الله أنه لا يدان له بالملائكة ؛ فقال : ﴿ **إني أرىٰ ما لا ترون إني أخاف الله** ﴾ وكذب عدو الله . والله ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له ، ولا منعة ، وتلك عادة عدو الله لمن

---

(١٨٠) - المعجم الكبير (٥/٤٢) من طريق عبد العزيز بن عمران عن رفاعة بن يحيى بن معاذ بن رفاعة عن رفاعة بن رافع ، رضي الله عنه ، وقال الهيثمي في المجمع (٦/٨٢) : « وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف » .

(١٨١) - تفسير الطبري (١٤/٨) رقم (١٦١٨٥) .

(١٨٢) - السيرة النبوية (١/٦١٣) وتفسير ابن جرير (١٤/٨، ٩) رقم (١٦١٨٥ ، ١٦١٨٦) .

---

[١] - في ت : « هذه » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز ، خ : « اجتمعت » .

[٤] - في ز : « للمسير » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « أين » .

[٦] - في ز ، خ : « وميل » .

[٧] - في ز : « انتكص » .

أطاعه واستقاد له ، حتىٰ إذا التقىٰ الحق والباطل أسلمهم شر مسلم ، وتبرأ منهم عند ذلك .

قلت : يعني بعادته لمن أطاعه قوله تعالىٰ : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين** ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ **وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ .

وقال يونس بن بكير(١٨٣) ، عن محمد بن إسحاق ، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو[١] بن حزم ، عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما كف[٢] بصره يقول : لو كنت معكم الآن ببدر[٣] ، ومعي بصري ؛ لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك ولا أتمارىٰ .

فلما نزلت[٤] الملائكة ، ورآها إبليس ، وأوحىٰ الله إليهم إني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، وتثبيتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه ، فيقول له : أبشر فإنهم ليسوا بشيء ، والله معكم ، كروا[٥] عليهم ، فلما رأىٰ إبليس الملائكة ﴿ **نكص علىٰ عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرىٰ ما لا ترون** ﴾ وهو في صورة سراقة ، وأقبل أبو جهل يحضض[٦] أصحابه ويقول : لا يهولنكم خذلان سراقة إياكم ؛ فإنه كان علىٰ موعد من محمد وأصحابه . ثم قال : واللات والعزىٰ لا نرجع حتىٰ نقرن محمدًا وأصحابه في الحبال ؛ فلا تقتلوهم وخذوهم أخذًا . وهذا من أبي جهل - لعنه الله - كقول فرعون للسحرة لما أسلموا : ﴿ **إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها** ﴾ . وكقوله : ﴿ **إنه لكبيركم الذي علمكم السحر** ﴾ وهو من باب البهت والافتراء ؛ ولهذا كان أبو جهل فرعون هذه الأمة .

وقال مالك بن أنس(١٨٤) ، عن إبراهيم بن أبي عبلة[٧] ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **ما رؤي[٨] إبليس يومًا[٩] هو فيه**

(١٨٣) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٦٣٣/١) .
(١٨٤) - الموطأ كتاب الحج (٤٢٢/١) حديث (٢٤٥) .

[١] - في ز ، خ : « عمر » .
[٢] - في ز ، خ : « أصيب » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « أنزلت » .
[٥] - في خ : « فكروا » .
[٦] - في خ : « عضض » .
[٧] - في ز ، خ : « علية » وهو تحريف .
[٨] - في ز : « رأى » .
[٩] - في ز : « في يوم » .

أصغر ، ولا أحقر ، ولا أدحر ، ولا أغيظ [منه في][١] يوم عرفة ، وذلك مما يرىٰ من تنزل[٢] الرحمة ، والعفو عن[٣] الذنوب ، إلا ما رأىٰ[٤] يوم بدر » قالوا : يا رسول اللّٰه ، وما رأىٰ يوم بدر ؟ قال : **« أما إنه رأىٰ جبريل - عليه السلام - يزع الملائكة »** .

هذا مرسل من هذا الوجه .

وقوله : **﴿ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ﴾** قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية : قال : لما دنا القوم بعضهم من بعض ، قلل اللّٰه المسلمين في أعين المشركين ، وقلل المشركين في أعين المسلمين ، فقال المشركون : غرّ هؤلاء دينهم ؛ وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم ؛ فظنوا[٥] أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك ، فقال اللّٰه : **﴿ ومن يتوكل علىٰ اللّٰه فإن اللّٰه عزيز حكيم ﴾** .

وقال قتادة رأوا عصابة من المؤمنين تشدّدت لأمر اللّٰه ، وذكر لنا أن أبا جهل عدو اللّٰه ، لما أشرف علىٰ محمد ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأصحابه قال : واللّٰه لا يعبدون[٦] اللّٰه بعد اليوم - قسوة وعتوًّا .

وقال ابن جريج في قوله : **﴿ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴾** : هم قوم كانوا من المنافقين [ ][٧] بمكة قالوه يوم بدر .

وقال عامر الشعبي : كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالإسلام ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ؛ فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : غرّ هؤلاء دينهم .

وقال مجاهد في قوله -عز وجل- : **﴿ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ﴾** قال : فئة من قريش ؛ أبو[٨] قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه ابن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب ، وعلي بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة ، وهم علىٰ الارتياب فحبسهم ارتيابهم ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قالوا : غر هؤلاء دينهم ، حتىٰ قدموا علىٰ ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم .

---

[١] - في ز ، خ : « من » .
[٢] - في خ : « نزول » .
[٣] - في ز ، خ : « من » .
[٤] - في ز : « رى » .
[٥] - في ز : « وظنوا » .
[٦] - في ز : « يعبدوا » ، وسقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « كانوا » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

وكذا[١] قال محمد بن إسحاق بن يسار سواء .

وقال ابن جرير(١٨٥) : حدثنا محمد بن عبد الأعلىٰ[٢] ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن في هذه الآية ، قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين ، قال معمر : وقال[٣] بعضهم : هم قوم كانوا أقروا بالإسلام وهم [ ][٤] بمكة ، فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين ، قالوا : غر هؤلاء دينهم .

وقوله : ﴿ **ومن يتوكل علىٰ الله** ﴾ أي : يعتمد علىٰ جنابه ، ﴿ **فإن الله عزيز** ﴾ أي : لا يضام من التجأ إليه ، فإن الله عزيز منيع الجناب عظيم السلطان ﴿ **حكيم** ﴾ في أفعاله لا يضعها إلا في مواضعها ، فينصر من يستحق النصر ، ويخذل من هو أهل لذلك .

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ : ولو عاينت يا محمد ، حال توفي الملائكة أرواح الكفار ؛ لرأيت أمرًا عظيمًا هائلًا فظيعًا منكرًا إذ ﴿ **يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ [ويقولون لهم][٥] : ﴿ **ذوقوا عذاب الحريق** ﴾ .

قال ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ **وأدبارهم** ﴾ أستاههم ، قال : يوم بدر .

قال ابن جريج : قال ابن عباس : إذا أقبل المشركون بوجوههم إلىٰ المسلمين ؛ ضربوا وجوههم بالسيوف ، وإذا ولوا أدركتهم[٦] الملائكة فضربوا[٧] أدبارهم .

و[٨]قال ابن أبي نجيح عن مجاهد في[٩] قوله : ﴿ **إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ يوم بدر .

---

(١٨٥) - تفسير ابن جرير (١٣/١٤ - ١٤) حديث (١٦١٩٦) .

---

[١] - في ز : « هكذا » .
[٢] - في ز : « الا » ، خ : « الألي » .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « قوم » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « ضربتهم » .
[٧] - في خ : « يضربون » .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز ، خ .

وقال وكيع ، عن سفيان الثوري ، عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير ، عن مجاهد ، و[١]عن شعبة ، عن يعلىٰ بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ﴿ **يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ قال : وأستاههم ، ولكن الله يكني .

وكذا قال عمر مولىٰ غفرة[٢] .

وعن الحسن البصري قال : قال رجل : يا رسول الله ، إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك[٣] ، قال : [ما ذاك ؟][٤] قال : « **ذاك[٥] ضرب الملائكة** » .

رواه ابن جرير(١٨٦) وهو مرسل .

وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر ولكنه عام في حق كل كافر ؛ ولهذا لم يخصصه تعالىٰ بأهل بدر . بل[٦] قال تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ وفي سورة القتال مثلها ، وتقدم في سورة الأنعام قوله تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم** ﴾ أي : باسطو أيديهم بالضرب فيهم يأمرونهم ، إذا[٧] استصعبت أنفسهم ، وامتنعت من الخروج من الأجساد ، أن تخرج قهرًا ، وذلك إذ[٨] بشروهم بالعذاب والغضب من الله ، كما في حديث البراء : أن ملك الموت إذا جاء الكافر عند احتضاره في تلك الصورة[٩] المنكرة يقول : اخرجي أيتها النفس الخبيثة ، إلىٰ سموم وحميم وظل من يحموم ؛ فتفرق في بدنه ، فيستخرجونها من جسده ، كما يخرج السفود من الصوف المبلول ، فتخرج[١٠] معها العروق والعصب . ولهذا أخبر تعالىٰ أن الملائكة تقول لهم : ﴿ **ذوقوا عذاب الحريق** ﴾ .

[وقوله تعالىٰ][١١] : ﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم** ﴾ أي : هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا ، جزاكم[١٢] الله بها هذا الجزاء ﴿ **وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾ أي : لا يظلم أحدًا من خلقه ، بل هو الحكم العدل الذي لايجور تبارك

---

(١٨٦) - تفسير ابن جرير (١٤/١٦ - ١٧) رقم (١٦٢٠٥) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « عفرة » .
[٣] - في ز ، خ : « الشوك » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في خ : « إذ » .
[٨] - في خ : « إذا » .
[٩] - في ز ، خ : « الصور » .
[١٠] - في ز : « فيخرج » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٢] - في ت : « جازاكم » .

وتعالىٰ وتقدس وتنزه الغني الحميد ؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عند مسلم(١٨٧) - رحمه الله - من رواية أبي ذر رضي الله عنه ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله تعالىٰ يقول : « يا عبادي ، إني حرمت الظلم علىٰ نفسي ، وجعلته بينكم محرمًا ؛ فلا تظالموا ، يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ؛ فمن وجد خيرًا ؛ فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك ؛ فلا يلومن إلا نفسه** » ولهذا قال تعالىٰ :

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ﴾

يقول تعالىٰ : فعل هؤلاء [المشركون المكذبون][١] ، بما أرسلت به يا محمد ، كما فعل الأمم المكذبة قبلهم ؛ ففعلنا بهم ما هو دأبنا ، أي : عادتنا وسنتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسل ، الكافرين بآيات الله : ﴿ **فأخذهم**[٢] **الله بذنوبهم** ﴾ [أي : بسبب ذنوبهم][٣] [أهلكهم، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر][٤] ، ﴿ **إن الله قوي شديد العقاب** ﴾ أي[٥] : لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ (٥٤) ﴾

يخبر تعالىٰ عن تمام عدله وقسطه في حكمه ، بأنه تعالىٰ لا يغير نعمة أنعمها علىٰ أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** ﴾ . [وقوله : ﴿ **كدأب آل فرعون** ﴾ أي][٦] : كصنعه بآل فرعون وأمثالهم ، حين كذبوا بآياته أهلكهم بسبب ذنوبهم ، وسلبهم تلك النعم التي أسداها[٧] إليهم ، من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام

(١٨٧) - صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧) .

[١] - في ز ، خ : « المشركين المكذبين » .

[٢] - في ز : « أخذهم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٧] - في خ : « أزداها » .

كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وما ظلمهم الله في ذلك ؛ بل كانوا هم الظالمين .

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧)﴾

أخبر تعالىٰ أن شر مادب علىٰ وجه الأرض ، هم الذين كفروا ، فهم لا يؤمنون . الذين كلما عاهدوا عهدًا نقضوه[١] ، وكلما أكدوه بالأيمان نكثوه ، ﴿ **وهم لا يتقون** ﴾ أي : لا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الآثام .

﴿ **فإما تثقفنهم في الحرب** ﴾ أي : تغلبهم وتظفر بهم في حرب : ﴿ **فشرد بهم من خلفهم** ﴾ أي : نكل بهم ، قاله ابن عباس ، والحسن البصري ، والضحاك ، والسدي ، وعطاء الخراساني وابن عيينة ، ومعناه : غلظ عقوبتهم ، وأثخنهم قتلًا ؛ ليخاف من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم ، ويصيروا لهم عبرة : ﴿ **لعلهم يذكرون** ﴾ .

و[٢]قال السدي : يقول : لعلهم يحذرون أن ينكثوا[٣] ؛ فيصنع بهم مثل ذلك .

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)﴾

يقول تعالىٰ لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وإما تخافن من قوم** ﴾ قد عاهدتهم ﴿ **خيانة** ﴾ ، أي : نقضًا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود ، ﴿ **فانبذ إليهم** ﴾ أي : عهدهم ﴿ **علىٰ سواء** ﴾ ، أي : أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم ، حتىٰ يبقىٰ علمك وعلمهم بأنك حرب لهم ، وهم حرب لك ، وأنه لا عهد بينك وبينهم علىٰ السواء ، أي : تستوي أنت وهم في ذلك قال الراجز :

فاضرب وجوه الغدر للأعداء[٤] حتىٰ يجيبوك إلىٰ السواء(١٨٨)

وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله تعالىٰ : ﴿ **فانبذ إليهم علىٰ سواء** ﴾ أي : علىٰ

(١٨٨) - الرجز في تفسير ابن جرير (٢٧/١٤) .

[١] - في خ : « نبذوه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « ينكبوا » .
[٤] - في ز : « الأعداء » .

مهل . ﴿ إن الله لا يحب الخائنين ﴾ أي : حتىٰ ولو في حق الكفار[١] لا يحبها أيضًا .

قال الإمام أحمد(١٨٩) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي الفيض ، عن سليم بن عامر قال : كان معاوية يسير في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد[٢] ، فأراد أن يدنو منهم ، فإذا انقضىٰ الأمد ؛ غزاهم ، فإذا شيخ علىٰ دابة يقول : الله أكبر الله أكبر وفاءً لا غدرًا[٣] ؛ إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ومن كان بينه وبين قوم عهد ؛ فلا يحلن عقدة ، ولا يشدها حتىٰ ينقضي أمدها ، أو ينبذ إليهم علىٰ سواء** » قال : فبلغ ذلك معاوية ، فرجع ؛ فإذا[٤] الشيخ[٥] عمرو بن عبسة[٦] - رضي الله عنه - .

وهذا الحديث رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة ، وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه ، من طرق ، عن شعبة به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٩٠) : حدثنا محمد بن عبد الله الزبيري ، حدثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب، عن أبي البختري[٧] ، عن سلمان - يعني الفارسي رضي الله عنه - أنه انتهىٰ إلىٰ حصن أو مدينة ، فقال لأصحابه : دعوني[٨] أدعوهم[٩] ؛ كما رأيت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يدعوهم ؛ فقال : إنما كنت رجلًا منكم ، فهداني الله - عز وجل - للإسلام ، فإن أسلمتم فلكم مالنا ، وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون ، وإن[١٠] أبيتم نابذناكم علىٰ سواء : ﴿ إن الله لا يحب الخائنين ﴾ يفعل ذلك بهم ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بعون الله .

---

(١٨٩) - مسند أحمد (١١١/٤) رقم (١٧٠٦٥) ، ومسند الطيالسي برقم (١١٥٥) وسنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب : الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه برقم (٢٧٥٩) وسنن الترمذي كتاب السير ، باب : ما جاء في الغدر (١٢١/٤) حديث (١٥٨٠) . وقال أبو عيسى : حسن صحيح ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨٧٣٢) ورواه البيهقي (٢٣١/٩) . وصححه الألباني في صحاح السنن المذكورة .

(١٩٠) - المسند (٤٤٠/٥) رقم (٢٣٨٣٣) ورواه الترمذي في السنن كتاب السير ، باب : ما جاء في الدعوة قبل القتال برقم (١٥٤٨) من طريق أبي عوانة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي البختري به نحوه ، وقال : « حديث سلمان حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث عطاء بن السائب ، وسمعت محمدًا يقول : أبو البختري لم يدرك سلمان ؛ لأنه لم يدرك عليًا ، وسلمان مات قبل علي » .

---

[١] - في ز : « الكافرين » .
[٢] - في ز : « أمدًا » .
[٣] - في ز : « غدر » .
[٤] - في ز : « وإذا » .
[٥] - في خ : « بالشيخ » .
[٦] - في ز ، خ : « عنبسة » .
[٧] - في ز : « البحتري » .
[٨] - في ز ، خ : « ادعوني » .
[٩] - في خ : « أدعوكم » .
[١٠] - في ز : « فإن » .

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**ولا تحسبن**﴾ -يا محمد- ﴿**الذين كفروا سبقوا**﴾، أي: فاتونا فلا نقدر عليهم، بل هم[١] تحت قَهْر قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا، كما قال تعالى: ﴿**أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون**﴾، أي: يظنون، وقال تعالى: ﴿**لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير**﴾ وقال تعالى: [ ][٢] ﴿**لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد. متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد**﴾ ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم**﴾، أي: مهما أمكنكم، ﴿**من قوة ومن رباط الخيل**﴾.

قال[٣] الإمام أحمد(١٩١) : حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو ابن الحارث، عن أبي علي ثمامة بن شُفَيّ[٤]، [أنه سمع][٥] عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي.

رواه مسلم، عن هارون بن معروف، وأبو داود عن سعيد بن منصور، وابن ماجه عن يونس بن عبد الأعلى، ثلاثتهم عن عبد الله بن وهب، به.

ولهذا الحديث طرق أخر(١٩٢) عن عُقْبَة بن عامر، منها ما رواه الترمذي، من حديث

(١٩١) - المسند (٤/١٥٦) رقم (١٧٤٧٩)، وصحيح مسلم كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي والحث عليه برقم (١٩١٧)، وسنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب: في الرمي برقم (٢٥١٤)، وسنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب: الرمي في سبيل الله (٢/٩٤٠) حديث (٢٨١٣). والدارمي في كتاب الجهاد، باب: في فضل الرمي والأمر به (٢/٢٠٤). وأبو داود الطيالسي في مسنده (١١٨٢).

(١٩٢) - سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب: ومن سورة الأنفال (٥/٢٥٢) حديث (٣٠٨٣). =

[١] - سقط من: خ.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز: «و».

[٣] - سقط من: ز.

[٤] - في ز: «سقى».

[٥] - في ز: «ابن»، خ: «أخي».

صالح بن كيسان، عن رجل، عنه.

وروى الإمام أحمد وأهل السنن(١٩٣)، عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**ارموا واركبوا، وأن تَرْمُوا خيرٌ[١] من أن تركبوا**».

وقال الإمام مالك(١٩٤)، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح السَّمان، عن أبي هريرة - رضي الله عنه: أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «**الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر؛ فأما الذي له أجر فرجل رَبَطَها في سبيل الله، فأطال لها في مَرْجٍ[٢] أو روضة، فما أصابت في طيلَها ذلك من[٣] المرج أو[٤] الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قَطَعت طيلَها فاستَنَّتْ شَرَفًا أو شَرَفين، كانت آثارها وأرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه، ولم يُرِد أن يَسقى به، كان ذلك حسنات له؛ فهي لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تَغَنيًا[٥] وتعففًا، ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي له ستر. ورجل ربطها فخرًا ورياء ونواء فهي على ذلك وِزْر**».

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال: «**ما أنزل الله عليَّ فيها شيئًا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة[٦]: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره﴾**».

رواه البخاري - وهذا لفظه - ومسلم، كلاهما من حديث مالك.

وقال الإمام أحمد(١٩٥): حدثنا حجاج، أخبرنا شريك، عن الركين[٧] بن الربيع، عن القاسم بن حسان؛ عن عبد الله بن مسعود، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**الخيل ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الرحمن**

= وقال: «صالح بن كيسان لم يدرك عقبة بن عامر، وقد أدرك ابن عمر».

(١٩٣) - المسند (١٤٤/٤) رقم (١٧٣٤٨)، ورواه الترمذي حديث (١٦٣٧). وابن ماجه في كتاب الجهاد، باب: الرمي في سبيل الله (٩٤٠/٢) حديث (٢٨١١)، والحاكم في المستدرك في كتاب الزكاة (٤١٧/١ - ٤١٨).

(١٩٤) - الموطأ (٤١٤/٢) ومن طريقه البخاري في صحيحه برقم (٢٣٧١) وأما مسلم فرواه من طريق حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم عن أبي صالح به برقم (٩٨٧).

(١٩٥) - المسند (٣٩٥/١).

[١] - في ز، خ: «خيرًا».
[٢] - في ز، خ: «مرح».
[٣] - في ز، خ: «في».
[٤] - في ز: «و».
[٥] - في ز، خ: «بغناء».
[٦] - في ز: «الفادة».
[٧] - في ز: «الدكين».

فالذي يربط في سبيل اللَّه، فعلفه وروثه وبوله، وذكر ما شاء اللَّه. وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنها، فهي ستر من فَقْر».

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن الرمي أفضل من ركوب الخيل، وذهب الإمام مالك رضى الله عنه إلى أن الركوب أفضل من الرمي، وقول الجمهور أقوى للحديث، واللَّه أعلم.

وقال الإمام أحمد(١٩٦): حدثنا حجاج وهشام قالا: حدثنا ليث؛ حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شُماسة؛ أن معاوية بن حُديج[١] مَرّ على أبي ذَرّ، وهو قائم عند فرس له، فسأله ما تعالج من فرسك هذا؟ فقال: إني أظن أن هذا الفرس قد استجيب له دعوته! قال: وما دعاء بهيمة من البهائم؟ قال: والذي نفسي بيده، ما من فرس إلا وهو يدعو كل سحر فيقول: اللهم؛ أنت خَوَّلتني عبدًا من عبادك، وجعلتَ رزقي بيده، فاجعلني أحبّ إليه من أهله وماله وولده.

قال: وحدثنا يحيى بن سعيد، عن عبد الحميد بن جعفر؛ حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن سويد بن قيس، عن معاوية بن حُديج[٢]؛ عن أبي ذر -رضي اللَّه عنه- قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**إنه ليس من فرس عربي إلا يُؤذن له مع كل فجر، يدعو بدعوتين، يقول: اللهم، إنك خوّلتني من خولتني من بني آدم، فاجعلني من أحب أهله وماله إليه- أو: أحب أهله وماله إليه**».

رواه النسائي(١٩٧)، عن عمرو بن عليٍّ الفَلاس، عن يحيى القطان، به.

وقال أبو القاسم الطبراني(١٩٨): حدثنا الحسين بن إسحاق التُستريّ، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا المطعم بن المقدام الصنعاني، عن الحسن بن أبى الحسن أنه قال لابن الحنظلية- يعني سهلًا-: حَدِّثنا حديثًا سمعته من رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، فقال: سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول: «**الخيل معقود في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، ومن ربط فرسًا في سبيل اللَّه كانت النفقة عليه، كالمادّ يده بالصدقة لا يقبضها**».

---

(١٩٦) - المسند (١٦٢/٥) رقم (٢١٥٢٣).

(١٩٧) - المسند (١٧٠/٥) رقم (٢١٥٧٨) وسنن النسائي (٢٢٣/٦).

(١٩٨) - المعجم الكبير (٩٨/٦).

---

[١] - في خ: «خديج». [٢] - في ز، خ: «خديج».

والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة، وفي صحيح البخاري، عن عُرْوَةَ بن أبي الجعد البارقي؛ أن رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، قال: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجرُ والمغنم**»(١٩٩).

وقوله: ﴿**ترهبون**﴾، أي: تخوفون ﴿**به عدو اللَّه وعدوكم**﴾ أي: من الكفار ﴿**وآخرين من دونهم**﴾ - قال مجاهد: يعني «**قريظة**». وقال السدي: «**فارس**»، وقال سفيان الثوري: قال ابن يمان[١]: «**هم الشياطين التي في الدور**». وقد ورد حديث بمثل ذلك، قال ابن أبي حاتم(٢٠٠):

حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج الحمصي، حدثنا أبو حيْوَة - يعنى شُرَيح بن يزيد المقرئُ - حدثنا سَعيد بن سنَان، عن ابن عَرِيب[٢] - يعني يزيد بن عبد اللَّه بن عرِيب[٣] - عن أبيه، عن جده؛ أن رسول اللَّه، صلى اللَّه عليه وسلم، كان يقول في قوله: ﴿**وآخرين من دونهم لا تعلمونهم**﴾، قال: هم الجن.

ورواه الطبراني(٢٠١)، عن إبراهيم بن دُحَيم؛ عن أبيه، عن محمد بن شعيب؛ عن سنان ابن سعيد بن سنان؛ عن يزيد بن عبد اللَّه بن عَرِيب[٤] به[٥]. وزاد: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: «**لا يُخْبل بيت فيه عتيق من الخَيل**».

وهذا الحديث منكر، لا يصح إسناده ولا مَتْنه.

وقال مقاتل بن حيان، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المنافقون.

وهذا أشبه الأقوال، ويشهد له قوله: ﴿**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم**﴾.

وقوله: ﴿**وما تنفقوا من شيء في سبيل اللَّه يوف إليكم وأنتم لا تظلمون**﴾، أي:

---

(١٩٩) - صحيح البخاري برقم (٢٨٥٠).

(٢٠٠) - ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده برقم (٦٥٠) «بغية الباحث» حدثنا داود بن رشيد عن أبي حيوة، به.

(٢٠١) - المعجم الكبير (١٧/١٨٨) ورواه أبو الشيخ في العظمة برقم (١٠٨٩): حدثنا ابن أبي عاصم عن دحيم به نحوه.

---

[١] - في خ: «غاز».

[٢] - في ز: «غريب».

[٣] - في ز، خ: «غريب».

[٤] - في ز، خ: «غريب».

[٥] - سقط من: ز.

مهما أنفقتم في الجهاد، فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال؛ ولهذا جاء في حديثٍ رواه أبو داود[٢٠٢]؛ أن الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل اللّه إلى سبعمائة ضعف، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّه كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة واللّه يضاعف لمن يشاء واللّه واسع عليم**﴾.

وقال ابن أبي حاتم[٢٠٣]: حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدَّشْتكي، حدثنا أبي، عن أبيه، حدثنا الأشعث بن إسحاق، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي، صلى اللّه عليه وسلم، أنه كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، حتى نزلت: ﴿**وما تنفقوا من شيء في سبيل اللّه يوف إليكم**﴾، فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين.

وهذا أيضًا غريب.

۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى: إذا خفت من قوم خيانة فانبذ إليهم عهدهم على سواء، فإن استمروا على حربك ومنابذتك فقاتلهم، ﴿**وإن جنحوا**﴾، أي: مالوا ﴿**للسَّلم**﴾، أي: المسالمة والمصالحة والمهادنة، ﴿**فاجنح لها**﴾، أي: فمل إليها، واقبل منهم ذلك، ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح، ووضع الحرب بينهم وبين رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، تسع سنين؛ أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر.

وقال عبد اللّه بن الإمام أحمد[٢٠٤]: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا فضيل بن سليمان - يعني النميري - حدثنا محمد بن أبي يحيى، عن إياس بن عمرو الأسلمي، عن

---

(٢٠٢) - سنن أبي داود برقم (٢٤٩٨) ولفظه: «إن الصلاة والصيام والذكر تضاعف على النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف» وقد تقدم نحو هذا اللفظ عند تفسير الآية: ٢٦١ من سورة البقرة من حديث عمران ابن حصين.

(٢٠٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٩١١٤/٥).

(٢٠٤) - زوائد المسند (٩٠/١) وقال الهيثمي في المجمع (٢٣٤/٧): «رجاله ثقات».

عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنه سيكون [بعدي]**[١] **اختلاف - أو: أمر - فإن استطعت أن يكون السّلم، فافعل**».

وقال مجاهد: نزلت في بني قريظة.

وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكتنف لهذا كله.

وقَوْلُ ابن عباس، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، وعكرمة، والحسن، وقتادة: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في «براءة»: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...**﴾ الآية - فيه نظر أيضًا؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفًا، فإنه تجوز مهادنتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، والله أعلم.

وقوله: ﴿**وتوكل على الله**﴾، أي: صالحهم وتوكل على الله، فإن الله كافيك وناصرك، ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا، ﴿**فإن حسبك الله**﴾، أي: كافيك وحده.

ثم ذكر نعمته عليه بما أيده به من المؤمنين المهاجرين والأنصار، فقال: ﴿**هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم**﴾، أي: جمعها على الإيمان بك، وعلى طاعتك ومناصرتك ومُوازرتك. ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألّفت بين قلوبهم**﴾، أي: لما كان بينهم من العداوة والبغضاء؛ فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، بين الأوس والخزرج، وأمور يلزم منها التسلسل في الشر، حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان، كما قال تعالى: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾.

وفي الصحيحين(٢٠٥) أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لما خَطَب الأنصار في شأن غنائم حُنَين قال لهم: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضُلالًا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وكنتم متفرقين فألّفكم الله بي**» - كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمَنّ.

---

(٢٠٥) - صحيح البخاري برقم (٤٣٣٠) وصحيح مسلم برقم (١٠٦١) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم، رضي الله عنه.

---

[١] - سقط من: خ.

ولهذا قال تعالى: ﴿ولكن اللَّه ألَّف بينهم إنه عزيز حكيم﴾، أي: عزيز الجناب. فلا يَخيب رجاء من توكل عليه، حكيم في أفعاله وأحكامه.

قال الحافظ أبو بكر البيهقي(٢٠٦): أخبرنا أبو عبد اللَّه الحافظ، أنبأنا[١] عليٌّ بن بشر الصيرفي القزويني في منزلنا، أنبأنا أبو عبد اللَّه محمد بن الحُسَين[٢] القنْديلي الأستراباذي، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن النعمان الصفار، حدثنا ميمون بن الحكم، حدثنا بكر بن الشرود، عن محمد بن مسلم الطائفي، عن إبراهيم بن ميسرة، عن طاوس، عن ابن عباس؛ قال: قرابة الرحم تقطع، ومنة النعمة تكفر، ولم يُرَ مثل تقارب القلوب؛ يقول اللَّه تعالى: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألَّفت بين قلوبهم﴾، وذلك موجود في الشعر:

إذا مَتّ[٣] ذُو القُرْبَى إليك برحْمه   فَغَشَّكَ واستَغْنى فَليس بذي رحْم
ولكن ذا القربى الذي إن دعوته   أجاب ومن يرمي[٤] العدو الذي تَرْمي

قال: ومن ذلك قول القائل:

وَلَقد صَحبتُ الناس ثُمَّ سَبَرْتُهم   وَبَلوت ما وَصَلوا من الأسْبَاب
فَإِذَا القَرَابةُ لا تُقَرِّبُ قَاطِعًا   وَإِذا المَوَدَّةُ أقْرَبُ الأسْبَاب

قال البيهقي: لا أدري هذا موصولًا بكلام ابن عباس، أو هو من قول من دونه من الرواة.

وقال أبو إسحاق السَّبِيعي، عن أبي الأحوص، عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه، سمعته يقول: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ...﴾ الآية. قال: هم المتحابون في اللَّه - وفي رواية: نزلت في المتحابين في اللَّه.

رواه النسائي والحاكم في مستدركه، [وقال: «صحيح][٥]»(٢٠٧).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس؛ قال: إن الرحم لتقطع، وإن النعمة لتكفر؛ وإن اللَّه إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء، ثم قرأ: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم﴾.

(٢٠٦) - شعب الإيمان للبيهقي برقم (٩٠٣٤).
(٢٠٧) - النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٢١٠) والمستدرك (٢/٣٢٩).

[١] - سقط من: خ.
[٢] - في خ: «الحسن».
[٣] - في خ: «بت».
[٤] - في خ: «وأن يرمى».
[٥] - سقط من: خ.

رواه الحاكم أيضًا(٢٠٨) .

وقال أبو عمرو الأوزاعي(٢٠٩) : حدثني عبدة بن أبي لبابة ، عن مجاهد - ولقيته فأخذ بيدي فقال : إذا تراءى المتحابان في الله ، فأخذ أحدهما بيد صاحبه ، وضحك إليه ، تحاتَّت خطاياهما كما يتَحاتّ[١] ورق الشجر . قال عبدة: فقلت له : إن هذا ليسير! . فقال: لا تقل ذلك ؛ فإن الله تعالى يقول : **﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم﴾**! . قال عبدة : فعرفت أنه أفقه مني .

وقال ابن جرير(٢١٠) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن يمان ، عن إبراهيم الخوزيّ ، عن الوليد بن أبي مغيث ، عن مجاهد قال : إذا التقى المسلمان فتصافحا غُفر لهما ، قال : قلت لمجاهد : بمصافحةٍ يغفر لهما ؟ فقال مجاهد : أما سمعته يقول : **﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾** ؟ فقال الوليد لمجاهد : أنت أعلم مني .

وكذا روى طلحة بن مصرف ، عن مجاهد .

وقال ابن عون ، عن عمير بن إسحاق قال : كنا نُحدّث : أول ما يرفع من الناس - أو قال : عن الناس - الألفة .

وقال الحافظ أبوالقاسم سليمان بن أحمد الطبراني(٢١١) -رحمه الله- حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ، حدثنا عبيد[٢] الله بن عمر القواريري ، حدثنا سالم بن غيلان ، سمعت جعدًا أبا عثمان ، حدثني أبو عثمان النهدي ، عن سلمان الفارسي أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « **إن المسلم إذا لقي أخاه المسلم ، فأخذ بيده ، تحاتَّت عنهما ذنوبهما ، كما يتَحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف ، وإلا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زَبَد البحار[٣]** » .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ

(٢٠٨) - المستدرك (٣٢٩/٢) .

(٢٠٩) - رواه ابن جرير في تفسيره (٤٦/١٤) رقم (١٦٢٦٠).

(٢١٠) - تفسير ابن جرير (٤٦/١٤) (١٦٢٥٩) .

(٢١١) - المعجم الكبير (٢٥٦/٦) وفيه : « مثل زبد البحر » وقال الهيثمي في المجمع (٣٧/٨) : « رجاله رجال الصحيح غير سالم بن غيلان وهو ثقة » .

[١] - في خ : « تحات » .

[٢] - في خ : « عبد » .

[٣] - في خ : « البحر » .

ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾

يحرض تعالى نبيه -صلوات الله وسلامه عليه- والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم، أي: كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين.

قال ابن أبي حاتم(٢١٢): حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم، حدثنا عبيد الله بن موسى، أنبأنا سفيان، عن[١] شوذب، عن الشعبي في قوله: ﴿**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**﴾، قال: حسبك الله، وحسب من شهد معك.

قال: وروي عن عطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن زيد مثله.

ولهذا قال: ﴿**يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال**﴾، أي: حثهم وذمّر[٢] عليه؛ ولهذا كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يحرّض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو، كما قال لأصحابه يوم بدر، حين أقبل المشركون في عَددِهم وعُدَدهم: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**». فقال عمير بن الحمام: عرضها السموات والأرض؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نعم**». فقال: بَخ بَخ، فقال: ما يحملك على قولك «**بخ بخ؟**» قال: رجاء أن أكون من أهلها! قال: «**فإنك من أهلها**». فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه، وأخرج ثمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيّتهن من يده، وقال: لئن أنا حييتُ حتى آكلهنّ إنها لحياة طويلة! ثم تقدم فقاتل حتى قتل، رضي الله عنه(٢١٣).

وقد رُوي عن سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير؛ أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر

---

(٢١٢) - تفسير ابن أبي حاتم (٥/٩١٣٤).

(٢١٣) - رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠١) من حديث أنس، رضي الله عنه.

---

[١] - بعدها في خ: «ابن».   [٢] - سقط من: خ.

ابن الخطاب، وكمل به الأربعون.

وفي هذا نظر؛ لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة، والله أعلم.

ثم قال تعالى مُبَشِّرًا للمؤمنين وآمرًا: ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا**﴾، كل واحد بعشرة[١]. ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة.

قال عبد الله بن المبارك، حدثنا جرير بن حازم، حدثني الزبير بن الخِرِّيت[٢]، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ قال: لما نزلت: ﴿**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين**﴾، شق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، ثم جاء التخفيف، فقال: ﴿**الآن خفف الله عنكم ...**﴾ إلى قوله: ﴿**يغلبوا مائتين**﴾، قال: خفف الله عنهم من العدة، ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.

وروى البخاري من حديث ابن المبارك نحوه (٢١٤).

وقال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس في هذه الآية قال: كتب عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين، ثم خفف الله عنهم، فقال: ﴿**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا**﴾، فلا ينبغي لمائة أن يفروا من مائتين.

وروى البخاري(٢١٥)، عن علي بن عبد الله، عن سفيان، به نحوه[٣].

وقال محمد بن إسحاق: حدثني ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفًا، فخفف الله عنهم، فنسخها بالآية الأخرى فقال: ﴿**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا**﴾... الآية، فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدو لهم لم ينبغ لهم أن يفروا من عدوهم، وإذا كانوا دون ذلك، لم يجب عليهم قتالهم، وجاز لهم أن يتحوزوا[٤] عنهم.

وروى علي بن أبي طلحة والعوفي، عن ابن عباس نحو ذلك. قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والحسن، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، والضحاك نحو

(٢١٤) - صحيح البخاري برقم (٤٦٥٣).
(٢١٥) - صحيح البخاري برقم (٤٦٥٢).

[١] - في خ: «لعشرة».
[٢] - في خ: «الحارث».
[٣] - في ز: «ونحوه».
[٤] - في خ: «يتجوزوا».

ذلك .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه ، من حديث المسيب بن شريك ، عن ابن عون ، عن نافع ، عن ابن عمر -رضي الله عنهما- : **﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾** قال : نزلت فينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وروى الحاكم في مستدركه[٢١٦] ، من حديث أبي عمرو بن العلاء ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قرأ : **﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا﴾** ، رفع . ثم قال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

قال الإمام أحمد[٢١٧] : حدثنا علي بن عاصم ، عن حميد ، عن أنس -رضي الله عنه- قال : استشار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الناس في الأسارى يوم بدر ، فقال : إن الله قد أمكنكم منهم. فقام عمر بن الخطاب، فقال : يا رسول الله ؛ اضرب أعناقهم. فأعرض عنه النبي ، صلى الله عليه وسلم، ثم عاد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « **يا أيها الناس، إن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس** » فقام عمر فقال: يا رسول الله ؛ اضرب أعناقهم. فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عاد النبي صلى الله عليه وسلم فقال للناس مثل ذلك ، فقام أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- فقال : يا رسول الله ، نرى أن تعفو عنهم ، وأن تقبل منهم الفداء . قال : فذهب عن وجه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما كان فيه من الغم ، فعفا عنهم ، وقبل منهم الفداء . قال : وأنزل الله -عز وجل- : **﴿لولا كتاب من الله سبق﴾** ... الآية .

وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس في صحيح مسلم بنحو ذلك .

وقال الأعمش[٢١٨] ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ؛ قال : لما كان

(٢١٦) - المستدرك (٢/٢٣٩) .

(٢١٧) - المسند (٣/٢٤٣) رقم (١٣٥٨١) .

(٢١٨) - المسند (١/٣٨٣) وسنن الترمذي برقم (٣٠٨٤) ، والمستدرك (٣/٢١) ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن وأبو عبيدة بن عبد الله لم يسمع من أبيه » .

يوم بدر قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسارى ؟ . قال : فقال أبو بكر : يا رسول اللَّه ، قومك وأهلك ، استبقهم واستتبهم ، لعل اللَّه أن يتوب عليهم . قال : وقال عمر : يا رسول اللَّه ؛ أخرجوك ، وكذبوك ، فقدمهم فاضرب أعناقهم . قال : وقال عبد اللَّه بن رواحة : [يا رسول اللَّه][١] ، أنت في وادٍ كثير الحطب ، فأضرم الوادي عليهم نارًا ، ثم ألقهم فيه . [قال : فقال العباس : قطعت رحمك][٢] قال : فسكت رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فلم يرد عليهم شيئًا ، ثم قام فدخل فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر . وقال ناس : يأخذ بقول عمر . وقال ناس : يأخذ بقول عبد اللَّه بن رواحة . ثم خرج عليهم رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : إن اللَّه ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، وإن اللَّه ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم - عليه السلام - قال : ﴿ **فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم** ﴾ ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى - عليه السلام - قال : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ ، وإن مثلك يا عمر مثل موسى - عليه السلام - قال : ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ ، وإن مثلك يا عمر كمثل نوح - عليه السلام - قال : ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا** ﴾ ، أنتم عالة فلا ينفلتن[٣] أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق . قال ابن مسعود : قلت : يا رسول اللَّه ، إلا سهيل بن بيضاء ، فإنه يذكر الإسلام ، فسكت رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارة من السماء مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم : إلا سهيل[٤] بن بيضاء . فأنزل اللَّه تعالى : ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى** ﴾ ... إلى آخر الآية .

رواه الإمام أحمد والترمذي ، من حديث أبي معاوية ، عن الأعمش ، والحاكم في مستدركه ، وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » .

وروى الحافظ أبوبكر بن مردويه ، عن عبد اللَّه بن عمر ، وأبي هريرة - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، نحوه ، وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري .

وروىٰ ابن مردويه أيضًا - واللفظ له - والحاكم في مستدركه (٢١٩) ، من حديث عبيد اللَّه ابن موسى : حدثنا إسرئيل ، عن إبراهيم بن مهاجر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر[٥] ؛ قال : لما

---

(٢١٩) - المستدرك (٢/٣٢٩) وقال الذهبي : « على شرط مسلم » .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « ينفكن » .
[٤] - في خ : « سهل » .
[٥] - بعده في خ : « عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

أسر الأسارى يوم بدر، أسر العباس فيمن أسر، أسره رجل من الأنصار، قال: وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه**» فقال له عمر: أفآتهم؟ قال: نعم. فأتى عمر الأنصار فقال لهم: أرسلوا العباس. فقالوا: لا، والله لا نرسله. فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، رضا؟ قالوا: فإن كان لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، رضا فخذه. فأخذه عمر فلما صار في يده قال له: يا عباس، أسلم، فوالله لأن تسلم أحب إليّ من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه إسلامك، قال: فاستشار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أبا بكر، فقال أبو بكر: عشيرتك. فأرسلهم، فاستشار عمر، فقال: اقتلهم. ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: ﴿**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**﴾ الآية.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال سفيان الثوري، عن هشام - هو ابن حسان - عن محمد بن سيرين، عن عبيدة، عن عليّ - رضي الله عنه - قال: جاء جبريل إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم بدر فقال: خيِّر أصحابك في الأسارى: إن شاءوا الفداء، وإن شاءوا القتل على أن يقتل منهم مقبلًا مثلهم. قالوا: الفداء ويقتل منا.

رواه الترمذي، والنسائي، وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري به(٢٢٠). وهذا حديث غريب جدًا.

وقال ابن عون، عن عبيدة، عن عليّ؛ قال(٢٢١): قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في أسارى يوم بدر: «**إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فاديتموهم واستمتعتم بالفداء، واستشهد منكم بعدتهم**» قال: فكان آخر السبعين ثابت بن قيس، قتل يوم اليمامة، رضي الله عنه.

ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مرسلًا، فالله أعلم(٢٢٢).

---

(٢٢٠) - سنن الترمذي برقم (١٥٦٧) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨٦٦٢) وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من حديث الثوري لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة».

(٢٢١) - رواه الحاكم في المستدرك (٢/١٤٠) والبيهقي في دلائل النبوة (٣/١٣٩) من طريق إبراهيم بن عرعرة قال: أخبرنا أزهر، عن ابن عون، عن محمد، عن عبيدة، عن علي به، وقال ابن عرعرة: «رددت هذا على أزهر فأبى إلا أن يقول: عبيدة عن علي» وصححه الحاكم وقال: «على شرط الشيخين».

(٢٢٢) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٤/٦٧) من طريق ابن علية عن ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة به مرسلًا.

وقال محمد بن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس: ﴿**ما كان لنبي أن يكون له أسرى**﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿**عذاب عظيم**﴾، قال: غنائم بدر قبل أن يحلها لهم، يقول: لولا أني لا أعذب من عصاني حتى أتقدم إليه، لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم.

وكذا روى ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

وقال الأعمش: سَبَق منه أن لا يعذب أحدًا شهد بدرًا. وروي نحوه عن سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن جبير، وعطاء.

وقال شعبة، عن أبي هاشم، عن مجاهد: ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾، أي: لهم بالمغفرة. ونحوه عن سفيان الثوري -رحمه الله-.

وقال عليٌّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾، يعني: في أم الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم، ﴿**لمسكم فيما أخذتم**﴾ من الأسارى ﴿**عذاب عظيم**﴾، قال الله تعالى: ﴿**فكلوا مما غنمتم ...**﴾ الآية. وكذا روى العوفي، عن ابن عباس. وروي مثله عن أبي هريرة، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن البصري، وقتادة، والأعمش أيضًا؛ أن المراد ﴿**لولا كتاب من الله سبق**﴾ لهذه الأمة بإحلال الغنائم. وهو اختيار ابن جرير رحمه الله.

ويستشهد لهذا القول بما أخرجاه في الصحيحين[٢٢٣]، عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أعطيت خمسًا، لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة**».

وقال الأعمش، عن أبي صالح؛ عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال[٢٢٤]: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لم تحل الغنائم لسود الرءوس غيرنا**».

ولهذا قال الله تعالى: ﴿**فكلوا مما غنمتم حلالًا طيبًا واتقوا الله إن الله غفور رحيم**﴾، فعند ذلك أخذوا من الأسارى الفداء.

---

(٢٢٣) - صحيح البخاري برقم (٣٣٥) وصحيح مسلم برقم (٥٢١).

(٢٢٤) - رواه الترمذي في السنن برقم (٣٠٨٥) من طريق معاوية بن عمرو عن زائدة، عن الأعمش به نحوه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش».

وقد روى الإمام أبو داود في سننه(٢٢٥) ؛ حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العيشي[١]، حدثنا سفيان بن حبيب، حدثنا شعبة، عن أبي العنبس، عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس؛ أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة.

وقد استقر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء ؛ أن الإمام مخير فيهم، إن شاء قتل - كما فعل ببني قريظة - وإن شاء فادى بمال - كما فعل بأسرى بدر - أو بمن أسر من المسلمين - كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع، حيث ردهما وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين، وإن شاء استرق من أسر. هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من العلماء، وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

قال محمد بن إسحاق : حدثني العباس بن عبد الله بن مغفل، عن بعض أهله، عن عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال يوم بدر: «**إني قد عرفت أن أناسًا من بني هاشم وغيرهم، قد أخرجوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدًا منهم** - أي: من بني هاشم **فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرها**» فقال أبو حذيفة بن عتبة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العباس؟! والله لئن لقيته لألجمنه بالسيف! فبلغت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال لعمر بن الخطاب: «**يا أبا حفص**» - قال عمر: والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم - «**أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف؟**» فقال عمر: يا رسول الله؛ ائذن لي فأضرب عنقه، فوالله لقد نافق. فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك : والله ما آمن من تلك الكلمة التي قلت، ولا أزال منها خائفًا، إلا أن يكفرها الله عني بشهادة. فقتل يوم اليمامة شهيدًا رضي الله عنه.

وبه، عن ابن عباس قال: لما أمسى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوم بدر،

---

(٢٢٥) - سنن أبي داود برقم (٢٦٩١).

---

[١] - في خ : «العبسي».

والأسارى محبوسون بالوثاق ، بات رسولُ اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، ساهرًا أول الليل ، فقال له أصحابه : يا رسول اللَّه ، ما لك لا تنام؟ - وقد أسر العباسَ رجلٌ من الأنصار - فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : سمعت أنين عمي العباس في وثاقه فأطلقوه . فسكت فنام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم .

قال محمد بن إسحاق : وكان أكثر الأسارى يوم بدر فداء العباس بن عبد المطلب ، وذلك أنه كان رجلًا موسرًا » فافتدى نفسه بمائة أوقية ذهبًا .

وفي صحيح البخاري (٢٢٦) ، من حديث موسى بن عقبة ، قال ابن شهاب : حدثني أنس ابن مالك ، أن رجالًا من الأنصار استأذنوا رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فقالوا : ائذَنْ لنا فَلْنتركْ لابن أختنا عباس فداءه . قال : « **لا ، واللَّه لا تَذَرون منه درهمًا** » .

وقال يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان ، عن عروة - وعن الزهري ، عن جماعة سماهم قالوا : بعثت قريش إلى رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، في فداء أسراهم ، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا ، وقال العباس : يا رسول اللَّه ، قد كنت مسلمًا ! فقال رسول اللَّه صلى اللَّه[1] عليه وسلم : « **اللَّه أعلم بإسلامك ، فإن يكن كما تقول فإن اللَّه يجزيك ، وأما ظاهرك فقد كان علينا ، فافتد نفسك وابني أخيك : نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعَقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب ، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث ابن فهر** » قال : ما ذاك عندي يا رسول اللَّه ! قال : فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها : إن أصبتُ في سفري هذا ، فهذا المال الذي دفنته لبَني : الفضل ، وعبد اللَّه ، وقُثم؟ قال : واللَّه يا رسول اللَّه ، إني لأعلم أنك رسول اللَّه ، إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل ، فاحسب لي يا رسول اللَّه ؛ ما أصبتم مني : عشرين أوقية من مال كان معي؟ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم : « **لا ، ذاك شيء أعطانا اللَّه تعالى منك . ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه** » ، وأنزل اللَّه - عز وجل - فيه : ﴿ **يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم اللَّه في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم ويغفر لكم واللَّه غفور رحيم** ﴾ ، قال العباس : فأعطاني اللَّه مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبدًا ، كلهم في يده مال يضرب به ، مع ما أرجو من مغفرة اللَّه ، عز وجل .

وقد روى ابن إسحاق أيضًا ، عن ابن أبي نَجيح ، عن عطاء ، عن ابن عباس في هذه الآية بنحو مما تقدم .

---

(٢٢٦) - صحيح البخاري برقم (٤٠٢٦) .

---

[١] - سقط من : خ .

وقال أبو جعفر بن جرير(٢٢٧) : حدثنا ابن وكيع، حدثنا ابن إدريس [عن ابن إسحاق][١] عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس ؛ قال : قال العباس : فيّ نزلت : ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ ، فأخبرت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بإسلامي ، وسألته يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني ، فأبى ، فأبدلني الله بها عشرين عبدًا ، كلهم تاجر ، مالي في يده .

وقال ابن إسحاق أيضًا(٢٢٨) : حدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، عن جابر ابن عبد الله بن رئاب ؛ قال : كان العباس بن عبد المطلب يقول : فيّ نزلت - والله - حين ذكرت لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إسلامي - ثم ذكرنحو الحديث كالذي قبله .

وقال ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾ : عباس وأصحابه ، قال : قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : آمنا بما جئت به ، ونشهد أنك رسول الله ، لننصحن لك على قومنا . فأنزل الله : ﴿إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم﴾ ، إيمانًا وتصديقًا ، يخلف لكم خيرًا مما أخذ منكم ﴿ويغفر لكم﴾ الشرك الذى كنتم عليه . قال : فكان العباس يقول : ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا ، وأن لي الدنيا ، لقد قال : ﴿يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم﴾ ، فقد أعطاني خيرًا مما أخذ مني مائة ضعف ، وقال : ﴿ويغفر لكم﴾ ، وأرجو أن يكون غُفر لي .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في الآية : كان العباس أسر يوم بدر ، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب ، فقال العباس حين قرئت هذه الآية : لقد أعطانا الله عز وجل خَصلتين ، ما أحب أن لي بهما الدنيا ، إني أسرت يوم بدر فَفَدَيت نفسي بأربعين أوقية ، فآتاني أربعين عبدًا ، وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله جل ثناؤه .

وقال قتادة في تفسير هذه الآية : ذُكر لنا أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفًا ، وقد توضأ لصلاة الظهر ، فما أعطى يومئذ ساكتًا ولا حرم سائلًا ، وما صلى يومئذ حتى فرقه ، فأمر العباس أن[٢] يأخذ منه ويحتثي فأخذ . قال : فكان العباس يقول : هذا خير مما أخذ منا ، وأرجو المغفرة .

وقال يعقوب بن سفيان(٢٢٩) : حدثنا عمرو بن عاصم ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن

(٢٢٧) - تفسير الطبري (١٤/٧٣) رقم (١٦٣٢١) .

(٢٢٨) - تفسير الطبري (١٤/٧٣) رقم (١٦٣٢٢) .

(٢٢٩) - ورواه الحاكم في المستدرك (٣/٣٢٩) من طريق هاشم بن القاسم عن سليمان بن المغيرة به نحوه ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .

حميد بن هلال ؛ قال : بعث ابن الحضرمي إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من البحرين ثمانين ألفًا ، ما أتاه مال أكثر منه لا قَبلُ ولا بَعدُ. قال[١] : فنثرت على حصير ونُودي بالصلاة . قال : وجاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فمثل قائمًا على المال ، وجاء أهل المسجد فما كان يومئذ عَدَدٌ ولا وَزْنٌ ، ما كان إلا قَبْضًا ، وجاء العباس بن عبد المطلب يحثي في خميصة عليه ، وذهب يقوم فلم يستطع ، قال : فرفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ارفع[٢] علي . قال : فتبسم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى خرج ضاحكه - أو : نابه - وقال له : « **أعدْ من[٣] المال طائفة ، وقم بما تطيق** ». قال : ففعل ، وجعل العباس يقول - وهو منطلق - : أمّا إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزنا ، وما ندري ما يصنع في الأخرى : ﴿**يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسارى**﴾ ... الآية ، ثم قال : هذا خير مما أخذ منا ، ولا أدري ما يصنع الله في الأخرى ، فما زال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ماثلًا على ذلك المال ، حتى ما بقي منه درهم ، وما بعث إلى أهله بدرهم ، ثم أتى الصلاة فصلّى .

حديث آخر في ذلك ، قال الحافظ أبو بكر البيهقي(٢٣٠) : أنبأنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرني أبوالطيب محمد بن محمد بن عبد الله الشعيري[٤] ، حدثنا مَحْمش بن عصام ، حدثنا حفص بن عبدالله ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ابن مالك ؛ قال : أُتي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمال من البحرين ، فقال : انثروه في المسجد قال : وكان أكثر مال أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه ، فلما قضي الصلاة جاء فجلس إليه ، فما كان يرى أحدًا إلا أعطاه ، إذ جاء العباس فقال : يا رسول الله ؛ أعطني فإني[٥] فاديت نفسي ، وفاديت عَقيلًا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **خذ** ». فحثا في ثوبه، ثم ذهب يُقلّه فلم يستطع ، فقال : مُرْ بعضهم يرفعه إليّ . قال : « **لا** » . قال: فارفعه أنت عليّ . قال : « **لا** » . فنثر منه ثم احتمله على كاهله، ثم انطلق ، فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خَفِيَ عنه ، عَجَبًا من حِرصْه ، فما قام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وثَمّ منها درهم .

وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه تعليقًا بصيغة الجزم(٢٣١) ، يقول : « وقال إبراهيم بن طهمان » ويسوقه وفي بعض السياقات أتم من هذا .

---

(٢٣٠) - السنن الكبرى (٣٥٦/٦) .

(٢٣١) - صحيح البخاري برقم (٤٢١،٣٠٤٩،٣١٦٥) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « في » .

[٤] - في خ ، ت : « السعيدي »

[٥] - سقط من : خ .

وقوله: ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾، أي: فيما أظهروا لك من الأقوال، ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾، أي: من قبل بدر بالكفر به، ﴿فأمكن منهم﴾، أي: بالإسار[١] يوم بدر، ﴿والله عليم حكيم﴾، أي: عليم بما يفعله، حكيم فيه.

قال قتادة: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح الكاتب حين ارتد، ولحق بالمشركين.

وقال ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: نزلت في عباس وأصحابه، حين قالوا: «لننصحن لك على قومنا».

وفسرها السدي على العموم، وهو أشمل وأظهر، والله أعلم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾

ذكر تعالى أصناف المؤمنين، وقسمهم إلى مهاجرين: خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاءوا لنصر الله ورسوله، وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك. وإلى أنصار، وهم: المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم، فهؤلاء بعضهم [أولياء بعض][٢]، أي: كل منهم أحق بالآخر من كل أحد. ولهذا آخى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بين المهاجرين والأنصار، كل اثنين أخوان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثًا مقدمًا على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث، ثبت ذلك في صحيح البخاري(٢٣٢)، عن ابن عباس.

ورواه العَوْفي، وعليّ بن أبي طلحة، عنه(٢٣٣).

وقال به مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة وغيرهم.

---

(٢٣٢) - صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب: ذوات الأرحام برقم (٦٧٤٧).

(٢٣٣) - رواه ابن جرير في تفسيره (١٤/ ٧٨، ٧٩) رقم (١٦٣٣١، ١٦٣٣٢).

---

[١] - في خ: «بالأسارى». [٢] - في خ: «أولى ببعض».

قال الإمام أحمد(٢٣٤) : حدثنا وكيع، عن شريك، عن عاصم، عن أبي وائل، عن جرير- هو ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المهاجرون والأنصار [أولياء بعضهم لبعض][١]، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة**. تفرد به أحمد.

وقال الحافظ أبو يعلى(٢٣٥): حدثنا شيبان، حدثنا عكرمة- يعني ابن إبراهيم الأزدي، حدثنا عاصم، عن شقيق، عن ابن مسعود؛ قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «**المهاجرون والأنصار، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة**». هكذا رواه في مسند عبد الله بن مسعود.

وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه، فقال: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار ...**﴾ الآية، وقال: ﴿**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة ...**﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿**للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ...**﴾ الآية.

وأحسن ما قيل في قوله: ﴿**ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا**﴾، أي: لا يحسدونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم، فإن ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الأنصار، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء، لا يختلفون في ذلك؛ ولهذا قال الإمام أبو بكر أحمد[٢] بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده(٢٣٦)، حدثنا محمد بن معمر، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا[٣] حماد بن سلمة، عن عليٍّ بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن حذيفة قال: «**خيّرني رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، بين الهجرة والنصرة، فاخترت الهجرة**».

ثم قال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

---

(٢٣٤)- المسند (٣٦٣/٤) (١٧٢٦٩) والطبراني في الكبير (٢/ ٣١٤، ح ٢٣١١)، (٢/ ٣١٦/ح ٢٣١٤).

(٢٣٥) - مسند أبي يعلى (٤٤٦/٨) وفيه عكرمة بن إبراهيم، ضعيف.

(٢٣٦) - مسند البزار - رقم (٢٧١٨) «كشف الأستار» وفيه علي بن زيد، ضعيف.

---

[١] - في خ: «بعضهم أولياء بعض». [٢] - سقط من: خ.

[٣] - في خ: «ابن».

وقوله: ﴿**والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم**﴾، [قرأ حمزة: ولايتهم بالكسر، والباقون بالفتح، وهما واحد كالدِّلالة والدَّلالة][١] ﴿**من شيء حتى يهاجروا**﴾، هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين، وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا، بل أقاموا في بَوَاديهم، فهؤلاء ليس لهم في المغانم نَصِيبٌ، ولا في خُمسها إلّا ما حضروا فيه القتال، كما قال الإمام أحمد(٢٣٧):

حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بُرَيدة عن أبيه: بُرَيدة ابن الحُصَيب الأسلمي -رضي اللّه عنه- قال: كان رسول اللّه، صلى اللّه عليه وسلم، إذا بعث أميرًا على سرية أوجيش، أوصاه في[٢] خاصة نفسه بتقوى اللّه ومن معه من المسلمين خيرًا، وقال: «**اغزوا باسم اللّه في سبيل اللّه، قاتلوا من كفر باللّه، إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى[٣] ثلاث خصال - أو: خلال - فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين، وأن عليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم اللّه الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن باللّه ثم قاتلهم**».

انفرد به مسلم، وعنده زيادات أخر.

وقوله: ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق واللّه بما تعملون بصير**﴾.

يقول تعالى: وإن استنصروكم هؤلاء الأعراب، الذين لم يهاجروا في قتال ديني، على عدوّ لهم فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرهم، لأنهم إخوانكم في الدين، إلا أن يستنصروكم على القوم من الكفار ﴿**بينكم وبينهم ميثاق**﴾، أي: مهادنة إلى مدة، فلا تخفروا[٤] ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم. وهذا مروي عن ابن عباس رضي اللّه عنه.

---

(٢٣٧) - المسند (٣٥٢/٥) وصحيح مسلم برقم (١٧٣١).

---

[١] - سقط من: خ.

[٢] - سقط من: خ.

[٣] - في خ: «باسم الله».

[٤] - في خ: «تحقروا».

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

لما ذكر تعالىٰ أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض قطع الموالاة بينهم وبين الكفار ، كما قال الحاكم في مستدركه(٢٣٨) :

حدثنا محمد بن صالح بن هانئ ، حدثنا أبو سعيد يحيى بن منصور الهروي ، حدثنا محمد بن أبان ، حدثنا محمد بن يزيد ، وسفيان بن حسين ، عن الزهري ، عن علي بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **لا يتوارث أهل ملتين ، ولا يرث مسلم كافرًا ، ولا كافر مسلمًا ثم قرأ ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾** . ثم قال الحاكم : صحيح الإِسناد ولم يخرجاه .

قلت : الحديث في الصحيحين من رواية أسامة بن زيد قال(٢٣٩) : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم** ».

وفي المسند والسنن من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال (٢٤٠): قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لا يتوارث أهل ملتين شتى** » . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقال أبو جعفر بن جرير(٢٤١) : حدثنا محمد [عن محمد بن ثور][١] عن معمر ، عن الزهري أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أخذ علىٰ رجل دخل في الإِسلام فقال : « **تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت وتصوم رمضان ، وأنك لا ترىٰ نار مشرك إلا وأنت له حرب** » .

وهذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روي متصلًا من وجه آخر عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه

(٢٣٨) - المستدرك (٢/٢٤٠) .

(٢٣٩) - صحيح البخاري برقم (٦٧٦٤) ، وصحيح مسلم برقم (١٦١٤) .

(٢٤٠) - المسند (٢/١٩٥) وسنن أبي داود برقم (٢٩١١) ولم أقع عليه في سنن الترمذي ، وإنما أشار إليه عند حديث أسامة بن زيد ، والله أعلم .

(٢٤١) - تفسير ابن جرير (١٤/٨٢) .

[١] - سقط من : خ .

عليه وسلم أنه قال : « **أنا بريء من كل مسلم بين ظهراني المشركين** » . ثم قال : « **لا يتراءىٰ ناراهما** »(٢٤٢) .

وقال أبو داود في آخر كتاب الجهاد(٢٤٣) : حدثنا محمد بن داود بن سفيان ، أخبرني يحيى بن حسان[١] ، أنبأنا سليمان بن موسى أبو داود ، حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة [ابن جندب ، حدثني خبيب بن سليمان عن أبيه سليمان بن سمرة][٢] عن سمرة بن جندب : أما بعد ، قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله** » .

وذكر الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حاتم بن إسماعيل ، عن عبد الله بن هرمز ، عن محمد وسعيد ابني عبيد ، عن أبي حاتم المزني ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**[٣] » . [قالوا : يا رسول الله ؛ وإن كان ...؟ . قال : « **إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه** » . ثلاث مرات .

أخرجه أبو داود والترمذي من حديث حاتم بن إسماعيل به بنحوه(٢٤٤) .

ثم روي من حديث عبد الحميد بن سليمان ، عن ابن عجلان ، عن ابن وثيمة النصري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال(٢٤٥) : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض** »][٤] .

ومعنىٰ قوله : ﴿ **إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾ أي : إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين

(٢٤٢) - رواه أبو داود في السنن برقم (٢٦٤٥) والترمذي في السنن برقم (١٦٠٤) والنسائي في السنن (٨/ ٣٦) من حديث جرير بن عبد الله ، رضي الله عنه .

(٢٤٣) - سنن أبي داود برقم (٢٧٨٧) .

(٢٤٤) - رواه أبو داود في المراسيل برقم (٢٢٤) والترمذي في السنن برقم (١٠٨٥) .

(٢٤٥) - ورواه الترمذي في السنن برقم (١٠٨٤) من طريق عبد الحميد بن سليمان به ، وقال : « حديث أبي هريرة قد خولف عبد الحميد بن سليمان في هذا الحديث ، ورواه الليث بن سعد عن ابن عجلان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا ثم قال : وحديث الليث أشبه ، ولم يعد حديث عبد الحميد محفوظًا » .

[١] - في خ : « حبان » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « كبير » .
[٤] - زيادة من : خ .

بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل .

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥) ﴾

لما ذكر تعالىٰ حكم المؤمنين في الدنيا عطف بذكر ما لهم في الآخرة ، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان كما تقدم في أول السورة ، وأنه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن الذنوب إن كانت ، وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف دائم مستمر أبدًا لا ينقطع ولا ينقضي ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه .

ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا علىٰ ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة ، كما قال : ﴿ **والسابقون الأولون ...** ﴾ الآية ، وقال : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم** ﴾ الآية . وفي الحديث المتفق عليه بل المتواتر من طرق صحيحة عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **المرء مع من أحب** » . وفي الحديث الآخر : « **من أحب قومًا** [**فهو منهم** » . وفي رواية][١] : « **حشر معهم** »(٢٤٦) .

وقال الإمام أحمد(٢٤٧) : حدثنا وكيع ، عن شريك ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن جرير ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض ، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلىٰ يوم القيامة** » قال شريك : فحدثنا الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عبد الرحمن بن هلال ، عن جرير ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم مثله .

---

(٢٤٦) - جاء من حديث أبي قرصافة وجابر ، أما حديث جابر فرواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/٣) من طريق زياد عن عزة بنت عياض عن أبي قرصافة مرفوعًا بلفظ : « من أحب قومًا حشره الله في زمرتهم » ، وفي إسناده من لا يعرف . رواه الخطيب في تاريخه (١٩٦/٥) من طريق إسماعيل بن يحيى عن سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر مرفوعًا بلفظ : « من أحب قومًا علىٰ أعمالهم . حشر يوم القيامة في زمرتهم ، فحوسب بحسابهم وإن لم يعمل أعمالهم » وإسماعيل بن يحيى ، ضعيف .

(٢٤٧) - المسند (٣٤٣/٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

تفرد به أحمد من هذين الوجهين .

وأما قوله تعالىٰ : ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله** ﴾ أي : في حكم الله وليس المراد بقوله ﴿ **وأولوا الأرحام** ﴾ خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض علىٰ القرابة الذين لا فرض لهم ولاهم[١] عصبة ، بل يدلون بوارث كالخالة والخال والعمة وأولاد البنات وأولاد الأخوات ونحوهم - كما قد يزعمه بعضهم ويحتج بالآية ، ويعتقد ذلك صريحًا في المسألة ، بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات ، كما نص عليه ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغير واحد علىٰ أنها ناسخة للإرث بالحلف والإخاء اللذين كانوا يتوارثون بهما أولًا ، وعلىٰ هذا فتشمل ذوي الأرحام بالاسم الخاص ، ومن لم يورثهم يحتج بأدلةٍ ، من أقواها حديث : « **إن الله قد أعطىٰ كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث** » . قالوا : فلو كان له حق لكان ذا فرض في كتاب الله مسمىٰ ، فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثًا ، والله أعلم .

آخر تفسير سورة الأنفال ولله الحمد والمنة

وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

[١] - سقط من : خ .

تفسير سورة التوبة[١] وهي مدنية

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ① فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ②﴾

هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ ، كما قال البخاري : حدثنا أبو[٢] الوليد ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ؛ قال : سمعت البراء يقول : آخر آية نزلت ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ ، وآخر سورة نزلت براءة (١) .

وإنما لا يبسمل في أولها لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في المصحف الإمام ، [بل اقتدوا][٣] في ذلك بأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه كما قال الترمذي(٢) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد ، ومحمد بن[٤] جعفر ، وابن أبي عدي ، وسهل بن يوسف ؛ قالوا : حدثنا عوف بن أبي جميلة ، أخبرني يزيد الفارسي ، أخبرني ابن عباس ؛ قال : قلت لعثمان بن عفان : ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المئين[٥] ، وقرنتم[٦] بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر[٧] بسم

---

(١) - رواه البخاري في التفسير برقم (٤٦٥٤) وطرفه (٤٣٦٤) . ورواه مسلم في الفرائض حديث ١١ ، ١٢ - (١٦١٨) ، وابن أبي شيبة ، والنسائي (٢٣٢ التفسير) ، وابن الضريس (١٩ ، ٢٠) ، وابن المنذر ، والنحاس في ناسخه ص (٤٨٤) ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه (الدر المنثور ٣٧٥/٣) .

(٢) - **ضعيف** ، يزيد الفارسي هذا اختلفوا فيه ، أهو يزيد بن هرمز أم غيره ؟ قال البخاري في التاريخ الكبير (٣٦٧/٨) : قال لي علي : قال عبد الرحمن : يزيد الفارسي هو ابن هرمز . قال : فذكرته ليحيى فلم يعرفه . قال : وكان يكون مع الأمراء ، وذكر البخاري ذلك أيضًا في كتابه الضعفاء ص (١٢٢) . وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٩٣/٩) : قال أبو محمد : اختلفوا في يزيد بن هرمز أنه يزيد الفارسي أم لا ؟ فقال عبد الرحمن بن مهدي وأحمد : يزيد الفارسي هو يزيد بن هرمز ، وأنكر يحيى بن سعيد أن يكونا واحدًا ، وسمعت أبي يقول : يزيد بن هرمز هذا ليس بيزيد الفارسي ، هو سواه . وقال الترمذي عقب روايته للحديث : ويزيد الفارسي قد روى عن ابن عباس غير حديث ويقال : هو ابن هرمز ، ويزيد الرقاشي هو يزيد بن أبان الرقاشي ولم يدرك ابن عباس ، إنما يروي عن أنس بن مالك ، وكلاهما من أهل البصرة ، ويزيد الفارسي أقدم من يزيد الرقاشي . وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند : في إسناده نظر كثير ،=

---

[١] - في ز : « براءة » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « والاقتداء » .
[٤] - بعده في ز ، خ : « أبي » .
[٥] - في ز : « المبين » .
[٦] - في ز : « ففرقتم » .

اللّٰه الرحمن الرحيم ، ووضعتموها في السبع الطول ، ما حملكم علىٰ ذلك ؟ فقال عثمان : كان رسول اللّٰه ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : « **ضعوا هذه الآيات في السورة[١] التي يذكر فيها كذا وكذا** » . فإذا نزلت عليه الآية فيقول : « **ضعوا هذه الآية في السورة[٢] التي يذكر فيها كذا وكذا** » . وكانت الأنفال من أول ما نزل[٣] بالمدينة ، وكانت براءة من آخر [ما نزل من][٤] القرآن ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وحسبت أنها منها ، وقبض رسول اللّٰه ﷺ ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت[٥] بينهما ولم أكتب بينهما سطر[٦] بسم اللّٰه الرحمن الرحيم ، ووضعتها[٧] في السبع الطول .

وكذا رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه ، من طرق أخر عن عوف الأعرابي به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وأول هذه السورة الكريمة نزل علىٰ رسول اللّٰه ﷺ لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم علىٰ عادتهم في ذلك ، وأنهم يطوفون بالبيت عراة ، فكره مخالطتهم ، وبعث أبا بكر الصديق رضي اللّٰه عنه أميرًا علىٰ الحج هذه السنة ، ليقيم للناس مناسكهم ، ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا ، وأن ينادي في الناس ببراءة ، فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغًا عن رسول اللّٰه ﷺ لكونه عصبة له ، كما سيأتي بيانه .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **براءة من اللّٰه ورسوله** ﴾ أي : هذه براءة أي : تبرؤ من اللّٰه ورسوله

= بل هو عندي ضعيف جدًا ، بل هو حديث لا أصل له . وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (١٦٨) وضعيف الترمذي (٥٩٩) .

والحديث رواه الترمذي في التفسير برقم (٣٠٨٦) ، وقال : حسن ، وفي بعض النسخ : حسن صحيح . وأحمد في المسند حديث ٣٩٩ ، ٤٩٩ - (١/٥٧ ، ٦٩) ، وأبو داود في الصلاة ، باب : الجهر بها - يعني : البسملة - برقم (٧٨٦) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨٠٠٧) ، وابن حبان (٤٣) ، والحاكم في المستدرك (٢/٢٢١ ، ٣٣٠) ، والبيهقي في سننه (٢/٤٢) . وزاد السيوطي نسبته إلى ابن أبي شيبة ، وابن أبي داود في المصاحف ، والنحاس في ناسخه ص (٤٧٧ - ٤٧٨) ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ، وابن المنذر .

[١] - في ز : « سطرا » .
[٢] - في خ : « السور » .
[٣] - في خ : « السور » .
[٤] - في ز : « نزلت » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « قربت » .
[٧] - في : « سطرا » .
[٨] - في ز : « فوضعتها » .

﴿ إلىٰ الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ﴾ .

اختلف المفسرون هاهنا اختلافًا كثيرًا ؛ فقال قائلون : هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة ، أو من له عهد دون أربعة أشهر ، فيكمل له أربعة أشهر ، فأما من كان له عهد مؤقت فأجله إلىٰ مدته مهما كان ؛ لقوله تعالىٰ : **﴿ فأتموا إليهم عهدهم إلىٰ مدتهم إن اللّٰه يحب المتقين ﴾** ، ولما سيأتي في الحديث ، ومن كان بينه وبين رسول اللّٰه ﷺ عهد فعهده إلىٰ مدته ، وهذا أحسن الأقوال وأقواها ، وقد اختاره ابن جرير رحمه اللّٰه ، ورُوي عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي وغير واحد .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : **﴿ براءة من اللّٰه ورسوله إلىٰ الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ﴾** الآية[١] ، قال : حدَّ اللّٰه للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون في الأرض حيثما[٢] شاءوا ، وأجَّل أجَل من ليس له عهد انسلاخ الأشهر الحرم [ ][٣] [من يوم النحر إلىٰ انسلاخ المحرم][٤] ، فذلك خمسون ليلة(٣) .

[وقال الضحاك][٥] : فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبينه عهد يقتلهم حتىٰ يدخلوا في الإسلام ، وأمر بمن كان له عهد إذا انسلخ أربعة أشهر من يوم النحر إلىٰ عشر خلون من ربيع الآخر أن يضع فيهم السيف أيضًا حتىٰ يدخلوا في الإسلام (٤) .

وقال أبو معشر المدني(٥) : حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : بعث رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أبا بكر أميرًا علىٰ الموسم سنة تسع ، وبعث علي بن أبي طالب بثلاثين آية أو أربعين آية من براءة فقرأها علىٰ الناس ، يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الأرض ، فقرأها عليهم يوم عرفة أجل المشركين عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشرًا من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم في منازلهم وقال : « **لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان** » .

---

(٣) - عزاه في الدر (٣٨٠/٣) لابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٤) - تفسير الطبري (٩٨/١٤ - ٩٩) رقم ١٦٣٥٩ .

(٥) - تفسير الطبري (١٠٠/١٤) رقم ١٦٣٦٢ .

---

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ت : حيث .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « أمره بأن يضع السيف فيمن لا عهد له ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس وقال بعد قوله » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقال ابن أبي نجيح(٦) : عن مجاهد ﴿ **براءة من الله ورسوله** ﴾ إلىٰ أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد أو غيرهم ، أقبل[١] رسول الله ﷺ من تبوك حين فرغ ، فأراد رسول الله ﷺ الحج ثم قال : « **إنما يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتىٰ لا يكون ذلك** » . فأرسل أبا بكر وعليًّا رضي الله عنهما فطافا بالناس في ذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالمواسم كلها فآذنوا أصحاب العهد بأن يؤمَّنوا أربعة أشهر : فهي الأشهر المتواليات عشرون من ذي الحجة إلىٰ عشر يخلون من ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا .

وهكذا روي عن السدي وقتادة .

قال[٢] الزهري : كان ابتداء التأجيل من شوال وآخره سلخ المحرم .

وهذا القول غريب ، وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها ! وإنما ظهر لهم أمرها يوم النحر حين نادىٰ أصحاب رسول الله ﷺ بذلك ، ولهذا قال تعالىٰ :

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : وإعلام ﴿ **من الله ورسوله** ﴾ وتقدم ، وإنذار إلىٰ الناس ﴿ **يوم الحج الأكبر** ﴾ وهو [يوم النحر][٣] الذي هو أفضل أيام المناسك ، وأطهرها[٤] وأكثرها جمعًا ﴿ **أن الله بريء من المشركين ورسولهُ** ﴾ أي : بريء منهم أيضًا ، ثم دعاهم إلىٰ التوبة إليه فقال ﴿ **فإن تبتم** ﴾ أي : مما أنتم فيه من الشرك والضلال ﴿ **فهو خير لكم وإن توليتم** ﴾ أي : استمررتم علىٰ ما أنتم عليه ﴿ **فاعلموا أنكم غير معجزي الله** ﴾ بل هو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته ﴿ **وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** ﴾ أي : في الدنيا بالخزي والنكال ، وفي الآخرة بالمقامع والأغلال .

قال البخاري(٧) - رحمه الله - : حدثنا عبد الله بن يوسف[٥] ، حدثنا الليث ، حدثني

---

(٦) - تفسير الطبري (١٤/١٠٠) رقم ١٦٣٦٤ .

(٧) - صحيح البخاري ، تفسير سورة براءة ، برقم (٤٦٥٥) .

[١] - في ز ، خ : « إقبال » .

[٢] - في ز : « وقال » .

[٣] - في ز : « اليوم » .

[٤] - في ز : « أطهرها » .

[٥] - في ز ، خ : « موسى » .

عقيل ، عن ابن شهاب قال : أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر - رضي الله عنه - في تلك الحجة في المؤذنين الذين[١] بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنىٰ أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف[٢] بالبيت عريان . قال حميد : ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذن ببراءة . قال أبو هريرة : فأذن معنا علي في أهل منىٰ يوم النحر ببراءة وأن[٣] لا يحج بعد هذا[٤] العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

ورواه البخاري أيضًا(٨) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني حميد ابن عبد الرحمن : أن أبا هريرة قال : بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنىٰ : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف[٥] بالبيت عريان . ويوم الحج الأكبر : يوم النحر ، وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس : الحج الأصغر ، فنبذ أبو بكر إلىٰ الناس في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله ﷺ مشرك .

هذا[٦] لفظ البخاري في كتاب الجهاد .

وقال عبد الرزاق عن معمر(٩) ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله : ﴿ **براءة من الله ورسوله** ﴾ قال : لما كان النبي ﷺ زمن حنين اعتمر من الجعرانة ثم أمّر أبا بكر علىٰ تلك الحجة قال معمر : قال الزهري : وكان أبو هريرة يحدث أن أبا بكر أمر أبا هريرة أن يؤذن ببراءة في حجة أبي بكر . قال أبو هريرة : ثم أتبعنا النبي ﷺ عليًا وأمَرَهُ أن يؤذن ببراءة ، وأبو بكر علىٰ الموسم كما هو أو قال : علىٰ[٧] هيئته .

وهذا السياق فيه غرابة من جهة أن أمير الحج كان سنة عمرة الجعرانة إنما هو عتاب بن أسيد ، فأما أبو بكر إنما كان أميرًا سنة تسع .

وقال الإمام[٨] أحمد(١٠) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن

(٨) - رواه البخاري في كتاب الجهاد ، باب : كيف ينبذ إلى أهل العهد ، برقم (٣١٧٧) ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن مردويه .

(٩) - رواه عبد الرزاق ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر كما في الدر (٣/٣٧٨) .

(١٠) - المسند (٢/٢٩٩) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز ، خ : « يطوفن » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « يطوفن » .
[٦] - في ز : « ولهذا » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : ز .

الشعبي ، عن محرر[١] بن أبي هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول اللَّه ﷺ إلىٰ أهل مكة ببراءة . فقال : ما كنتم تنادون ؟ قال[٢] : كنا ننادي أنه[٣] لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول اللَّه ﷺ عهد فإن أجله أو أمده إلىٰ أربعة أشهر ، فإذا مضت الأربعة الأشهر فإن اللَّه بريء من المشركين ورسولُهُ ، ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك ، قال : فكنت أنادي حتىٰ صحل صوتي .

وقال الشعبي : حدثني محرر[٤] بن أبي هريرة ، عن أبيه ، قال : كنت مع علي[٥] بن أبي طالب ، رضي اللَّه عنه حين بعثه رسول اللَّه ﷺ ينادي ، فكان إذا صحل ناديت . فقلت[٦] : بأي شيء كنتم تنادون ؟ قال : بأربع ؛ لا يطوف[٧] بالكعبة عريان ، ومن كان له عهد مع رسول اللَّه ﷺ فعهده إلىٰ مدته ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يحج بعد عامنا مشركٌ . رواه ابن جرير من غير ما وجه عن الشعبي(١١) .

ورواه شعبة عن مغيرة عن الشعبي به ، إلا أنه قال : ومن كان بينه وبين رسول اللَّه ﷺ عهد فعهده إلىٰ أربعة أشهر . وذكر تمام الحديث .

قال ابن جرير(١٢) : وأخشىٰ أن يكون وهمًا من بعض نقلته ؛ لأن الأخبار متظاهرة[٨] في الأجل بخلافه .

وقال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن سماك ، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه ؛ أن رسول اللَّه ﷺ بعث ببراءة مع أبي بكر ، فلما بلغ ذا الحليفة قال : « **لا يبلغها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي** » . فبعث بها مع علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه .

ورواه الترمذي في التفسير ، عن بندار ، عن عفان وعبد الصمد ، كلاهما عن حماد بن

---

(١١) - تفسير الطبري (١٠٣/١٤-١٠٥) رقم : (١٦٣٦٨ ، ١٦٣٦٩) .

(١٢) - تفسير الطبري (١٠٥/١٤) .

(١٣) - **إسناده حسن** ، وهو في المسند (٢٨٣/٣) حديث (١٤٠٥٧) ، و(٢١٢/٣) حديث (١٣٢٣٨) من حديث عفان وعبد الصمد به . ورواه الترمذي في كتاب التفسير ، باب : من سورة التوبة ، حديث ٣٠٩٠. وأبو يعلى حديث ٣٠٩٥ - (٤١٢/٥) .

---

[١] - في ز : « محرز » .

[٢] - في ز : « قالوا » .

[٣] - في ز : « أن » .

[٤] - في ز ، خ : « محرز » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ز : « قلت » .

[٧] - في ز : « يطف » .

[٨] - في ز : « متضافرة » ، وفي خ : « قضافرة » . والمثبت موافق لما في التفسير .

سلمة به . ثم قال : حسن غريب من حديث أنس رضي الله عنه .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل (١٤) : حدثنا محمد بن سليمان[١] - لوين - حدثنا محمد بن جابر ، عن سماك ، عن حنش ، عن علي رضي الله عنه ؛ قال : لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي ﷺ ، دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا[٢] بكر ، فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ، ثم دعاني فقال : « **أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه ، فاذهب إلى أهل مكة فاقرأه عليهم** » . فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ، ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ؛ نزل فيَّ شيء ؟ فقال : « **لا ، ولكن جبريل جاءني فقال لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك** » . هذا إسناد فيه ضعف .

وليس المراد أن أبا بكر - رضي الله عنه - رجع من فوره ، بل[٣] بعد قضائه المناسك التي أمّره عليها رسول الله ﷺ ، كما جاء مبيّنًا في الرواية الأخرى .

وقال عبد الله أيضًا(١٥) : حدثني أبو بكر ، حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط بن نصر ، عن سماك ، عن حنش ، عن علي رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ حين بعثه ببراءة ، قال : يا نبي الله ؛ إني لست باللسن ولا بالخطيب . قال : « **ما[٤] بد لي أن أذهب[٥] بها أنا أو تذهب[٦] بها أنت** » . قال : فإن كان ولابد فسأذهب أنا . قال : « **انطلق فإن الله يثبت لسانك ويهدي قلبك** » قال : ثم وضع يده على فيه .

وقال الإمام أحمد(١٦) : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد [بن يثيع][٧] - رجل من همدان - : سألنا عليًا : بأي شيء بعثت ؟ - يعني يوم بعثه النبي ﷺ مع أبي بكر في الحجة - قال : بعثت بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان[٨] بينه وبين النبي ﷺ عهدٌ فعهده إلى مدته ، ولا يحج المشركون

(١٤) - زوائد المسند (١٥١/١) حديث (١٢٩٦) . والحديث في مجمع الزوائد (٢٩/٧) وقال : رواه عبد الله بن أحمد ، وفيه محمد بن جابر السحيمي وهو ضعيف وقد وثق .

(١٥) - زوائد المسند (١٥٠/١) حديث (١٢٨٦) وفي إسناده أسباط بن نصر ، سئل عنه أحمد كيف حديثه ؟ قال : ما أدري . وكأنه ضعفه . وضعفه أبو نعيم . وقال البخاري في الأوسط : صدوق . وذكره ابن حبان في الثقات . واختلفت الرواية فيه عن ابن معين بين تضعيف وتوثيق . وحنش بن المعتمر متكلم فيه أيضًا .

[١] - بعده في خ : « ثنا » .
[٢] - في ز : « أبو » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في م : « لا » .
[٥] - في ز : « يذهب » .
[٦] - في ز : « يذهب » .
[٧] - في ز ، خ : « بن أبي ثليع » .
[٨] - في ز : « كانت » .

والمسلمون بعد عامهم هذا .

ورواه الترمذي عن قلابة[١] ، عن سفيان بن عيينة ، به ، وقال : حسن صحيح . كذا قال . ورواه شعبة عن أبي إسحاق ، فقال عن زيد [بن أثيل][٢] ، وهم فيه . ورواه الثوري عن أبي إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن علي ، رضي اللّٰه عنه .

وقال ابن جرير(١٧) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو[٣] أسامة ، عن زكريا ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثَيع ، عن علي قال : بعثني رسول اللّٰه ﷺ حين أنزلت براءة بأربع : أن لا يطوف بالبيت عريان ، ولا يقرب المسجدَ الحرام مشركٌ بعد عامهم هذا ، ومن كان[٤] بينه وبين رسول اللّٰه ﷺ عهدٌ فهو إلىٰ مدتهِ ، ولا يدخل الجنةَ إلا نفسٌ مؤمنة .

ثم رواه ابن جرير(١٨) - عن محمد بن عبد الأعلىٰ ، عن أبي[٥] ثور ، عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ؛ قال : أمرت بأربع ... فذكره .

وقال إسرائيل(١٩) عن أبي إسحاق ، عن زيد بن يُثَيع ؛ قال : نزلت براءة فبعث رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أبا بكر ثم أرسل عليًا فأخذها منه[٦] ، فلما رجع أبو بكر قال : نزل فيَّ شيءٌ ؟ قال : « **لا ، ولكن أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي** » . فانطلق إلىٰ أهل مكة فقام فيهم بأربع : لا يدخل مكةَ مشركٌ بعد عامه هذا ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول اللّٰه ﷺ عهدٌ فعهده إلىٰ مدته [ ][٧] .

وقال محمد بن إسحاق(٢٠) ، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر

(١٦) - المسند (١/٧٩) حديث (٥٩٤) ، وسنن الترمذي برقم (٣٠٩٢) وزيد بن يثيع : ثقة ، ويقال في اسم أبيه : أثيع .

(١٧) - تفسير الطبري (١٤/١٠٦) رقم ١٦٣٧٣ .

(١٨) - تفسير الطبري (١٤/١٠٥) رقم ١٦٣٧١ . والحارث هو الأعور ضعيف جدًا .

(١٩) - رواه الطبري في تفسيره (١٤/١٠٦) رقم ١٦٣٧٢ من طريق إسرائيل به .

(٢٠) - السيرة لابن هشام (٤/١٩٠، ١٩١) ، وتفسير الطبري (١٤/١٠٧ ، ١٠٨) رقم ١٦٣٧٧ .

[١] - كذا في ز ، خ ، وجميع النسخ المطبوعة ، وهو تحريف ، والصواب : عن ثلاثة ، فإن الترمذي رواه عن علي بن خشرم ونصر بن علي ومحمد بن يحيى بن أبي عمر ، عن سفيان بن عيينة ، ولعل هذا هو مراد الحافظ إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

[٢] - في ز : « عن أسهل » ، في خ : « عن أشهل » وكلاهما خطأ ، والمثبت من سنن الترمذي [٥/٢٧٧] .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « كانت » .

[٥] - في ز ، خ : « ابن » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز ، خ « هنا » .

محمد بن علي بن الحسين بن علي ؛ قال : لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكر ليقيم الحج للناس ، فقيل : يا رسول الله ؛ لو بعثت إلى أبي بكر . فقال : « **لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي** » . ثم دعا عليًا فقال : « **اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو له إلى مدته** » . فخرج عليّ رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء ، حتى أدرك أبا بكر في الطريق ، فلما رآه [أبو بكر قال][١] : أمير أو مأمور ؟ فقال[٢] : بل مأمور . ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب[٣] إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر قام عليّ بن أبي طالب ، فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس ؛ إنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته . فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان ، ثم قدما على رسول الله ﷺ فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

وقال ابن جرير (٢١) : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد ، أخبرنا حيوة بن شريح ، أخبرنا أبو[٤] صخر ؛ أنه سمع أبا معاوية البجلي ، من أهل الكوفة ؛ يقول : سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول : سألت عليّ بن أبي طالب عن[٥] يوم الحج الأكبر ؟ فقال[٦] : إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قحافة يقيم للناس الحج ، وبعثني معه بأربعين آية من براءة ، حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة ، فلما قضى خطبته التفت إليّ فقال : قم يا علي ؛ فأدّ رسالة رسول الله ﷺ ، فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ، ثم صدرنا فأتينا منى فرميت الجمرة ، ونحرت البدنة ، ثم حلقت رأسي ، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا [حضروا كلهم][٧] خطبة أبي بكر يوم عرفة ، فطفت أتتبع بها الفساطيط أقرأها عليهم ، فمن ثم إخال حسبتم[٨] أنه يوم النحر ألا وهو يوم عرفة .

---

(٢١) - تفسير الطبري (١١٣/١٤) رقم (١٦٣٨٢) .

(٢٢) - تفسير عبد الرزاق (٢٤١/١) وهو عند الطبري (١١٤/١٤)رقم (١٦٣٨٣) .

---

[١] - في ز : « فقال » .

[٢] - في ز : « قال » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « ابن » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « قال » .

[٧] - في خ : « كلهم حضروا » .

[٨] - في ز ، خ : « حسبتهم » .

وقال عبد الرزاق(٢٢) ، عن معمر ، عن أبي إسحاق : سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الأكبر ؟ قال : يوم عرفة . فقلت : أمن عندك أم من أصحاب محمد ﷺ ؟ قال : كلٌّ في ذلك .

وقال عبد الرزاق أيضًا ، عن ابن[١] جريج ، عن عطاء ؛ قال : يوم الحج الأكبر يوم عرفة .

وقال عمر بن الوليد الشَّنِّي : حدثنا شهاب بن عباد العصري ، عن أبيه ؛ قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : هذا يوم عرفة ، هذا يوم الحج الأكبر ، فلا يصومنه أحد . قال : فحججت بعد أبي ، فأتيت المدينة ، فسألت عن أفضل أهلها ، فقالوا : سعيد بن المسيب . فأتيته فقلت : إني سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا : سعيد بن المسيب ، فأخبرني عن صوم يوم عرفة . فقال : أخبرك عمن هو أفضل مني مائة ضعف : عمر - أو[٢] ابن عمر - كان ينهىٰ عن صومه ويقول : هو يوم الحج الأكبر(٢٣) .

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم (٢٤) ، وهكذا رُوي عن ابن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وطاوس ؛ أنهم قالوا : يوم عرفة هو[٣] يوم الحج الأكبر .

وقد ورد في ذلك[٤] حديث مرسل(٢٥) رواه ابن جريج - أُخبرت[٥] عن محمد بن قيس ابن مخرمة ؛ أن رسول الله ﷺ خطب يوم عرفة فقال : « **هذا يوم الحج الأكبر** » .

ورُوي من وجه آخر عن ابن جريج ، عن محمد بن قيس ، عن المسور بن مخرمة ، عن رسول الله ﷺ ، أنه خطبهم بعرفات فحمد الله ، وأثنىٰ عليه ، ثم قال : « **أما بعد ، فإن هذا يوم الحج الأكبر** » .

والقول الثاني : أنه يوم النحر .

قال هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن علي - رضي الله عنه - قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر . وقال أبو إسحاق السبيعي عن الحارث الأعور : سألت عليًا - رضي الله عنه - عن يوم الحج الأكبر ؟ فقال : هو[٦] يوم النحر .

(٢٣) - تفسير الطبري (١١٣/١٤) رقم (١٦٣٨٦) .
(٢٤) - تفسير الطبري (١١٤/١٤) رقم (١٦٣٨٦) .
(٢٥) - تفسير الطبري (١١٦/١٤) رقم (١٦٣٩٣) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٢] - في ز : « و » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « فيه » .
[٥] - مكررة في ز .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

وقال شعبة ، عن الحكم : سمعت يحيىٰ بن الجزار يحدث عن علي ، رضي الله عنه : أنه خرج يوم النحر علىٰ بغلة بيضاء يريد الجبانة ، فجاء رجل فأخذ بلجام دابته فسأله عن الحج الأكبر فقال : هو يومك هذا خل سبيلها .

وقال عبد الرزاق ، عن سفيان ، وشعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله بن أبي أوفىٰ ؛ أنه قال : يوم الحج الأكبر يوم النحر .

ورویٰ شعبة وغيره عن عبد الملك بن عمير به نحوه ، وهكذا رواه هشيم وغيره ، عن الشيباني ، عن عبد الله بن أبي أوفىٰ .

وقال الأعمش ، عن عبد الله بن سنان ؛ قال : خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحىٰ علىٰ بعيرٍ ، فقال : هذا يوم الأضحىٰ ، وهذا يوم النحر ، وهذا يوم الحج الأكبر .

وقال حماد بن سلمة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أنه قال : الحج الأكبر يوم النحر .

وكذا رُوي عن أبي جحيفة ، وسعيد بن جبير ، وعبد الله بن شداد بن الهاد ، ونافع بن جبير بن مطعم ، والشعبي ، وإبراهيم النخعي ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبي جعفر الباقر ، والزهري ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ؛ أنهم قالوا : يوم الحج الأكبر هو يوم النحر . واختاره ابن جرير ، وقد تقدم الحديث عن أبي هريرة في صحيح البخاري ؛ أن أبا بكر بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنىٰ .

وقد ورد في ذلك أحاديث أخر ؛ كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير(٢٦) : حدثني سهل ابن محمد السجستاني[١] ، حدثنا أبو جابر الحرمي[٢] ، حدثنا هشام بن الغاز[٣] الجرشي ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : وقف رسول الله ﷺ يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع ؛ فقال : « **هذا يوم الحج الأكبر** » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، وابن مردويه من حديث أبي جابر ، واسمه محمد بن عبد الملك ، به .

ورواه ابن مردويه أيضًا من حديث الوليد بن مسلم ، عن هشام بن الغاز[٤] به . ثم رواه

(٢٦) - تفسير الطبري (١٤/١٢٤) رقم (١٦٤٤٧) .

[١] - في ز : « الحسباني » ، وفي خ : غير واضحة .
[٢] - في ز : « الحري » .
[٣] - في ز : « الغارّ » .
[٤] - في ز : « الغارّ » .

من حديث سعيد بن عبد العزيز عن نافع ، به .

وقال شعبة عن عمرو بن مرة [عن مرة][١] الهمداني ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال (٢٧) : قام فينا رسول الله ﷺ علىٰ ناقة حمراء مخضرمة ؛ فقال : « **أتدرون أي يوم[٢] يومكم هذا ؟** » . قالوا : يوم النحر . قال : « **صدقتم يوم الحج الأكبر** » .

وقال ابن جرير(٢٨) : حدثنا أحمد بن المقدام ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ؛ قال : لما كان ذلك اليوم قعد رسول الله ﷺ علىٰ بعير له ، وأخذ الناس بخطامه - أو زمامه - فقال : « **أي يوم هذا ؟** » قال : فسكتنا حتىٰ ظننا أنه سيسميه سوىٰ اسمه ، فقال : « **أليس هذا يوم الحج الأكبر ؟** » .

وهذا إسناد صحيح، وأصله مخرج في الصحيح .

وقال أبو الأحوص[٣] عن شبيب بن[٤] غرقدة ، عن سليمان بن عمرو بن الأحوص[٥] ، عن أبيه ؛ قال : سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع فقال : « **أي يوم هذا ؟** » . فقالوا : يوم[٦] الحج الأكبر .

وعن سعيد بن المسيب أنه قال : يوم الحج الأكبر اليوم الثاني من يوم النحر . رواه ابن أبي حاتم .

وقال مجاهد أيضًا : يوم الحج الأكبر أيام الحج كلها .

وكذا قال أبو عبيد ، قال سفيان : يوم الحج ، ويوم الجمل ، ويوم صفين ، أي : أيامه كلها .

وقال سهل السراج : سئل الحسن البصري عن يوم الحج الأكبر ، فقال : ما لكم وللحج

(٢٧) - تفسير الطبري (١٤/١٢٥) رقم (١٦٤٤٨) وأصله في صحيح البخاري ، كتاب المغازي برقم (٤٤٠٦) ، وصحيح مسلم ، كتاب القسامة والمحاربين برقم (١٦٧٩) .

(٢٨) - تفسير ابن جرير (١٤/١٢٣) (١٦٤٤٦) رواه الترمذي في السنن ، كتاب الفتن برقم (٢١٥٩) عن هناد ، عن أبي الأحوص به بأطول منه ، وابن ماجه في المناسك (٣٠٥٥) ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح » .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « الأخوص » .

[٤] - في ز ، خ : « عن » .

[٥] - في ز : « الأخوص » .

[٦] - في ز : « اليوم » .

الأكبر ؟ ذاك عام حجَّ فيه أبو بكر الذي استخلفه رسول اللَّه ﷺ فحج بالناس . رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير (٢٩) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو أسامة ، عن ابن عون : سألت محمدًا يعني ابن سيرين عن يوم الحج الأكبر ؟ فقال[١] : كان يومًا وافق فيه حج رسول اللَّه ﷺ حج[٢] أهل الوبر .

إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾

هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق ليس بمؤقت ، فأجله أربعة أشهر يسيح في الأرض يذهب فيها لينجوَ بنفسه حيث شاء ، إلا من له عهد مؤقت فأجله إلىٰ مدته المضروبة التي عوهد عليها ، وقد تقدمت الأحاديث ، ومن كان له عهد مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فعهده إلىٰ مدته ، وذلك بشرط أن لا ينقض[٣] المعاهد عهده ، ولم يظاهر علىٰ المسلمين أحدًا - أي : يمالئ عليهم من سواهم فهذا الذي يوفَّىٰ له بذمته وعهده إلىٰ مدته ؛ ولهذا حرض تعالىٰ علىٰ الوفاء بذلك فقال : ﴿ **إن اللَّه يحب المتقين** ﴾ أي : الموفين بعهدهم .

فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

اختلف المفسرون في المراد بالأشهر الحرم هاهنا ما هي ؛ فذهب ابن جرير إلىٰ أنها المذكورة في قوله تعالىٰ : ﴿ **منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ . الآية .قاله أبو جعفر الباقر ، ولكن قال ابن جرير : آخر الأشهر الحرم في حقهم المحرم .

وهذا الذي ذهب إليه حكاه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وإليه ذهب الضحاك

(٢٩) - تفسير الطبري (١٤/١٢١) رقم (١٦٤٢٨) .

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - في ز : « وحج » .
[٣] - في ز : « ينقص » .

أيضًا، وفيه نظر. والذي يظهر من حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس، في رواية العوفي عنه، وبه قال مجاهد، وعمرو بن شعيب، ومحمد بن إسحاق، وقتادة، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم؛ أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها في قوله[١]: ﴿ **فسيحوا في الأرض أربعة أشهر** ﴾. ثم قال: ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم** ﴾. أي: إذا انقضت الأشهر الأربعة [التي حرمنا عليكم فيها قتالهم وأجلناهم فيها فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم؛ لأن عود العهد علىٰ مذكور أولىٰ من مقدر، ثم إن الأشهر الأربعة][٢] المحرمة سيأتي بيان حكمها في آية أخرىٰ بعدُ [ ][٣] في هذه السورة الكريمة.

وقوله: ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ أي: من الأرض، وهذا عامٌّ والمشهور تخصيصه بتحريم القتال في الحرم بقوله: ﴿ **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتىٰ يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم** ﴾.

وقوله: ﴿ **وخذوهم** ﴾ أي: وَأْسروهم إن شئتم قتلًا وإن شئتم أسرًا.

وقوله: ﴿ **واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد** ﴾ أي: لا تكتفوا بمجرد وجدانكم لهم، بل اقصدوهم[٤] بالحصار في معاقلهم وحصونهم، والرصد في طرقهم ومسالكهم، حتىٰ تضيقوا عليهم الواسع، وتضطروهم إلىٰ القتل أو الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم** ﴾.

ولهذا اعتمد الصديق - رضي الله عنه - في قتال مانعي الزكاة علىٰ هذه الآية الكريمة وأمثالها، حيث حرمت[٥] قتالهم بشرط هذه الأفعال، وهي الدخول في الإسلام، والقيام بأداء واجباته، ونبه بأعلاها علىٰ أدناها، فإن أشرف [أركان الإسلام][٦] بعد الشهادتين[٧] الصلاة التي هي حق الله - عز وجل - وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعدٍ[٨] إلىٰ الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين؛ ولهذا كثيرًا ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة، وقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: « **أمرت أن[٩] أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة ...** » الحديث.

وقال أبو إسحاق عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومن لم يزك فلا صلاة له.

---

[١] - في خ: « بقوله ».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - في ز: « هذا »، خ: « هنا ».
[٤] - في ز: « تقصدوهم ».
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - في ز: « الأركان ».
[٧] - في ز: « الشهادة ».
[٨] - في ز: « متعدي ».
[٩] - في م: « أنا ».

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أَبَىٰ اللَّه أن يقبل الصلاةَ إلا بالزكاةِ . وقال : يرحم اللَّه أبا بكر! ما كان أفقَهَهُ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا عبد اللَّه بن المبارك ، أنبأنا حميد الطويل ، عن أنس ؛ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمدًا رسول اللَّه ، فإذا شهدوا أن لا إله إلا اللَّه ، وأن محمدًا رسول اللَّه ، واستقبلوا قبلتنا ، وأكلوا ذبيحتنا ، وصلُّوا صلاتنا ؛ فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقِّها ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما[١] عليهم** » .

ورواه البخاري في صحيحه(٣٠) وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث عبد اللَّه بن المبارك به .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير (٣١) : حدثنا عبد الأعلىٰ بن واصل الأسدي ، حدثنا عبيد اللَّه بن موسىٰ ، أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس [عن أنس][٢] ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من فارق الدنيا علىٰ الإخلاص للَّه وحده ، وعبادته لا يشرك به شيئًا[٣] ، فارقها واللَّه عنه راضٍ** » .

قال : وقال أنس : هو دين اللَّه الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم ، قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء ، وتصديق ذلك في كتاب اللَّه في آخر ما أنزل ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ قال : توبتهم خلع الأوثان ، وعبادة ربهم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ثم قال في آية أخرىٰ : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين** ﴾ . ورواه ابن مردويه .

ورواه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة له(٣٢) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ،

---

(٣٠) - المسند (١٩٩/٣) ، وصحيح البخاري ، كتاب الصلاة برقم (٣٩٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب : الجهاد برقم (٢٦٤١) ، وسنن الترمذي ، كتاب الإيمان برقم (٢٦٠٨) ، وسنن النسائي (١٠٩/٨) .

(٣١) - تفسير الطبري (١٣٥/١٤) (١٦٤٧٥) ورواه ابن ماجة في السنن ، في المقدمة برقم (٧٠) من طريق عبيد الله بن موسى بنحوه ، وقال البوصيري في الزوائد (٥٦/١) : « هذا إسناد ضعيف ، الربيع بن أنس ضعيف هنا » . ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده . ورواه الحاكم في المستدرك من طريق أبي جعفر الرازي وقال : صحيح الإسناد . وانظر ما بعده .

(٣٢) - تعظيم قدر الصلاة برقم (١) وإسناده ضعيف لضعف أبي جعفر الرازي ، ولضعف الربيع بن أنس وأورده الألباني في ضعيف الجامع (٢٢٣/٥) .

---

[١] - في م : « وما » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ .

أنبأنا حَكَّام بن سَلْم[١] ، حدثنا أبو جعفر الرازي به سواء .

وهذه الآية الكريمة هي آية السيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم : إنها نسخت كل عهد بين النبي ﷺ وبين أحد من المشركين ، وكل عهد ، وكل مدة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : لم يبق لأحد من المشركين عهد ولا ذمة ، منذ نزلت براءة وانسلاخ الأشهر الحرم ، ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل [ ][٢] أربعة أشهر ، من يوم أذن ببراءة إلىٰ عشر من أول شهر ربيع الآخر .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية ؛ قال : أمره الله تعالىٰ أن يضع السيف فيمن عاهد إن لم يدخلوا في الإسلام ؛ ونقض ما كان سمىٰ لهم من العهد والميثاق ؛ وأذهب الشرط الأول .

وقال ابن أبي حاتم(٣٣) : حدثنا أبي ، حدثنا إسحاق بن موسىٰ الأنصاري ؛ قال : قال سفيان [بن عيينة][٣] : قال علي بن أبي طالب : بعث النبي ﷺ بأربعة أسياف : سيف في المشركين من العرب ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ .

هكذا رواه مختصرًا ، وأظن أن السيف الثاني هو قتال أهل الكتاب ؛ [في قوله][٤] تعالىٰ : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دينَ الحقِ من الذين أوتوا الكتابَ حتىٰ يعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون** ﴾ . والسيف الثالث : قتال المنافقين في قوله : ﴿ **يا أيها النبي جاهدِ الكفار والمنافقين** ...﴾ الآية[٥] . والرابع قتال الباغين في قوله : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما[٦] علىٰ الأخرىٰ فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء إلىٰ أمر الله** ﴾ . ثم اختلف المفسرون في آية السيف هذه ؛ فقال الضحاك والسدي : هي منسوخة بقوله تعالىٰ : ﴿ **فإما منًّا بعد وإما فداء** ﴾ ، وقال قتادة بالعكس .

وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

(٣٣) - تفسير ابن أبي حاتم (٥/٩٢٥٤) .

[١] - في ز ، خ : « سلمة » .
[٢] - في ز ، خ : « براءة » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « لقوله » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « أحديهما » .

يقول تعالىٰ لنبيه -صلوات الله وسلامه عليه- : ﴿ وإن أحد من المشركين ﴾ [الذين أمرتك بقتالهم ، وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم][١] ﴿ استجارك ﴾ أي : استأمنك فأجبه إلىٰ طلبته حتىٰ يسمع كلام الله . أي [القرآن][٢] : تقرؤه عليه ، وتذكر له شيئًا من الدين تقيم عليه به حجة الله ﴿ ثم أبلغه مأمنه ﴾ أي : وهو آمن مستمر الأمان ، حتىٰ يرجع إلىٰ بلاده وداره ومأمنه ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ أي : إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء؛ ليعلموا دين الله ، وتنتشر[٣] دعوة الله في عباده .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في تفسير هذه الآية -قال : إنسان يأتيك يسمع ما تقول وما أنزل عليك فهو آمن حتىٰ يأتيك فيسمع كلام الله ، وحتىٰ يبلغ مأمنه حيث جاء .

ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه مسترشدًا أو في رسالة ، كما[٤] جاءه يوم الحديبية جماعةٌ من الرسل من قريش منهم : عروة بن مسعود ، ومكرز بن حفص ، وسهيل بن عمرو وغيرهم ، واحدًا بعد واحد يترددون في قضية[٥] بينه وبين المشركين ، فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم ، و[٦] ما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر ، فرجعوا إلىٰ قومهم وأخبروهم[٧] بذلك ، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم .

ولهذا أيضًا لما قدم رسولُ مسيلمةَ الكذاب علىٰ رسول الله ﷺ ، قال له : « **أتشهد أن مسيلمة رسول الله ؟** » قال : نعم . فقال رسول الله ﷺ : « **لولا أن الرسلَ لا تُقتَلُ لضربتُ عنقَك** »(٣٤) .

وقد قيض الله له ضرب العنق في إمارة ابن مسعود علىٰ الكوفة ، وكان يقال له ابن النواحة ، ظهر عنه في زمان ابن مسعود أنه يشهد لمسيلمة بالرسالة ، فأرسل إليه ابن مسعود فقال له : إنك الآن لست في رسالة ، وأمر به فضربت عنقُه لا رحمه الله ولعنه !

والغرض أن من قدم من دار الحرب إلىٰ دار الإسلام في أداء رسالة ، أو تجارة ، أو طلب صلح أو مهادنة ، أو حمل جزية ، أو نحو ذلك من الأسباب ، وطلب[٨] من الإمام أو نائبه

---

(٣٤) - رواه أحمد في المسند (٣/٤٨٧) وأبو داود في السنن ، كتاب الجهاد برقم (٢٧٦١) من طريق سلمة ابن الفضل عن محمد بن إسحاق عن سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم عن أبيه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه رسل مسيلمة ، فذكر نحوه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - في ز : « وينشر » .

[٤] - في ز : « أو » .

[٥] - في ز : « القضية » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في ز : « فأخبروهم » .

[٨] - في ز : « فطلب » .

أمانًا [ ][١] أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام ، وحتىٰ يرجع إلىٰ مأمنه ووطنه ، لكن قال العلماء : لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الإسلام سنة ، ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر . وفيما بين ذلك فيما زاد علىٰ أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان عن الإمام الشافعي وغيره من العلماء رحمهم اللّٰه .

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَٰمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾

يبين تعالىٰ حكمته في البراءة من المشركين ونظرته إياهم أربعة أشهر ، ثم بعد ذلك السيف المرهف أين ثقفوا فقال تعالىٰ : ﴿ **كيف يكون للمشركين[٢] عهد** ﴾ وأمان ويتركون فيما هم فيه وهم مشركون باللّٰه كافرون[٣] به وبرسوله ﴿ **إلا الذين[٤] عاهدتم عند المسجد الحرام** ﴾ يعني يوم الحديبية ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهديَ معكوفًا أن يبلغ محله** ﴾ . الآية .

﴿ **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم** ﴾ أي : مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه وعاهدتموهم من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين ﴿ **فاستقيموا لهم إن اللّٰه يحب المتقين** ﴾ وقد فعل رسول اللّٰه ﷺ ذلك والمسلمون . استمر العقد والهدنة مع أهل مكة من ذي القعدة في سنة ست إلىٰ أن نقضت قريش العهد ومالئوا حلفاءهم [وهم بنو][٥] بكر علىٰ خزاعة أحلاف رسول اللّٰه ﷺ فقتلوهم معهم في الحرم ، أيضًا ، فعند ذلك غزاهم رسول اللّٰه ، ﷺ ، في رمضان سنة ثمان ، ففتح اللّٰه عليه البلد الحرام ، ومكنه من نواصيهم ، وللّٰه الحمد والمنة . فأطلق من أسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسموا الطلقاء ، وكانوا قريبًا من ألفين ، ومن استمر علىٰ كفره وفرّ من رسول اللّٰه ﷺ بعث إليه بالأمان والتسيير في الأرض أربعة أشهر يذهب حيث شاء ، [ ][٦] منهم صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهما ، ثم هداهم اللّٰه بعد ذلك إلىٰ الإسلام التام ، واللّٰه المحمود علىٰ جميع ما يقدره ويفعله .

---

[١] - في ز : « أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب فطلب من الإمام أو نائبه أمانًا .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ : « كافرين » .

[٤] - في ز ، خ : « من » .

[٥] - في ز ، خ : « بني » .

[٦] - ما بين المعكوفين في خ : «و» .

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾﴾

يقول تعالىٰ محرضًا للمؤمنين علىٰ معاداة المشركين والتبري منهم ، ومبينًا أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالىٰ وكفرهم برسول الله ﷺ ، [ولأنهم لو][١] ظهروا علىٰ المسلمين وأديلوا عليهم لم يبقوا[٢] ولم يذروا ولا راقبوا فيهم إلًّا ولا ذمة .

قال علي بن أبي طلحة ، وعكرمة ، والعوفي عن ابن عباس : الإِل : القرابة ، والذمة : العهد . وكذا قال الضحاك والسدي كما قال تميم بن مقبل :

أفسد الناسَ خلوفٌ خلفوا قطعوا الإِلَّ وأعراق الرحمْ(٣٥)

وقال حسان بن ثابت - رضي الله عنه - :

وجدناهم كاذبًا [إلّهُمْ وذو][٣] الإِلّ والعهد لا يكذب(٣٦)

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : ﴿ **لا يرقبون في مؤمن إلًّا** ﴾ قال : الله . وفي رواية : لا يرقبون الله ولا غيره .

وقال ابن جرير(٣٧) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، عن سليمان ، عن أبي مجلز في قوله تعالىٰ : ﴿ **لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة** ﴾ مثل قوله جبريل ميكائيل إسرافيل ، كأنه [يضيف « **جبر** » و « **ميكا** » و « **إسراف** » إلى « **إيل** »][٤] [يقول : عبد الله ﴿ **لا يرقبون في مؤمن إلًّا** ﴾ كأنه][٥] يقول : لا يرقبون الله .

---

(٣٥) - البيت في تفسير الطبري (١٤/١٤٨) .

(٣٦) - قال المعلق على طبعة الشعب : هكذا نسبه ابن كثير إلى حسان بن ثابت ، ولم نجده في ديوانه . والبيت في تفسير الطبري غير منسوب (١٥/١٤٨) وأما بيت حسان الذي استشهد به الطبري فهو :

لعمرك إن إلك من قريش كإل السقب من رأل النعام

وهذا البيت في ديوان حسان (ص٣٣٦) ، واللسان ، مادة « ألل » .

(٣٧) - التفسير (١٤/١٤٦) رقم (١٦٥٠٠)

---

[١] - في ز : « لو أنهم » .

[٢] - في ز ، خ : « يتقوا » .

[٣] - في ز ، خ : « لهم وذو » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

والقول الأول أشهر وأظهر وعليه الأكثر .

[وعن مجاهد أيضًا الإلّ العهد][١] . وقال قتادة : الإل الحلف .

﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) ﴾

يقول تعالىٰ ذمًّا للمشركين وحثًّا للمؤمنين علىٰ قتالهم ﴿ **اشتروا بآيات اللَّه ثمنًا قليلًا** ﴾ يعني : أنهم اعتاضوا عن اتباع آيات اللَّه بما التهوا به من أمور الدنيا الخسيسة ﴿ **فصدوا عن سبيله** ﴾ أي : منعوا المؤمنين من اتباع الحق ﴿ **إنهم ساء ما كانوا يعملون * لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة** ﴾ تقدم تفسيره وكذا الآية التي بعدها ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة** ﴾ إلىٰ آخرها تقدمت .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٣٨) : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا يحيىٰ بن أبي بكر ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، حدثنا الربيع بن أنس ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من فارق الدنيا علىٰ الإخلاص للَّه وعبادته لا [يشرك به]**[٢] ، **وأقام الصلاة وآتىٰ الزكاة فارقها واللَّه عنه راض** » . وهو دين اللَّه الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث ، واختلاف الأهواء ، وتصديق ذلك في كتاب اللَّه ﴿ **فإن تابوا** ﴾ يقول : فإن خلعوا الأوثان وعبادتها ﴿ **وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ . وقال في آية أخرىٰ : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين** ﴾ .

ثم قال البزار : آخر الحديث عندي واللَّه أعلم فارقها وهو عنه راض ، وباقيه عندي من كلام الربيع بن أنس .

---

(٣٨) - ورواه الحاكم في المستدرك (٣٣١/٢) من طريق أحمد بن مهران عن عبيد الله بن موسى بنحوه ، ولم يفرق بين المرفوع والموقوف ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » وتعقبه الذهبي قلت : « صدر الحديث مرفوع وسائره مدرج فيما أرى » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ . [٢] - في ز ، خ : « شريك له » .

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وإن نكثوا**[١] ﴾ هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم علىٰ مدة معينة ﴿ **أيمانهم** ﴾ أي : عهودهم ومواثيقهم ﴿ **وطعنوا في دينكم** ﴾ أي : عابوه وانتقصوه ، ومن هاهنا أخذ قتل من سب الرسول - صلوات اللّه وسلامه عليه - أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بتنقص ، ولهذا قال : ﴿ **فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون** ﴾ أي : يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال .

وقد قال قتادة وغيره : أئمة الكفر كأبي جهل ، وعتبة ، وشيبة ، وأمية بن خلف ، وعدَّد رجالًا .

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : مرَّ سعد برجل من الخوارج فقال الخارجي : هذا من أئمة الكفر . فقال سعد : كذبت ، بل أنا قاتلت أئمة الكفر . رواه ابن مردويه .

وقال الأعمش : عن زيد بن وهب ، عن حذيفة أنه قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعدُ .

ورُوي عن علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنه - مثله .

والصحيح أن الآية عامة وإن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم ، واللّه أعلم .

وقال الوليد بن مسلم(٣٩) : حدثنا صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير : أنه كان في عهد أبي بكر - رضي اللّه عنه - إلىٰ الناس حين وجههم إلىٰ الشام قال : إنكم ستجدون قومًا مُحَوَّقَة رءوسهم فاضربوا معاقد الشيطان منهم بالسيوف ، فو اللّه لأن أقتل رجلًا منهم أحب إليَّ من أن أقتل سبعين من غيرهم ، وذلك بأن اللّه يقول ﴿ **فقاتلوا أئمة الكفر** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

---

(٣٩) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠٠٢٠/٥) .

---

[١] - في ر : « نكث » .

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

وهذا أيضًا تهييج وتحضيض وإغراء علىٰ قتال المشركين الناكثين لأيمانهم الذين هموا بإخراج الرسول من مكة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذًا لا يلبثون خلافك إلا قليلًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهم بدءوكم أول مرة** ﴾ قيل : المراد بذلك يوم بدر حين خرجوا لنصر عيرهم ، فلما نجت وعلموا بذلك استمروا[١] علىٰ وجوههم[٢] طلبًا للقتال بغيًا وتكبرًا كما تقدم بسط ذلك .

وقيل : المراد نقضهم العهد وقتالهم مع حلفائهم بني بكر لخزاعة أحلاف رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ سار إليهم رسول الله ﷺ عام الفتح وكان ما كان ، ولله الحمد والمنة[٣] .

وقوله : ﴿ **أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين** ﴾ يقول تعالىٰ : لا تخشوهم واخشون فأنا أهل أن يخشىٰ العباد من سطوتي ، وعقوبتي ؛ فبيدي الأمر ، وما شئت كان ، وما لم أشأ لم يكن .

ثم قال تعالىٰ عزيمة علىٰ المؤمنين ، وبيانًا لحكمته فيما شرع لهم من الجهاد مع قدرته علىٰ إهلاك الأعداء بأمر من عنده ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين** ﴾ . وهذا عام في المؤمنين كلهم .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، والسدي في هذه الآية ﴿ **ويشف صدور قوم مؤمنين** ﴾ يعني خزاعة ، وأعاد[٤] الضمير في قوله : ﴿ **ويذهب غيظ قلوبهم** ﴾ عليهم أيضًا .

---

[١] - في ز : « واستمروا » .
[٢] - في خ : « وجههم » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « أعادوا » .

وقد ذكر ابن عساكر(٤٠) في ترجمة مؤذن لعمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - عن مسلم ابن يسار ، عن عائشة - رضي الله عنها - : أن رسول الله ﷺ كان إذا غضبت أخذ بأنفها وقال : « **يا عويش ، قولي : اللهم رب النبي محمد ، اغفر ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن** » .

ساقه من طريق أبي أحمد الحاكم ، عن الباغندي ، عن هشام بن عمار ، حدثنا عبد الرحمن ابن أبي الجون[١] عنه .

﴿ **ويتوب الله علىٰ من يشاء** ﴾ أي : من عباده ﴿ **والله عليم** ﴾ أي : بما يصلح عباده ﴿ **حكيم** ﴾ في أفعاله ، وأقواله الكونية ، والشرعية ، فيفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وهو العادل الحاكم الذي لا يجور أبدًا ولا يضيع مثقال ذرة من خير وشر ، بل يجازي عليه في الدنيا والآخرة .

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ : أم حسبتم أيها المؤمنون ؛ أن نترككم مهملين لا نختبركم بأمور يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة** ﴾ أي : بطانة ودخيلة ، بل هم في الظاهر والباطن علىٰ النصح لله ولرسوله ، فاكتفىٰ بأحد القسمين عن الآخر ، كما قال الشاعر :

وما أدري إذا يممت أرضًا ... أريد الخير أيهما يليني

وقد قال الله تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم علىٰ الغيب** ﴾ الآية .

(٤٠) - تاريخ دمشق (٣٣٥/١٩ « المخطوط ») ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة من طريق أبي العميس عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن عائشة ومن طريق سلمة بن علي عن هشام بن عروة عن عائشة .

[١] - في خ : « الجوز » .

والحاصل : أنه تعالىٰ لما شرع [لعباده الجهاد][١] بين أن له فيه حكمة وهو اختبار عبيده من يطيعه ممن يعصيه ، وهو تعالىٰ العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فيعلم الشيء قبل كونه ومع كونه علىٰ ما هو عليه ، لا إله إلا هو ولا رب سواه ، ولا راد[٢] لما قدّره وأمضاه .

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيت علىٰ اسمه وحده لا شريك له ، ومن قرأ « **مسجد الله** » فأراد به المسجد الحرام أشرف المساجد في الأرض ، الذي بني من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له ، وأسسه خليل الرحمن ، هذا وهم شاهدون علىٰ أنفسهم بالكفر أي : بحالهم وقالهم كما قال السدي : لو سألت النصراني : ما دينك ؟ لقال نصراني ، [ولو سألت][٣] اليهودي : ما دينك ؟ لقال[٤] : يهودي ، والصابئ[٥] ؟ لقال : صابئ ، والمشرك لقال: مشرك ﴿ **أولئك حبطت أعمالهم** ﴾ أي : بشركهم ﴿ **وفي النار هم خالدون** ﴾ ، و[٦] قال تعالىٰ : ﴿ **وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ فشهد تعالىٰ بالإيمان لعمار المساجد ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا سريج[٧] ، حدّثنا ابن وهب ، عن عمرو بن الحارث ، أن دراجًا أبا السمح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان** » ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ .

ورواه الترمذي وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن وهب ،

---

[١] - في ز : « الجهاد لعباده » .
[٢] - في ز : « رادًا » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - في خ : « الصابئي » .
[٦] - في ز : « كما » .
[٧] - في ز ، خ : « شريح » .

به (٤١) .

وقال عبد بن حميد في مسنده(٤٢) : حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا صالح المري ، عن ثابت البناني ، عن ميمون بن سياه وجعفر بن زيد ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنما عمار المساجد هم أهل الله** » .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار (٤٣) : عن عبد الواحد بن غياث ، عن صالح بن بشير المري ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنما عمار المساجد هم أهل الله** » .

ثم قال : لا نعلم رواه عن ثابت غير صالح .

وقد روىٰ الدارقطني في الأفراد من طريق حكامة بنت عثمان بن دينار ، عن أبيها ، عن أخيه مالك بن دينار ، عن أنس مرفوعًا : « **إذا أراد الله بقوم عاهة نظر إلىٰ أهل المساجد فصرف عنهم** » . ثم قال : غريب .

وروىٰ الحافظ البهائي[١] في المستقصىٰ (٤٤) عن أبيه بسنده إلىٰ أبي أمية الطرسوسي ، حدثنا منصور بن صقير ، حدثنا صالح المري ، عن ثابت ، عن أنس مرفوعًا يقول الله : وعزتي وجلالي ، إني لأهم بأهل الأرض عذابًا فإذا نظرت إلىٰ عمار بيوتي ، وإلىٰ المتحابين في ، وإلىٰ المستغفرين بالأسحار صرفت ذلك عنهم . ثم قال ابن عساكر : حديث غريب .

وقال الإمام أحمد (٤٥) : حدثنا روح ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثنا العلاء بن زياد ،

---

(٤١) - المسند (٣/٦٨) وسنن الترمذي برقم (٣٠٩٣) والمستدرك (٢/٣٣٢) ودراج عن أبي الهيثم ضعيف .

(٤٢) - فيه صالح المري وهو ضعيف ، وقد اختلف فيه كما سيأتي في رواية البزار .

(٤٣) - مسند البزار برقم (٤٣٣) « كشف الأستار » ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٣/٦٦) من طريق هاشم بن القاسم عن صالح المري ، به ، وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٣) : « فيه صالح المري وهو ضعيف » .

(٤٤) - وفيه منصور بن صقير ، قال أبو حاتم : ليس بالقوي . وقال العقيلي : في حديثه بعض الوهم ، ورواه ابن عدي في الكامل (٤/٦١) من طريق سعيد بن أشعث عن صالح المري به نحوه ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٩٠٥١) من طريق عبدان عن معاذ بن خالد بن شقيق عن صالح المري به نحوه ، وصالح المري ضعيف .

(٤٥) - المسند (٥/٢٣٢) وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٣) : « العلاء بن زياد لم يسمع من معاذ » .

---

[١] - في ز : « البهاء » ، خ : « البهاد » .

عن معاذ بن جبل : أن النبي ﷺ قال : « **إن الشيطان ذئب الإنسان ، كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناحية ، فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد** » .

وقال عبد الرزاق(٤٦) : عن معمر ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودي قال : أدركت أصحاب النبي ﷺ وهم يقولون : إن المساجد بيوت الله في الأرض ، وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها .

وقال المسعودي : عن حبيب بن أبي ثابت وعدي بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : من سمع النداء بالصلاة ، ثم لم يجب و[١] يأتي المسجد ويصلي فلا صلاة له ، وقد عصى الله ورسوله ، قال الله تعالى : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ . الآية . رواه ابن مردويه .

وقد رُوي مرفوعًا من وجه آخر ، وله شواهد من وجوه أخر ، ليس هذا موضع بسطها .

وقوله : ﴿ **وأقام الصلاة** ﴾ أي : التي هي أكبر عبادات البدن ﴿ **وآتى الزكاة** ﴾ أي : التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلائق وقوله[٢] : ﴿ **ولم يخش إلا الله** ﴾ أي : ولم يخف إلا من الله تعالى ولم يخش سواه ﴿ **فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين** ﴾ .

قال [علي][٣] بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ يقول : من وحّد الله وآمن باليوم الآخر ، يقول : من آمن بما أنزل الله ﴿ **وأقام الصلاة** ﴾ يعني : الصلوات الخمس ﴿ **ولم يخش إلا الله** ﴾ يقول : لم يعبد إلا الله . ثم قال : ﴿ **فعسى أولئك [أن يكونوا من المهتدين]**[٤] ﴾ يقول تعالى : إن أولئك هم المفلحون كقوله لنبيه ﷺ : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا** ﴾ [يقول : إن ربك سيبعثك مقامًا][٥] محمودًا[٦] وهي الشفاعة ، وكل عسى في القرآن فهي واجبة .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار - رحمه الله - : وعسى من الله حق .

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ

(٤٦) - رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٩٠٥٢) من طريق أحمد بن منصور عن عبد الرزاق عن معمر عن رجل من قريش رفع الحديث ، فذكر نحوه ، وهو معضل .

[١] - في ت : « ولم يأتي » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : ز .

وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

قال العوفي في تفسيره عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : إن المشركين قالوا : عمارة بيت اللَّه ، وقيام علىٰ السقاية خيرٌ ممن آمن وجاهد . وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعمّاره . فذكر اللَّه استكبارهم وإعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين : ﴿ **قد كانت آياتي تتلىٰ عليكم فكنتم علىٰ أعقابكم تنكصون * مستكبرين به سامرًا تهجرون** ﴾ يعني : أنهم كانوا يستكبرون بالحرم ، قال : ﴿ **به سامرًا** ﴾ كانوا يسمرون به ويهجرون القرآن والنبيَّ ﷺ ، فخير اللَّه الإيمان والجهاد مع النبي[١] ﷺ علىٰ عمارة المشركين البيت وقيامهم علىٰ السقاية ، ولم يكن ينفعهم عند اللَّه مع الشرك به ، وإن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه[٢] به . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **لا يستوون عند اللَّه واللَّه لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ يعني : الذين زعموا أنهم أهل العمارة فسماهم اللَّه ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيئًا .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية[٣] ، قال : قد[٤] نزلت في العباس بن عبد المطلب حين أسر ببدر[٥] قال : لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج[٦] ونفك العاني[٧] ، قال اللَّه عز وجل ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **واللَّه لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ يعني : أن ذلك كله[٨] كان في الشرك ولا أقبل ما كان في الشرك .

وقال الضحاك بن مزاحم : أقبل المسلمون علىٰ العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك ، فقال العباس : أما واللَّه لقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونفك العاني ،

---

[١] - في ز : « نبي الله » .

[٢] - في ز : « ويحرمون » ، خ : « ومحرمون » .

[٣] - في خ : « إن المشركين قالوا : » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - في ز ، خ : « بعد بدر » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - في خ : « الغان » .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

ونحجب البيت ، ونسقي الحاج فأنزل الله ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج** ﴾ الآية .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، قال : نزلت في علي والعباس - رضي الله عنهما - تكلما في ذلك .

وقال ابن جرير (٤٧) : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أُخبرت[١] عن أبي صخر ، قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار ، وعباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، فقال [ ][٢] طلحة : أنا صاحب البيت معي مفتاحه ولو أشاء[٣] بت فيه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت في المسجد ، فقال علي - رضي الله عنه - : ما أدري ما تقولان[٤] ، لقد صليت إلىٰ القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد ، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج** ﴾ . الآية كلها .

وهكذا قال السدي إلا أنه قال : افتخر علي ، والعباس ، وعثمان[٥] وشيبة بن عثمان ، وذكر نحوه .

وقال عبد الرزاق (٤٨) : أخبرنا معمر ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : نزلت في علي ، وعباس وعثمان ، وشيبة تكلموا في ذلك ، فقال العباس : ما [أراني إلَّا] تارك سقايتنا ، فقال رسول الله ﷺ : « **أقيموا علىٰ سقايتكم فإن لكم فيها خيرًا** » .

ورواه محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن فذكر[٦] نحوه [ ][٧] .

وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع فلابد من ذكره ها هنا :

قال عبد الرزاق (٤٩) : أخبرنا معمر ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه : أن رجلًا قال : ما أبالي أن أعمل عملًا بعد الإسلام [إلا أن أسقي الحاج .

---

(٤٧) - تفسير الطبري (١٧١/١٤) رقم (١٦٥٦٣) .

(٤٨) - تفسير عبد الرزاق (٢٤٣/١) وهو عند ابن جرير برقم (١٦٥٦١) .

(٤٩) - تفسير عبد الرزاق (٢٤٣/١) وهو عند ابن جرير برقم (١٦٥٦٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « أخبرني ابن لهيعة ....» .

[٢] - في حاشية ز : « لعله عثمان بن طلحة » .

[٣] - في ز : « أشأ » .

[٤] - في ز : « يقولان » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ت : « فذكره » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « إلا أنه قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرًا » .

وقال آخر : ما أبالي أن لا[١] أعمل عملًا بعد الإسلام][٢] إلا أن أعمر المسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم . فزجرهم عمر - رضي الله عنه - وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ، ولكن إذا صلينا الجمعة دخلنا على[٣] [النبي ﷺ فسألناه][٤] . فنزلت : ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لا يستوون عند الله** ﴾ .

(طريق أخرى) قال الوليد بن مسلم : حدثني معاوية بن سلام ، [عن جده أبي سلام الأسود][٥] ، عن النعمان بن بشير الأنصاري قال : كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال رجل منهم : ما أبالي أن لا أعمل لله عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج ، وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام . وقال آخر : بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وذلك[٦] يوم الجمعة ، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت علىٰ رسول الله ، ﷺ فاستفتيه[٧] فيما اختلفتم فيه . قال : ففعل فأنزل الله عز وجل ﴿ **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ .

رواه مسلم في صحيحه(٥٠) ، وأبو داود ، وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه ، وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وابن حبان في صحيحه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي

(٥٠) - صحيح مسلم في الإمارة برقم (١٨٧٩) وتفسير الطبري (١٤/١٦٩) رقم (١٦٥٥٧) ولم أجده في سنن أبي داود ، ولم يعزه المزي له في تحفة الأشراف .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « عليه » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في ز : « وهو » .
[٧] - في ز : « فاستفتيته » .

الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

أمر تعالىٰ بمباينة الكفار به وإن كانوا آباء أو أبناء ، ونهىٰ عن موالاتهم إن[١] استحبوا أي : اختاروا الكفر علىٰ الإيمان ، وتوعد على ذلك ، كقوله : ﴿ **لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ الآية .

وروىٰ الحافظ البيهقي(٥١) من حديث عبد الله بن شوذب قال : جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح ينعت له الآلهة يوم بدر ، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر الجراح قصده ابنه أبو عبيدة فقتله ، فأنزل الله فيه هذه الآية ﴿ **لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله** ﴾ الآية .

ثم أمر تعالىٰ رسوله أن يتوعد من آثر[٢] أهله وقرابته[٣] وعشيرته علىٰ الله و[٤] رسوله وجهاد في سبيله فقال : ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها** ﴾ أي : اكتسبتموها وحصّلتموها ﴿ **وتجارة تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها**[٥] ﴾ أي : تحبونها لطيبها وحسنها ، أي إن كانت هذه الأشياء ﴿ **أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا** ﴾ أي : فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم ، ولهذا قال : ﴿ **حتىٰ يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٥٢) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ابن لهيعة ، عن زهرة بن معبد ، عن جده قال : كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال : والله يا رسول الله ؛ لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال رسول الله ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه** » . فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي . فقال رسول الله : « **الآن يا عمر** » .

---

(٥١) - رواه الحاكم (٢٩٦/٣) من طريق الربيع بن سليمان ، عن أسد بن موسى ، عن ضمرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شوذب ، ومن طريق الحاكم رواه البيهقي في الكبرى (٢٧/٩) وقال البيهقي : « هذا منقطع » .

(٥٢) - المسند (٣٣٦/٤) رقم (١٩٠١٤) .

---

[١] - في ز : « إذا » .

[٢] - في ز : « أحب » .

[٣] - في ز : « قراباته » .

[٤] - في ز : « وعلى » .

[٥] - في ز : « ترضوها » .

انفرد بإخراجه البخاري(٥٣) فرواه عن يحيىٰ بن سليمان ، عن ابن وهب ، عن حيوة بن شريح ، عن أبي عقيل زهرة بن معبد أنه سمع جده عبد الله بن هشام ، عن النبي ﷺ بهذا .

وقد ثبت في الصحيح(٥٤) عنه ﷺ أنه قال : « **والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين** » .

ورویٰ الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له(٥٥) من حديث أبي عبد الرحمن الخراساني ، عن عطاء الخراساني ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم بأذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه حتىٰ ترجعوا إلىٰ دينكم** » .

ورویٰ الإمام أحمد أيضًا(٥٦) ، عن يزيد بن هارون ، عن أبي جناب[١] ، عن شهر بن حوشب ؛ أنه سمع عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله ﷺ بنحو ذلك ، وهذا شاهد للذي قبله ، والله أعلم .

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾

---

(٥٣) - صحيح البخاري ، كتاب الأيمان والنذور ، باب : كيف كان يمين النبي ﷺ برقم (٦٦٣٢) .

(٥٤) - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان برقم (١٤) دون قوله : «والناس أجمعين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ورواه مسلم في الإيمان (٤٤) دون قوله : «والذي نفسي بيده» من حديث أنس .

(٥٥) - المسند (٢/٤٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب البيوع ، باب : النهي عن العينة برقم (٣٤٦٢) . وفي إسناده إسحاق بن أسيد أبو عبد الرحمن الخراساني نزيل مصر لا يحتج بحديثه ، وفيه أيضًا عطاء الخراساني وفيه مقال .

(٥٦) - المسند (٢/٨٤) ، وأبو جناب : يحيى بن أبي حية : ضعفوه لكثرة تدليسه ، وشهر بن حوشب : صدوق كثير الإرسال والأوهام .

---

[١] - في ز ، خ : « حباب » .

قال ابن جريج ، عن مجاهد : هذه أول آية نزلت من براءة ، يذكر تعالىٰ للمؤمنين فضله عليهم ، وإحسانه لديهم ، في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله ، وأن ذلك من عنده تعالىٰ ، وبتأييده وتقديره لا بعَددهم[١] ، ولا بعُددهم ، ونبههم علىٰ أن النصر من عنده سواء قل الجمع أو كثر ، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ، ومع هذا ما أجدىٰ ذلك عنهم شيئًا ، فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ ، ثم أنزل نصره وتأييده علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين الذين معه كما سنبينه إن شاء الله تعالىٰ مفصلًا ، ليعلمهم أن النصر من عنده تعالىٰ وحده ، وبإمداده وإن قل الجمع ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين .

وقد قال الإمام أحمد(٥٧) : حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، سمعت يونس يحدث عن الزهري ، عن عبيد الله ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « **خير الصحابة أربعة ، وخير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن تغلب اثنا عشر ألفًا من قلة** » .

وهكذا رواه أبو داود والترمذي ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب [لا يسنده كبير][٢] أحد غير جرير بن حازم ، وإنما رُوي عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلًا .

وقد رواه ابن ماجة والبيهقي وغيره(٥٨) ، عن أكثم بن الجون ، عن رسول الله ﷺ بنحوه ، والله أعلم .

وقد كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة ، وذلك لما فرغ صلىٰ الله عليه وسلم من فتح مكة ، وتمهدت أمورها ، وأسلم عامة أهلها ، وأطلقهم رسول الله ﷺ ، فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه ، وأن[٣] أميرهم مالك بن عوف النضري ، ومعه ثقيف بكمالها ، وبنو جشم ، وبنو سعد بن بكر ، وأوزاع من بني هلال ، وهم قليل ، وناس من بني عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، وقد أقبلوا ومعهم النساء والولدان والشاء والنعم ، وجاءوا [بقضهم وقضيضهم][٤] ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي

---

(٥٧) - المسند (١/٢٩٤) رقم (٢٦٨٢) ، وسنن أبي داود برقم (٢٦١١) ، وسنن الترمذي برقم (١٥٥٥) . ورواه ابن حزيمة في صحيحه (٤/١٤٠) ، وابن حبان (١١/١٧) ، والحاكم (١/٦١١، ٢/١١٠) ، وأبو يعلى (٤/٤٥٩) .

(٥٨) - سنن ابن ماجة برقم (٢٨٢٧) ، وسنن البيهقي الكبرى (٩/٢٦٣) من طريق أبي سلمة العاملي عن الزهري ، عن أنس : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال لأكثم بن جون ، ... فذكر نحو حديث =

---

[١] - في ز : « عَددهم » .

[٢] - في خ : « كبير لا يسنده كبير » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - في ز : « بفضهم وفضيفهم » .

جاء معه للفتح ، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب ، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة ، وهم الطلقاء في ألفين أيضًا[١] ، فسار بهم إلىٰ العدو ، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له حنين ، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح ، انحدروا في الوادي ، وقد كمنت فيه هوازن ، فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد ثاوروهم[٢] ، ورشقوا بالنبال ، وأصلتوا السيوف ، وحملوا حملةَ رجلٍ واحدٍ ، كما أمرهم ملكهم ، فعند ذلك ولىٰ المسلمون مدبرين ، كما قال اللَّه - عز وجل - وثبت رسول اللَّه ﷺ وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلىٰ نحر العدو ، والعباس عمه آخذ بركابها الأيمن ، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابها الأيسر يثقلانها لئلا تسرع السير ، وهو ينوه باسمه - عليه الصلاة والسلام - ويدعو المسلمين إلىٰ الرجعة ، « **أين يا عباد اللَّه ؟ إليَّ أنا رسول اللَّه** » . ويقول في تلك الحال :

« **أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب** » .

وثبت معه من أصحابه قريب من مائة ، ومنهم من قال : ثمانون ، فمنهم : أبو بكر وعمر ، رضي اللَّه عنهما والعباس ، وعلي ، والفضل بن عباس ، وأبو سفيان بن الحارث ، وأيمن بن أم أيمن ، وأسامة بن زيد وغيرهم - رضي اللَّه عنهم - ثم أمر [رسول الله][٣] ﷺ عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلىٰ صوته : يا أصحاب الشجرة - يعني شجرة بيعة الرضوان التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها ، علىٰ أن لا يفروا عنه - فجعل ينادي بهم : يا أصحاب السمرة ، ويقول تارة : يا أصحاب سورة البقرة ؛ فجعلوا يقولون : يا لبيك ، يا لبيك ، وانعطف الناس ، فجعلوا يتراجعون إلىٰ رسول الله ﷺ ، حتىٰ إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره علىٰ الرجوع لبس درعه ثم انحدر عنه ، وأرسله ورجع بنفسه إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فلما اجتمعت[٤] شرذمة منهم [عند رسول الله ﷺ][٥] أمرهم - عليه السلام - أن يصدقوا الحملة ، وأخذ قبضة من التراب بعد ما دعا ربه واستنصره ، وقال : « **اللهم ، أنجز لي ما وعدتني** » .

ثم رمىٰ القوم بها ، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفمه ما شغله عن القتال ، ثم انهزموا فاتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون ، وما تراجع بقية الناس إلا

= ابن عباس . وقال البوصيري في الزوائد (٢/٤١٢) : « هذا إسناد ضعيف لضعف أبي سلمة العاملي الأزدي وعبد الملك بن محمد الصنعاني » . وقال الألباني : ضعيف جدًا لكن شطره الثاني صحيح من وجهٍ آخر .

---

[١] - سقط من : ت . [٢] - في ت : بادروهم .

[٣] - زيادة من ز .

[٤] - في ز : « رجعت » ، وفي خ : « رجعة » . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

والأسرىٰ[١] مجدلة[٢] بين يدي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم .

وقال الإمام أحمد(٥٩) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرنا يعلىٰ بن عطاء ، عن عبد[٣] اللَّه بن يسار [ ][٤] أبي[٥] همام ، عن أبي عبد الرحمن الفهري - واسمه يزيد ابن أسيد ، ويقال : يزيد بن أنيس ، ويقال : كرز - قال : كنت مع رسول اللَّه ، ﷺ في غزوة حنين ، فسرنا في يوم قائظ شديد الحر ، فنزلنا تحت ظلال الشجر ، فلما زالت الشمس لبست لأمَتي وركبت فرسي ، فانطلقت إلىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، وهو في فسطاطه ، فقلت : السلام عليك يا رسول اللَّه ورحمة اللَّه وبركاته[٦] ، حان الرواح ؟ فقال : « **أجل** » . فقال : « **يا بلال** » . فثار من تحت سمرة كأن ظلها[٧] ظل طائر ، فقال : لبيك وسعديك وأنا فداؤك . فقال : « **أسرج لي فرسي** » . فأخرج سرجًا دفتاه من ليف ليس فيهما أشر ولا بطر .

قال : فأسرج فركب وركبنا فصاففناهم عشيتنا وليلتنا ، فتشامت الخيلان فولىٰ المسلمون مدبرين ، كما قال الله عز وجل : ﴿ [ثم وليتم مدبرين][٨]﴾ ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **يا عباد اللَّه ، أنا عبد اللَّه ورسوله** » . ثم قال : « **يا معشر المهاجرين ، أنا عبد اللَّه ورسوله** » . قال : ثم اقتحم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن فرسه ، فأخذ كفًّا من تراب ، فأخبرني الذي كان أدنىٰ إليه مني أنه ضرب به وجوههم ، وقال : « **شاهت الوجوه !** » . فهزمهم اللَّه تعالى . قال يعلى بن عطاء : فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا : لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه ترابًا ، وسمعنا صلصلةً بين السماء والأرض كإمرار الحديد علىٰ الطَّست[٩] الحديد[١٠] .

وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي داود الطيالسي عن حماد بن

(٥٩) - المسند (٥/٢٨٦) ودلائل النبوة (٥/١٤١) . وعبد اللَّه بن يسار : مجهول . قاله الحافظ « في التقريب ٣٧٤٢ » . وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب في باب : الرجل ينادي الرجل فيقول : لبيك (٤/ ٣٦٠، ٣٦١/ رقم: ٥٢٣٣). من طريق موسى بن إسماعيل ، عن حماد بن سلمة به . وأخرجه أيضًا البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٣٥٠، ٣٥١/رقم: ١٨٣٣). والطبراني في الكبير (٢٢/ ٢٨٨، ٢٨٩/رقم: ٧٤٠، ٧٤١) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٨١، ١٨٢) وقال : « روى أبو داود منه إلى قوله : **ليس فيه أشر ولا بطر** . ورواه البزار والطبراني ، ورجالهما ثقات » . والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود حديث ٤٣٦٠ /٥٢٣٣ .

[١] - في ز : « الأسارى » .
[٢] - في ت : « مجندلة » .
[٣] - في ت : « عبيد » .
[٤] - ما بين المعكوفين في ت : عن . وهو خطأ ؛ لأن عبد الله بن يسار هو أبو همام .
[٥] - في ز : « أي » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « ظله » .
[٨] - سقط من : خ .
[٩] - في ز ، خ : « الطشت » .
[١٠] - في خ : « الجديد » .

سلمة ، به .

وقال محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد اللّٰه ، قال : فخرج مالك بن عوف بمن معه إلىٰ حنين ، فسبق رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، إليه فأعدوا وتهيئوا في مضايق الوادي وأحنائه ، وأقبل رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، وأصحابه حتىٰ انحط بهم الوادي في عماية الصبح ، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل فشدت[١] عليهم وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد علىٰ أحد ، وانحاز رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه [عليه][٢] وآله وسلم ذات اليمين يقول : « **أيها الناس ، هلموا إليّ أنا رسول اللّٰه ، أنا رسول اللّٰه ، أنا محمد بن عبد اللّٰه** » . فلا شيء وركبت الإبل بعضها بعضًا ، فلما رأىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم أمر الناس قال : « **يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة** » . فأجابوا[٣] لبيك ! لبيك ! فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر علىٰ ذلك فيقذف درعه في عنقه ويأخذ سيفه وقوسه ثم يؤم الصوت ، حتىٰ اجتمع إلىٰ رسول اللّٰه ، ﷺ ، منهم مائة ، فاستعرض الناس فاقتتلوا وكانت الدعوة أول ما كانت بالأنصار ، ثم جعلت آخرًا بالخزرج ، وكانوا صُبُرًا عند الحرب ، وأشرف رسول اللّٰه ، ﷺ ، في ركائبه[٤] ، فنظر إلىٰ مجتلد القوم فقال : « **الآن حمي الوطيس** » .

قال : فو اللّٰه ما راجعه الناس إلا والأسارىٰ عند رسول اللّٰه ، ﷺ ، ملقون ، فقتل اللّٰه منهم من قتل ، وانهزم منهم من[٥] انهزم ، وأفاء اللّٰه علىٰ رسوله أموالهم وأبناءهم .

وفي الصحيحين (٦٠) من حديث شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب - رضي اللّٰه عنهما - [أن رجلًا قال له][٦] : يا أبا عمارة ؛ أفررتم عن رسول اللّٰه ، ﷺ ، يوم حنين ؟ فقال : **لكن رسول اللّٰه** ، ﷺ ، لم يفر ، إن هوازن كانوا قومًا رماة ، فلما لقيناهم وحملنا عليهم انهزموا ، فأقبل الناس علىٰ الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانهزم الناس ، فلقد رأيت رسول اللّٰه ﷺ - وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلته[٧] البيضاء - وهو يقول : « **أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب** » .

قلت : وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة ، أنه في مثل هذا اليوم في حومة

---

(٦٠) - صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب : من قاد دابة غيره في الحرب برقم (٢٨٦٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير برقم (١٧٧٦) .

---

[١] - في ز : « فاشتدت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ز : « فأجابوه » .
[٤] - في ز : « ركابه » .
[٥] - في خ : « ما » .
[٦] - في ز : « أنه قال له رجل » .
[٧] - في ز : « بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

الوغىٰ ، وقد انكشف عنه جيشه ، وهو مع هذا[١] علىٰ بغلة وليست سريعة الجري ، ولا تصلح لفر ولا لكر ولا لهرب ، وهو مع هذا[٢] أيضًا يركضها إلىٰ وجوههم ، وينوّه باسمه ليعرفه من لم يعرفه - صلوات اللّه وسلامه عليه - دائمًا إلىٰ يوم الدين ، وما هذا كله إلا ثقة باللّه ، وتوكلٌ عليه ، وعلمٌ منه بأنه سينصره ويتم ما أرسله به ، ويظهر دينه علىٰ سائر الأديان ؛ ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **ثم أنزل اللّه سكينته علىٰ رسوله** ﴾ أي : طمأنينته وثباته علىٰ رسوله ﴿ **وعلىٰ المؤمنين** ﴾ أي : الذين معه ﴿ **وأنزل جنودًا لم تروها** ﴾ وهم الملائكة .

كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير : [حدثنا القاسم قال][٣] : حدثني الحسن بن عرفة ، قال : حدثني المعتمر بن سليمان ، عن عوف - هو ابن أبي جميلة[٤] الأعرابي - قال : سمعت عبد الرحمن مولىٰ ابن بُرثن ، حدثني رجل كان مع[٥] المشركين يوم حنين ، قال : لما [ ][٦] التقينا نحن وأصحاب رسول اللّه ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حَلَبَ شاة ، قال : فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتىٰ انتهينا إلىٰ صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول اللّه ﷺ ، قال : فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه ، فقالوا لنا : شاهت الوجوه ، ارجعوا ، قال : فانهزمنا وركبوا أكتافنا ، فكانت إياها .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي(٦١) : أنبأنا أبو عبد اللّه الحافظ ، حدثني محمد بن أحمد بن بَالُويه ، حدثنا إسحاق بن الحسن الحربي ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحارث بن حصيرة ، حدثنا القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : قال ابن مسعود - رضي اللّه عنه - : كنت مع رسول اللّه ﷺ يوم حنين ، فولىٰ عنه الناس ، وبقيت معه في ثمانين رجلًا من المهاجرين والأنصار ، قدمنا ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل اللّه عليهم السكينة ، قال : ورسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم علىٰ بغلته البيضاء[٧] يمضي قُدُمًا ، فحادت بغلته ، فمال عن السرج ، فقلت : ارتفع رفعك اللّه . قال : « **ناولني كفًا من التراب** » . فناولته ، قال : فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم ترابًا ، قال : « **أين المهاجرون والأنصار ؟** » . قلت : هم هناك . قال : « **اهتف بهم** » . فهتفت بهم فجاءوا ، وسيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب ، وولىٰ المشركون أدبارهم .

---

(٦١) - دلائل النبوة (١٤٣/٥) والمسند (٤٥٤/١) .

---

[١] - في ز ، خ : « ذلك » .
[٢] - في ز ، خ : « ذلك » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « حميلة » .
[٥] - في ز : « من » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « كان » .
[٧] - سقط من : ز .

ورواه الإمام أحمد في مسنده ، عن عفان به نحوه .

وقال الوليد بن مسلم : حدثني عبد اللّٰه بن المبارك ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عكرمة مولىٰ ابن عباس ، عن شيبة بن عثمان ، قال : لما رأيت رسول اللّٰه ﷺ يوم حنين قد عري ذكرت أبي وعمي وقتل علي وحمزة إياهما ، فقلت : اليوم أدرك ثأري منه .

قال : فذهبت لأجيئه عن يمينه ، فإذا أنا بالعباس بن عبد المطلب قائمًا[١] عليه درع بيضاء كأنها فضة يكشف عنها العجاج ، فقلت : عمه ولن يخذله . قال : فجئته عن يساره ، فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقلت : ابن عمه ولن يخذله ، فجئته من خلفه فلم يبق إلا أن أسوره سورة بالسيف ، إذ رفع لي شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق فخفت أن تمحشني ، فوضعت يدي علىٰ بصري ومشيت القهقرى ، فالتفت رسول اللّٰه ﷺ ، وقال : « **يا شيب يا شيب ؛ ادن مني . اللهم ؛ أذهب عنه الشيطان** » . قال : فرفعت إليه بصري ولهو أحب إلي من سمعي وبصري ، فقال : « **يا شيب ؛ قاتل الكفار** » .

رواه البيهقي من حديث الوليد فذكره(٦٢) ، ثم روىٰ من حديث أيوب بن جابر ، عن صدقة بن سعيد ، عن مصعب بن شيبة ، عن أبيه ، قال : خرجت مع رسول اللّٰه ﷺ يوم حنين ، واللّٰه ما أخرجني إسلام ولا معرفة به ، ولكنني[٢] أبيت[٣] أن تظهر هوازن علىٰ قريش ، فقلت وأنا واقف معه : يا رسول اللّٰه ، إني أرىٰ خيلًا بُلقًا[٤] فقال : « **يا شيبة ، إنه لا يراها إلا كافر** » .

فضرب [يده في][٥] صدري ثم قال « **اللَّهُمَّ ، اهد شيبة** » ، ثم ضربها الثانية ثم قال : « **اللَّهُمَّ ، اهد شيبة** » ، ثم ضربها الثالثة ثم قال : « **اللَّهُمَّ ، اهد شيبة** » . قال : فو اللّٰه ما رفع يده عن[٦] صدري في الثالثة حتىٰ ما كان أحد من خلق اللّٰه أحبَّ إليَّ منه .

وذكر تمام الحديث ثم[٧] التقاء[٨] الناس ، وانهزام المسلمين ، ونداء العباس ، واستنصار رسول اللّٰه ﷺ حتىٰ هزم اللّٰه المشركين .

(٦٢) - دلائل النبوة للبيهقي (١٤٥/٥) .

[١] - في ز : « قائم » .
[٢] - في ز : « ولكني » . [٣] - في ز : « أتيت » .
[٤] - بلق الفرس يبلق بلقًا : كان فيه سواد وبياض ، فهو أبلق .
[٥] - في خ : « بيده على » . [٦] - في ز : « من » .
[٧] - في ت : « في » . [٨] - في خ : « التقىٰ » .

[وقال][١] محمد بن إسحاق : حدثني والدي إسحاق بن يسار ، عمن حدثه ، عن جبير ابن مطعم - رضي اللّه عنه - قال : إنا لمع رسول اللّه ﷺ يوم حنين ، والناس يقتتلون ، إذ نظرت إلىٰ مثل البجاد[٢] الأسود يهوي من السماء حتىٰ وقع بيننا وبين القوم ، فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة .

وقال سعيد بن السائب بن يسار ، عن أبيه قال : سمعت يزيد بن عامر السوائي ، وكان شهد حنينًا مع المشركين ثم أسلم بعد ، فكنا نسأله عن الرعب الذي ألقىٰ اللّه في قلوب المشركين يوم حنين - فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطن[٣] فيقول : كنا نجد في أجوافنا مثل هذا .

وقد تقدم له شاهد من حديث يزيد بن أبي أسيد ، فاللّه أعلم .

وفي صحيح مسلم(٦٣) عن محمد بن رافع ، عن عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن همام ؛ قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة [قال : قال][٤] رسول اللّه ﷺ [ ][٥]: « **نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم** » . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ثم أنزل**[٦] **اللّه سكينته علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين وأنزل جنودًا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ثم يتوب اللّه من بعد ذلك علىٰ من يشاء واللّه غفور رحيم** ﴾ قد تاب اللّه علىٰ بقية هوازن وأسلموا[٧] وقدموا عليه مسلمين ، ولحقوه وقد قارب مكة عند الجعرانة ، وذلك بعد الوقعة بقريب من عشرين يومًا ، فعند ذلك خيرهم بين سبيهم وبين أموالهم ، فاختاروا سبيهم ، وكانوا ستة آلاف أسير مِن[٨] بين صبي وامرأة ، فرده عليهم وقسم أموالهم[٩] بين الغانمين ، ونفل أناسًا من الطلقاء ؛ ليتألف قلوبهم علىٰ الإِسلام ، فأعطاهم مائة مائة من الإِبل ، وكان من جملة من أعطى مائة مالك بن عوف النضري واستعمله علىٰ قومه كما كان ، فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها :

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... في النَّاسِ كُلِّهِمُ بمِثْلِ محمدِ

(٦٣) - صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (٥٢٣) .

[١] - في خ : « قال » .

[٢] - البجاد : كساء مخطط ، وجمعه بُجُد . أراد الملائكة الذين أيدهم الله بهم .

[٣] - في ز ، خ : « فتطن »

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « أن » .

[٥] - في ت : « قال » .

[٦] - في خ : « فأنزل » .

[٧] - في ت : « فأسلموا » .

[٨] - في خ : « ما » .

[٩] - في خ : « الأموال » .

أَوْفَىٰ وَأَعْطَىٰ لِلْجَزِيلِ إِذَا [اجْتَدَىٰ ومتىٰ][١] تشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدِ
وَإِذَا [الكَتِيبَةُ عَرَّدَتْ][٢] أَنْيَابُهَا بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ
فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَىٰ أَشْبَالِهِ[٣] وَسْطَ الهَبَاءَةِ[٤] خَادِرٌ فِي مَرْصَدِ[٥]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

أمر تعالىٰ عباده المؤمنين الطاهرين دينًا وذاتًا بنفي المشركين الذين هم نجس دينًا عن المسجد الحرام ، وألّا يقربوه بعد نزول هذه الآية ، وكان نزولها في سنة تسع ؛ ولهذا بعث رسول الله ، ﷺ ، عليًا صحبة أبي[٦] بكر ، رضي الله عنهما ، عامئذ ، وأمره أن ينادي في المشركين ؛ أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ ، فأتم الله ذلك وحكم به شرعًا وقدرًا .

وقال عبد الرزاق(٦٤) : أخبرنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ؛ أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله تعالىٰ : **﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾** : إلا أن يكون عبدًا أو أحدًا من أهل الذمة .

وقد روي مرفوعًا من وجه آخر ، فقال الإمام أحمد (٦٥) : حدثنا حسن[٧] ، حدثنا شريك ، عن الأشعث - يعني ابن سوار - عن الحسن ، عن جابر ؛ قال : قال رسول الله -

(٦٤) - تفسير عبد الرزاق (٢/٢٧١) وهو عند ابن جرير (١٤/١٦٦١٠) .

(٦٥) - أشعث بن سوار ، روى له مسلم متابعة . ضعفه أحمد ، وابن معين ، والدارقطني . وقد وثقه ابن معين مرة . وقال النسائي (٨/٦٩) : أشعث بن سوار ، ضعيف . قال الذهبي : صدوق ، لينه أبو زرعة . وقال ابن حجر في التقريب : ضعيف . والحسن لم يسمع من جابر . وشريك ضُعف لسوء حفظه =

[١] - في ز : « احتدى ما » .
[٢] - في ز : « الكثيبة غردت » .
[٣] - في خ : « أسباطه » .
[٤] - في ز : « المساة » ، خ : « المساءة » .
[٥] - بعده في خ : « قوله تعالى » .
[٦] - في ز : « أبو » .
[٧] - في خ : « حسين » .

ﷺ -: « **لا يدخل مسجدنا هذا[١] بعد عامنا هذا مشركٌ إلا أهل العهد وخدمكم[٢]** » .

تفرد به الإمام[٣] أحمد مرفوعًا ، والموقوف أصحُّ إسنادًا .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي : كتب عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : أن امنعوا اليهود والنصارىٰ من دخول مساجد المسلمين ، وأتبع نهيه قول الله تعالىٰ : ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾ (٦٦) .

وقال عطاء : الحرم كله مسجد ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ .

ودلَّت هذه الآية الكريمة علىٰ نجاسة المشرك ، كما دلَّت [على طهارة المؤمن][٤] ؛ لما[٥] ورد [ ][٦] في الصحيح : « **المؤمن لا ينجس** »(٦٧) . وأما[٧] نجاسة بدنه فالجمهور علىٰ أنه ليس بنجس البدن والذات ؛ لأن الله تعالىٰ أحل طعام أهل الكتاب ، وذهب بعض الظاهرية إلىٰ[٨] نجاسة أبدانهم .

وقال أشعث عن الحسن : من صافحهم فليتوضأ . رواه ابن جرير(٦٨) .

وقوله : ﴿ **وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله** ﴾ . قال محمد[٩] بن إسحاق : وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعن عنا الأسواق ، ولتهلكن التجارة ، وليذهبن عنا[١٠] ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فنزلت[١١] : ﴿ **وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله** ﴾ من وجه غير ذلك ﴿ **إن شاء** ﴾ إلىٰ قوله[١٢] : ﴿ **وهم صاغرون** ﴾ أي :

= والحديث في المسند (٣/٣٩٢) رقم (١٥٢٦٣) وقال الهيثمي في المجمع (٤/١٠) : « فيه أشعث بن سوار ، وفيه ضعف ، وقد وثق » .

(٦٦) - تفسير ابن جرير (١٤/١٦٥٩٥) .

(٦٧) - صحيح البخاري ، كتاب الغسل ، باب : الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره ، رقم (٢٨٥) ومسلم في الحيض حديث (٣٧١) .

(٦٨) - تفسير ابن جرير (٤/١٦٥٩٦) .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ت : « خدمهم » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز ، خ : « الحديث » .
[٧] - في ت : « وإنما » .
[٨] - في ز ، خ : « على » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ت : « فأنزل الله » .
[١٢] - في ز : « غيره » .

[إن][١] هذا عوض ما تخوفتم من قطع تلك الأسواق ، فعوضهم اللَّه بما قطع [عنهم من][٢] أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق[٣] أهل الكتاب من الجزية .

وهكذا روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وقتادة والضحاك وغيرهم .

﴿ **إن اللَّه عليم** ﴾ أي : بما يصلحكم ﴿ **حكيم** ﴾ أي : فيما يأمر به وينهىٰ عنه ؛ لأنه الكامل في أفعاله وأقواله ، العادل في خلقه وأمره تبارك وتعالىٰ ، ولهذا عوضهم عن تلك المكاسب بأموال الجزية التي يأخذونها من أهل الذمة ، فقال[٤] : ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم اللَّه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتىٰ يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون** ﴾ فهم في نفس الأمر لما[٥] كفروا بمحمد ، ﷺ ، لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد[٦] من الرسل ولا بما جاءوا به ، وإنما يتبعون آراءهم وأهواءهم وآباءهم فيما هم فيه ، لا لأنه شرع اللَّه ودينه ؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيمانًا صحيحًا لقادهم ذلك إلىٰ الإيمان بمحمد ، ﷺ ، لأن جميع الأنبياء بشروا به وأمروا باتباعه ، فلما جاء وكفروا به - وهو أشرف الرسل - عُلِمَ أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء [والأقدمين][٧] ؛ لأنه من عند[٨] اللَّه ، بل لحظوظهم وأهوائهم ؛ فلهذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم وخاتمهم وأكملهم ؛ ولهذا قال :

﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون باللَّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم اللَّه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب** ﴾ وهذه الآية الكريمة [نزلت][٩] أول الأمر بقتال أهل الكتاب ، بعد ما تمهدت أمور المشركين ودخل الناس في دين اللَّه أفواجًا فلما[١٠] استقرَّت[١١] جزيرة العرب ، أَمَرَ اللَّه رسوله بقتال أهل الكتابين ؛ اليهودِ والنصارىٰ ، وكان ذلك في سنة تسع ؛ ولهذا تجهز رسول الله ، ﷺ ، لقتال الروم ودعا الناس إلىٰ ذلك وأظهره لهم ، وبعث إلىٰ أحياء العرب حول المدينة فندبهم ، فأوعبوا[١٢] معه ، واجتمع من المقاتلة نحو [من][١٣] ثلاثين ألفًا[١٤] ، وتخلف بعض الناس من أهل المدينة ومن حولها من

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز : « أعتاق » .
[٤] - في ت : « وقوله تعالىٰ » .
[٥] - في ز ، خ : « كما » .
[٦] - في خ : « يأخذ » .
[٧] - في خ : « الأقدمين » .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - سقط من ز ، خ ، وأثبتناها لحاجة السياق إليها .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ز ، خ : « واستقامت » .
[١٢] - أوعبَ القومُ : خرجوا جميعًا .
[١٣] - سقط من خ .
[١٤] - في خ : « ألف » .

المنافقين وغيرهم ، وكان ذلك في عام جدب ووقت قيظ[١] وحر ، وخرج رسول اللَّه ، ﷺ ، يريد الشام ؛ لقتال الروم ، فبلغ تبوك فنزل بها وأقام على مائها[٢] قريبًا من عشرين يومًا ، ثم استخار اللَّه في الرجوع فرجع عامه ذلك ؛ لضيق الحال وضعف الناس ، كما[٣] سيأتي بيانه بعدُ إن شاء اللَّه تعالى .

وقد استدل بهذه الآية الكريمة من يرىٰ أنه لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب أو من أشبههم كالمجوس ، كما صحَّ فيهم الحديث أن رسول اللَّه ، ﷺ ، أخذها من مجوس[٤] هجر ، وهذا مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه ، وقال أبو حنيفة ، رحمه اللَّه : بل تؤخذ من جميع الأعاجم سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين ولا تؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب .

وقال الإمام مالك : بل يجوز أن تضرب الجزية علىٰ جميع الكفار ، من : كتابي ، ومجوسي ، ووثني وغير ذلك . ولمآخذ هذه المذاهب وذكر أدلتها مكانٌ غير هذا ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **حتىٰ يعطوا الجزية** ﴾ أي : إن لم يسلموا ﴿ **عن يد** ﴾ أي : عن قهر لهم وغلبة ﴿ **وهم صاغرون** ﴾ أي : ذليلون حقيرون مهانون ، فلهذا لا يجوز إعزاز[٥] أهل الذمة ولا رفعهم علىٰ المسلمين ، بل هم أذلاء صغرة أشقياء ، كما جاء في صحيح مسلم(٦٩) : عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، أن النبي ، ﷺ ، قال : « **لا تبدءوا اليهود والنصارىٰ بالسلام ، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلىٰ أضيقه** » ؛ ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي اللَّه ، عنه - تلك الشروط المعروفة في إذلالهم وتصغيرهم وتحقيرهم ، وذلك مما رواه الأئمة الحفاظ من رواية عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال : كتبت لعمر بن الخطاب ، رضي اللَّه ، عنه - حين صالح نصارىٰ من أهل الشام :

« بسم اللَّه الرحمن الرحيم ، هذا كتاب لعبد اللَّه عمر أمير المؤمنين من نصارىٰ مدينة كذا وكذا ، إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا ، وشرطنا لكم علىٰ أنفسنا ألَّا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديرًا ، ولا كنيسة ، ولا قلاية(*) ،

---

(٦٩) - صحيح مسلم ، كتاب السلام رقم (٢١٦٧/٣) .

(*) قال في النهاية [١٠٥/٤] : القَلّيّة : كالصومعة ؛ كذا وردت ، واسمها عند النصارى : القلَّاية ، وهو تعريب كلَّادة ، وهي من بيوت عباداتهم .

---

[١] - في ز ، خ : « قنط » .

[٢] - في خ : « بابها » .

[٣] - في ت : « لما » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « إذلال » .

ولا صومعة راهب ، ولا نجدد ما خرب منها ولا نحيي منها ، ما كان خِططًا(*) للمسلمين ، وألّا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار ، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل ، وأن ننزل من مرَّ بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمهم ، ولا نؤوي في كنائسنا ولا منازلنا جاسوسًا[١] ، ولا نكتم غشًّا للمسلمين ، ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نظهر شركًا ، ولا ندعو إليه أحدًا ، ولا نمنع أحدًا من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أرادوه ، وأن نوقر المسلمين ، وأن نقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس ، ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم في قلنسوة ، ولا عمامة ، ولا نعلين ، ولا فرق شعر ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نكتني بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ، ولا نتخذ شيئًا من السلاح ولا نحمله معنا ، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ، ولا نبيع الخمور ، وأن نجز مقاديم رءوسنا ، وأن نلزم زينا حيثما كنا ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا ، وألّا نظهر الصليب على كنائسنا ، وألّا نظهر صلبنا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضربًا خفيًّا ، وألّا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين ، ولا نخرج سعانين(**) ولا باعوثًا(***) ، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نجاورهم[٢] بموتانا ، ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ، وأن نرشد المسلمين ، ولا نطلع عليهم في منازلهم » .

قال : فلما أتيت عمر بالكتاب زاد فيه : ولا نضرب أحدًا من المسلمين ، شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا ، وقبلنا عليه الأمان ، فإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم ، ووظفنا على أنفسنا فلا ذمّة لنا ، وقد حل لكم منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق .

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا

(*) الخِطط : جمع خطة ، وهي الأرض يختطها الإنسان لنفسه ، بأن يعلم عليها علامة ويخط عليها خطًا ليعلم أنه قد احتازها .

(**) سعانين : عيد للنصارى معروف ، قبل عيدهم الكبير بأسبوع .

(***) الباعوث للنصارى : كالاستسقاء للمسلمين ، وهو اسم سرياني .

[١] - في خ : « داسوسًا » . [٢] - نجاونهم : كذا في خ .

مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

وهذا إغراء من الله تعالىٰ للمؤمنين علىٰ قتال المشركين الكفار من اليهود والنصارىٰ ؛ لمقالتهم هذه المقالة الشنيعة والفرية علىٰ الله تعالىٰ ؛ فأما اليهود فقالوا في العزير : إنه ابن الله ، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا . وذكر السدي وغيره : أن الشبهة التي حصلت لهم في ذلك : أن العمالقة لما غلبت علىٰ بني إسرائيل ، فقتلوا علماءهم وسبوا كبارهم ، بقي العزير يبكي علىٰ بني إسرائيل وذهاب العلم منهم ، حتىٰ سقطت جفون عينيه ، فبينا[١] هو ذات يوم إذ مر علىٰ جبانة ، وإذا امرأة تبكي عند قبر وهي تقول : وامطعماه ! واكاسياه ! فقال لها : ويحك ! من كان يطعمك قبل هذا ؟ قالت : الله . قال : فإن الله حي لا يموت . قالت : يا عزير ، فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل ؟ قال : الله . قالت : فلم تبكي عليهم ؟! فعرف أنه شيء قد وعظ به ، ثم قيل له : اذهب إلىٰ نهر كذا فاغتسل منه وصل هناك ركعتين ، فإنك ستلقىٰ هناك شيخًا فما أطعمك فكله ، فذهب ففعل ما أمر به ، فإذا الشيخ[٢] فقال له : افتح فمك ، ففتح فمه فألقىٰ فيه شيئًا كهيئة الجمرة العظيمة ثلاث مرات ، فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة ، [فقال : يا بني إسرائيل ، قد جئتكم بالتوراة][٣] . فقالوا : يا عزيرُ ، ما كنت كذابًا ! فعمد فربط علىٰ أصبع من أصابعه قلمًا ، وكتب التوراة بأصبعه كلِّها ، فلما تراجع الناس من عدوهم ، ورجع العلماء أخبروا بشأن عزير ، فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبال وقابلوها[٤] بها ، فوجدوا ما جاء به صحيحًا ، فقال بعض جهلتهم : إنما صنع هذا لأنه ابن الله !!

وأما ضلال النصارىٰ في المسيح فظاهر ، ولهذا كذب الله سبحانه الطائفتين فقال : ﴿ **ذلك قولهم بأفواههم** ﴾ أي : لا مستند لهم فيما ادّعوه سوىٰ افترائهم واختلاقهم[٥] ﴿ **يضاهئون** ﴾ أي : يشابهون ﴿ **قول الذين كفروا من قبل** ﴾ أي : من قبلهم من الأمم ، ضلوا كما ضل هؤلاء [ ][٦] ﴿ **قاتلهم الله** ﴾ قال ابن عباس : لعنهم الله ﴿ **أنىٰ يؤفكون ؟** ﴾ أي : كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ، ويعدلون إلىٰ الباطل ؟

---

[١] - في خ : « فبينما » .
[٢] - في ز : « شيخ » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ز : « وقابلوه » .
[٥] - في ز ، خ : « واختلافهم » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » .

وقوله[١] : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه والمسيح ابن مريم** ﴾ .

روىٰ الإمام أحمد والترمذي وابن جرير(٧٠) : من طرق ، عن عدي بن حاتم ، رضي اللَّه عنه : أنه لما بلغته دعوة رسول اللَّه ، ﷺ ، فرَّ إلىٰ الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم منّ رسول اللَّه ، ﷺ ، علىٰ أخته وأعطاها ، فرجعت إلىٰ أخيها ورغبته[٢] في الإسلام ، وفي القدوم علىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، فقدم عدي إلىٰ[٣] المدينة ، وكان رئيسًا في قومه طيئ ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه ، فدخل علىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم - وفي عنق عدي صليب من فضة - فقرأ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم هذه الآية ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه** ﴾ قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم . فقال : « **بلىٰ ، إنهم حرموا عليهم الحلال ، وحللوا[٤] لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم** » .

وقال رسول اللَّه ، ﷺ : « **يا عدي ، ما تقول ؟ أيُفِرُّك أن يقال : اللَّه أكبر ؟ فهل تعلم شيئًا أكبر من اللَّه ؟ ما يفرك ؟ أيفرك أن يقال : لا إله إلا اللَّه ؟ فهل تعلم [مِنْ إله إلا][٥] اللَّه ؟** » . ثم دعاه إلىٰ الإسلام ، فأسلم وشهد شهادة الحق ، قال : فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال[٦] : « **إن اليهود مغضوب عليهم ، والنصارىٰ ضالون** » .

وهكذا قال حذيفة بن اليمان ، وعبد اللَّه بن عباس وغيرهما في تفسير : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون اللَّه** ﴾ : إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا .

وقال السدي : استنصحوا الرجال وتركوا كتاب اللَّه وراء ظهورهم .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا** ﴾ أي : الذي إذا حرم الشيء فهو الحرام ، وما حلله [فهو الحلال][٧] ، وما شرعه اتبع ، وما حكم به نفذ .

---

(٧٠) - سنن الترمذي برقم (٣٠٩٥) وتفسير الطبري (٢٠٩/١٤-٢١١) (١٦٦٣١/١٤ ، ١٦٦٣٣) من طريق عبد السلام بن حرب ، عن غطيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدي بن حاتم ، رضي الله عنه ، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب ، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث » . وضعف - غطيف - الدارقطني .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « فرغبته » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « وأحلوا » .
[٥] - في ت : « إلها غير » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « حل » ، خ : « خل » .

﴿ **لا إله إلا هو**[١] **سبحانه عما يشركون** ﴾ أي : تعالىٰ وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء ، والأعوان ، والأضداد ، والأولاد ، لا إله إلا هو ولا ربَّ سواه .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ (٣٢) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ (٣٣) ﴾

يقول تعالىٰ : يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب ﴿ [**أن يطفئوا**][٢] **نور الله** ﴾ أي : ما بعث به رسول اللَّه ، ﷺ ، من الهدىٰ ودين الحق ، بمجرد جدالهم وافترائهم ، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس ، أو نورَ القمر بنفخة ، وهذا لا سبيل إليه ، فكذلك ما أرسل به رسول اللَّه ، ﷺ ، لابد أن يتم ويظهر ؛ ولهذا قال تعالىٰ مقابلًا لهم فيما راموه وأرادوه ﴿ **ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ .

والكافر : هو الذي يستر الشيء ويغطيه ، ومنه سمي الليل كافرًا[٣] ؛ لأنه يستر الأشياء ، والزارع كافرًا[٤] ؛ لأنه يغطي الحَبَّ في الأرض ، كما قال ﴿ **يعجب الكفار نباته** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق** ﴾ فالهدىٰ : هو ما جاء به من الإخبارات[٥] الصادقة ، والإيمان الصحيح ، والعلم النافع ، ودين الحق : هو[٦] الأعمال الصالحة[٧] الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة .

﴿ **ليظهره علىٰ الدين كله** ﴾ أي : علىٰ سائر الأديان ، كما ثبت في الصحيح عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، أنه قال : « **إن اللَّه زوى**(*) **لي الأرض مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها** »(٧١) .

(٧١) - صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة برقم ١٩- (٢٨٨٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

(*) أي : جمع . وفعله : زويته أزويه زيًّا .

[١] - في ز : « الله » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ليطفئوا » .

[٣] - في ز : « كافر » .

[٤] - في ز : « كافر » .

[٥] - في خ : « الأخبار » .

[٦] - في ز ، خ : « هي » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقال الإمام أحمد(٧٢) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن محمد بن أبي يعقوب ، سمعت شقيق بن حيان[١] يحدث ، عن مسعود بن قبيصة - أو قبيصة بن مسعود - يقول : صلىٰ هذا الحي من محارب[٢] الصبح ، فلما صلَّوا قال شاب منهم : سمعت رسول الله ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، يقول : « **إنه سيفتح[٣] لكم مشارق الأرض ومغاربها ، وإن عمالها في النار إلا من اتقىٰ اللَّه وأدّىٰ الأمانة** » .

وقال الإمام أحمد(٧٣) : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا سليم بن عامر ، عن تميم الداري ، رضي اللَّه عنه ، قال : سمعت رسول اللَّه ، ﷺ ، يقول : « **ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك اللَّه بيتَ مدرٍ(*) ولا وبرٍ إلا أدخله هذا الدينَ ، بعزِّ عزيزٍ أو بذلِ ذليلٍ ، عزًّا يُعزُّ اللَّه به الإسلامَ ، وذلًّا يذل اللَّه به الكفر** » . فكان تميم الداري يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتي ، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان [منهم كافرًا] الذل والصغار والجزية .

وقال الإمام أحمد(٧٤) : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني ابن جابر ، سمعت سليم بن عامر ، قال : سمعت المقداد بن الأسود ، يقول : سمعت رسول اللَّه ، ﷺ ، يقول : « **لا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله اللَّه[٤] كلمة الإسلام ، بعز عزيزٍ [أو ذلّ][٥] ذليلٍ ، إما يعزهم اللَّه فيجعلهم من أهلها ، أو[٦] يذلهم**

(٧٢) - المسند (٥/٣٦٦) رقم (٢٣٢١٥) . وشقيق بن حيان : ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال غيره : مجهول . ومسعود بن قبيصة أو قبيصة بن مسعود : ذكره البخاري بالشك ، ولم يذكر فيه جرحاً ، وقال أبو حاتم : مجهول . وذكره ابن حبان فيمن اسمه قبيصة من ثقات التابعين فقال : يروي عن أبي هريرة ، روى عنه شقيق بن حبان . (التعجيل ت ٨٧٨، التاريخ الكبير ١٦٧/٧، الجرح ١٢٦/٧ ، والثقات ٥/ ٣١٨) . وله شاهد من حديث الحسن مرسلاً رواه أبو نعيم في الحلية (١٩٩/٦) . والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٢٣٣) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه شقيق بن حيان قال أبو حاتم مجهول » .

(٧٣) - المسند (١٠٣/٤) رقم (١٧٠٠٧) ، وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٣٠ - ٤٣١) . والطبراني في الكبير (٢/ ٥٨) حديث (١٢٨٠) . والبيهقي (١٨١/٩) . وقال الهيثمي في المجمع (١٤/٦) : « رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح » . والحديث صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة حديث (٣) .

(*) - المدر : الطين اللزج المتماسك ، أو القطعة منه . وأهل المدر : سكان البيوت المبنية ، خلاف البدو سكان الخيام .

(٧٤) - المسند (٦/٤) رقم (٢٣٩٢٦) ، والوليد بن مسلم : مدلس ويسوي ؛ إلا أنه قد صرح بالتحديث =

[١] - في خ : « حباب » .
[٢] - في خ : « مجارب » .
[٣] - في خ : « ستفتح » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « وبذل » .
[٦] - في خ : « وإما » .

فيدينون لها » .

وفي المسند أيضًا(٧٥) : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن أبي حذيفة ، عن عدي بن حاتم سمعه يقول : دخلت علىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، فقال : « **يا عدي ، أسلم تسلم** » . فقلت : إني من أهل دين . قال : « **أنا أعلم بدينك منك** » . فقلت : أنت أعلم بديني مني ؟! قال : « **نعم ، ألست من الركوسية ، وأنت تأكل مرباع قومك ؟** » . قلت : بلىٰ ! قال : « **فإن هذا لا يحل لك في دينك** » .

قال : فلم يعدُ أن قالها فتواضعتُ لها . قال « **أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام ، تقول : إنما اتبعه ضَعَفَةُ الناس ومَنْ لا قوّة له ، وقد رمتهم العرب ، أتعرف الحَيرة ؟** » . قلت : لم أرها وقد سمعت بها . قال : « **فو الذي نفسي بيده ليتمَّنّ اللَّه هذا الأمر ، حتىٰ تخرج الظَّعينة من الحيرة حتىٰ تطوف بالبيت من**[١] **غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرىٰ بن هرمز** » .

قلت : كسرىٰ بن هرمز ؟! قال : « **نعم ، كسرىٰ بن هرمز ، وليبذلن المال حتىٰ لا يقبله أحد** » قال عدي بن حاتم : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت من[٢] غير جوار أحد[٣] ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرىٰ بن هرمز ، والذي نفسي بيده ، لتكونن الثالثة ؛ لأن رسول اللَّه ، ﷺ ، قد قالها .

وقال مسلم(٧٦) : حدثنا أبو معن زيد بن يزيد الرقاشي ، حدثنا خالد بن الحارث ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن الأسود بن العلاء ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، رضي اللَّه عنها ، قالت : سمعت رسول اللَّه ، ﷺ ، يقول : « **لا يذهب الليل والنهار حتىٰ تعبد اللات والعزى** » . فقلت : يا رسول اللَّه ، إن كنت لأظن - حين أنزل اللَّه عز وجل ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق** ﴾ . إلى قوله : ﴿ **ولو كره المشركون** ﴾[٤] - أن

= وكذلك شيخه فمن فوقه صرحوا بالسماع . وسليم بن عامر : ثقة . روى له البخاري في الأدب والباقون . وابن جابر : هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، ثقة ، روى له الجماعة . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/٣٥٤/ رقم : ٦٠١) . وابن حبان في الإحسان (١٥/٩١-٩٤/رقم : ٦٦٩٩،٦٧٠١) . والحاكم في المستدرك (٤/٤٣٠) . والبيهقي في السنن (٩/١٨١) . كلهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٤) وقال : « ورجال الطبراني رجال الصحيح » .

(٧٥) - المسند (٤/٣٧٧،٣٧٨) رقم (١٩٤٣٥) مطولًا .

(٧٦) - صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، رقم (٢٩٠٧) .

[١] - في ز : « في » .
[٢] - في : « في » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : الآية .

ذلك تام .

قال : « **إنه سيكون من ذلك ما شاء اللّٰه عز وجل ، ثم يبعث اللّٰه ريحًا طيبة ، [فيتوفىٰ كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان]**[١] ، **فيبقىٰ من لا خير فيه ، فيرجعون إلىٰ دين آبائهم** » .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾

قال السدي : الأحبار من اليهود ، والرهبان من النصارىٰ . وهو كما قال ؛ فإن الأحبار هم علماء اليهود ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت** ﴾ والرهبان : عباد النصارىٰ ، والقسيسون : علماؤهم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون** ﴾ .

والمقصود : التحذير من علماء السوء وعباد الضلالة[٢] ، كما قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى . وفي الحديث الصحيح(٧٧) : « **لتركبن سَنَنَ من كان قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ(*) بالقذة** » . قالوا : اليهود والنصارىٰ ؟ قال : « **فمن ؟** » وفي رواية : فارس والروم ؟ قال : « **فمن[٣] الناس إلا هؤلاء ؟** » .

والحاصل : التحذير من التشبه بهم في [أحوالهم وأقوالهم] ؛ ولهذا قال تعالىٰ :

---

(٧٧) - رواه بمعناه ونحوه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٥٦) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٩) .

(*) في النهاية [٢٨/٤] : القُذَذ : ريش السهم ، واحدتها قُذَّة - أي : كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع . يضرب مثلًا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في خ : « الضلال » .

[٣] - في ز : « وفي » .

﴿ ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾ وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون أموالهم بذلك ، كما كان لأحبار اليهود علىٰ أهل الجاهلية شرف ، ولهم[١] عندهم خَرْجٌ(*) وهدايا وضرائب تجيء إليهم ، فلما بعث اللَّه رسوله ، ﷺ استمروا علىٰ ضلالهم وكفرهم وعنادهم ؛ طمعًا منهم أن تبقىٰ لهم تلك الرياسات ، فأطفأها اللَّه بنور النبوّة ، وسلبهم إياها ، وعوضهم [الذل والصغار][٢] ، وباءوا بغضبٍ من اللَّه تعالى .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ويصدون عن سبيل اللَّه ﴾ أي : وهم - مع أكلهم الحرام - يصدون الناس عن اتباع الحق ، ويلبسون الحق بالباطل ، ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلىٰ الخير ، وليسوا كما يزعمون ، بل هم دعاة إلىٰ النار ، ويوم القيامة لا ينصرون .

وقوله : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللَّه فبشرهم بعذاب أليم ﴾ . هؤلاء هم القسم الثالث من رءوس الناس ، فإن الناس عالة[٣] علىٰ العلماء ، وعلىٰ العباد ، وعلىٰ أرباب الأموال ، فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس ، كما قال [ابن المبارك][٤] :

وهل أفسد الدِّينَ إلَّا الملُوكُ وأحبارُ سُوءٍ ورُهْبانُها

وأما الكنز : فقال مالك ، عن عبد اللَّه بن دينار ، عن ابن عمر [أنه قال][٥] : هو المال الذي لا تؤدىٰ منه زكاة[٦] .

وروىٰ الثوري وغيره(٧٨) ، عن عبيد[٧] اللَّه ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين ، وما كان ظاهرًا لا تؤدى زكاته فهو كنز .

وقد روي هذا عن ابن عباس ، وجابر ، وأبي هريرة موقوفًا ومرفوعًا (٧٩) ، وقال[٨] عمر ابن الخطاب نحوه : أيما مال أديت زكاته فليس بكنز ، وإن كان مدفونًا في الأرض ، وأيما

(*) الخرج : الإتاوة السنوية .

(٧٨) - رواه البيهقي في السنن الكبرى (٨٢/٤) من طريق سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا وقال : « ليس هذا بمحفوظ ، وإنما المشهور عن سفيان عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر موقوفًا » .

(٧٩) - أما حديث ابن عباس ، فرواه الطبري في تفسيره (٢٢٥/١٤) رقم (١٦٦٦٩) من طريق علي =

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « بالذلة والمسكنة » .
[٣] - في ز ، خ : « عيلة » .
[٤] - في ز ، خ : « بعضهم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٦] - في ز : « الزكاة » .
[٧] - في ز ، خ : « عبد » .
[٨] - سقط من : ز .

مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوىٰ به صاحبه وإن كان علىٰ وجه الأرض .

وروىٰ البخاري (٨٠) : من حديث الزهري ، عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبد الله ابن عمر فقال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت جعلها الله طُهْرَةً[١] للأموال .

وكذا قال عمر بن عبد العزيز وعراك بن مالك : نسخها [ ][٢] قوله تعالىٰ : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة** ﴾ . الآية .

وقال سعيد عن محمد بن زياد ، عن أبي أمامة أنه قال : حلية السيوف من الكنز ، ما أحدثكم إلا ما سمعت [من رسول الله ، ﷺ][٣] .

وقال الثوري ، عن أبي حصين ، عن أبي الضحىٰ ، عن جعدة بن هبيرة ، عن علي ، رضي الله عنه ، قال : أربعة آلاف فما دونها نفقة ، فما كان أكثر [من ذلك][٤] فهو كنز .

وهذا غريب ، وقد جاء في مدح التقلل من الذهب والفضة ، وذم التكثر منهما[٥] أحاديث كثيرة ، ولنورد منها هنا طرفًا يدل علىٰ الباقي :

قال[٦] عبد الرزاق (٨١) : أخبرنا الثوري ، أخبرني أبو حصين ، عن أبي الضحىٰ ، عن جعدة بن هبيرة ، عن علي ، رضي الله عنه ، في قوله : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله** ﴾ . قال النبي ، ﷺ : « **تبًا للذهب تبًا للفضة** » يقولها ثلاثًا ، قال : فشق ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ، ﷺ ، وقالوا : فأي مال نتخذ ؟ فقال عمر رضي الله عنه : أنا أعلم لكم ذلك . فقال : يا رسول الله ، إن أصحابك قد شق عليهم ،

ابن أبي طلحة عن ابن عباس موقوفًا ، وأما حديث جابر ، فرواه ابن عدي في الكامل (١٨٩/٧) من طريق يحيى بن أبي أنيسة عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا ، ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/٨) من طريق خصيف عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا . وأما حديث أبي هريرة ، فرواه الترمذي في السنن برقم (٦١٨) قال العراقي : « إسناده جيد » .

(٨٠) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : ما أدي زكاته فليس بكنز ، رقم (١٤٠٤) .

(٨١) - ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٧١/٢) وعزاه لعبد الرزاق في تفسيره بعد أن ذكره من حديث ثوبان وعمر ، ثم قال : « الحاصل أنه حديث ضعيف لما فيه من الاضطراب » .

---

[١] - في ز : « طهرًا » .

[٢] - ما بين المعكوفين في خ : «في» .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « منه » .

[٥] - في خ : « منها » .

[٦] - في ز : « فقال » .

و[١] قالوا : فأي المال نتخذ ؟ قال : « **لسانًا ذاكرًا ، وقلبًا شاكرًا ، وزوجة تعين أحدكم علىٰ دينه** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٨٢) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، حدثني [سالم بن عبد اللَّه][٢] ، أخبرنا عبد اللَّه بن أبي الهذيل ، حدثني صاحب لي ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، قال : « **تبًا للذهب والفضة** » . قال : فحدثني[٣] صاحبي أنه انطلق مع عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول اللَّه ، قولك : « **تبًا للذهب والفضة** » ماذا ندخر ؟ قال رسول اللَّه ، ﷺ : « **لسانًا ذاكرًا ، وقلبًا شاكرًا ، وزوجة تعين علىٰ الآخرة** » .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٨٣) : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد اللَّه بن عمرو بن مرة ، عن أبيه ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : لما نزل في [الفضة والذهب][٤] ما نزل ، قالوا : فأي المال نتخذ ؟ [قال عمر : أنا أعلم ذلك لكم ، فأوضع(*) على بعير فأدركه - وأنا في أثره - فقال : يا رسول اللَّه ، أي المال نتخذ ؟][٥] قال : « **ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا ، ولسانًا ذاكرًا ، وزوجة تعين أحدكم علىٰ[٦] أمر الآخرة** » .

ورواه الترمذي وابن ماجة : من غير وجه ، عن سالم بن أبي الجعد وقال الترمذي : حسن . وحكى عن البخاري أن سالمًا لم يسمعه من ثوبان .

قلت : ولهذا رواه بعضهم عنه مرسلًا ، واللَّه أعلم .

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حميد بن مالك ، حدثنا يحيىٰ ابن يعلى[٧] المحاربي ، حدثنا أبي ، حدثنا غيلان بن جامع المحاربي ، عن عثمان أبي اليقظان ، عن جعفر بن إياس[٨] ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة** ﴾ . الآية ، كَبُرَ ذلك علىٰ المسلمين ، وقالوا : ما

---

(٨٢) - المسند (٥/٣٦٦) رقم (٢٣٢٠٧) .

(٨٣) - المسند (٥/٢٨٢) رقم (٢٢٥٣٩) والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة التوبة (٥/ ٢٧٧، ٢٧٨/ رقم: ٣٠٩٤) . وابن ماجة في كتاب النكاح ، باب : أفضل النساء (١/ ٥٩٦/ رقم: ١٨٥٦) .

(*) أوضع الراكبُ الدابة : حملها على السير السريع .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في خ : « وحدثني » .
[٤] - في خ : « الذهب والفضة » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « على » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز ، خ : « أبي إياس » .

يستطيع أحد منا [أن يترك لولده][١] مالًا يبقىٰ بعده . فقال عمر : أنا أفرج عنكم . فانطلق عمر واتبعه ثوبان ، فأتىٰ النبي ، ﷺ ، فقال : يا نبي اللّٰه ، إنه قد كبر علىٰ أصحابك هذه الآية . فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم : « **إن اللّٰه لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم ، وإنما فرض المواريث من أموال تبقىٰ بعدكم** » . قال : فكبر عمر ، ثم قال له النبي ، ﷺ : « **ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء ؛ المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته** » .

ورواه أبو داود ، والحاكم في مستدركه ، وابن مردويه من حديث يحيىٰ بن يعلى ، به ، وقال الحاكم : صحيح علىٰ شرطهما ولم يخرجاه(٨٤) .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٨٥) : حدثنا روح ، حدثنا الأوزاعي ، عن حسان ابن عطية قال : كان شداد بن أوس ، رضي اللّٰه عنه ، في سفر ، فنزل منزلًا فقال لغلامه : ائتنا بالشفرة(*) نعبث[٢] بها ، فأنكرت عليه ، فقال : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه ، فلا تحفظوها علي واحفظوا ما أقول لكم ، سمعت رسول اللّٰه ، ﷺ ، يقول : « **إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات : اللهم ؛ إني أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة علىٰ الرشد ، وأسألك شكرَ نعمتِك ، وأسألك حسنَ عبادتك ، وأسألك قلبًا سليمًا ، وأسألك لسانًا صادقًا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شرِّ ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يوم يحمىٰ عليها في نار جهنم فتكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** ﴾ أي : يقال لهم هذا الكلام تبكيتًا

---

(٨٤) - سنن أبي داود برقم (١٦٦٤) والمستدرك (٢/٣٣٣) قال الذهبي : « وعثمان لا أعرفه والخبر عجيب » .

(٨٥) - المسند (٤/١٢٣) (١٧١٦٥) والحديث أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب : ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام . (٥/٤٤٤) حديث (٣٤٠٧) . مقتصراً على المرفوع . والنسائي في الصلاة (٣/٥٤) . وفي عمل اليوم والليلة حديث (٨١٢) . وابن السني في عمل اليوم والليلة . والطبراني الكبير (٧/٣٥١) حديث (٧١٧٥) - (٧١٨٠) . وقال أبو عيسى : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه .والحلية ومصنف ابن أبي شيبة ، وتاريخ ابن عساكر ، وصحيح ابن حبان ، والترمذي .

(*) كذا في ز ، خ ، والمسند : الشفرة (بالشين) ولكن وردت في تاريخ ابن عساكر وترجمة شداد بن أوس - وصحيح ابن حبان ، والحلية وغيرها : السفرة (بالسين المهملة) . والسفرة : طعام المسافر . ولكن كلا اللفظين غير ملائم للسياق ، فلعل باللفظة تحريفًا . ولكن جاء في النهاية : « كان أنس شفرة القوم في سفرهم » وفسر ابن الأثير الشفرة هنا بمعنى الخادم ، فلعلها ههنا أيضًا بهذا المعنى .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « بولده » . [٢] - في ز : « بعثت » .

وتقريعًا وتهكّمًا ، كما في قوله : ﴿ **ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم** ﴾ أي : هذا بذاك ، وهو الذي كنتم تكنزون لأنفسكم ؛ ولهذا يقال : من أحب شيئًا ، وقدمه علىٰ طاعة اللَّه عذب به ، وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا اللَّه عذبوا بها ، كما كان أبو لهب -لعنه اللَّه- جاهدًا في عداوة [الرسول][١] ، ﷺ ، وامرأته تعينه في ذلك ، كانت يوم القيامة عونًا علىٰ عذابه أيضًا ، ﴿ **في جيدها** ﴾ أي : عنقها ﴿ **حبل من مسد** ﴾ أي : تجمع من الحطب في النار ، وتلقي عليه ؛ ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن[٢] هو أشفق عليه [كان][٣] في الدنيا ، كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأشياء[٤] علىٰ أربابها ، كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة ، فيحمىٰ عليها في نار جهنم - وناهيك بحرها - فتكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

قال سفيان(٨٦) ، عن الأعمش ، عن عبد اللَّه بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد اللَّه بن مسعود : واللَّه الذي لا إله غيره ، لا يكوىٰ عبد بكنز فيمس دينار دينارًا ولا درهم درهمًا ، ولكن يوسع[٥] جلده فيوضع كل دينار ودرهم علىٰ حدته .

وقد رواه ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعًا ولا يصح رفعه ، واللَّه أعلم .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : بلغني أن الكنز يتحول يوم القيامة شجاعًا يتبع صاحبه ، وهو يفر منه ويقول : أنا كنزك ، لا يدرك منه شيئًا إلا أخذه .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير(٨٧) : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن معدان بن أبي طلحة ، عن ثوبان ، أن رسول اللَّه ، ﷺ ، كان يقول : « **من ترك بعده كنزًا ، مُثّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع ، له زبيبتان يتبعه و[٦] يقول : ويلك ! ما أنت ؟ فيقول : أنا كنزك الذي تركته بعدك . ولا يزال يتبعه حتىٰ يلقمه يده فيقضمها[٧] ، ثم يتبعها سائر جسده** » .

---

(٨٦) - رواه الطبري في تفسيره (٢٣٣/١٤) رقم (١٦٦٨٢) من طريق سفيان ، به .

(٨٧) - تفسير الطبري (٢٣٢/١٤) رقم (١٦٦٨٠) وصحيح ابن حبان برقم (٨٠٣) « موارد » ورواه ابن خزيمة في صحيحه برقم (٢٢٥٥) من طريق بشر بن معاذ ، به .

---

[١] - في خ : « رسول اللَّه » .
[٢] - في ز : « من » .
[٣] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٤] - في م : « الأموال » .
[٥] - في ز : « يتوسع » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « فيفصفصها » ، خ : « فيقصقصها » ، والمثبت من تفسير الطبري .

ورواه ابن حبان في صحيحه : من حديث يزيد ، عن سعيد ، به ، وأصل هذا الحديث في الصحيحين(٨٨) : من رواية أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه .

و[١] في صحيح مسلم(٨٩) : من حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « **ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله ، إلا جعل له[٢] يوم القيامة صفائح من نار ، يكوىٰ[٣] بها جنبه وجبهته وظهره ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتىٰ يقضىٰ بين الناس[٤] ، ثم يرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار** » .

وذكر تمام الحديث .

وقال البخاري في تفسير هذه الآية(٩٠) : حدثنا قتيبة [بن سعيد][٥] ، حدثنا جرير ، عن حصين ، عن زيد[٦] بن وهب ، قال : مررت علىٰ أبي ذر بالربذة فقلت : ما أنزلك بهذه الأرض ؟ فقال[٧] : كنا بالشام فقرأت ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ فقال معاوية : ما هذا[٨] فينا ، ما هذه إلا في أهل الكتاب . قال : قلت : إنها لفينا وفيهم .

ورواه ابن جرير(٩١) : من حديث عبثر بن القاسم ، عن حصين ، عن زيد بن وهب ، عن أبي ذر ، رضي الله عنه ... فذكره وزاد : فارتفع في ذلك بيني وبينه القول ، فكتب إلىٰ عثمان يشكوني[٩] ، فكتب إليَّ عثمان أن[١٠] أقبل إليه . قال : فأقبلتُ ، فلمّا قدمت المدينة ركبني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ ، فشكوت[١١] ذلك إلى عثمان فقال لي : تنح قريبًا . قلت : والله لن أدع ما كنت أقول .

---

(٨٨) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، رقم (٤٦٥٩) ولم أعثر عليه في صحيح مسلم من هذا الطريق .

(٨٩) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة رقم (٩٨٧) .

(٩٠) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٦٦٠) .

(٩١) - تفسير الطبري (١٤/٢٢٧) رقم (١٦٦٧١) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ت : « فيكوى » .

[٤] - في ت : « العباد » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز ، خ : « يزيد » .

[٧] - في ت : « قال » .

[٨] - في خ : « هذه » .

[٩] - في خ : « يسلوني » .

[١٠] - في ز : « أني » .

[١١] - في ت : « فشكون » .

(قلت) : كان من مذهب أبي ذر -رضي الله عنه- تحريم ادخار ما زاد علىٰ نفقة العيال ، وكان يفتي بذلك ، ويحثهم عليه ، ويأمرهم به ، ويغلظ في خلافه ، فنهاه معاوية فلم ينته ، فخشي أن يضر بالناس في هذا ، فكتب يشكوه إلىٰ أمير المؤمنين عثمان ، وأن يأخذ [الذي يأخذه][١] إليه ، فاستقدمه عثمان إلىٰ المدينة ، وأنزله بالربذة وحده ، وبها مات رضي الله عنه في خلافة عثمان .

وقد اختبره معاوية -رضي الله عنه- وهو عنده هل يوافق عمله قوله ؟ فبعث إليه بألف دينار ، ففرقها من يومه . ثم بعث إليه الذي أتاه بها فقال : إن معاوية إنما بعثني إلىٰ غيرك فأخطأت فهات الذهب . فقال : ويحك ! إنها خرجت ، ولكن إذا جاء مالي حاسبناك به .

وهكذا روىٰ علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس أنها عامة .

وقال السدي : هي في أهل القبلة .

وقال الأحنف بن قيس : قدمت المدينة ، فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش ، إذ جاء رجل أخشن الثياب ، أخشن الجسد ، أخشن الوجه ، [فقام عليهم][٢] فقال : بشر الكانزين[٣] برضف(*) يحمىٰ عليه في نار جهنم ، فيوضع علىٰ حلمة ثدي أحدهم ، حتىٰ يخرج من نغض كتفه ، [ويوضع علىٰ نغض كتفه][٤] حتىٰ يخرج من حلمة ثديه يتزلزل .

قال : فوضع القوم رءوسهم ، فما رأيت أحدًا منهم رجع إليه شيئًا ، قال : وأدبر فاتبعته حتىٰ جلس إلىٰ سارية ، فقلت : ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم . فقال : إن هؤلاء لا يعلمون شيئًا .

وفي الصحيح(٩٢) أن رسول الله ، ﷺ ، قال لأبي ذر : « **ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبًا ، يمر عليه[٥] [ثلاثة][٦] وعندي منه شيء ، إلا دينار أرصده لدين** » .

فهذا - والله أعلم - هو الذي حدا[٧] بأبي ذر علىٰ القول بهذا .

(*) الرضف : الحجارة المحماة على النار .

(٩٢) - صحيح مسلم ،كتاب الزكاة رقم (٩٩١) من حديث أبي هريرة .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في خ : « الكنازين » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في خ : « علي » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « ثلاث أيام » .

[٧] - في ز : « حذا » .

وقال الإمام أحمد(٩٣) : حدثنا عفان ، حدثنا همام ، حدثنا قتادة ، عن سعيد بن أبي الحسن ، عن عبد الله بن الصامت - رضي الله عنه - أنه كان مع أبي ذر ، فخرج عطاؤه ، ومعه جارية ، فجعلت تقضي حوائجه ، ففضلت معها سبعة ، فأمرها أن تشتري به فلوسًا(*) .

قال : قلت : لو ادخرته لحاجة تنوبك[١] وللضيف ينزل بك . قال : إن خليلي عهد إليَّ أن « **أيما ذهب أو فضة أوكئ عليه ، فهو جمر على صاحبه حتى يفرغه في سبيل الله عز وجل** » .

ورواه(٩٤) عن يزيد عن همام به ، وزاد : إفراغًا .

وقال[٢] الحافظ ابن عساكر (٩٥) بسنده إلى أبي بكر الشبلي ، في ترجمته ، عن محمد ابن مهدي ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن صدقة بن عبد الله ، عن طلحة بن زيد ، عن أبي فروة الرهاوي ، عن عطاء ، عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **الق الله فقيرًا ولا تلقه غنيًا** » . قال : يا رسول الله ، كيف لي بذلك ؟ قال : « **ما سئلت فلا تمنع ، وما رزقت فلا تخبئ** » . قال : يا رسول الله ، كيف لي بذلك ؟ قال رسول الله ، ﷺ : « **هو ذاك وإلا فالنار** » . إسناده ضعيف .

وقال الإمام أحمد(٩٦) : حدثنا عفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا عُتَيْبَة ، عن بُرَيْد ابن الصرم ؛ قال : سمعت عليًا - رضي الله عنه - يقول : مات رجل من أهل الصفة ، وترك دينارين أو درهمين ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : « **كيَّتان ! صلوا على صاحبكم** » .

وقد روي هذا من طرق أخر (٩٧) .

وقال قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة صُدَي بن عجلان ، قال : مات رجل

---

(٩٣) - المسند (١٥٦/٥) رقم (٢١٤٦٣) .

(*) الفلوس : جمع فَلْس ، وهي عملة يتعامل بها مضروبة من غير الذهب والفضة .

(٩٤) - المسند (١٧٥/٥) وقال الهيثمي في المجمع (٢٤٠/١٠) : « رجاله رجال الصحيح » .

(٩٥) - انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٦٨/٢٨) ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (٣٩٠/١٤) في ترجمة الشبلي من طريق محمد بن مهدي المصري ، به .

(٩٦) - المسند (١٠١/١) .

(٩٧) - رواه أحمد في مسنده (١٣٧/١، ١٣٨) من طريق قطن بن نسير ومحمد بن عبيد وحبان بن هلال =

---

[١] - في ز ، خ : « بيوتك » . [٢] - في ت : « قال » .

من أهل الصفة ، فوجد في مئزره دينار ، فقال رسول الله ، ﷺ : « **كية** » . ثم توفي رجل آخر فوجد في مئزره ديناران ، فقال رسول الله ، ﷺ : « **كيتان** » (٩٨) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الفراديسي ، حدثنا معاوية بن يحيىٰ الأَطْرَابُلسِي ، حدثني أرطاة ، حدثنا أبو عامر الهوزني ، سمعت ثوبان مولىٰ رسول الله ، ﷺ ، قال : « **ما من رجل يموت وعنده أحمر أو أبيض ، إلا جعل الله بكل قيراط صفحة من نار ، يكوىٰ بها من قدمه إلىٰ ذقنه** » .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمود بن خداش ، حدثنا سيف بن محمد الثوري ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **لا يوضع الدينار علىٰ الدينار ، ولا الدرهم علىٰ الدرهم ، ولكن يوسع جلده ، فيكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم تكنزون** » . سيفٌ هذا كذابٌ متروك .

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

قال الإمام أحمد(٩٩) : حدثنا إسماعيل ، أخبرنا أيوب ، أخبرنا محمد بن سيرين ، عن أبي بكرة ؛ أن النبي ، ﷺ ، خطب في حجته ، فقال : « **ألا إن الزمان قد استدار كهيئته**

= كلهم عن جعفر بن سليمان به نحوه ، وجاء من حديث عبد الله بن مسعود رواه أحمد في مسنده (١/ ٤١٢) ، وجاء من حديث سلمة بن الأكوع رواه أحمد في مسنده (٤٧/٤) من حديث طويل ، وجاء من حديث أبي هريرة رواه أحمد في مسنده (٤٢٩/٢) .

(٩٨) - رواه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٢ ،٢٥٣) والطبراني في الكبير (٨ / ١٤٨ ، ٣١٠ ، ٣١١ / رقم : ٧٥٧٣ ، ٧٥٧٤ ، ٨٠٠٨ ، ٨٠١١) من طرق عن أبي أمامة الباهلي . والطبري في تفسيره (٢٢٢/١٤) من طريق قتادة ، به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في موضعين : الأول (٣ / ١٢٥) وعزاه للطبراني وحده وقال : « وبعض طرقه رجاله رجال الصحيح غير شهر بن حوشب ، وهو ثقة ، وفيه كلام » . والثاني في (١٠ / ٢٤٠) وعزاه لأحمد وحده وقال : « رواه كله بأسانيد ، ورجال بعضها رجال الصحيح ؛ غير شهر بن حوشب وقد وثق » .

(٩٩) - المسند (٣٧/٥) (٢٠٤٣٨) . ورواه البخاري في كتاب العلم ، باب : قول النبي صلى الله =

يوم خلق اللّٰه السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة [حرم ثلاثة متواليات][١] : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم . ورجب مضر الذي بين جمادىٰ وشعبان » . ثم قال : « **ألا أي يوم هذا ؟** » قلنا : اللّٰه ورسوله أعلم . فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : « **أليس يوم النحر ؟** » قلنا : بلىٰ . ثم قال : « **أي شهر هذا ؟** » قلنا : اللّٰه ورسوله أعلم . فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : « **أليس ذا الحجة ؟** » قلنا : بلىٰ . ثم قال : « **أي بلد هذا ؟** » قلنا : اللّٰه ورسوله أعلم . [قال :][٢] فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : « **أليس[٣] البلدة ؟** » قلنا : بلىٰ . قال : « **فإن دماءكم وأموالكم - وأحسبه قال وأعراضكم - عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا لا ترجعوا[٤] بعدي ضلالًا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا هل بلغت ؟ ألا ليبلغ الشاهد منكم[٥] الغائب ؛ فلعل من يبلغه يكون أوعىٰ له من بعض من يسمعه[٦]** » .

رواه البخاري في التفسير وغيره ، ومسلم من حديث أيوب ، عن محمد [وهو][٧] ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، به .

وقد قال ابن جرير(١٠٠) : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا روح ، حدثنا أشعث ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول اللّٰه ، ﷺ : « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّٰه السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند اللّٰه اثنا**

= عليه وسلم « رب مبلغ أوعى من سامع » . (رقم : ٦٧) وأطرافه في (١٠٥، ١٧٤١، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧) . ومسلم في كتاب القسامة ، باب : تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (رقم : ١٦٧٩) . وأبو داود في كتاب الحج ، باب : الأشهر الحرم (رقم : ١٩٤٧ / ١٩٤٨) . والترمذي في كتاب الأضاحي ، باب : رقم (٢١) (١٥٢٠) . والنسائي في كتاب تحريم الدم ، باب : تحريم القتل . (٧ / ١٢٧ / رقم : ٤١٣٠) . وكتاب الضحايا ، باب : الكبس (٧ / ٢٢٠ / رقم : ٤٣٨٩) . وفي الكبرى في كتاب الحج ، باب : الخطبة يوم النحر (٢ / ٤٤٢، ٤٤٣ / رقم : ٤٠٩١، ٤٠٩٢، ٤٠٩٢) . وباب : الأشهر الحرم (٢ / ٤٦٩، ٤٧٠ / رقم : ٤٢١٥) . وفي كتاب العلم ، باب : ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **رب مبلغ أوعى من سامع** » (٣ / ٤٣٢، ٤٣٣ / رقم : ٥٨٥٠، ٥٨٥١) . وابن ماجة : المقدمة ، باب : من بلغ علمًا (١ / ٨٥ / رقم : ٢٣٣) .

(١٠٠) - تفسير الطبري (١٤/٢٣٥) رقم (١٦٦٨٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « متوالية » .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : خ .

[٣] - في خ : « أليست » .

[٤] - في ز : « ترجعون » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في خ : « سمعه » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

عشر شهرًا في كتاب اللَّه يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ؛ ثلاثة متواليات : [ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، و][١] رجب مضر الذي[٢] بين جمادىٰ وشعبان » .

ورواه البزار عن محمد بن معمر ، به ، ثم قال : [لا يروىٰ][٣] عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه . وقد رواه ابن عون وقرة ، عن ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن[٤] أبي بكرة ، عن أبيه ، به .

وقال ابن جرير أيضًا (١٠١) : حدثني موسىٰ بن عبد الرحمن المسروقي[٥] ، حدثنا زيد بن حباب ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة الربذي ، حدثني صدقة بن يسار ، عن ابن عمر ؛ قال : خطب رسول اللَّه ، ﷺ ، في حجة الوداع بمنىٰ ، في أوسط أيام التشريق ، فقال : « **أيها الناس ، إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق اللَّه السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند اللَّه اثنا عشر شهرًا ، منها أربعة حرم ؛ أولهن : رجب مضر بين جمادىٰ وشعبان . وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم** » .

وروىٰ ابن مردويه من حديث موسىٰ بن عبيدة ، عن عبد اللَّه بن دينار ، عن ابن عمر ، مثله أو نحوه .

وقال حماد بن سلمة (١٠٢) : حدثني علي بن زيد ، عن أبي حرة : حدثني[٦] الرقاشي ، عن عمه - وكانت له صحبة - قال : كنت آخذًا بزمام ناقة رسول اللَّه ، ﷺ ، في أوسط أيام التشريق ، أذود الناس عنه ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللَّه السموات والأرض[٧] ، وإن عدة الشهور عند اللَّه اثنا عشر شهرًا في كتاب اللَّه يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم** » .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **منها أربعة حرم** ﴾ قال : محرم ، ورجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة .

وقوله ﷺ ، في الحديث : « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللَّه السموات**

---

(١٠١) - تفسير الطبري (٢٣٤/١٤) رقم (١٦٦٨٤) وموسى بن عبيدة ضعيف .

(١٠٢) - رواه أحمد في مسنده (٧٣،٧٢/٥) من طريق حماد بن سلمة بأطول منه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « عن » .
[٥] - في ز : « المروقي » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - بعده في خ : « منها أربعة حرم » .

والأرض » . تقريرٌ منه ، صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، وتثبيت للأمر علىٰ ما جعله اللّٰه تعالى في أول الأمر ، من غير تقديم ولا تأخير ، ولا زيادة ولا نقص ، ولا نسيء ولا تبديل ، كما قال في تحريم مكة : « **إن هذا البلد حرمه اللّٰه يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة اللّٰه تعالىٰ إلىٰ يوم القيامة** » . وهكذا قال هاهنا : « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّٰه السموات والأرض** » .

أي الأمر اليوم شرعًا كما ابتدأ اللّٰه ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض .

وقد قال بعض المفسرين والمتكلمين علىٰ هذا الحديث : إن المراد بقوله : « **قد استدار كهيئته يوم خلق اللّٰه السموات والأرض** » أنه اتفق أن حج رسول اللّٰه ، ﷺ ، في تلك السنة في ذي الحجة ، وأن العرب قد كانت نسأت النسيء يحجون في كثير من السنين – بل أكثرها – في غير ذي الحجة ، وزعموا أن حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذي القعدة ، وفي هذا نظر كما سنبينه إذا تكلمنا علىٰ النسيء .

وأغرب منه ما رواه الطبراني عن بعض السلف في جملة حديث : أنه اتفق حج المسلمين واليهود والنصارىٰ في يوم واحد ، وهو يوم النحر عام حجة الوداع ، واللّٰه أعلم .

(فصل) ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزء جمعه سماه : (المشهور في أسماء الأيام والشهور) أن المحرم سمي بذلك لكونه شهرًا محرمًا – وعندي أنه سمي بذلك تأكيدًا لتحريمه ؛ لأن العرب كانت تتقلب[١] به ، فتحله عامًا وتحرمه عامًا – قال : ويجمع علىٰ محرمات ومحارم ومحاريم .

وصفر سمي بذلك ؛ لخلو بيوتهم منهم حين يخرجون للقتال والأسفار ، يقال : صفر المكان إذا خلا ، ويجمع علىٰ أصفار كجمل وأجمال .

و[٢] شهر ربيع الأول سمي بذلك لارتباعهم فيه ، والارتباع : الإقامة في[٣] عمارة الربع ، ويجمع علىٰ أربعاء ، كنصيب وأنصباء ، وعلىٰ أربعة ، كرغيف وأرغفة . وربيع الآخر كالأول .

وجمادىٰ سمي بذلك لجمود الماء فيه . قال : وكانت الشهور في حسابهم لا تدور ، وفي هذا نظر ؛ إذ كانت شهورهم منوطة بالأهلة ، [ولا بد][٤] من دورانها ، فلعلهم سموه بذلك [أول ما][٥] سمي عند جمود الماء في البرد ، كما قال الشاعر :

---

[١] – في ز : « تتغلب » .

[٢] – سقط من : ز .

[٣] – في ز : « من » .

[٤] – ما بين المعكوفتين في ت : « فلابد » .

[٥] – ما بين المعكوفتين في ز : « أو » .

وَلَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَىٰ ذَاتِ أَنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ العَبْدُ فِي ظَلْمَائِهَا الطُّنبَا
لَا يَنْبَحُ الكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّىٰ يَلِفَّ عَلَىٰ خُرْطُومِهِ الذَّنبَا

وتجمع[١] علىٰ جماديات كحبارىٰ وحباريات ، وقد يذكر ويؤنث ، فيقال : جمادىٰ الأولىٰ والأول[٢] ، وجمادىٰ الآخر[٣] و[٤] الآخرة .

رجب من الترجيب وهو التعظيم ، ويجمع علىٰ أرجاب ورجاب ورجبات .

و[٥] شعبان من تشعب القبائل وتفرقها للغارة ، ويجمع علىٰ شعابين وشعبانات .

و[٦] رمضان من شدة الرمضاء وهو الحر ، يقال : رمضت الفصال إذا عطشت . ويجمع علىٰ رمضانات ورماضين وأرمضة . قال : وقول من قال : إنه اسم من أسماء اللَّه خطأ ، لا يعرج عليه ، ولا يلتفت إليه .

قلت : قد ورد فيه حديث ولكنه ضعيف ، وبينته في أول كتاب الصيام .

شوال من شالت الإبل بأذنابها للطراق ، قال : ويجمع علىٰ شواول وشواويل وشوالات .

القَعدة بفتح القاف - قلت : وكسرها - لقعودهم فيه عن القتال والترحال ، ويجمع علىٰ ذوات القعدة .

الحجة بكسر الحاء - قلت : وفتحها -سمي بذلك لإيقاعهم الحج فيه ، ويجمع على ذوات الحجة .

أسماء الأيام : أولها الأحد : ويجمع علىٰ آحاد وأُحاد ووحود . ثم يوم الإثنين ، ويجمع علىٰ أثانين . الثلاثاء يمد[٧] ويذكر ويؤنث ، ويجمع علىٰ ثلاثاوات وأثالث . ثم الأربعاء : بالمد ، ويجمع علىٰ أربعاوات وأرابيع . والخميس : يجمع علىٰ أخمسة وأخامس . ثم الجمعة بضم الميم وإسكانها وفتحها أيضًا ، ويجمع علىٰ جُمَع وجُمْعَات[٨] .

السبت : مأخوذ من السبت وهو القطع ؛ لانتهاء العدد عنده ، وكانت العرب تسمي الأيام : أول ، ثم أهون ، ثم جبار ، ثم دبار ، ثم مؤنس ، ثم العروبة ، ثم شيار ، قال الشاعر من العرب العرباء العاربة المتقدمين :

---

[١] - في خ : « ويجمع » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « فيمد » .
[٨] - في ز ، خ : « وجماعات » .

أُرَجِّي أَنْ أَعِيشَ وإنَّ يَوْمِي بِأَوَّل أَوْ بِأَهْون أَوْ جبَار
أَوِ التَّالِي دبَار فَإِنْ أَفُتْهُ[١] فَمُؤنس أَوْ عروبة أَوْ شيار

وقوله تعالىٰ : ﴿ منها أربعة حرم ﴾ فهذا مما كانت العرب أيضًا في الجاهلية تحرمه ، وهو الذي كان عليه جمهورهم إلا طائفة منهم ، يقال لهم : البسل ، كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر تعمقًا وتشديدًا .

وأما قوله : « **ثلاثة متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مُضَر الذي بين جمادىٰ وشعبان** » [فإنما أضافه إلىٰ مضر ليبين صحة قولهم في رجب : إنه الشهر الذي بين جمادىٰ وشعبان][٢] ، لا كما كانت تظنه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم ، فبين ، ﷺ ، أنه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة ، ثلاثة سرد وواحد فرد ؛ لأجل أداء مناسك الحج والعمرة ، فحرم قبل شهر الحج شهر[٣] وهو ذو القعدة ؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال ، وحرم شهر ذي[٤] الحجة ؛ لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون بأداء المناسك ، وحرم بعده شهر آخر وهو المحرم ليرجعوا[٥] فيه إلىٰ نائي[٦] أقصىٰ بلادهم آمنين ، وحرم رجب في وسط الحول ؛ لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصىٰ جزيرة العرب ، فيزوره ثم يعود إلىٰ وطنه فيه آمنًا .

وقوله : ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ أي : هذا هو الشرع المستقيم ، من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر الحرم ، والحذو بها علىٰ ما سبق في كتاب الله الأول .

وقال[٧] تعالىٰ : ﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ أي : في هذه الأشهر المحرمة ؛ لأنها[٨] آكد وأبلغ في الإثم من غيرها ، كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب إليم ﴾ ، وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام ؛ ولهذا تغلظ فيه الدية في مذهب الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء ، وكذا في حق من قتل في الحرم أو قتل ذا محرم .

وقال حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس في

---

[١] - في ز : « أفته » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « شهرًا » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « ليرجعون » .
[٦] - في ز ، خ : « تالي » .
[٧] - في خ : « قال » .
[٨] - في ز : « لأنه » .

قوله : ﴿ **فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ قال : في الشهور كلها .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا** ﴾ . الآية . ﴿ **فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ في كلهن ، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر ، فجعلهن حرامًا وعظم حرماتهن ، وجعل الذنب فيهن أعظم . والعمل الصالح والأجر أعظم .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم [فيما سواها][١] ، وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا ، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء ، وقال : إن الله اصطفى صفايا من خلقه ؛ اصطفى من الملائكة رسلًا ومن الناس رسلًا ، واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الأرض المساجد ، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالي ليلة القدر ، فعظموا ما عظم الله . فإنما يُعَظِّمُ[٢] الأمورَ[٣] ما[٤] عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل .

وقال الثوري ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن ، عن[٥] محمد بن الحنفية : بأن لا تحرموهن كحرمتهن .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ أي : لا تجعلوا حرامها حلالًا ، ولا[٦] حلالها حرامًا ، كما فعل أهل الشرك ، فإنما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر ﴿ **يضل به الذين كفروا** ﴾ . الآية .

وهذا القول اختيار ابن جرير .

وقوله : ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة** ﴾ أي : جميعكم ﴿ **كما يقاتلونكم كافة** ﴾ أي : جميعهم ﴿ **واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ .

وقد اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام هل هو منسوخ أو محكم ؟ على قولين :

أحدهما - وهو الأشهر - أنه منسوخ ؛ لأنه تعالى قال هاهنا : ﴿ **فلا تظلموا فيهن**

---

[١] - في ز : « مما سواه » .
[٢] - في ت : « تعظم » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « بما » .
[٥] - في ز : « بن » .
[٦] - سقط من : ز .

أنفسكم ﴾ وأمر بقتال المشركين ، وظاهر السياق مشعرٌ بأنه أمر بذلك أمرًا عامًّا ، فلو[١] كان محرمًا في الشهر الحرام لأوشك أن يقيده بانسلاخها ؛ ولأن رسول اللَّه ، ﷺ ، حاصر أهل الطائف في شهر حرام وهو ذو القعدة ، كما ثبت في الصحيحين أنه خرج إلىٰ هوازن ، في شوال ، فلما كسرهم واستفاء أموالهم ورجع فَلُّهم فلجئُوا[٢] إلىٰ الطائف - عمد إلىٰ الطائف فحاصرهم أربعين يومًا وانصرف ولم يفتتحها ، فثبت أنه حاصَرَ في الشهر الحرام .

والقول الآخر أن ابتداء القتال في الشهر الحرام حرام ، وأنه لم ينسخ تحريم الشهر الحرام ؛ لقوله[٣] تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر اللَّه ولا الشهر الحرام** ﴾ . وقال : ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدىٰ عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدىٰ عليكم** ﴾ الآية . وقال : ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين** ﴾ الآية .

وقد تقدم أنها الأربعة المقررة في كل سنة ، لا أشهر التسيير علىٰ أحد القولين . وأما قوله تعالىٰ ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** ﴾ فيحتمل أنه منقطع عما قبله ، وأنه حكم مستأنف ، ويكون من باب التهييج والتحضيض ، أي : كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم ، فاجتمعوا أنتم أيضًا لهم إذا حاربتموهم ، وقاتلوهم[٤] بنظير ما يفعلون . ويحتمل أنه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتىٰ يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم** ﴾ الآية . وهكذا الجواب عن حصار رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أهل الطائف ، واستصحابه الحصار إلىٰ أن دخل الشهر الحرام ، فإنه من تتمة قتال هوازن وأحلافها من ثقيف ، فإنهم هم الذين ابتدءوا القتال ، وجمعوا الرجال ، ودعوا إلىٰ الحرب والنزال ، فعندها قصدهم رسول اللَّه ، ﷺ ، كما تقدم ، فلما تحصنوا بالطائف ذهب إليهم لينزلهم من حصونهم ، فنالوا من المسلمين وقتلوا جماعة ، واستمر الحصار بالمجانيق وغيرها قريبًا من أربعين يومًا ، وكان ابتداؤه في شهر حلال ، ودخل الشهر الحرام فاستمر فيه أيامًا ، ثم قفل عنهم ؛ لأنه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء ، وهذا أمر مقرر وله نظائر كثيرة ، واللَّه أعلم . ولنذكر الأحاديث الواردة في ذلك . وقد حررنا ذلك في السيرة ، واللَّه أعلم[٥] .

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا

---

[١] - في خ : « ولو » .
[٢] - في خ : « لجئوا » .
[٣] - في ت : « لقول » .
[٤] - في خ : « وقاتلتموهم » .
[٥] - بعده في ز ، خ : « بياض يسع ستة أسطر » .

وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

هذا مما ذم الله تعالىٰ به المشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة ، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة ، وتحليلهم ما حرم الله ، وتحريمهم ما أحل الله .

فإنهم كان فيهم من القوّة الغضبية والشهامة والحميّة ما استطالوا به مدّة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم ، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرَّم وتأخيره[١] إلىٰ صفر ، فيحلون الشهر الحرام ، ويحرمون الشهر الحلال ؛ ليواطئوا عدة [ ][٢] الأشهر الأربعة ، كما قال شاعرهم وهو عمير بن قيس المعروف بحذل[٣] الطعان :

لَقَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ أنَّ[٤] قَوْمِي كِرَامُ النَاسِ إنَّ لَهُمْ كِرَامَا
أَلسْنَا النَّاسِئِينَ عَلىٰ مَعَدّ شُهُورَ الحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامَا
فَأيَّ النَّاسِ لَمْ نُدْرِكْ بِوتْرٍ؟ وَأَيَّ النَّاسِ لَمْ نُعْلِكْ[٥] لِجامًا(١٠٣)؟

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في[٦] قوله : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾ قال : النسيء : أن جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يوافي[٧] الموسم في كل عام ، وكان يكنىٰ أبا ثمامة ، [ ][٨] فينادي : ألا إن أبا ثمامة لا يحاب ولا يعاب ، ألا وإن صَفَرَ العامِ الأولِ العامَ حلالٌ ، فيحله للناس ، فيحرم صفرًا عامًا ويحرم المحرم عامًا ؛ فذلك قول الله : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾ [إلىٰ قوله : ﴿ **الكافرين** ﴾ وقوله : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾][٩] يقول : يتركون المحرم عامًا ، وعامًا يحرمونه .

وروىٰ العوفي عن ابن عباس نحوه .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلىٰ الموسم علىٰ حمار له ، فيقول : يأيها الناس ؛ إني لا أعاب ولا أحاب[١٠] ، ولا مردَّ لما

(١٠٣) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٤٥/١) .

[١] - في خ : « فأخروه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « ما حرم » .
[٣] - في ز : « بجدل » .
[٤] - في خ : « بأن » .
[٥] - في ز : « يعلل » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ : « يوالي » .
[٨] - في ز : « فيوافي الموسم كل عام » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : « أجاب » .

أقول ، إنا قد حرّمنا المحرم وأخرنا صفر . ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ، ويقول : إنا قد حرمنا صفرًا[١] وأخرنا المحرم فهو قوله[٢] : ﴿ **ليواطئوا عدة ما حرم الله** ﴾ قال : يعني الأربعة ، فيحلوا[٣] ما حرم الله بتأخير هذا الشهر الحرام .

وروي عن أبي وائل والضحاك وقتادة نحو هذا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾ الآية . قال : هذا رجل من بني كنانة يقال له : القَلَمَّس ، وكان في الجاهلية ، وكانوا في الجاهلية لا يُغِيرُ بعضهم علىٰ بعض في الشهر الحرام ، يَلْقَىٰ الرجل قاتل أبيه ولا يمد إليه يده ، فلما كان هو قال : اخرجوا بنا ، قالوا له : هذا المحرم . قال[٤] : ننسئه العام هما العام صفران ، فإذا كان العام القابل قضينا[٥] جعلناهما محرمين ، قال : ففعل ذلك ، فلما كان عام قابل قال : لا تغزوا في صفر حرّموه مع المحرم هما محرمان .

فهذه صفة غريبة في النسيء ، وفيها نظر ؛ لأنهم[٦] في عام إنما يحرمون علىٰ هذا ثلاثة أشهر فقط ، وفي العام الذي يليه يحرمون خمسة أشهر ، فأين هذا من قوله تعالىٰ : ﴿ **يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدّة ما حرم الله** ﴾؟ .

وقد روي عن مجاهد صفة أخرىٰ غريبة أيضًا ، فقال عبد الرزاق : أنا معمر ، عن [ابن][٧] أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر** ﴾ الآية . قال : فرض الله ، عز وجل ، الحج في ذي الحجة ، قال : وكان المشركون يسمون الأشهر[٨] : ذا الحجة ، و[٩] المحرم ، وصفر ، وربيع ، وربيع الأول[١٠] وجمادىٰ ، وجمادىٰ ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوّالًا[١١] وذا[١٢] القعدة وذا[١٣] الحجة يحجون فيه مرة أخرىٰ ، ثم يسكتون[١٤] عن المحرّم ولا يذكرونه ، ثم يعودون فيسمون صفرًا[١٥] صفرًا[١٦] ، ثم يسمون رجبًا جمادىٰ الآخرة ، ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون شوّالًا رمضان ، ثم يسمون ذا القعدة شوّالًا ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم

---

[١] - في خ : « صفر » .
[٢] - في ز : « كقوله » .
[٣] - في ز : « فيجعلوا » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في ز : « لأنهما » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - سقط من : ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في خ : « شوال » .
[١٢] - في ز : « وذو » .
[١٣] - في ز : « وذو » .
[١٤] - في ز : « يسكنون » .
[١٥] - في ت : « صفر صفر » .
[١٦] - سقط من ز

يسمون المحرم ذا الحجة فيحجون فيه واسمه عندهم ذو[١] الحجة ، ثم عادوا بمثل هذه الصفة[٢] فكانوا يحجون في كل شهر عامين ، حتىٰ وافق حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي[٣] القعدة ، ثم حج النبي : ﷺ ، حجته التي حج فوافق ذا الحجة ، فذلك حين يقول النبي ، ﷺ ، في خطبته : « **إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق اللّٰه السموات والأرض** » .

وهذا الذي قاله مجاهد فيه نظر أيضًا ، وكيف تصح حجة أبي بكر وقد وقعت في ذي القعدة وأنىٰ هذا ؟ وقد قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وأذان من اللّٰه ورسوله إلىٰ الناس يوم الحج الأكبر أن اللّٰه بريء من المشركين ورسوله** ﴾ . الآية . وإنما نودي بذلك[٤] في حجة أبي بكر ، فلو لم تكن في ذي الحجة لما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم الحج الأكبر** ﴾ ولا يلزم من فعلهم النسيء هذا الذي ذكره من دوران السنة عليهم ، وحجهم في كل شهر عامين ، فإن النسيء حاصل بدون هذا ، فإنهم لما كانوا يحلون شهر المحرم عامًا يحرمون عوضه صفرًا ، وبعده ربيع وربيع إلىٰ [آخر السنة بحالها علىٰ نظامها وعدّتها وأسماء شهورها ، ثم في السنة الثانية يحرمون المحرّم ويتركونه علىٰ تحريمه ، وبعده صفر وربيع وربيع إلىٰ][٥] آخرها ، فيحلونه عامًا ، ويحرمونه عامًا ؛ ليواطئوا عدّة ما حرم اللّٰه ، فيحلوا ما حرم اللّٰه أي[٦] : في تحريم أربعة أشهر من السنة ، إلا أنهم تارة يقدّمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية وهو المحرم ، وتارة ينسئونه إلىٰ صفر أي : يؤخرونه ، وقد قدمنا الكلام علىٰ قوله ، ﷺ : « **إن الزمان قد استدار [كهيئته يوم خلق اللّٰه السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرًا ، منها أربعة حرم ؛ ثلاث متوالية : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مضر**] » . [ ][٧] ؛ أي : إن الأمر في عدة الشهور ، وتحريم ما هو محرم منها ، علىٰ ما سبق في كتاب اللّٰه من العدد والتوالي ، لا كما تعتمده جهلة العرب من فصلهم تحريم بعضها بالنسيء عن بعض ، واللّٰه أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٤) : حدثنا صالح بن بشر بن سلمة الطبراني ، حدثنا مكي بن إبراهيم ، حدثنا موسىٰ بن عبيدة ، عن عبد اللّٰه بن دينار ، عن ابن عمر أنه قال : وقف رسول اللّٰه ، ﷺ بالعقبة ، فاجتمع إليه من شاء اللّٰه من المسلمين ، فحمد اللّٰه وأثنىٰ عليه بما هو له أهل ، ثم قال : « **وإنما النسيء من الشيطان زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا**

(١٠٤) - إسناده ضعيف من أجل موسى بن عبيدة ، تفسير ابن أبي حاتم (١٠٠١٩/٦) وجاء فيه : (صالح ابن بشير) بدل (صالح بن بشر) ورواه أبو الشيخ الأصبهاني كما في الدر المنثور (١٨٨/٥) .

[١] - في ز ، خ : « ذا » .
[٢] - في ز : « القصة » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : « به » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ت : الحديث .

يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا » . فكانوا يحرمون المحرم عامًا ويستحلون صفر ، ويستحلون المحرم وهو النسيء .

وقد تكلم الإمام محمد بن إسحاق علىٰ هذا في كتاب السيرة كلامًا جيدًا مفيدًا حسنًا فقال : كان أول من نسأ الشهور علىٰ العرب ، فأحل منها ما حرم اللَّه وحرم منها ما أحل اللَّه عز وجل - القلمس ، وهو حذيفة بن عبد فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ثم قام بعده علىٰ ذلك ابنه عباد ، ثم من بعد عباد ابنه قلع بن عباد ، ثم ابنه أمية بن قلع ، ثم ابنه عوف بن أمية ، ثم ابنه أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الإسلام ، فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فقام فيهم خطيبًا فحرم رجبًا وذا القعدة وذا الحجة ، ويحل المحرم عامًا ويجعل مكانه صفر ، ويحرمه عامًا ليواطئ عدة ما حرم اللَّه فيحل ما حرم اللَّه ، يعني : ويحرم ما أحل اللَّه ، [واللَّه أعلم][١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾

هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول اللَّه ﷺ في غزوة تبوك ، حين طابت الثمار والظلال في شدة الحر وحمارّة(*)[٢] القيظ ، فقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل اللَّه** ﴾ أي : إذا دعيتم إلىٰ الجهاد في سبيل اللَّه ﴿ **اثاقلتم إلىٰ الأرض** ﴾ أي : تكاسلتم وملتم إلىٰ المقام في الدعة والخفض(**)[٣] وطيب الثمار ﴿ **أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة** ﴾ [أي : ما لكم فعلتم هكذا ؟ أرضًى منكم بالدنيا بدلًا من الآخرة][٤] ؟ .

(*) حمارّة القيظ : شدة الحر .

(**) يقال : هو في خفض من العيش ؛ أي : في دعة وراحة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « وجمارة » .

[٣] - في ز : « الحفظ » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ثم زهد تبارك وتعالىٰ في الدنيا ، ورغب في الآخرة فقال : ﴿ **فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾ كما قال الإمام أحمد(١٠٥) :

حدثنا وكيع ويحيىٰ بن سعيد قالا : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن المستورد أخي بني فهر قال : قال رسول اللّه ، ﷺ : « **ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم ، فلينظر بم ترجع ؟** » وأشار بالسبابة . انفرد بإخراجه مسلم .

وقال ابن أبي حاتم(١٠٦) : حدثنا بشر بن مسلم بن عبد الحميد الحمصي بحمص ، حدثنا الربيع بن روح ، حدثنا محمد بن خالد الوهبي ، حدثنا زياد - يعني الجصاصَ - عن أبي عثمان قال : قلت : يا أبا هريرة سمعت من[١] إخواني بالبصرة أنك تقول : سمعت نبي اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يقول : « **إن اللّه يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة** » . قال أبو هريرة : بل سمعت رسول اللّه ، ﷺ ، يقول[٢] : « **إن اللّه يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة** » . ثم تلا هذه الآية : ﴿ **فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾ .

[فالدنيا : ما مضىٰ منها ، وما بقي منها - عند اللّه قليل .

وقال الثوري ، عن الأعمش في الآية ﴿ **فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل**][٣] ﴾ قال : كزاد الراكب .

وقال عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه : [قال :][٤] لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاةُ ، قال : ائتوني بكفني الذي أكفن فيه أنظر إليه ، فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال : أما لي من كبير ما أخلف من الدنيا إلا هذا ؟ ثم ولىٰ ظهره فبكىٰ وهو يقول : أفٍ[٥] لك من دار ، إن كان كثيرك لقليل ، وإن كان قليلك لقصير ، وإن كنا منك لفي غرور .

ثم توعد تعالىٰ علىٰ ترك الجهاد فقال : ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا** ﴾ قال ابن عباس : استنفر رسول اللّه ، ﷺ ، حيًا من العرب فتثاقلوا عنه ، فأمسك اللّه عنهم القطر فكان عذابهم .

﴿ **ويستبدل قومًا غيركم** ﴾ أي : لنصرة نبيه وإقامة دينه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإن**

---

(١٠٥) - المسند (٤/٢٢٨) وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٥٨) .

(١٠٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٠٠٣٠) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من :خ .

[٥] - في ز : « أفي » .

تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ .

﴿ **ولا تضروه شيئًا** ﴾ أي : ولا تضروا اللّه شيئًا بتوليكم عن الجهاد ، ونُكُولِكُم وتثاقلكم عنه ﴿ **والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ أي : قادر علىٰ الانتصار من الأعداء بدونكم .

وقد قيل: إن هذه الآية وقوله : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالاً** ﴾ وقوله : ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله** ﴾ - : إنهن منسوخات بقوله تعالىٰ : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** ﴾ روي هذا عن ابن عباس وعكرمة والحسن وزيد بن أسلم ، ورده ابن جرير وقال : إنما هذا فيمن دعاهم رسول اللّه ، ﷺ ، إلىٰ الجهاد ، فتعين عليهم ذلك ، فلو تركوه لعوقبوا عليه ، وهذا له اتجاه ، واللّه سبحانه وتعالىٰ أعلم بالصواب[١] .

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **إلا تنصروه** ﴾ أي : تنصروا رسوله ، فإن اللّه ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولىٰ نصره ﴿ **إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين** ﴾ أي : عام الهجرة لما هَمَّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه ، فخرج منهم هاربًا صحبة صَدِيقِهِ وَصِدِّيقِهِ[٢] وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة ، فلجأ إلىٰ غار ثور ثلاثة أيام ؛ ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ، ثم يسيرا[٣] نحو المدينة ، فجعل أبو بكر ، رضي اللّه عنه ، يجزع أن يطلع عليهم أحد ، فيخلص إلىٰ الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، منهم أذى ، فجعل النبي ، ﷺ ، يسكنه ويثبته ويقول : « **يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين اللّه ثالثهما ؟** » . كما قال الإمام أحمد(١٠٧) :

(١٠٧) - المسند (٤/١) ، وصحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب : مناقب المهاجرين وفضلهم رقم (٣٦٥٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٣٨١) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في خ : « يسيروا » .

حدثنا عفان ، حدثنا همام ، أنبأنا ثابت ، عن أنس : أن أبا بكر حدثه قال : قلت للنبي ، ﷺ ، ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه لأبصرنا تحت قدميه . قال : فقال : « **يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين اللّٰه ثالثهما ؟** » . أخرجاه في الصحيحين .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فأنزل اللّٰه سكينته عليه** ﴾ أي : تأييده ونصره عليه ، أي : علىٰ الرسول ، ﷺ ، في أشهر القولين ، وقيل : علىٰ أبي بكر ، وروي عن ابن عباس وغيره قالوا : لأن الرسول ، ﷺ ، لم تزل معه سكينة . وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ؛ ولهذا قال : ﴿ **وأيده بجنود لم تروها** ﴾ أي : الملائكة ﴿ **وجعل كلمة الذين كفروا السفلىٰ وكلمةُ اللّٰه هي العليا** ﴾ .

قال ابن عباس : يعني بكلمة الذين كفروا الشرك ، وكلمة اللّٰه هي لا إله إلا اللّٰه .

وفي الصحيحين(١٠٨) عن أبي موسىٰ الأشعري ، رضي اللّٰه عنه ، قال : سئل رسول اللّٰه ، ﷺ ، عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل اللّٰه ؟ فقال : « **من قاتل لتكون كلمة اللّٰه هي العليا فهو في سبيل اللّٰه** » .

وقوله : ﴿ **واللّٰه عزيز** ﴾ أي : في انتقامه وانتصاره ، منيع الجناب لا يضام من لاذ ببابه ، واحتمىٰ بالتمسك بخطابه ﴿ **حكيم** ﴾ في أقواله وأفعاله .

ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

قال سفيان الثوري عن أبيه ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح : هذه الآية ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ أول ما نزل من سورة براءة .

وقال معتمر بن سليمان ، عن أبيه قال : زعم حضرمي أنه ذكر له أن ناسًا كانوا عسىٰ أن يكون أحدهم عليلًا أو[١] كبيرًا ، فيقول : إني لا آثم .

فأنزل اللّٰه ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ . الآية .

أمر اللّٰه تعالىٰ بالنفير العام مع [الرسول] ﷺ ، عام غزوة تبوك ؛ لقتال أعداء اللّٰه من الروم الكفرة من أهل الكتاب ، وحتم علىٰ المؤمنين في الخروج معه علىٰ كل حال ؛ في المنشط

(١٠٨) - صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير رقم (٢٨١٠) وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة رقم (١٩٠٤) .

[١] - في ز : « و » .

والمكره ، والعسر واليسر ، فقال : ﴿ انفروا خفافًا وثقالًا ﴾ .

قال[١] علي بن زيد ، عن أنس ، عن أبي طلحة : كهولًا وشبانًا[٢] ، ما أسمع[٣] الله عذر أحدًا ، ثم خرج إلىٰ الشام فقاتل حتىٰ قتل .

وفي رواية : قرأ أبو طلحة سورة براءة فأتىٰ علىٰ هذه الآية ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** ﴾ فقال : أرىٰ ربنا يستنفرنا[٤] شيوخًا وشبانًا[٥] ، جهزوني يا بني . فقال بنوه : يرحمك الله ؛ قد غزوت مع رسول الله ﷺ ، حتىٰ مات ، ومع أبي بكر حتىٰ مات ، ومع عمر حتىٰ مات ، فنحن نغزو عنك . فأبىٰ فركب البحر فمات ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنوه بها[٦] إلا بعد تسعة أيام ، فلم يتغير فدفنوه بها .

وهكذا روي عن ابن عباس ، وعكرمة ، وأبي صالح ، والحسن البصري ، وشمر[٧] بن عطية ومقاتل بن حيان ، والشعبي وزيد بن أسلم : أنهم قالوا في تفسير هذه الآية ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ قالوا[٨] : كهولًا وشبانًا ، وكذا قال عكرمة ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان وغير واحد .

وقال مجاهد : شبانًا[٩] وشيوخًا وأغنياء ومساكين ، وكذا قال أبو صالح وغيره .

وقال الحكم بن عتيبة[١٠] : مشاغيل وغير مشاغيل .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالىٰ : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ يقول : انفروا نشاطًا وغير نشاط . وكذا قال قتادة .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ قالوا : فإن فينا الثقيل وذا الحاجة والضيعة[١١] والشغل والمتيسر به أمره ، فأنزل الله - وأبىٰ أن يعذرهم[١٢] [دون أن ينفروا - ﴿ **خفافًا وثقالًا** ﴾ أي][١٣] : علىٰ ما كان منهم .

---

[١] - في خ : «وقال» .
[٢] - في ز : « شابًا » .
[٣] - في ز ، خ : « سمع » .
[٤] - في خ : « استنفرنا » .
[٥] - في ز : « شبابًا » .
[٦] - في : ت . « فيها » .
[٧] - في ز : « وسمير » .
[٨] - سقط من : ت .
[٩] - في ز : « شبابًا » .
[١٠] - في ز : « عيينة » .
[١١] - في ز ، خ : « الصنعة » .
[١٢] - في ز : « يعدبهم » ، خ : « يعذبهم » .
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري أيضًا : في العسر واليسر . وهذا كله من مقتضيات العموم [في الآية][١] ، وهذا اختيار ابن جرير .

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي : إذا كان النفير إلىٰ دروب الروم نفر الناس إليها خفافًا وركبانًا ، وإذا كان النفير إلىٰ هذه السواحل نفروا إليها خفافًا وثقالًا و[٢] ركبانًا ومشاة . وهذا تفصيل في المسألة .

وقد روي عن ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وعطاء الخراساني وغيرهم : أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالىٰ : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** ﴾ وسيأتي الكلام علىٰ ذلك ، إن شاء الله .

وقال السدي : قوله : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ يقول : غنيًا وفقيرًا ، وقويًا وضعيفًا ، فجاءه رجل يومئذ - زعموا[٣] أنه المقداد - وكان عظيمًا سمينًا ، فشكىٰ إليه وسأله أن يأذن له ، فأبىٰ فنزلت يومئذ : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ فلما نزلت هذه الآية اشتد علىٰ الناس شأنها ، فنسخها الله فقال : ﴿ **ليس علىٰ الضعفاء ولا علىٰ المرضىٰ ولا علىٰ الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصحوا لله ورسوله** ﴾ .

وقال ابن جرير (١٠٩) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، حدثنا أيوب ، عن محمد قال : شهد أبو أيوب مع رسول الله ، ﷺ ، بدرًا ، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا [وهو في آخرين إلا] عامًا واحدًا ، قال : وكان أبو أيوب يقول : قال الله تعالىٰ : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ فلا أجدني إلا خفيفًا أو ثقيلًا .

وقال ابن جرير(١١٠) : حدثني سعيد بن عمرو السكوني[٤] ، حدثنا بقية ، حدثنا حريز ، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة ، حدثني أبو راشد الحبراني[٥] قال : وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، جالسًا علىٰ تابوت من توابيت الصيارفة بحمص - وقد فضل عنها من عِظَمِهِ - يريد الغزو ، فقلت له : قد أعذر الله إليك . فقال : أتت علينا سورة البحوث(*)[٦] ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ .

---

(١٠٩) - تفسير الطبري (١٤/٢٦٧) رقم (١٦٧٥٤) .

(١١٠) - تفسير الطبري (١٤/٢٦٨) رقم (١٦٧٥٦) .

(*) يعني سورة التوبة ؛ سميت بها لما تضمنت من البحث عن أسرار المنافقين ، وهو إثارتها والتفتيش عنها . النهاية [١/ ٩٩] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « بالآية » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « السكوكي » .

[٥] - في ز : « الحراني » .

[٦] - في ز ، خ : « البعوث » .

[وبه][١] قال ابن[٢] جرير(١١١) : حدثني حبان[٣] بن زيد الشرعبي قال : نفرنا مع صفوان بن عمرو ، وكان واليًا علىٰ حمص ، قبل الأفسوس(*)[٤] إلىٰ الجراجمة(**) ، فلقيت[٥] شيخًا كبيرًا هِمًّا(***) قد سقط حاجباه علىٰ عينيه ، من أهل دمشق علىٰ راحلته فيمن أغار ، فأقبلت إليه فقلت : يا عم ، لقد أعذر اللَّه إليك . قال : فرفع حاجبيه[٦] فقال : يا ابن أخي ، استنفرَنا اللَّه خفافًا وثقالًا ، [ ][٧] إنه من يحبه اللَّه يَبْتَلِهِ ، ثم يعيده اللَّه فيبقيه ، وإنما يبتلي اللَّه من عباده من شكر وصبر وذكر ، ولم يعبد إلا اللَّه عز وجل .

ثم رغب تعالىٰ في النفقة في سبيله ، وبذل المُهَجِ في مرضاته ومرضاة رسوله ، فقال : ﴿ **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل اللَّه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ أي : هذا خير لكم في الدنيا والآخرة ؛ لأنكم تغرمون في النفقة قليلًا ، فيغنمكم اللَّه أموال عدوكم في الدنيا ، مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة ، كما قال النبي ، ﷺ : « **تكفل[٨] اللَّه للمجاهد في سبيله ؛ إن[٩] توفاه أن يدخله الجنة ، أو يرده إلىٰ منزله نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة** »(١١٢) .

ولهذا قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم واللَّه يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ .

ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد(١١٣) : حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، قال لرجل : « **أسلمْ** » . قال : أجدني كارهًا . قال : « **أسلم وإن[١٠] كنت كارهًا** » .

(١١١) - رواه الطبري في تفسيره (١٤/٢٦٤) رقم (١٦٧٤٥) .

(*) الأفسوس : بلدة بثغور طرسوس بالشام . ويقال : إنها بلدة أصحاب الكهف .

(**) الجراجمة : قوم من العَجَم بالجزيرة أو نبط الشام .

(***) الشيخ الهِمّ : الفاني .

(١١٢) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب : قول اللَّه تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مدادًا .... ﴾ رقم (٧٤٦٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة رقم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(١١٣) - صحيح - رجاله كلهم ثقات . المسند (٣/١٠٩ ، ١٨١) رقم (١٢٠٧٩ ، ١٢٨٩١) . =

[١] - في خ : « و » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « حيان » .
[٤] - في ز : « الأفسون » .
[٥] - في خ : « فرأيت » .
[٦] - في ز : « حاجبه » .
[٧] - بين المعكفوين في ت : « ألا » .
[٨] - في ز : « وتكفل » .
[٩] - في ز : « بإن » .
[١٠] - في ت : « ولو » .

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى موبخًا للذين تخلفوا عن النبي ، ﷺ ، في غزوة تبوك ، وقعدوا عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بعد ما استأذنوه في ذلك ، مظهرين أنهم ذوو أعذار ولم يكونوا كذلك فقال : ﴿ **لو كان عرضًا قريبًا** ﴾ قال ابن عباس : غنيمة قريبة ﴿ **وسفرًا قاصدًا** ﴾ أي : قريبًا أيضًا ﴿ **لاتبعوك** ﴾ أي : لكانوا جاءوا معك لذلك[١] ﴿ **ولكن بعدت عليهم الشقة** ﴾ أي : المسافة إلى الشام ﴿ **وسيحلفون بالله** ﴾ أي : لكم إذا رجعتم إليهم ﴿ **لو استطعنا لخرجنا معكم** ﴾ أي : لو لم تكن[٢] لنا أعذار لخرجنا معكم[٣] . قال الله تعالى : ﴿ **يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون** ﴾ .

عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾

قال ابن أبي حاتم (١١٤) : حدّثنا أبي ، حدثنا أبو حصين [ ][٤] بن سليمان الرازي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن مسعر ، عن عون قال : هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا ؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبة فقال : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾ .

= ورواه أبو يعلى حديث ٣٧٦٥ - (٤٠٦/٦) . و٣٨٧٩ - (٤٧١/٦) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٥/٥) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح .

(١١٤) - التفسير (١٠٠٧٥/٦) .

[١] - في ز : « كذلك » .
[٢] - في خ : « يكن » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : ابن يحيى .

وكذا قال مورق العجلي وغيره .

وقال قتادة : عاتبه كما تسمعون ، ثم أنزل التي في سورة النور ، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء ، فقال[١] : ﴿ **فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم** ﴾ . الآية[٢] . وكذا روي عن عطاء الخراساني .

وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في أناس قالوا : استأذنوا رسول الله ، ﷺ ، فإن أذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ يتبين لك الذين صدقوا** ﴾ أي : في إبداء الأعذار ﴿ **وتعلم الكاذبين** ﴾ يقول تعالىٰ : هلا تركتهم لما استأذنوك فلم تأذن لأحد منهم في القعود ؛ لتعلم الصادق منهم في إظهار طاعتك من الكاذب ، فإنهم قد كانوا مصرين علىٰ القعود عن الغزو [وإن لم تأذن لهم فيه .

ولهذا أخبر تعالىٰ أنه لا يستأذنه في القعود عن الغزو][٣] أحد يؤمن بالله ورسوله ، فقال : ﴿ **لا يستأذنك** ﴾ أي : في القعود عن الغزو ﴿ **الذين يؤمنون بالله[٤] واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم** ﴾ ؛ [لأن أولئك][٥] يرون الجهاد قربة ، ولما ندبهم إليه بادروا وامتثلوا ﴿ **والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك** ﴾ أي : في القعود ممن لا عذر له ﴿**الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ أي : لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة علىٰ أعمالهم ﴿ **وارتابت قلوبهم** ﴾ أي : شكت في صحة ما جئتهم به ﴿ **فهم في ريبهم يترددون** ﴾ أي : يتحيرون ، يقدمون رِجْلًا ويؤخرون أخرىٰ ، وليست لهم قدم ثابتة في شيء ، فهم قوم حيارىٰ هلكىٰ ، لا إلىٰ هؤلاء ، ولا إلىٰ هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلًا .

۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « بالله ورسوله » .
[٥] - في ت : « لأنهم » .

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولو أرادوا الخروج** ﴾ أي : معك إلىٰ الغزو ﴿ **لأعدوا له عدة** ﴾ أي : لكانوا تأهبوا له ﴿ **ولكن كره الله انبعاثهم** ﴾ أي : أبغض أن يخرجوا معك[١] قدرًا ﴿ **فثبطهم** ﴾ أي : أخرهم ﴿ **وقيل اقعدوا مع القاعدين** ﴾ أي : قدرًا .

ثم بين تعالىٰ وجه كراهيته لخروجهم مع المؤمنين فقال : ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا** ﴾ أي[٢] : لأنهم جبناء مخذولون[٣] ﴿ **ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة** ﴾ أي : ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة ﴿ **وفيكم سماعون لهم** ﴾ أي : مطيعون لهم ، ومستحسنون لحديثهم وكلامهم ، يستنصحونهم[٤] وإن كانوا لا يعلمون حالهم ؛ فيؤدي هذا إلىٰ وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير .

وقال مجاهد ، وزيد بن أسلم ، وابن جرير ﴿ **وفيكم سماعون لهم** ﴾ أي : عيون يسمعون لهم الأخبار و[٥] ينقلونها إليهم ، وهذا لا يبقىٰ له اختصاص بخروجهم[٦] معهم ، بل هذا عام في جميع الأحوال ، والمعنىٰ الأول أظهر في المناسبة بالسياق ، وإليه ذهب قتادة وغيره من المفسرين .

وقال محمد بن إسحاق(١١٥) : كان [الذين استأذنوا] فيما بلغني من ذوي الشرف منهم : عبد الله بن أبي ابن سلول ، والجد بن قيس ، وكانوا أشرافًا في قومهم ، فثبطهم الله ؛ لعلمه بهم ؛ أن يخرجوا معه فيفسدوا عليه جنده ، وكان في جنده قوم أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ؛ لشرفهم فيهم ، فقال : ﴿ **وفيكم سماعون لهم** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عن تمام علمه فقال : ﴿ **والله عليم بالظالمين** ﴾ فأخبر بأنه يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن ، لو كان كيف كان يكون ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالًا** ﴾ فأخبر عن حالهم كيف يكون لو خرجوا ؛ ومع هذا ما خرجوا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشد تثبيتًا * وإذًا لآتيناهم من لدنَّا**

(١١٥) - رواه الطبري في تفسيره (٢٨١/١٤) رقم (١٦٧٨١) .

[١] - في ت : « معكم » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « مخذولين » .
[٤] - في ز : « تستنصحونهم » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « لخروجهم » .

أجرًا عظيمًا * ولهديناهم صراطًا مستقيمًا ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالىٰ محرضًا لنبيه ، عليه السلام ، علىٰ المنافقين ﴿ **لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور** ﴾ أي : لقد أعملوا فكرهم ، وأجالوا آراءهم في كيدك وكيد أصحابك ، وخذلان دينك وإخماله[١] مدة طويلة ؛ وذلك أول مقدم النبي ، ﷺ ، المدينة رمته العرب عن قوس واحدة[٢] ، وحاربته يهود المدينة ومنافقوها ، فلما نصره اللَّه يوم بدر وأعلىٰ كلمته ، قال عبد اللَّه بن أُبيّ وأصحابه : هذا أمر قد توجه ، فدخلوا في الإسلام ظاهرًا ، ثم كلما أعز اللَّه الإسلام وأهله أغاظهم[٣] ذلك وساءهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ جاء الحق وظهر أمر اللَّه وهم كارهون** ﴾ .

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالىٰ : ومن المنافقين من يقول لك يا محمد : ﴿ **ائذن لي** ﴾ في القعود ﴿ **ولا تفتني** ﴾ بالخروج معك بسبب الجواري من نساء الروم . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ألا في الفتنة سقطوا** ﴾ أي : قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا ، كما قال محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد اللَّه بن أبي بكر ، وعاصم [بن عمر][٤] بن قتادة ، وغيرهم(١١٦) قالوا : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، ذات يوم ، وهو في جهازه للجد بن قيس أخي بني سلمة : « **هل لك يا جدّ العام في جلاد بني الأصفر ؟** » فقال : يا رسول اللَّه ، أو تأذن لي ولا تفتني ، فواللَّه لقد عرف قومي ما رجل أشد عجبًا بالنساء مني ، وإني أخشىٰ إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن . فأعرض عنه رسول اللَّه ، ﷺ ، وقال : « **قد أذنت لك** » .

ففي الجد بن قيس نزلت هذه : ﴿ **ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني** ﴾ الآية . أي :

---

(١١٦) - رواه عنهم الطبري في تفسيره (١٤/٢٨٧) .

---

[١] - في ت : « وإخماده » .
[٢] - في ز : « واحد » .
[٣] - في خ : « غاظهم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

إن كان إنما يخشىٰ من نساء بني الأصفر وليس ذلك به ، [فما سقط][١] فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله ﷺ ، والرغبة بنفسه عن نفسه - أعظم .

وهكذا روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد أنها نزلت في الجد بن قيس ، وقد كان الجد بن قيس هذا من أشراف بني سلمة . وفي الصحيح : أن رسول الله ، ﷺ ، قال لهم : « **من سيدكم [يا بني سلمة]**[٢] ؟ » قالوا : الجد بن قيس علىٰ أنَّا نبخله . فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **وأي داء أدوأ من البخل ؟ ولكن سيدكم الفتىٰ [الأبيض الجعد]**[٣] **: بشر بن البراء بن معرور** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾ أي : لا محيد لهم عنها ، ولا محيص ولا مهرب .

إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

يعلم تبارك وتعالىٰ نبيه ، ﷺ ، بعداوة هؤلاء له ؛ لأنه مهما أصابه من حسنة أي : فتح ، ونصر ، وظفر علىٰ الأعداء ، مما يَسُرُّه ويَسُرُّ أصحابه ساءهم ذلك ﴿ **وإن تصبك**[٤] **مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل** ﴾ أي : قد احترزنا من متابعته[٥] من قبل هذا ﴿ **ويتولوا وهم فرحون** ﴾ فأرشد الله تعالىٰ رسوله ، ﷺ ، إلىٰ جوابهم في عداوتهم هذه التامة فقال : ﴿ **قل** ﴾ أي : لهم ﴿ **لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** ﴾ أي : نحن تحت مشيئة الله وقدره ﴿ **هو مولانا** ﴾ أي : سيدنا وملجؤنا ﴿ **وعلىٰ الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ أي : ونحن متوكلون عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فأسقط » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « الجعد الأبيض » .
[٤] - في ز : « يصبك » .
[٥] - في ز ، خ : « مبايعته » .

فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ لهم يا محمد : ﴿ **هل تربصون بنا** ﴾ أي : تنتظرون بنا ﴿ **إلا إحدىٰ الحسنيين** ﴾ شهادة أو ظفر بكم ؛ قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وغيرهم ﴿ **ونحن نتربص بكم** ﴾ [أي : ننتظر بكم][١] ﴿ **أن يصيبكم اللَّه بعذاب من عنده أو بأيدينا** ﴾ [ ][٢] أي : ننتظر بكم هذا [أو هذا][٣] ، إما أن يصيبكم اللَّه بقارعة[٤] من عنده ، أو بأيدينا بسبي أو بقتل ﴿ **فتربصوا إنا معكم متربصون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قل أنفقوا طوعًا أو كرهًا** ﴾ أي : مهما أنفقتم من نفقة طائعين ، أو مكرهين ﴿ **لن يتقبل منكم إنكم كنتم قومًا فاسقين** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عن سبب ذلك وهو أنهم لا يتقبل منهم ﴿ **لأنهم كفروا باللَّه وبرسوله**[٥] ﴾ [أي : والأعمال إنما تصح بالإيمان][٦] ﴿ **ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالىٰ** ﴾ أي : ليس لهم قصد صحيح ، ولا همة في العمل ﴿ **ولا ينفقون** ﴾ نفقة ﴿ **إلا وهم كارهون** ﴾ .

وقد أخبر الصادق المصدوق ، ﷺ ، أن « **اللَّه لا يمل حتىٰ تملوا** ، [**وإنه**][٧] **طيب لا يقبل إلا طيبًا** » . فلهذا لا يتقبل[٨] اللَّه من هؤلاء نفقة ولا عملًا ؛ لأنه إنما يتقبل من المتقين .

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالىٰ لرسوله ، ﷺ : ﴿ **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم** ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تمدن عينيك إلىٰ ما متعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك**

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « فتربصوا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « بعذاب » .
[٥] - في ز : « ورسوله » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « وإن اللَّه » .
[٨] - في خ : « يقبل » .

خير وأبقىٰ ﴾ . وقال : ﴿ **أيحسبون [أن ما][١] نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إنما يريد اللَّه ليعذبهم بها في الحياة الدنيا** ﴾ قال الحسن البصري : بزكاتها[٢] والنفقة منها في سبيل اللَّه .

وقال قتادة : هذا من المقدم والمؤخر تقديره : فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم [في الحياة الدنيا][٣] ، إنما يريد اللَّه ليعذبهم بها [في الآخرة][٤] .

واختار ابن جرير قول الحسن ، وهو القول القوي الحسن .

وقوله : ﴿ **وتزهق أنفسهم وهم كافرون** ﴾ أي : ويريد أن يميتهم حين يميتهم علىٰ الكفر ؛ ليكون ذلك أنكىٰ لهم وأشد لعذابهم ، عياذًا باللَّه ! من ذلك ، وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه .

وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

يخبر اللَّه[٥] تعالىٰ نبيه ، ﷺ ، عن جزعهم وفزعهم وفَرَقهم وهَلَعهم أنهم ﴿ **يحلفون باللَّه إنهم لمنكم** ﴾ يمينًا مؤكدة ﴿ **وما هم منكم** ﴾ أي : في نفس الأمر ﴿ **ولكنهم قوم يفرقون** ﴾ أي : فهو الذي حملهم علىٰ الحلف . ﴿ **لو يجدون ملجأ** ﴾ أي : حصنًا يتحصنون به ، وحرزًا يحترزون[٦] به ﴿ **أو مغارات** ﴾ وهي التي في الجبال ﴿ **أو مدخلًا** ﴾ وهو السرب في الأرض والنفق ، قال ذلك في الثلاثة : ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ﴿ **لولوا إليه وهم يجمحون** ﴾ أي : يسرعون في ذهابهم [عنكم ؛ لأنهم إنما][٧] يخالطونكم[٨] [كرهًا لا محبة ، وودوا أنهم][٩] لا يخالطونكم ، ولكن للضرورة أحكام ؛ ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم ؛ لأن الإسلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة ؛ فلهذا كلما سُرَّ المؤمنون[١٠] ساءهم ذلك ، فهم يودون أن لا يخالطوا المؤمنين ، ولهذا قال : ﴿ **لو**

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أنما » .
[٢] - في ز : « بركابها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « يتحرزون » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ : « لا يخالطونكم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - في خ : « المسلمون » .

يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلًا لولوا إليه وهم يجمحون ﴾ .

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ومنهم** ﴾ أي : ومن المنافقين ﴿ **من يلمزك** ﴾ أي : يعيب[١] عليك ﴿ **في** ﴾ قسم ﴿ **الصدقات** ﴾ إذا فرقتها ، ويتهمك في ذلك ، وهم المتهمون المأبونون ، وهم مع هذا لا ينكرون للدين ، وإنما ينكرون لحظ أنفسهم ؛ ولهذا إن أعطوا من الزكاة رضوا ﴿ **وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون** ﴾ أي : يغضبون لأنفسهم .

قال ابن جريج : أخبرني داود بن أبي عاصم قال : أتي النبي ، ﷺ ، بصدقة فقسمها هاهنا وهاهنا حتىٰ ذهبت ، قال : ووراءه[٢] رجل من الأنصار ، فقال : ما هذا بالعدل : فنزلت هذه الآية .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **ومنهم من يلمزك في الصدقات** ﴾ يقول : ومنهم من يطعن عليك في الصدقات ، وذكر لنا أن رجلًا من أهل[٣] البادية حديث عهد بأعرابية ، أتىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو يقسم ذهبًا وفضة ، فقال : يا محمد ، والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت . فقال نبي الله ، ﷺ : « **ويلك ! فمن ذا الذي[٤] يعدل عليك بعدي ؟** » ثم قال نبي الله : « **احذروا هذا وأشباهه ، فإن في أمتي أشباه هذا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، فإذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم** » . وذكر لنا أن نبي الله ، ﷺ ، كان يقول : « **والذي نفسي بيده ، ما أعطيكم شيئًا ولا أمنعكموه[٥] ، إنما أنا خازن** » .

وهذا الذي ذكره قتادة [شبيه بما][٦] رواه الشيخان(١١٧) من حديث الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد في قصة ذي الخويصرة - واسمه حُرْقُوص - لما اعترض علىٰ النبي ، ﷺ ، حين قسم غنائم حنين ، فقال له : اعدل فإنك لم تعدل . فقال : « **لقد خبتُ**

(١١٧) - صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام رقم (٣٦١٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة رقم (١٠٦٤) .

[١] - في ز ، خ : « يعتب » .
[٢] - في ز : « رآه » ، خ : « وراءه » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ت : « أمنعكم » .
[٦] - في ت : « يشبه ما » .

وخسرتُ إن لم أكن أعدل » . ثم قال رسول اللّه ، ﷺ ، وقد رآه مُقَفِّيًا(*) : « **إنه يخرج من ضِئْضِئِ(**) هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمِيَّة ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإنهم شر قتلىٰ تحت أديم السماء** » . وذكر بقية الحديث .

ثم قال تعالىٰ منبهًا لهم علىٰ ما هو خير [من ذلك لهم][١] ، فقال : ﴿ **ولو أنهم رضوا ما آتاهم اللّه ورسوله وقالوا حسبنا اللّه سيؤتينا اللّه من فضله ورسوله إنا إلىٰ اللّه راغبون** ﴾ فتضمنت هذه الآية[٢] الكريمة أدبًا[٣] عظيمًا وسرًّا شريفًا ، حيث جعل الرضا بما آتاه اللّه ورسوله ، والتوكل علىٰ اللّه وحده وهو قوله : ﴿ **وقالوا حسبنا اللّه** ﴾ وكذلك الرغبة إلىٰ اللّه وحده - في التوفيق لطاعة الرسول ، ﷺ ، وامتثال أوامره ، وترك زواجره ، وتصديق أخباره ، والاقتفاء بآثاره .

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

لما ذكر تعالىٰ اعتراض المنافقين الجهلة علىٰ النبي ، ﷺ ، ولمزهم إياه في قسم الصدقات ، بَيَّن تعالىٰ أنه هو الذي قسمها ، وبين حكمها ، وتولىٰ أمرها بنفسه ، ولم يَكِل قسمها إلىٰ أحد غيره ، فجزَّأها لهؤلاء المذكورين ، كما رواه الإمام أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - وفيه ضعف - عن زياد بن نعيم ، عن زياد بن الحارث الصدائي ، رضي اللّه عنه ، قال : أتيت النبي ، ﷺ ، فبايعته ، فأتىٰ رجل فقال : أعطني من الصدقة . فقال له : « **إن اللّه لم يرض بحكم نبي ، ولا غيره في الصدقات ، حتىٰ حكم فيها هو ، فجزأها ثمانية أصناف ، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك** »(١١٨) .

وقد اختلف العلماء في هذه الأصناف الثمانية : هل يجب استيعاب الدفع إليها ، أو إلىٰ ما أمكن منها ؟ علىٰ قولين : أحدهما : أنه يجب ذلك ، وهو قول الشافعي وجماعة .

(*) أي : موليًا ؛ كأنه من ولّى وأعطانا قفاه .

(**) الضئضئ : أصل الشيء .

(١١٨) - سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب : من يعطى من الصدقة ، وفضل الغنى برقم (١٦٣٠) .

---

[١] - في خ : « لهم من ذلك » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « إذنًا » .

والثاني : أنه لا يجب استيعابها ، بل يجوز الدفع إلىٰ واحد منها ، ويُعْطَىٰ جميع الصدقة مع وجود الباقين ، وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف ؛ منهم عمر ، وحذيفة ، وابن عباس وأبو العالية ، وسعيد بن جبير ، وميمون بن مهران .

قال ابن جرير : وهو قول عامة أهل العلم ، وعلىٰ هذا فإنما ذكرت الأصناف هاهنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعاب الإِعطاء .

ولوجوه الحجاج والمآخذ مكان غير هذا ، والله أعلم .

وإنما قدم الفقراء هاهنا [ ][١] ؛ لأنهم أحوج من البقية[٢] علىٰ المشهور ؛ [و][٣] لشدة فاقتهم وحاجتهم . وعند أبي حنيفة أن المسكين أسوأ حالًا من الفقير ، وهو كما قال .

قال ابن جرير(١١٩) : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن علية ، أنبأنا ابن عون ، عن محمد قال : قال عمر - رضي الله عنه - : الفقير ليس بالذي لا مال له ، ولكن الفقير الأخلق(*) الكسب . قال ابن علية : الأخلق : المُحارَف(**)[٤] عندنا .

والجمهور علىٰ خلافه .

وروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن البصري ، وابن زيد(***) - و [اختاره][٥] ابن جرير - وغير واحد : أن الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئًا ، والمسكين هو الذي يسأل ويطوف يتبع الناس .

وقال قتادة : الفقير من به زَمَانة ، والمسكين الصحيح الجسم .

(١١٩) - تفسير الطبري (٣٠٨/١٤) رقم (١٦٨٣٣).

(*) يقال : حجر أخلق : أي : أملس مُصْمَت لا يؤثر فيه شيء . أراد أن الفقر الأكبر هو فقر الآخرة ، وأن فقر الدنيا أهون الفقرين . ومعنى وصف الكسب بذلك أنه وافر منتظم ، لا يقع فيه وكس ولا شطط ... وهو مثل للرجل الذي لا يصاب في ماله ولا ينكب فيثاب على صبره ، فإذا لم يصب فيه ولم ينكب كان فقيرًا من الثواب .

(**) المُحارَف - بفتح الراء - هو المحروم المجدود ، الذي إذا طلب لا يرزق .

(***) انظر هذه الآثار في تفسير الطبري [١٤/ ٣٠٥، ٣٠٦] .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « على البقية » .
[٢] - في ت : « غيرهم » .
[٣] - في ت : « و » .
[٤] - في ز : « المحارب » .
[٥] - في ز ، خ : واختار .

وقال الثوري ، عن منصور عن إبراهيم : هم فقراء المهاجرين ، قال سفيان الثوري : يعني : ولا يعطىٰ الأعراب منها شيئًا .

وكذا روي عن سعيد بن جبير ، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى .

وقال عكرمة : و[١] لا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين ، إنما المساكين مساكين[٢] أهل الكتاب .

ولنذكر أحاديث تتعلق بكل من الأصناف الثمانية .

فأما الفقراء فعن ابن عمرو[٣] قال : قال رسول اللّه ، ﷺ : « **لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة سوي**(*) » رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي(١٢٠) .

ولأحمد أيضًا والنسائي ، وابن ماجة ، عن أبي هريرة مثله(١٢١) .

وعن عبيد اللّه بن عدي بن الخيار ؛ أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي ، ﷺ ، يسألانه من الصدقة ، فقلَّب(**) فيهما البصر ، فرآهما جلدين(***) فقال : « **إن شئتما أعطيتكما ، ولا حظ فيها[٤] لغنيٍّ ولا لقوي مكتسب** » .

رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي بإسنادٍ جيد قوي(١٢٢) .

وقال ابن أبي حاتم في كتاب الجرح [والتعديل : أبو بكر العبسي قال : قرأ عمر - رضي اللّه عنه - : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء** ﴾ قال : هم أهل الكتاب][٥] . روىٰ عنه عمر بن

---

(١٢٠) - المسند (١٦٤/٢) وسنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب : من يعطى من الصدقة وهو غني ، رقم (١٦٣٤) وسنن الترمذي ، كتاب الزكاة رقم (٦٥٢) .

(١٢١) - المسند (٣٧٧/٢) وسنن النسائي (٩٩/٥) وسنن ابن ماجه ، كتاب الزكاة ، باب : من سأل عن ظهر غنى برقم (١٨٣٩) .

(*) المِرَّة : القوة والشدة . والسوي : الصحيح الأعضاء .

(**) أي دقق فيهما النظر .

(***) جلدين : أي قويين .

(١٢٢) - المسند (٢٢٤/٤) رقم (١٨٠٢٧) وسنن أبي داود ، كتاب الزكاة رقم (١٦٣٣) وسنن النسائي (٩٩/٥) .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « عمر » .

[٤] - في خ : « بينهما » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

نافع سمعت أبي يقول ذلك .

قلت : وهذا قول غريب جدًّا بتقدير صحة الإسناد ، فإن أبا بكر هذا ، وإن لم ينص أبو حاتم على جهالته لكنه في حكم المجهول .

وأما المساكين فعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « **ليس المسكين بهذا الطَّوَّاف الذي يطوف على الناس ، فترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان** » . قالوا : فما المسكين يا رسول الله ؟ قال : « **الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يُفطَنُ له فيتصدق عليه ، ولا يسأل الناس شيئًا** » . رواه الشيخان : البخاري ومسلم(١٢٣) .

وأما العاملون عليها : فهم الجُبَاة والسعاة يستحقون منها قسطًا على ذلك ، ولا يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله ، ﷺ ، الذين تحرم عليهم الصدقة ؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل بن العباس يسألان رسول الله ، ﷺ ، ليستعملهما على الصدقة ، فقال : « **إن الصدقة لا تحل لمحمد ، ولا لآل محمد ، إنما هي أوساخ الناس** »(١٢٤) .

وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام :

منهم : من يعطى لِيُسْلِم ، كما أعطى النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، صفوان بن أمية من غنائم حنين ، وقد كان شهدها مشركًا ، قال : فلم يزل يعطيني حتى صار أحب الناس إليَّ بعد أن كان أبغض الناس إلي ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا زكريا بن عدي ، أنا ابن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن صفوان بن أمية قال : أعطاني رسول الله ، ﷺ ، يوم حنين ، وإنه لأبغض الناس إليَّ ، فما زال يعطيني حتى [صار ، و][١] إنه لأحب الناسِ إلي .

ورواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري ، به(١٢٥) .

ومنهم : من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه ، كما أعطى يوم حنين أيضًا جماعة من

---

(١٢٣) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة رقم (١٤٧٩) وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة رقم (١٠٣٩) .

(١٢٤) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة برقم (١٠٧٢) .

(١٢٥) - المسند (٦/٤٦٥) رقم (٢٧٧٤٦) ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل رقم (٢٣١٣) وسنن الترمذي ، كتاب الزكاة برقم (٦٦٦) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

صناديد الطلقاء ، وأشرافهم مائة من الإبل ، مائة من الإبل ، وقال : « **إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه ؛ مخافة**[١] **أن يكبّه اللَّه علىٰ وجهه في نار جهنم** »(١٢٦) .

وفي الصحيحين(١٢٧) عن أبي سعيد : أن عليًا بعث إلىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، بِذُهَيْبَةٍ في تربتها من اليمن ، فقسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علاثة ، وزيد الخير ، وقال : « **أتألفهم** » .

ومنهم : من يعطىٰ لما يرجىٰ من إسلام نظرائه .

ومنهم : من يعطىٰ ليجبي[٢] الصدقات ممن يليه ، أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، ومحل تفصيل هذا في كتب الفروع ، واللَّه أعلم .

وهل تعطىٰ المؤلفة علىٰ الإسلام بعد النبي ، ﷺ ؟ فيه خلاف ؛ فروي عن عمر [وعامر الشعبي][٣] وجماعة أنهم لا يعطون بعده ؛ لأن اللَّه قد أعز الإسلام وأهله ، ومكن لهم في البلاد ، وأذل لهم رقاب العباد .

وقال آخرون : بل يعطون ؛ لأنه ، عليه الصلاة والسلام ، قد أعطاهم بعد فتح مكة وكَسْر هوازن ، وهذا أمر قد يحتاج إليه فيصرف إليهم .

وأما الرقاب ، فروي عن الحسن البصري ، ومقاتل بن حيان ، وعمر بن عبد العزيز ، وسعيد بن جبير ، والنخعي ، والزهري ، وابن زيد : أنهم المكاتبون ، وروي عن أبي موسىٰ الأشعري نحوه ، وهو قول الشافعي والليث ، رضي اللَّه عنهما .

وقال ابن عباس والحسن : لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة . وهو مذهب [الإمام أحمد ابن حنبل] ، ومالك ، وإسحاق ، أي : أن الرقاب أعم من أن يعطي المكاتب ، أو يشتري رقبة فيعتقها استقلالاً ، وقد ورد في ثواب الإعتاق ، وفك الرقبة أحاديث كثيرة ، وأن اللَّه يعتق بكل عضو منها عضوًا من معتقها حتىٰ الفرج بالفرج ، وما ذاك إلا لأن الجزاء من جنس العمل ﴿ **وما تجزون إلا ما كنتم تعملون** ﴾ .

وعن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، أن النبي ، ﷺ ، قال « **ثلاثة حق علىٰ اللَّه عونهم :**

---

(١٢٦) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة برقم (١٤٧٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(١٢٧) - صحيح البخاري ، كتاب المناقب برقم (٣٣٤٤) وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة برقم (١٠٦٤) .

---

[١] - في ت : « خشية » . [٢] - في خ : « لتجى » .

[٣] - في ت : « عامر والشعبي » .

الغازي[١] **في سبيل الله ، والمكاتب الذي**[٢] **يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف »** .

رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا أبا داود(١٢٨) .

وفي المسند عن البراء بن عازب ؛ قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ، دُلَّني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني من النار . فقال : « **أعتق النسمة وفك الرقبة** » . فقال : يا رسول الله ، أو ليسا واحدًا ؟ قال : « **لا ، عتق النسمة أن تفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها** »(١٢٩) .

وأما الغارمون فهم أقسام :

فمنهم من تحمل[٣] حمالة(*) أو[٤] ضمن دينًا فلزمه ، فأجحف بماله ، أو غرم في أداء دينه ، أو في معصية ثم تاب ، فهؤلاء يدفع إليهم . والأصل في هذا الباب حديث قبيصة بن مخارق الهلالي ؛ قال : تحملت حمالة فأتيت رسول الله ، ﷺ ، أسأله فيها فقال : « **أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها** » . قال : ثم قال : « **يا قبيصة ، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش - أو قال سدادًا من عيش - ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من [ ]**[٥] **قومه ، فيقولون : لقد أصابت فلانًا فاقة فحلت له المسألة ، حتى يصيب قوامًا من عيش - أو قال**[٦] **سدادًا من عيش - فما سواهن من المسألة سُحْتٌ ، يأكلها صاحبها سحتًا** » . رواه مسلم(١٣٠) .

---

(١٢٨) - المسند (٢/٢٥١) ، وسنن الترمذي برقم (١٦٥٥) ، وسنن النسائي (٦/٦١) ، وسنن ابن ماجه برقم (٢٥١٨) ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن » .

(١٢٩) - المسند (٤/٢٩٩) رقم (١٨٧٠١) ، وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٩) ، والطيالسي (٧٣٩) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٧٤) (٢/٩٧ -٩٨) ، وفي الموارد (١٢٠٩) (٤/١١٨ -١١٩) . والحاكم في « مستدركه » (٢/٢١٧) ، والبيهقي في الكبرى (١٠/٢٧٢ -٢٧٣) . والبغوي في « شرح السنة » (٢٤١٩) (٩/٣٥٤) . من طريق عيسى بن عبد الرحمن البجلي عن طلحة اليامي به . وقال الحاكم : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . وذكره الهيثمي في المجمع (٤/٢٤٣) وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

(*) الحَمَالة : ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة ، مثل أن يقع حرب بين فريقين ، تسفك فيها الدماء ، فيدخل بينهم رجل يتحمل ديات القتلى ليصلح ذات البين .

(١٣٠) - صحيح مسلم ، كتاب الزكاة برقم (١٠٤٤) .

---

[١] - في ز ، خ : « المغازي » .

[٢] - في ز ، خ : « والمدين » .

[٣] - في ز ، خ : « يحمل » .

[٤] - في ز : « إن » .

[٥] - ما بين المعكوفين في ت : « قرابة » .

[٦] - سقط من : ز .

وعن أبي سعيد قال : أصيب رجل في عهد رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، في ثمار ابتاعها ، فكثر دينه ، [فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **تصدقوا عليه** » . فتصدق الناس عليه ، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه][١] ، فقال النبي ، ﷺ لغرمائه : « **خذوا ما وجدتم ، وليس لكم إلا ذلك** » . رواه مسلم(١٣١) .

وقال الإمام أحمد(١٣٢) : حدثنا عبد الصمد ، أنبأنا صدقة بن موسىٰ ، عن أبي عمران الجوني ، عن قيس بن زيد ، عن قاضي المصرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ قال : قال رسول اللَّه ، ﷺ : « **يدعو اللَّه بصاحب الدَّيْن يوم القيامة ، حتىٰ يوقف بين يديه فيقول : يا ابن آدم ، فيم أخذت هذا الدين ، وفيم ضيعت حقوق الناس**[٢] ؟ **فيقول : يا رب ، [إنك تعلم]**[٣] **أني أخذته ، فلم آكل ولم أشرب ولم أضيع ، ولكن أتىٰ علىٰ يدي إما حرق وإما سرق وإما وضيعة . فيقول اللَّه : صدق عبدي ، أنا أحق من قضىٰ عنك اليوم ، فيدعو اللَّه بشيء فيضعه في كفة ميزانه ، فترجح حسناته علىٰ سيئاته ، فيدخل الجنة بفضل اللَّه ورحمته** » .

وأما ﴿ **في سبيل اللَّه** ﴾ ؛ فمنهم الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان ، وعند الإمام أحمد والحسن وإسحاق : والحج من سبيل اللَّه ؛ للحديث .

وكذلك ﴿ **ابن السبيل** ﴾ ، وهو المسافر المجتاز في بلد ، ليس معه شيء يستعين به علىٰ سفره ، فيعطىٰ من الصدقات ما يكفيه إلىٰ بلده ، وإن كان له مال ، وهكذا الحكم فيمن أراد إنشاء سفرٍ من بلده وليس معه شيء ، فيعطىٰ من مال الزكاة كفايته في ذهابه وإيابه . والدليل علىٰ ذلك الآية ، وما رواه الإمام أبو داود وابن ماجه من حديث معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه(١٣٣) ، قال : قال رسول اللَّه ، ﷺ : « **لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة : العامل عليها ، أو رجل اشتراها بماله ، أو غارم ، أو غازٍ في سبيل اللَّه ، أو مسكين تُصُدِّقَ عليه منها فأهدىٰ لغني** » .

وقد رواه السفيانان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء مرسلًا ، ولأبي داود عن عطية

---

(١٣١) - صحيح مسلم ، كتاب المساقاة برقم (١٥٥٦) .
(١٣٢) - المسند (١/١٩٧،١٩٨) .
(١٣٣) - سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب : من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني رقم (١٦٣٥) وسنن ابن ماجه ، كتاب الزكاة برقم (١٨٤١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « أنت أعلم » .

العوفي ، عن أبي سعيد الخدري(١٣٤) ؛ قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **لا تحل الصدقة لغني إلا في سبيل الله ، وابن السبيل ، أو جار فقير فيهدي[١] لك أو يدعوك** » .

وقوله : ﴿ **فريضة من الله** ﴾ أي : حكمًا [مقدرًا بتقدير][٢] الله وفرضه وقسمته[٣] ﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ أي : عليم بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح عباده ﴿ **حكيم** ﴾ فيما [يفعله ويقوله][٤] ويشرعه ويحكم به ، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

يقول تعالىٰ : ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله ، ﷺ ، بالكلام فيه ﴿ **ويقولون هو أذن** ﴾ أي : من قال له شيئًا[٥] صدقه ، و[٦] من حدثه فينا صدقه ، فإذا جئناه[٧] وحلفنا له صدقنا . روي معناه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة . قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل أذن خير لكم** ﴾ أي : هو أذن خير ، يعرف الصادق من الكاذب ﴿ **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** ﴾ أي : ويصدق المؤمنين ﴿ **ورحمة للذين آمنوا منكم** ﴾ أي : وهو حجة علىٰ الكافرين ؛ ولهذا قال : ﴿ **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾ .

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

قال قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿ **يحلفون بالله لكم ليرضوكم** ﴾ الآية - قال : ذكر لنا أن رجلًا من المنافقين قال : والله ، إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا ، وإن كان ما يقول محمد حقًّا[٨]

---

(١٣٤) - سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب : من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني رقم (١٦٣٧) وعطية العوفي ضعيف .

---

[١] - في ز : « فيهوي » .
[٢] - في ز : « مقررًا بتقرير » .
[٣] - في خ : « وقسمه » .
[٤] - في خ : « يقوله ويفعله » .
[٥] - في ز : « شيء » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « جئنا » .
[٨] - في ز : « لحقًّا » .

لهم شرٌّ من الحمير . قال : فسمعها رجل من المسلمين فقال : والله ، إن ما يقول محمد لحق ، ولأنت أشر من الحمار . قال : فسعىٰ بها الرجل إلىٰ نبي الله[١] ، ﷺ ، فأخبره ، فأرسل إلىٰ الرجل فدعاه ، فقال : « **ما حملك علىٰ الذي قلت ؟** » فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك ، وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صَدِّق الصادق وكَذِّب الكاذب ، فأنزل الله -عز وجل- : ﴿ **يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدًا فيها** ﴾ . أي : ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله عز وجل ، أي : شاقه وحاربه وخالفه ، وكان في حد والله ورسوله في حد ﴿ **فإن له نار جهنم خالدًا فيها** ﴾ أي : مهانًا معذبًا و[٢] ﴿ **ذلك الخزي العظيم** ﴾ أي : وهذا هو الذل العظيم ، والشقاء الكبير .

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قال مجاهد : يقولون القول بينهم ، ثم يقولون : عسىٰ الله أن لا يفشي علينا سرنا هذا .

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير** ﴾ ، وقال في هذه الآية : ﴿ **قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون** ﴾ أي : إن الله سينزل علىٰ رسوله ما يفضحكم به ، ويبين له أمركم ، كقوله تعالىٰ : [﴿ **أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم** ﴾ إلىٰ قوله][٣] : ﴿ **ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم** ﴾ ولهذا قال قتادة : كانت[٤] تسمى هذه السورة الفاضحة ؛ فاضحة المنافقين .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قال أبو معشر المديني ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : قال رجل من

---

[١] - في خ : « النبي » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « وكانت » .

المنافقين : ما أرىٰ قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونًا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء . فرفع ذلك إلىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، فجاء إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول اللَّه ، إنما كنا نخوض ونلعب . فقال : ﴿ **أباللَّه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **كانوا مجرمين** ﴾ وإن رجليه لتنسفان(*)[١] الحجارة ، وما يلتفت إليه رسول اللَّه ، ﷺ ، وهو متعلق بِنِسْعَة(**)[٢] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم .

وقال عبد اللَّه بن وهب : أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد اللَّه بن عمر ؛ قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا : ما[٣] رأيت مثل قرائنا هؤلاء : أرغب بطونًا ، ولا أكذب ألسنًا ، ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجل في المسجد : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرنَّ رسول اللَّه ، ﷺ . فبلغ ذلك رسول اللَّه ، ﷺ ، ونزل القرآن . قال[٤] عبد اللَّه بن عمر : وأنا رأيته متعلقًا بحَقَب(***) ناقة رسول اللَّه ، ﷺ ، تنكبه[٥] الحجارة ، وهو يقول : يا رسول اللَّه ، إنما كنا نخوض ونلعب . ورسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، يقول : ﴿ **أباللَّه وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ . الآية[٦] .

وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحو من هذا(١٣٥) .

وقال ابن إسحاق(١٣٦) : وقد كان جماعة من المنافقين منهم : وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد [بن][٧] عمرو بن عوف ، ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مُخَشِّن[٨] بن حُمَيِّر ، يُشيرُون[٩] إلى رسول اللَّه ، ﷺ ، وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا ، واللَّه ، لكأنا بكم

(*) نَسَف الشيء : فرقه وأذراه .

(**) النسعة : سَيْر مضفور . يجعل زمامًا للبعير وغيره . وقد تنسج عريضة تجعل على صدر البعير .

(***) الحقَب : الحزام الذي يلي حقو البعير .

(١٣٥) - رواه الطبري في تفسيره (٣٣٤،٣٣٣/١٤) رقم (١٦٩١٢) .

(١٣٦) - السيرة النبوية لابن هشام (٥٢٤/٢) .

---

[١] - في ز : « ليسفعان » .

[٢] - في ز : « بنسفة » .

[٣] - في ت : « ما » ، خ : « ما يومًا » .

[٤] - في خ : « فقال » .

[٥] - في ز : « تركبه » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « من بني » .

[٨] - في ز : « فحش » .

[٩] - في ز : « يسيرون » .

غدًا مقرنين في الحبال[١] ؛ إرجافا وترهيبًا للمؤمنين ، فقال مُخَشِّن[٢] بن حُمَيِّر : والله ، لوددت أني أُقاضَىٰ علىٰ أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وإننا ننفلت[٣] أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم[٤] هذه . وقال رسول الله ، ﷺ ، فيما بلغني لعمار بن ياسر : « **أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم[٥] عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلىٰ ، قلتم كذا وكذا** » . فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم[٦] ، فأتوا رسول الله ، ﷺ ، يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله ، ﷺ ، واقف علىٰ راحلته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب . [فنزلت الآية][٧] [فقال مُخَشِّن][٨] بن حُمَيِّر : يا رسول الله ، قعد بي اسمي واسم أبي . فكان الذي عفي[٩] عنه في هذه الآية مخشن[١٠] بن حمير فتسمىٰ عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله[١١] شهيدًا لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم[١٢] يوجد له أثر .

وقال قتادة ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب** ﴾ قال : فبينما النبي ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، في غزوة تبوك ، ورَكْبٌ من المنافقين يسيرون بين يديه ، فقالوا : يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها هيهات ! هيهات ! فأطلع الله نبيه ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، علىٰ ما قالوا ، فقال : « **عليَّ بهؤلاء النفر** » . فدعاهم فقال : « **قلتم كذا وكذا** » فحلفوا ما كنا إلا نخوض ونلعب .

وقال عكرمة في تفسير هذه الآية : كان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول : اللهم إني أسمع آية أنا أعنىٰ بها ، تقشعر منها الجلود ، و[تجب منها القلوب][١٣] ، اللهم ؛ فاجعل وفاتي قتلًا في سبيلك ، لا يقول[١٤] أحد أنا غسلت ، أنا كفنت ، أنا دفنت . قال : فأصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين إلا وقد وُجِدَ غَيْرَهُ .

وقوله : ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ أي : بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿ **إن**

---

[١] - في خ : « الجبال » .
[٢] - في ز : « فحش » .
[٣] - في ز : « نتقلب » .
[٤] - في ز : « لمقاتلتكم » .
[٥] - في خ : « فاسألهم » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « وقال فحش » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز : « فحش » .
[١١] - في خ : « يقتل » .
[١٢] - في خ : « ولم » .
[١٣] - في ز : « يجب منها القلب » .
[١٤] - في ز : « يقل » .

نعف[١] **عن طائفة منكم نعذب**[٢] **طائفة** ﴾ أي : لا يعفىٰ عن جميعكم ، ولابد من عذاب بعضكم ﴿ **بأنهم كانوا مجرمين** ﴾ [أي مجرمين][٣] بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة .

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) ﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المنافقين الذين هم علىٰ خلاف صفات المؤمنين ، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، كان هؤلاء ﴿ **يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم** ﴾ أي : عن الإنفاق في سبيل اللَّه ﴿ **نسوا اللَّه** ﴾ أي : نسوا ذكر اللَّه ﴿ **فنسيهم** ﴾ أي : عاملهم معاملة من نسيهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ [**وقيل اليوم**][٤] **ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا** ﴾ ﴿ **إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾ أي : الخارجون عن طريق الحق ، الداخلون في طريق الضلالة .

وقوله : ﴿ **وعد اللَّه المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم** ﴾ أي : علىٰ هذا الصنيع الذي ذكر عنهم ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين فيها مخلدين هم والكفار ﴿ **هي حسبهم** ﴾ أي : كفايتهم في العذاب ﴿ **ولعنهم اللَّه** ﴾ أي : طردهم وأبعدهم ﴿ **ولهم عذاب مقيم** ﴾ .

﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٦٩) ﴾

---

[١] - في ز : « يعف » .

[٢] - في ز : « تعذب » .

[٣] - في ز : « مجرمين » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « فاليوم » .

يقول تعالىٰ : أصاب هؤلاء من عذاب اللّٰه تعالىٰ في الدنيا والآخرة ، كما أصاب من قبلهم ، وقد كانوا أشد منهم قوة ، وأكثر أموالًا وأولادًا ، وقوله[١] : ﴿ **فاستمتعوا بخلاقهم** ﴾ قال الحسن البصري : بدينهم . وقوله[٢] : ﴿ **كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا** ﴾ أي : في الكذب والباطل ﴿ **أولئك حبطت أعمالهم** ﴾ أي : بطلت مساعيهم ، فلا ثواب لهم عليها ؛ لأنها فاسدة ﴿ **في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون** ﴾ ؛ لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب .

قال ابن جريج ، عن عمر[٣] بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **كالذين من قبلكم ...** ﴾ الآية ، قال ابن عباس : ما أشبه الليلة بالبارحة ! ﴿ **كالذين من قبلكم** ﴾ هؤلاء بنو إسرائيل شُبِّهْنَا بهم ، لا أعلم إلا أنه قال : « **والذي نفسي بيده ، لتتبعُنَّهم حتىٰ لو دخل الرجل منهم[٤] جحر ضَبٍّ لدخلتموه** »(١٣٧) .

قال ابن جريج (١٣٨) : وأخبرني زياد بن سعد ، عن محمد بن زيد[٥] بن مهاجر ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، رضي اللّٰه عنه ؛ قال : قال رسول اللّٰه ، ﷺ : « **والذي نفسي بيده ، لتتبعن سنن الذين من قبلكم ، شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، وباعًا بباع ، حتىٰ لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** » . قالوا : ومن هم يا رسول اللّٰه ؟ [ ][٦] أهل الكتاب ؟! قال : « **فمه !** » .

وهكذا رواه أبو معشر(١٣٩) ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، ﷺ ... فذكره . وزاد : قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم القرآن ﴿ **كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالًا وأولادًا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم** ﴾ . قال أبو هريرة : الخلاق : الدين ، ﴿ **وخضتم كالذي خاضوا** ﴾ قالوا : يا رسول اللّٰه ، كما صنعت فارس والروم ؟ قال : « **فهل الناس إلا هم ؟!** » .

---

(١٣٧) - رواه الطبري في تفسيره (٣٤١/١٤) رقم (١٦٩٣١) .

(١٣٨) - رواه الطبري في تفسيره (٣٤٢/١٤) رقم (١٦٩٣٢) .

(١٣٩) - رواه الطبري في تفسيره (٣٤١/١٤) رقم (١٦٩٣٠) وإسناده ضعيف من أجل أبي معشر وهو نجيح بن عبد الرحمن السندي .

---

[١] - [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « عمرو » .

[٤] - سقط من : خ .

[٥] - في ز : « زياد » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

وهذا الحديث له شاهد في الصحيح(١٤٠) .

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠)﴾

يقول تعالىٰ واعظًا لهؤلاء المنافقين المكذبين للرسل ﴿ **ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم** ﴾ أي : ألم تخبروا خبر من كان قبلكم من الأمم المكذبة للرسل ﴿ **قوم نوح** ﴾ وما أصابهم من الغرق العام لجميع أهل الأرض ، إلا من آمن بعبده ورسوله نوح عليه السلام ، ﴿ **وعاد** ﴾ كيف أهلكوا بالريح العقيم ، لما كذبوا هودًا عليه السلام ، ﴿ **وثمود** ﴾ كيف أخذتهم الصيحة ، لما كذبوا صالحًا عليه السلام ، وعقروا الناقة ﴿ **وقوم إبراهيم** ﴾ كيف نصره اللَّه عليهم ، وأيده بالمعجزات[١] الظاهرة عليهم ، وأهلك ملكهم النمرود[٢] بن كنعان بن كوش الكنعاني لعنه اللَّه ، ﴿ **وأصحاب مدين** ﴾ وهم قوم شعيب عليه السلام ، وكيف أصابتهم[٣] الرجفة والصيحة وعذاب يوم[٤] الظلة ﴿ **والمؤتفكات** ﴾ قوم لوط ، وقد كانوا يسكنون في مدائن ، وقال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **والمؤتفكة أهوىٰ** ﴾ أي : الأمة المؤتفكة ، وقيل : أم قراهم : وهي سدوم .

والغرض أن اللَّه تعالىٰ أهلكهم عن آخرهم بتكذيبهم نبي اللَّه لوطًا عليه السلام ، وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين .

﴿ **أتتهم رسلهم بالبينات** ﴾ أي : بالحجج والدلائل القاطعات ﴿ **فما كان اللَّه ليظلمهم** ﴾ أي : بإهلاكه إياهم ؛ لأنه أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل وإزاحة العلل ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ أي : بتكذيبهم الرسل ، ومخالفتهم الحق ، فصاروا إلىٰ ما صاروا إليه من العذاب والدمار .

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

(١٤٠) - صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم (٧٣١٩) من طريق محمد بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - في ز : « بالمعجزة » .
[٢] - في خ : « نمروذ » .
[٣] - في ز : « أصابهم » .
[٤] - في ز ، خ : « تلك » .

ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

لما ذكر تعالىٰ صفات المنافقين الذميمة ، عطف بذكر صفات المؤمنين المحمودة ، فقال ﴿ [**والمؤمنون والمؤمنات**][١] **بعضهم أولياء بعض** ﴾ أي : يتناصرون ويتعاضدون ، كما جاء في الصحيح(١٤١) : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا** » وشبك بين أصابعه ، وفي الصحيح أيضًا(١٤٢) : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمىٰ والسهر** » .

وقوله : ﴿ **يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلىٰ الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفحلون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** ﴾ أي : يطيعون اللّٰه ويحسنون إلىٰ خلقه ﴿ **ويطيعون اللّٰه ورسوله** ﴾ أي : فيما أمر ، أو[٢] ترك ما عنه زجر ﴿ **أولئك سيرحمهم اللّٰه** ﴾ أي : سيرحم اللّٰه من اتصف بهذه الصفات ﴿ **إن اللّٰه عزيز حكيم** ﴾ أي : عزيز و[٣] من أطاعه [أعزه][٤] ، فإن العزة للّٰه ولرسوله وللمؤمنين ﴿ **حكيم** ﴾ في قسمته هذه الصفات لهؤلاء ، وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة ، فإن له الحكمة في جميع ما يفعله تبارك وتعالىٰ .

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

---

(١٤١) - صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : تشبيك الأصابع في المسجد وغيره برقم (٤٨١) ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب رقم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه .

(١٤٢) - صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، رقم (٦٠١١) ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب رقم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير ، رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « و » .

[٣] - في خ : « يعز » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

يخبر تعالىٰ بما أعده للمؤمنين به والمؤمنات ، من الخيرات والنعيم المقيم في ﴿ **جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين فيها أبدًا ﴿ **ومساكن طيبة** ﴾ أي : حسنة البناء طيبة القرار ، كما جاء في الصحيحين(١٤٣) : من حديث أبي عمران الجوني ، عن أبي بكر بن أبي موسىٰ عبد الله بن قيس الأشعري ، عن أبيه قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **جنتان من ذهب ؛ آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة ؛ آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن** » .

وبه [قال :][١] قال رسول الله ، ﷺ : « **إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها ستون ميلًا في السماء ، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرىٰ بعضهم بعضًا** » . أخرجاه(١٤٤) .

وفي الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة(١٤٥) قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان ، فإن حقًّا علىٰ الله أن يدخله الجنة ، هاجر في سبيل الله ، أو جلس[٢] في أرضه التي ولد فيها** » . قالوا : يا رسول الله ، أفلا نخبر الناس ؟ قال : « **إن في الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم[٣] الله فاسألوه[٤] الفردوس ، فإنه أعلىٰ الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن** » .

وعند الطبراني والترمذي وابن ماجة ، من رواية زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه : سمعت رسول الله ، ﷺ ، يقول ... فذكر مثله(١٤٦) .

---

(١٤٣) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٨٧٨) وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان رقم (١٨٠) .

(١٤٤) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٨٧٩) وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها رقم (٢٨٣٨) .

(١٤٥) - صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير رقم (٢٧٩٠) من طريق فليح عن هلال ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(١٤٦) - المعجم الكبير (١٥٨/٢٠) ، وسنن الترمذي برقم (٢٥٣٠) ، وعند ابن ماجه القطعة الثانية منه برقم (٤٣٣١) ، وقد أشار الحافظ إلى الاختلاف على عطاء بن يسار .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في ز : « حبس » .

[٣] - في ز : « سألتموا » .

[٤] - في ز : « فسلوه » .

وللترمذي عن عبادة بن الصامت مثله(١٤٧) .

وعن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون[١] الكوكب في السماء** » . أخرجاه في الصحيحين(١٤٨) .

ثم ليعلم أن أعلىٰ منزلة في الجنة مكان يقال له الوسيلة ؛ لقربه من العرش ، وهو مسكن رسول الله ، ﷺ ، من الجنة ، كما قال الإمام أحمد (١٤٩) :

حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن ليث ، عن كعب ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « **إذا صليتم عليَّ فاسألوا[٢] الله لي الوسيلة** » . قيل : يا رسول الله ؛ وما الوسيلة ؟ قال : « **أعلىٰ درجة في الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو** » .

وفي صحيح مسلم(١٥٠) ، من حديث كعب بن علقمة ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ أنه سمع النبي ، ﷺ ، يقول : « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ ، فإنه من صلىٰ علي صلاة واحدة[٣] صلىٰ الله عليه بها عشرًا ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة** » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٥١) : حدثنا أحمد بن علي الأبار ، حدثنا الوليد بن عبد الملك الحراني ، حدثنا موسىٰ بن أعين ، عن ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن ابن عباس ؛ قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **سلوا الله لي الوسيلة ، فإنه لم يسألها لي عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة** » . [ ][٤] .

وفي مسند الإمام أحمد (١٥٢) ، من حديث سعد أبي مجاهد الطائي ، عن أبي المُدِلَّة ،

---

(١٤٧) - سنن الترمذي ، كتاب صفة الجنة ، باب : ما جاء في درجات الجنة رقم (٢٥٣١) .

(١٤٨) - صحيح البخاري برقم (٦٥٥٥) وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٣٠) .

(١٤٩) - المسند (٢/٢٥٦) .

(١٥٠) - صحيح مسلم ، كتاب الصلاة برقم (٣٨٤) .

(١٥١) - المعجم الأوسط برقم (٦٣٩) « مجمع البحرين » .

(١٥٢) - المسند (٢/٣٠٤ ، ٣٠٥) .

---

[١] - في خ : « ترون » .

[٢] - في ز : « فسلوا » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : رواه الطبراني .

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قلنا : يا رسول الله ، حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال : « **لبنة ذهب ولبنة فضة ، وملاطها(*) المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا ييأس[١] ، ويخلد لا يموت ، لا تبلىٰ ثيابه ، ولا يفنىٰ شبابه** » .

وروي عن ابن عمر مرفوعًا نحوه(١٥٣) .

وعند الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **إن في الجنة لغرفًا يرىٰ ظهورها[٢] من بطونها[٣] ، وبطونها[٤] من ظهورها[٥]** » . فقام أعرابي فقال : يا رسول الله ، لمن هي ؟ فقال : « **لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلىٰ بالليل والناسُ نيامٌ** »(١٥٤) .

ثم قال : حديث غريب .

ورواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو ، وأبي مالك الأشعري ، كل[٦] منهما عن النبي ، ﷺ ، بنحوه(١٥٥) ، وكل من الإسنادين جيد حسن ، وعنده أن السائل هو أبو مالك الأشعري[٧] ، فالله أعلم .

وعن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **ألا هل مشمر إلىٰ الجنة ؟ فإن الجنة لا خَطَر[٨] لها ، هي -ورب الكعبة- نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبد في دار**

(*) الملاط : الطين يُطلى به الحائط ، وطينٌ يُجعل بين كل لبنتين أو آجرتين أو حجرين في البناء .

(١٥٣) - رواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٩٦) من طريق عمر بن ربيعة عن الحسن البصري عن ابن عمر ، رضي الله عنه ، مرفوعًا نحو حديث أبي هريرة .

(١٥٤) - سنن الترمذي ، كتاب صفة الجنة رقم (٢٥٢٧) .

(١٥٥) - أما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، فرواه أيضًا الإمام أحمد في مسنده (١٧٣/٢) من طريق حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنهما . وأما حديث أبي مالك الأشعري فهو في المعجم الكبير (٣٠١/٣) وسيأتي عند تفسير الآية : ٢٠ من سورة الزمر .

---

[١] - في خ : « ييأس » .

[٢] - في خ : « ظاهرها » .

[٣] - في خ : « باطنها » .

[٤] - في خ : « باطنها » .

[٥] - في خ : « ظاهرها » .

[٦] - في خ : « كلًا » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ز : « حصر » .

سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبرة ، ونعمة في محلة عالية بهية ». قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها . قال : « **قولوا: إن شاء الله** » . فقال القوم : إن شاء الله . رواه[١] ابن ماجه (١٥٦) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾ أي : رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم ، كما قال الإمام مالك رحمه الله عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « **إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضىٰ يارب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك ؟!. فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا** » . أخرجاه من حديث مالك(١٥٧) .

وقال أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي : حدثنا الفضل الرخامي ، حدثنا الفريابي ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛ قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله -عز وجل- : هل تشتهون شيئًا فأزيدكم ؟ قالوا : يا ربنا ، ما خير مما[٢] أعطيتنا ؟! قال : رضواني أكبر** » .

ورواه البزار(١٥٨) في مسنده من حديث الثوري ، وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه « صفة الجنة » : هذا عندي علىٰ شرط الصحيح ، والله أعلم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ

(١٥٦) - سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : صفة الجنة رقم (٤٣٣٢) من طريق الضحاك المعافري ، عن سليمان بن موسى ، عن كريب ، عن أسامة بن زيد ، به .
وقال البوصيري في الزوائد (٣٢٥/٣) : « هذا إسناد فيه مقال » .

(١٥٧) - صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب : صفة الجنة والنار ، رقم (٦٥٤٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب صفة الجنة رقم (٢٨٢٩) .

(١٥٨) - ورواه أبو نعيم في صفة الجنة برقم (٢٨٣) ، والحاكم في المستدرك (٨٢/١) من طريق محمد بن يوسف الفريابي به نحوه ، وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » .

[١] - في ز : « ورواه » . [٢] - في ز : « ما » .

فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

أمر تعالىٰ رسوله ، ﷺ ، بجهاد الكفار والمنافقين ، والغلظة عليهم ، كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين ، وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلىٰ النار في الدار الآخرة .

وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : بعث رسول الله ، ﷺ ، بأربعة أسياف : سيفٍ للمشركين ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين** ﴾ وسيفٍ لكفار أهل الكتاب ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتىٰ يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون** ﴾ وسيفٍ للمنافقين ﴿ **جاهد الكفار والمنافقين** ﴾ وسيفٍ للبغاة ﴿ **فقاتلوا التي تبغي حتىٰ تفيء إلىٰ أمر الله** ﴾ .

وهذا يقتضي أنهم يجاهَدون بالسيف إذا أظهروا النفاق ، وهو اختيار ابن جرير .

وقال ابن مسعود في قوله : ﴿ **جاهد الكفار والمنافقين** ﴾ قال : بيده ، [فإن لم يستطع][١] [فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه][٢] ، [فإن لم يستطع][٣] فليكفهر في وجهه .

وقال ابن عباس : أمره الله تعالىٰ بجهاد الكفار بالسيف ، والمنافقين باللسان ، وأذهب الرفق عنهم .

وقال الضحاك : جَاهِد الكفار بالسيف ، واغْلُظْ علىٰ المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم . وعن مقاتل والربيع مثله . وقال الحسن وقتادة : مجاهدتهم إقامة الحدود عليهم .

وقد يقال : إنه لا منافاة بين هذه الأقوال ؛ لأنه تارة يؤاخذهم بهذا ، وتارة بهذا ، بحسب الأحوال ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد[٤] قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾ . قال قتادة : نزلت في عبد الله بن أبي ، وذلك أنه اقتتل رجلان جهني وأنصاري ، فعلا

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « قد » .

الجهني علىٰ الأنصاري ، فقال عبد اللّٰه للأنصار : ألا تنصرون أخاكم ؟ واللّٰه ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل : سَمِّن كلبك يأكلك . وقال : لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فسعىٰ بها رجل من المسلمين إلىٰ النبي ، ﷺ ، فأرسل إليه فسأله ، فجعل يحلف باللّٰه ما قاله ، فأنزل اللّٰه فيه هذه الآية(١٥٩) .

ورویٰ إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة ، عن عمه[١] موسىٰ بن عقبة ، قال : فحدثني عبد اللّٰه بن الفضل ، أنه سمع أنس بن مالك ، رضي اللّٰه عنه ، يقول : حزنت علىٰ من أصيب بالحرة من قومي ، فكتب إليَّ زيد بن أرقم ، وبلغه شدة حزني ، يذكر أنه سمع رسول اللّٰه ، ﷺ ، يقول : « **اللهم ، اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار** » . وشك ابن الفضل في « أبناء أبناء الأنصار » قال ابن الفضل : [فسأل أنسًا][٢] بعضُ من كان عنده عن زيد بن أرقم ؟ فقال : هو الذي يقول له رسول اللّٰه ، ﷺ : « **أوفىٰ اللّٰه له بأُذُنِه** » . وذلك[٣] حين سمع رجلًا من المنافقين يقول ورسول اللّٰه ، ﷺ ، يخطب : لئن كان هذا صادقًا فنحن شر من الحمير ، فقال زيد بن أرقم : فهو واللّٰه صادق ، ولأنت شر من الحمار . ثم رفع ذلك إلىٰ رسول اللّٰه ، ﷺ ، فجحده القائل ، فأنزل اللّٰه هذه الآية تصديقًا لزيد . يعني قوله : ﴿ **يحلفون باللّٰه ما قالوا** ﴾ الآية .

رواه البخاري في صحيحه(١٦٠) ، عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن إسماعيل بن إبراهيم ابن عقبة ، إلىٰ قوله :هذا الذي أوفىٰ اللّٰه له بأُذُنِه . ولعل ما بعده من قول موسىٰ بن عقبة . وقد رواه محمد بن فليح ، عن موسىٰ بن عقبة بإسناده ، ثم قال : قال ابن شهاب ... فذكر ما بعده ، عن موسىٰ ، عن ابن شهاب .

والمشهور في هذه القصة أنها كانت في غزوة بني المصطلق ، فلعل الراوي وهم في ذكر الآية ، وأراد أن يذكر غيرها فذكرها ، واللّٰه أعلم .

[حاشية][٤]

قال الأموي في مغازيه(١٦١) : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد اللّٰه بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، عن جده ؛ قال: لما قدم رسول اللّٰه ، ﷺ ،

(١٥٩) - رواه الطبري في تفسيره (٣٦٤/١٤) رقم (١٦٩٧٤ ، ١٦٩٧٥) .

(١٦٠) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٩٠٦) .

(١٦١) - انظر : السيرة النبوية لابن هشام (٥١٩/١) .

[١] - في ز : « عم » .

[٢] - في ز : « قال أنس » .

[٣] - في ز : « قال : وذاك » .

[٤] - سقط من : خ .

أخذني قومي ، فقالوا : إنك امرؤ شاعر ، فإن شئت أن تعتذر إلىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، ببعض العلة ، ثم يكون ذنبًا تستغفر[١] اللَّه منه ... وذكر الحديث بطوله إلىٰ أن قال : وكان ممن تخلف من المنافقين ، ونزل فيه القرآن منهم ، ممن كان مع النبي ، ﷺ : الجلاس بن سويد ابن الصامت ، وكان علىٰ أم عمير بن سعد ، وكان عمير في حجره ، فلما نزل القرآن ، وذكرهم اللَّه بما ذكر مما أنزل في المنافقين ، قال الجلاس : واللَّه لئن كان هذا الرجل صادقًا فيما يقول لنحن شر من الحمير . فسمعها عمير بن سعد فقال : واللَّه يا جلاس ، إنك لأحب الناس إلي ، وأحسنهم عندي بلاء ، وأعزهم علي أن يصله شيء يكرهه[٢] ، ولقد قلت مقالة لئن[٣] ذكرتُها لتفضحنك[٤] ، ولئن كتمتها لتهلكني ، ولإحداهما أهون عليَّ من الأخرىٰ ، فمشىٰ إلىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، فذكر له ما قال الجلاس ، فلما بلغ ذلك الجلاس خرج حتىٰ أتىٰ[٥] النبي ، ﷺ ، فحلف باللَّه ما قال ما قال عمير بن سعد ، ولقد كذب عليَّ ، فأنزل اللَّه عز وجل فيه : ﴿ **يحلفون باللَّه ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، فوقفه رسول اللَّه ، ﷺ ، عليها ، فزعموا أن الجلاس تاب فحسنت توبته ، ونزع فأحسن النزوع . هكذا جاء هذا مدرجًا في الحديث متصلًا به ، وكأنه - واللَّه أعلم - من كلام ابن إسحاق نفسه ، لا من كلام كعب بن مالك .

وقال عروة بن الزبير : نزلت[٦] هذه الآية في الجلاس بن سويد بن الصامت ، أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء ، فقال الجلاس : إن كان ما جاء به محمد حقًّا ، فنحن أشر من حُمُرنا هذه التي نحن عليها . فقال مصعب : أما واللَّه يا عدو اللَّه ، لأخبرن رسول اللَّه ، ﷺ ، بما قلتَ . فأتيت النبي ، ﷺ ، وخفت أن ينزل فيَّ القرآن ، أو تصيبني قارعة ، أو أن أخلط بخطيئة [فقلت][٧] : يا رسول اللَّه ، أقبلت أنا والجلاس من قباء ، فقال كذا وكذا ، ولولا مخافة أن أخلط بخطيئة أو تصيبني قارعة ما أخبرتك . قال : فدعا الجلاس ، فقال[٨] : « **يا جلاس ، أقلت الذي قاله مصعب ؟** » فحلف فأنزل اللَّه : ﴿ **يحلفون باللَّه ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : كان الذي قال تلك المقالة - فيما بلغني - الجلاس بن سويد ابن الصامت ، فرفعها عليه رجل كان في حجره يقال له : عمير بن سعيد ، فأنكرها فحلف باللَّه ما قالها ، فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغني .

---

[١] - في ز : « نستغفر » .
[٢] - في ز : « تكرهه » .
[٣] - في خ : « لأن » .
[٤] - في ز : « لتفضحني » .
[٥] - في ز : « يأتي » .
[٦] - في ز : « نزل » .
[٧] - في ز : « قلت » .
[٨] - في خ : « قال » .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير (١٦٢) : حدثني أيوب بن إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد اللَّه بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : كان رسول اللَّه ، ﷺ ، جالسًا في ظل شجرة ، فقال : « **إنه سيأتيكم إنسان فينظر[١] إليكم بعيني[٢] الشيطان ، فإذا جاء فلا تكلموه** ». فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق ، فدعاه رسول اللَّه ، ﷺ فقال : « **علام تشتمني أنت وأصحابك ؟** ». فانطلق الرجل فجاء بأصحابه ، فحلفوا باللَّه ما قالوا حتىٰ تجاوز عنهم ، فأنزل اللَّه -عز وجل- : ﴿ **يحلفون باللَّه ما قالوا** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وهموا بما لم ينالوا** ﴾ قيل : نزلت[٣] في الجلاس [بن سويد][٤] ، وذلك أنه هم بقتل ابن امرأته حين قال : لأخبرنّ رسول اللَّه ، ﷺ ، وقيل : في عبد اللَّه بن أبي ، هَمَّ بقتل رسول اللَّه ، ﷺ .

وقال السدي : نزلت في أناس أرادوا أن يتوجوا عبد اللَّه بن أبي ، وإن لم يرض رسول اللَّه ، ﷺ .

وقد ورد أن نفرًا من المنافقين هموا بالفتك[٥] بالنبي ، ﷺ ، وهو في غزوة تبوك في بعض تلك الليالي في حال السير ، وكانوا[٦] بضعة عشر رجلًا . قال الضحاك : ففيهم نزلت هذه الآية .

وذلك بيِّنٌ فيما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب « دلائل النبوة »(١٦٣) من حديث محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي[٧] البختري[٨] ، عن حذيفة بن اليمان ، رضي اللَّه عنه ، قال : كنت آخذًا[٩] بخطام ناقة رسول اللَّه ، ﷺ ، أقود به ، وعمار يسوق الناقة ، أو أنا أسوقه وعمار يقوده ، حتىٰ إذا كنا بالعقبة ، فإذا أنا باثني عشر راكبًا قد اعترضوه فيها ، قال : فأنبهت رسول اللَّه ، ﷺ ، بهم[١٠] ، فصرخ بهم فولوا مدبرين ، فقال لنا رسول اللَّه ، ﷺ : « **هل عرفتم القوم ؟** » قلنا : لا يا رسول اللَّه ، قد كانوا متلثمين ،

---

(١٦٢) - تفسير الطبري (٣٦٣/١٤) رقم (١٦٩٧٣).
(١٦٣) - دلائل النبوة (٢٦٠/٥) .

---

[١] - في ز : « ينظر » .
[٢] - في ت : « بعين » .
[٣] - في خ : « أنزلت » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « بالقتل » .
[٦] - في ز ، خ : « في » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « البحتري » .
[٩] - في ز : « آخذ » .
[١٠] - سقط من : ز .

ولكنا قد عرفنا الركاب . قال : « **هؤلاء المنافقون إلىٰ يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟** » قلنا : لا . قال : « **أرادوا أن يزحموا**[١] **رسول الله** ، ﷺ ، **في العقبة فيلقوه منها** » . قلنا : يا رسول الله ، أو لا[٢] تبعث إلىٰ عشائرهم حتىٰ يبعث إليك كل قوم برأس صاحبهم ؟ قال : « **لا ، أكره أن تتحدث العرب بينها أن محمدًا قاتل بقوم ، حتى إذا**[٣] **أظهره الله [بهم أقبل]**[٤] **عليهم يقتلهم . ثم قال اللهم ارمهم**[٥] **بالدبيلة** » . قلنا : يا رسول الله ؛ وما الدبيلة ؟ قال : « **شهاب من نار ، يقع علىٰ نياط قلب أحدهم فيهلك** » .

وقال الإمام أحمد(١٦٤) رحمه الله ، حدثنا يزيد ، أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع ، عن أبي الطفيل قال: لما أقبل رسول الله ، ﷺ ، من غزوة تبوك ، أمر مناديًا فنادىٰ : إن رسول الله ، ﷺ ، أخذ العقبة فلا يأخذها أحد ، فبينما رسول الله ، ﷺ ، يقوده حذيفة ويسوقه عمار ، إذ أقبل رهط متلثمون علىٰ الرواحل ، فغشوا[٦] عمارًا وهو يسوق برسول الله ، ﷺ ، فأقبل[٧] عمار ، رضي الله عنه ، يضرب وجوه الرواحل ، فقال رسول الله ، ﷺ ، لحذيفة : « **قد قد** » حتىٰ هبط رسول الله ، ﷺ ، [فلما هبط][٨] نزل ورجع عمار ، فقال : « **يا عمار ، هل عرفت القوم ؟** » فقال : لقد عرفت عامة الرواحل ، والقوم متلثمون . قال : « **هل تدري ما أرادوا ؟** » قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « **أرادوا أن ينفروا برسول الله** ، ﷺ ، **راحلته**[٩] **فيطرحوه** » قال : فسأل[١٠] عمار رجلًا من أصحاب رسول الله ، ﷺ ، فقال : نشدتك بالله ، كم تعلم كان[١١] أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر رجلًا[١٢] . فقال : إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر . قال : فعذر رسول الله ، ﷺ ، منهم ثلاثة قالوا : والله ما سمعنا منادي رسول الله ، ﷺ ، وما علمنا ما أراد القوم ، فقال عمار : أشهد أن الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

وهكذا روىٰ ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير نحو هذا ، وأن رسول الله ، صلىٰ

(١٦٤) - المسند (٥/٤٥٣) رقم (٢٣٨٩٩) ، وقال الهيثمي في المجمع (٦/١٩٥) : « رجاله رجال =

[١] - في خ : « يزاحموا » .
[٢] - في خ : « أفلا » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « ارميهم » .
[٦] - في ز : « فعينوا » .
[٧] - في ز : « وأقبل » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : « فسارّ » وفي المسند : فساب .
[١١] - في ز ، خ : « كانوا » .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .

الله عليه وسلم ، أمر أن يمشي الناس في بطن الوادي ، وصعد هو وحذيفة وعمار العقبة ، فتبعهم هؤلاء النفر الأرذلون وهم متلثمون ، فأرادوا سلوك العقبة ، فأطلع الله على مرادهم رسول الله ، ﷺ ، فأمر حذيفة فرجع إليهم فضرب وجوه رواحلهم ، ففزعوا ورجعوا مقبوحين[١] ، وأعلم رسول الله ، ﷺ ، حذيفة وعمارًا بأسمائهم ، وما كانوا هموا به من الفتك به - صلوات الله وسلامه عليه - وأمرهما أن يكتما[٢] عليهم(١٦٥) .

وكذا[٣] روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، إلا أنه سمى جماعة منهم ، فالله أعلم(١٦٦) .

وكذا قد حكي في معجم الطبراني . قاله البيهقي .

ويشهد لهذه القصة بالصحة ما رواه مسلم(١٦٧) :

حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا أبو أحمد الكوفي ، حدثنا الوليد بن جُمَيْع ، حدثنا أبو الطفيل قال : كان بين[٤] رجل من أهل العقبة [وبين حذيفة بعضُ ما يكون بين الناس ، فقال : أنشدك بالله ، كم كان أصحاب العقبة ؟][٥] قال : فقال[٦] له القوم : أخبره إذ سألك . قال : كنا نخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثة قالوا : ما سمعنا منادي رسول الله ، ﷺ ، ولا علمنا بما أراد القوم ، وقد كان في حرة فمشى فقال : « **إن الماء قليل ، فلا يسبقني إليه أحد** » . فوجد قومًا قد سبقوه فلعنهم يومئذ .

وما رواه مسلم أيضًا(١٦٨) : من حديث قتادة ، عن أبي نضرة ، عن قيس بن عباد ، عن عمار بن ياسر قال : أخبرني حذيفة ، عن النبي ، ﷺ ، أنه قال : « **في أصحابي اثنا عشر منافقًا ، لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل[٧] في سم الخياط ، ثمانية**

= الصحيح » .

(١٦٥) - رواه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٢٥٦) .

(١٦٦) - دلائل النبوة للبيهقي (٥/٢٥٧) .

(١٦٧) - صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم رقم (٢٧٧٩) .

(١٦٨) - صحيح مسلم ، ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم رقم (٢٧٧٩) .

[١] - في ز : « منوخين » .
[٢] - في ز : « كتما » .
[٣] - في ز : « وكذلك » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « يقال » .
[٧] - سقط من : ز .

منهم تكفيكهم الدُّبَيْلة[١] : **سراج من نار يظهر بين أكتافهم حتىٰ ينجم من صدورهم** » . ولهذا كان حذيفة يقال له : صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، أي : من تعيين جماعة من المنافقين وهم هؤلاء ، قد أطلعه [ ][٢] عليهم رسول الله ، ﷺ ، دون غيره، والله أعلم .

وقد ترجم الطبراني في مسند حذيفة تسمية أصحاب العقبة ، ثم روىٰ عن عَليّ بن عبد العزيز ، عن الزبير بن بكار ، أنه قال : هم معتِّب بن قشير[٣] ، ووديعة بن ثابت ، وجد بن عبد الله بن نبتل[٤] بن الحارث من بني عمرو بن عوف ، والحارث بن يزيد الطائي ، وأوس بن قيظي ، والحارث بن سويد ، وسعد بن زرارة[٥] ، وقيس بن فهد ، وسويد وداعس من بني الحبلي ، وقيس بن عمرو بن سهل ، وزيد بن اللصيت ، وسلالة بن الحمام وهما من بني قينقاع أظهروا[٦] الإسلام(١٦٩) .

وقوله تعالىٰ ﴿ **وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ أي : وما للرسول عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته [ويمن سِفارته][٧] ، ولو تمت عليهم السعادة لهداهم الله لما جاء به ، كما قال ، ﷺ ، للأنصار : « **ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي** » . كلما قال شيئًا قالوا : الله ورسوله[٨] أمنّ .

وهذه الصيغة تقال حيث لا ذنب ، كما قال تعالى : ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ الآية[٩] . وكما قال عليه السلام: « **ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيرًا فأغناه الله** » .

ثم دعاهم الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ التوبة فقال : ﴿ **فإن يتوبوا يك خيرًا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابًا أليمًا في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير** ﴾ أي : وإن يستمروا علىٰ طريقهم ﴿ **يعذبهم الله عذابًا أليمًا في الدنيا** ﴾ أي : بالقتل والهم والغم ، ﴿ **والآخرة** ﴾ أي : بالعذاب والنكال والهوان والصغار ﴿ **وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير** ﴾ أي : وليس لهم أحد يسعدهم ولا ينجدهم ، ولا يحصل لهم خيرًا ، ولا يدفع عنهم شرًا .

---

(١٦٩) - المعجم الكبير (٣/١٦٥-١٦٧) .

---

[١] - في ز : « الذبيلة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « الله » .

[٣] - في ز ، خ : « فير » . غير معجمة .

[٤] - في ز ، خ : « نبيل » .

[٥] - في ز ، خ : « وراة » .

[٦] - في خ : « أظهر » .

[٧] - في خ « ويمن سعادته » .

[٨] - سقط من : خ .

[٩] - سقط من : خ .

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

يقول تعالىٰ : ومن المنافقين من أعطىٰ اللَّه عهده وميثاقه ، لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله ، وليكونن من الصالحين ، فما وفىٰ بما قال ، ولا صدق فيما ادعىٰ ، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقًا سكن في قلوبهم ، إلىٰ يوم يلقون اللَّه عز وجل يوم القيامة ، عياذًا باللَّه [من ذلك][١] .

وقد ذكر كثير من المفسرين ، منهم ابن عباس والحسن البصري ، أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب الأنصاري .

وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير هاهنا وابن أبي حاتم من حديث معان بن رفاعة ، عن علي بن يزيد ، عن أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن مولىٰ عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري : أنه قال لرسول اللَّه ، ﷺ ، ادع اللَّه أن يرزقني مالًا . قال[٢] : فقال رسول اللَّه ، ﷺ : « **ويحك يا ثعلبة ! قليل تؤدي[٣] شكره ، خير من كثير لا تطيقه** » .

قال : ثم قال مرة أخرىٰ ، فقال : « **أما ترضىٰ أن تكون مثل نبي اللَّه ؟ فو الذي نفسي بيده ، لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبًا وفضة لسارت** » . قال : والذي بعثك بالحق ، لئن دعوت اللَّه فرزقني مالًا لأعطين كل ذي حق حقه . فقال رسول اللَّه ، ﷺ : « **اللهم ارزق ثعلبة مالًا** » .

قال : فاتخذ غنمًا فنمت كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحىٰ عنها فنزل واديًا من أوديتها ، حتىٰ جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ، ثم نمت وكثرت فتنحىٰ حتىٰ ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهي تنمو كما ينمو الدود حتىٰ ترك الجمعة ، فطفق يتلقىٰ الركبان[٤] يوم الجمعة يسألهم عن الأخبار ، فقال رسول اللَّه ، ﷺ : « **ما فعل**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « فقال » .
[٣] - في ز : « يؤدى » .
[٤] - في ز : « الركاب » .

ثعلبة ؟ » فقالوا : يا رسول الله ، اتخذ غنمًا فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره ، فقال : « **يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبة ! يا ويح ثعلبة !** » .

وأنزل الله جل ثناؤه : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ الآية . قال ونزلت عليه فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله ، ﷺ ، رجلين على الصدقة : رجلًا من جهينة ، ورجلًا من سليم ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : « **مُرّا بثعلبة وبفلان** - رجل من بني سليم - **فخذا صدقاتهما** » .

فخرجا حتىٰ أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله ، ﷺ ، فقال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ، ما أدري ما هذا ؟ انطلقا حتىٰ تفرغا ثم عودا إليَّ ، فانطلقا . وسمع بهما السلمي ، فنظر إلىٰ خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ، ثم استقبلهما بها ، فلما رأوها قالوا : ما يجب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ هذا منك . قال[١] : بلىٰ ، فخذوها فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي لي ، فأخذاها[٢] منه . فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة [ ][٣] فقال : أروني كتابكما ، فنظر فيه فقال : ما هذه إلا أخت الجزية ، انطلقا حتىٰ أرىٰ رأيي ، فانطلقا حتىٰ أتيا النبي ، ﷺ ، فلما رآهما قال : « **يا ويح ثعلبة !** » . قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمي بالبركة ، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي ، فأنزل الله عز وجل ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وبما كانوا يكذبون** ﴾ الآية[٤] . قال : وعند رسول الله ، ﷺ ، رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك فخرج حتىٰ أتاه فقال : ويحك يا ثعلبة !! قد أنزل الله فيك كذا وكذا . فخرج ثعلبة حتىٰ أتىٰ النبي ، ﷺ ، فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال : « **إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك** » . فجعل يحثو علىٰ رأسه التراب ، فقال له رسول الله ، ﷺ : « **هذا[٥] عملك قد أمرتك فلم تطعني** » . فلما أبىٰ [رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، أن يقبض][٦] صدقته[٧] رجع إلىٰ منزله ، فقُبض رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، ولم يقبل منه شيئًا ، ثم أتىٰ أبا بكر ، رضي الله عنه ، حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلتي من رسول الله ، وموضعي من الأنصار ، فاقبل صدقتي . فقال أبو بكر : لم يقبلها منك رسول الله ، ﷺ ، وأبىٰ أن يقبلها ، فقبض أبو بكر ولم يقبلها ، فلما

---

[١] - في خ : « فقال » . [٢] - في ز : « فأخذوها » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : «أخذا الصدقات ، ثم رجعا إلى ثعلبة ».
[٤] - سقط من : ز ، خ . [٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

ولي عمر ، رضي الله عنه ، أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، اقبل صدقتي . فقال له[١] : لم يقبلها رسول الله ، ﷺ ، ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك ؟! فقبض ولم يقبلها ، فلما ولي عثمان ، رضي الله عنه ، [أتاه فقال : اقبل صدقتي][٢] . فقال : لم يقبلها رسول الله ، ﷺ ، ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك ؟! فلم يقبلها منه ، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان(١٧٠) .

وقوله تعالىٰ ﴿ **بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون** ﴾ [ ][٣] . أي : أعقبهم النفاق في قلوبهم ؛ بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم ، كما جاء في الصحيحين[٤](١٧١) عن رسول الله ، ﷺ ، أنه قال : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان** » . وله شواهد كثيرة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب** ﴾ . يخبرهم[٥] تعالىٰ أنه يعلم السر وأخفىٰ ، وأنه أعلم بضمائرهم ، وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها ، [فإنه][٦] أعلم بهم من أنفسهم ؛ لأنه تعالىٰ علام الغيوب ، أي : يعلم كل غيب وشهادة ، وكل سر ونجوىٰ ، ويعلم ما ظهر وما بطن .

ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا

---

(١٧٠) - تفسير الطبري (١٤/٣٧٠) رقم (١٦٩٨٧) ومعان بن رفاعة : لين الحديث ، يكتب حديثه ولا يحتج به . وعلي بن يزيد الألهاني : قال البخاري : منكر الحديث . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال أبو زرعة : ليس بقوي . وقال الدارقطني : متروك . والقاسم بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن : قال الإمام أحمد : روى عنه علي بن يزيد أعاجيب ، وما أراها إلا من قِبَل القاسم . وقال الأثرم : ذكر لأبي عبد الله حديث عن القاسم الشامي عن أبي أمامة : أن الدباغ طهور ؛ فأنكره وحمل على القاسم . وقال ابن حبان : كان القاسم أبو عبد الرحمن يزعم أنه لقي أربعين بدرياً ، كان ممن يروي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعضلات ، ويأتي عن الثقات بالمقلوبات حتى يسبق إلى القلب أنه كان المتعمد لها . قال الذهبي : قد وثقه ابن معين من وجوه عنه . وقال الجوزجاني : كان خياراً فاضلاً ، أدرك أربعين من المهاجرين والأنصار . وقال الترمذي : ثقة . وقال يعقوب بن شيبة : منهم من يضعفه . وقد أنكر كثير من العلماء هذه القصة وقالوا ببطلانها .

(١٧١) - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : علامة المنافق رقم (٣٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان رقم (٥٩) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ: « فسأله أن يقبل منه صدقته » .

[٣] - في ت : الآية .

[٤] - في ز ، خ : « الصحيح » .

[٥] - في خ : « يخبر » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ : « فإن الله » .

﴿يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)﴾

وهذه أيضًا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ، ولمزهم في جميع الأحوال ، حتىٰ ولا المتصدقون يسلمون منهم ، إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا : هذا مُرَاءٍ ، وإن جاء بشيء يسيرٍ قالوا : إن اللَّه لغني عن صدقة هذا .

كما قال[١] البخاري (١٧٢) : حدثنا عبيد اللَّه بن سعيد[٢] ، حدثنا أبو النعمان البصري ، حدثنا شعبة ، عن سليمان ، عن أبي وائل ، عن أبي مسعود ، رضي اللَّه عنه ، قال : لما نزلت آية الصدقة ، كنا نحامل[٣] علىٰ ظهورنا ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير ، فقالوا : مرائي ، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا : إن اللَّه لغني عن صدقة هذا . فنزلت[٤] : ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم** ﴾ الآية .

وقد[٥] رواه مسلم أيضًا في صحيحه من حديث شعبة ، به .

وقال الإمام أحمد (١٧٣) : حدثنا يزيد ثنا[٦] الجريري[٧] ، عن أبي السليل قال : وقف علينا رجل في مجلسنا بالبقيع فقال : حدثني أبي أو عمي : أنه رأىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، بالبقيع ، وهو يقول : « **من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة ؟** » . قال : فحللت من عمامتي لوثًا أو لوثين ، وأنا أريد أن أتصدق بهما ، فأدركني ما يدرك ابنَ آدم فعقدت[٨] عليَّ عمامتي ، فجاء رجل لم أر بالبقيع رجلًا أشد منه سوادًا ، [ولا أصغر][٩] منه ولا أَدَمَّ [بعين منه] ، ببعير ساقه ، لم أر بالبقيع ناقة أحسن منها[١٠] ، فقال : يا رسول اللَّه ،

(١٧٢) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : اتقوا النار رقم (١٤١٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة رقم (١٠١٨) .

(١٧٣) - المسند (٥/٣٤) رقم (٢٠٤١٢) والجريري : ثقة ، روى له البخاري ومسلم ؛ إلا أنه اختلط ، وسمع منه يزيد بن هارون بعد الاختلاط . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ١٢١) وعزاه لأحمد وقال : « وفيه رجل لم يسم » .

[١] - في ت : « روى » .
[٢] - في خ : « سعد » .
[٣] - في ز ، خ : « نتحامل » .
[٤] - في ز : « فنزل » .
[٥] - في خ : « قد » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في ز : « الحريري » .
[٨] - في ز : « فقعدت » .
[٩] - في ما بين المعكوفتين في ت : « أقصر » ، خ : « لصغر » وفي مسند أحمد (٥/٣٤) : «أصفر» ، وفي إحدى نسخ المسند : «أصعر» .
[١٠] - في ت : « منه » .

أصدقة ؟ فقال[١] : « **نعم** » . قال : دونك هذه الناقة . قال : فلمزه رجل فقال : هذا يتصدق بهذه ، فو اللَّه ، لهي خير منه . قال : فسمعها رسول اللَّه ، ﷺ ، فقال : « **كذبت ، بل هو خير منك ومنها** » . ثلاث مرات . ثم قال : « **ويل لأصحاب المئين من الإبل** » ثلاثًا ، قالوا : إلا من يا رسول اللَّه ؟ قال : « [**إلا من قال**][٢] **بالمال هكذا وهكذا** » . وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : « **قد أفلح المزهد المجهد** » ثلاثًا . المزهد : في العيش ، المجهد : في العبادة .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلىٰ رسول اللَّه ، ﷺ ، وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام ، فقال بعض المنافقين : واللَّه ، ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياءً ، وقالوا : إن كان[٣] اللَّه ورسوله لغنيين عن هذا الصاع(١٧٤) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : إن رسول اللَّه خرج إلىٰ الناس يومًا ، فنادىٰ فيهم أن اجمعوا صدقاتكم ، فجمع الناس صدقاتهم ، ثم جاء رجل من آخرهم بصاع من تمر ، فقال : يا رسول اللَّه ، هذا صاع من تمر ، [بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتىٰ نلت صاعين من تمر][٤] ، فأمسكت أحدهما وأتيتك بالآخر . فأمره رسول اللَّه ، ﷺ ، أن ينثره في الصدقات ، فسخر منه رجال وقالوا : إن اللَّه ورسوله لغنيان عن هذا ، وما يصنعان[٥] بصاعك من شيء . ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال [لرسول اللَّه ، ﷺ : هل بقي أحد من أهل الصدقات . فقال : له رسول اللَّه ﷺ : « **لم يبق أحد غيرك** » . فقال له عبد الرحمن بن عوف : فإن][٦] عندي مائة أوقية من ذهب[٧] في الصدقات . فقال له عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - أمجنون أنت ؟! قال : ليس بي جنون . قال : أفعلت[٨] ما فعلت ؟! قال : نعم[٩] ، مالي ثمانية آلاف : أما أربعة آلاف فأقرضها ربي ، وأما أربعة آلاف فلي . فقال له رسول اللَّه ، ﷺ : « **بارك اللَّه لك فيما أمسكت وفيما أعطيت**[١٠] » . ولمزه المنافقون فقالوا : واللَّه ما أعطىٰ عبد الرحمن عطيته إلا رياء ، وهم كاذبون ، إنما كان به متطوعًا ، فأنزل اللَّه عز وجل عذره[١١] وعذر صاحبه المسكين الذي

(١٧٤) - رواه الطبري في تفسيره (١٤/٣٨٢) رقم (١٧٠٠٣) .

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « يصنعون » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ت : « الذهب » .
[٨] - في ز : « فعلت » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : « أبقيت » .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

جاء بالصاع من التمر ، فقال تعالى في كتابه : ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات** ...﴾ الآية .

وكذا روي عن مجاهد وغير[١] واحد .

وقال ابن إسحاق : كان من[٢] المطوعين من المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن بن عوف ، تصدق بأربعة آلاف درهم ، وعاصم بن عدي أخو[٣] بني العجلان : وذلك أن رسول الله ، ﷺ ، رغب في الصدقة وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف ، وقام عاصم [بن عدي][٤] وتصدق[٥] بمائة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا[٦] : ما هذا إلا رياء ، وكان الذي تصدق بجهده أبو عقيل أخو بني أنيف الأراشي حليف بني عمرو بن عوف ، أتى بصاع من تمر فأفرغه في الصدقة ، فتضاحكوا به وقالوا : إن الله لغني عن صاع أبي عقيل .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١٧٥) : حدثنا طالوت بن عباد ، حدثنا أبو عوانة ، عن عمر[٧] ابن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، ﷺ : « **تصدقوا فإني أريد أن أبعث بعثًا** » . قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال : يا رسول الله ، عندي أربعة آلاف ؛ ألفين أقرضهما ربي ، وألفين لعيالي . فقال رسول الله ، ﷺ : « **بارك الله لك فيما أعطيت ، وبارك لك فيما أمسكت** » .

وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر ، فقال : يا رسول الله ، أصبت صاعين من تمر ؛ صاعًا أقرضه لربي ، وصاعًا لعيالي . قال : فلمزه المنافقون وقالوا : ما أعطى الذي أعطى ابن عوف إلا رياء . وقالوا : ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا ؟ فأنزل الله : ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جُهْدَهُمْ فيسخرون منهم سخر الله منهم** ﴾ .

ثم رواه(١٧٦) عن أبي كامل ، عن أبي عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه مرسلًا ،

---

(١٧٥) - مسند البزار برقم (٢٢١٦) « كشف الأستار » وقال الهيثمي في المجمع (٣٢/٧) : « وفيه عمر بن أبي سلمة ، وثقه العجلي وأبو خيثمة وابن حبان ، وضعفه شعبة وغيره ، وبقية رجالهما - أي : هذا الطريق والذي بعده - ثقات » .

(١٧٦) - مسند البزار برقم (٢٢١٦) « كشف الأستار » قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٣٢/٨) بعد =

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز : « أخا » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في خ : « قالوا » .

[٧] - في ز ، خ : « عمرو » .

قال : ولم يسنده أحد إلا طالوت .

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير(١٧٧) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن موسىٰ بن عبيدة ، حدثني خالد بن يسار ، عن ابن أبي عقيل ، عن أبيه ؛ قال : بت أجر الجرير(*) علىٰ ظهري علىٰ صاعين من تمر ، فانقلبت بأحدهما إلىٰ أهلي يتبلغون به ، وجئت بالآخر أتقرب به[١] إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، فأتيته[٢] فأخبرته فقال : « **انثره في الصدقة** » . قال : فسخر القوم وقالوا : لقد كان الله غنيًا عن صدقة هذا المسكين ! فأنزل الله : ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات** ﴾ الآيتين .

وكذا رواه الطبراني(١٧٨) من حديث زيد بن الحباب ، به ، وقال : اسم أبي[٣] عقيل : حباب(*) ، ويقال : عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة .

وقوله : ﴿ **فيسخرون منهم سخر الله منهم** ﴾ هذا[٤] من باب المقابلة علىٰ سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ، فعاملهم معاملة من سخر منهم ؛ انتصارًا للمؤمنين في الدنيا ، وأعد للمنافقين في الآخرة عذابًا أليمًا ؛ [لأن الجزاء من جنس العمل][٥] .

= أن ساق هذه الرواية المرسلة : « وكذلك أخرجه عبد بن حميد ، عن يونس بن محمد ، عن أبي عوانة ، وأخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن مردويه من طرق أخرى عن أبي عوانة مرسلًا » .

(١٧٧) - تفسير الطبري (٣٨٨/١٤) رقم (١٧٠١٤) وإسناده ضعيف جدًا من أجل موسى بن عبيدة .

(*) الجرير : الحبل .

(١٧٨) - المعجم الكبير (٤٥/٤) وقد وقع فيه : « عن زيد بن الحباب عن خالد بن يسار » فأسقط موسى بن عبيدة في رواية ، ولذا قال الهيثمي في المجمع (٣٣/٧) : « رجاله ثقات إلا أن خالد بن يسار لم أجد من وثقه ولا جرحه » لكن الزيلعي في تخريج الكشاف (٨٨/٢) عزاه للطبراني في معجمه من طريق موسى بن عبيدة عن خالد بن يسار ، فلعله سقط من نسخ الطبراني أو توهم فيه الزيلعي .

(**) **تنبيه** : كذا وقع هنا وعند الطبراني : « اسم أبي عقيل حباب » ، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (١/ ٣٨٩) : « كذا وقع عند الطبراني ، والصواب حَبْحَاب » .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « وهذا » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾

يخبر تعالىٰ نبيه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بأن هؤلاء المنافقين ليسوا أهلًا[١] للاستغفار ، وأنه لو استغفر لهم ، ولو[٢] سبعين مرة [فإن الله لا يغفر][٣] لهم .

وقد قيل : إن السبعين إنما ذكرت حسمًا لمادة الاستغفار لهم ؛ لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ، ولا تريد التحديد بها ، ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها .

وقيل : بل لها مفهوم ، كما روىٰ العوفي ، عن ابن عباس ؛ أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لما نزلت هذه الآية : « **أسمع ربي قد رخص لي فيهم ، فوالله ، لأستغفرن لهم**[٤] **أكثر من سبعين مرة ؛ لعل الله أن يغفر لهم** » . فقال الله من شدة غضبه عليهم : ﴿ **سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم [لن يغفر الله لهم] إن الله لا يهدي القوم الفاسقين** ﴾(١٧٩) .

وقال الشعبي : لما ثقل عبد الله بن أبي ، انطلق ابنه إلىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : إن أبي قد احتضر ، فأحب أن تشهده وتصلي عليه . فقال له[٥] النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما اسمك ؟** » . قال : الحباب بن عبد الله . قال : « **بل أنت عبد الله بن عبد الله ؛ إن الحباب اسم شيطان**[٦] » . [قال][٧] فانطلق معه حتىٰ شهده ، وألبسه قميصه وهو عرق ، وصلىٰ عليه ، فقيل له : أتصلي عليه [وهو منافق][٨] ؟ فقال : « **إن الله قال : ﴿ إن تستغفر لهم سبعين مرة ﴾ ولأستغفرن لهم سبعين وسبعين وسبعين** » .

وكذا روي عن عروة بن الزبير ، ومجاهد بن جبر[٩] ، وقتادة بن دعامة ، رواها[١٠] ابن جرير بأسانيده(١٨٠) .

(١٧٩) - تفسير ابن جرير (١٤/٣٨٨ - ٣٨٩) (١٧٠١٤) .

(١٨٠) - تفسير ابن جرير (١٤/٣٩٥ - ٣٩٧) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « فلن يغفر الله » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ت : « الشيطان » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٨] - سقط من : خ .

[٩] - في ز : « جبير » .

[١٠] - في خ : « ورواه » .

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم [بغزوة][١] تبوك ، وفرحوا بمقعدهم[٢] بعد خروجه ﴿ **وكرهوا أن يجاهدوا** ﴾ معه ﴿ **بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللَّه وقالوا** ﴾ أي : [بعضهم لبعض][٣] : ﴿ **لا تنفروا في الحر** ﴾ وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحرّ ، عند طيب الظلال والثمار ؛ فلهذا قالوا : ﴿ **لا تنفروا في الحر** ﴾ قال اللَّه تعالىٰ لرسوله ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **قل** ﴾ لهم : ﴿ **نار جهنم** ﴾ التي تصيرون إليها [بسبب مخالفتكم][٤] ﴿ **أشد حرًّا** ﴾ مما فررتم منه من الحر ، بل أشد حرًّا من النار ، كما قال الإمام مالك عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : إن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **نار بني آدم التي [يوقدون بها جزءًا من سبعين جزءًا][٥] [من نار جهنم** » . فقالوا : يا رسول اللَّه ، إن كانت لكافية . فقال : « **[إنها] فضلت عليها بتسعة وستين جزءًا** »][٦] . أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، به(١٨١) .

وقال الإمام أحمد(١٨٢) : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم ، وضربت بالبحر[٧] مرتين ، ولولا ذلك ما جعل اللَّه[٨] فيها منفعة لأحد** » . وهذا أيضًا إسناد[٩] صحيح .

---

(١٨١) - الموطأ ، كتاب جهنم ، باب : صفة ما جاء في صفة جهنم (٢/٩٩٤) ، وصحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة رقم (٣٢٦٥) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٤٣) من طريق المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد به .

(١٨٢) - المسند (٢/٢٤٤) رقم (٧٣٢٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « في غزوة » . [٢] - في خ : « بقعودهم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لبعضهم بعضًا » . [٤] - في ت : « بمخالفتكم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « توقدونها جزء من سبعين جزءًا » .

[٦] - سقط من ز ، خ . [٧] - في خ : « في البحر » .

[٨] - سقط من : ز . [٩] - في خ : « إسناده » .

وقد روىٰ الإمام أبو عيسىٰ الترمذي وابن ماجه(١٨٣) عن[١] عباس الدوري عن[٢] يحيىٰ ابن أبي بكير ، عن شريك ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أوقد [ ][٣] علىٰ النار ألف سنة حتىٰ احمرَّت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتىٰ ابيضّت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتىٰ اسودّت ، فهي سوداء كالليل المظلم** » . ثم قال الترمذي : لا أعلم أحدًا رفعه غير يحيى .

كذا قال . وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه ، عن إبراهيم بن محمد ، عن محمد بن الحسين بن مكرم ، عن عبيد اللَّه بن سعيد ، عن عمه ، عن شريك - وهو ابن عبد اللَّه النخعي - به .

وروىٰ أيضًا ابن مردويه ، من رواية مبارك بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس ؛ قال : تلا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **نارًا وقودها الناس والحجارة** ﴾ قال : « **أوقد عليها ألف عام حتىٰ ابيضّت ، وألف عام حتىٰ احمرّت ، وألف عام حتىٰ اسودّت ، فهي سوداء كالليل المظلم[٤] لا يضيء لهبها** »(١٨٤) .

وروىٰ الحافظ أبو القاسم الطبراني(١٨٥) من حديث تمام بن نجيح - وقد اختلف فيه - عن الحسن ، عن أنس مرفوعًا[٥] : « **لو أن شرارة[٦] بالمشرق** - أي : من نار جهنم - **لوَجَدَ حرَّها مَنْ[٧] بالمغرب** » .

وروىٰ الحافظ أبو يعلىٰ(١٨٦) عن إسحاق بن أبي إسرائيل ، عن أبي عبيدة الحداد ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن شبيب ، عن جعفر بن أبي وحشية ، عن سعيد بن جبير ،

(١٨٣) - سنن الترمذي ، أبواب : صفة جهنم ، رقم (٢٥٩١) وسنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : صفة النار رقم (٤٣٢٠) وقال الترمذي : « حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح ، ولا أعلم أحدًا رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك » .

(١٨٤) - ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٧٩٩) من طريق سهل بن حماد عن مبارك بن فضالة به نحوه .

(١٨٥) - المعجم الأوسط برقم (٤٨٤١) « مجمع البحرين » وأشار الحافظ هنا إلى الاختلاف في حال تمام ابن نجيح ، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٦٢/٤) : « في إسناده احتمال للتحسين » .

(١٨٦) - مسند أبي يعلى (٢٢/١٢) ورواه أبو نعيم في الحلية (٣٠٧/٤) من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل به ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٦٣/٤) : « إسناده حسن ، وفي متنه نكارة » .

[١] - بعده في خ : « ابن » .
[٢] - في خ : وعن .
[٣] - ما بين المعكوفين في ت : الله .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « رفعه » .
[٦] - في ز : « شررة » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون ، وفيهم رجل من أهل النار ، فتنفس فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه** » . غريب .

وقال الأعمش عن أبي إسحاق ، عن النعمان بن بشير ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لمن له نعلان وشراكان من نار جهنم**[١] ، **يغلي منهما دماغه ، كما يغلي المرجل ، لا يرىٰ أن أحدًا من أهل النار أشدُّ عذابًا منه ، وإنه أهونهم عذابًا** » . أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش(١٨٧) .

وقال مسلم أيضًا : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يحيىٰ بن أبي بُكَيْر[٢] ، حدثنا زهير بن محمد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن النعمان بن أبي عياش ، عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن أدنىٰ أهل النار عذابًا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار ، يغلي دماغه من حرارة نعليه** »(١٨٨) .

وقال الإمام أحمد(١٨٩) : حدثنا يحيىٰ ، عن ابن عجلان ، سمعت أبي ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن أدنىٰ أهل النار عذابًا رجل يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه** » .

وهذا إسناد جيد قوي ، رجاله علىٰ شرط مسلم ، والله أعلم .

والأحاديث والآثار النبوية في هذا كثيرة .

وقال الله تعالىٰ في كتابه العزيز : ﴿ **كلا إنها لَظَىٰ نزاعة للشوىٰ** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يصب من فوق رءوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد * كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارًا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ .

وقال تعالىٰ في هذه الآية الكريمة : ﴿ **قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفقهون** ﴾ أي : لو أنهم يفقهون ويفهمون لنفروا مع الرسول في سبيل الله في الحر ؛ ليتقوا به من حر جهنم

---

(١٨٧) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان برقم (٢١٣) . ولم أقف عليه عند البخاري من حديث الأعمش وقد رواه من طرق أخرىٰ انظر حديث (٦٥٦٢) .

(١٨٨) - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان رقم (٢١١) .

(١٨٩) - المسند (٤٣٨/٢) .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز : « كثير » .

الذي هو أضعاف أضعاف هذا ، ولكنهم كما قال الآخر :

... . كَالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ (١٩٠)

وقال الآخر :

عُمْرُكَ بالحمْيةِ أَفْنَيْتَهُ مَخافَةَ [ ][١] البارِدِ وَالحَارِّ
وَكانَ أَوْلَىٰ بِكَ أَنْ تَتَّقِي مِنَ المَعَاصِي حَذَرَ النَّارِ

[ثم قال تعالى][٢] جلَّ جلاله متوعدًا لهؤلاء[٣] المنافقين على[٤] صنيعهم هذا ﴿ **فليضحكوا قليلًا وليبكوا كثيرًا جزاءً بما كانوا يكسبون** ﴾ .

قال ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الدنيا قليل فليضحكوا[٥] فيها ما شاءوا ، فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلىٰ اللَّه عز وجل ، استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدًا . وكذا قال أبو رزين والحسن وقتادة والربيع بن خثيم ، وعون العقيلي[٦] ، وزيد بن أسلم .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي (١٩١) : حدثنا عبد اللَّه بن عبد الصمد بن أبي خداش ، حدثنا محمد بن حميد[٧] ، عن ابن المبارك ، عن عمران بن زيد ، حدثنا يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ؛ قال : سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول : « **يأيُّها الناس ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل النار يبكون حتىٰ تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول ، حتىٰ تنقطع الدموع فتسيل الدماء[٨] فتقرح[٩] العيون ، فلو أن سُفُنًا أرخيت[١٠] فيها لجرت** » . ورواه ابن ماجة من حديث الأعمش ، عن يزيد الرقاشي ،

---

(١٩٠) - وصدر البيت : والمستجير بعمرو عند كربته . وذكره داود الأنطاكي في مصارع العشاق (ص ٢١٩) .

(١٩١) - مسند أبي يعلى (١٦٢،١٦١/٧) وسنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : صفة النار رقم (٤٣٢٤) وقال البوصيري في الزوائد (٣٢٣/٣) : « هذا إسناد فيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « من » .

[٢] - مطموسة في ز ، وفي خ : « يقول تعالى » .

[٣] - في خ : « هولاء » .

[٤] - في ز ، خ : « في » .

[٥] - بياض في خ .

[٦] - في ز : « العقلي » .

[٧] - في ز ، خ : « جبر » . وهو تحريف . والمثبت من مسند أبي يعلى . وهو محمد بن حميد بن حبان الرازي .

[٨] - سقط من : ز ، خ .

[٩] - في ز : « فيقرح » .

[١٠] - في خ : « أزجيت » .

به .

وقال الحافظ أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن العباس ، حدثنا حماد الجزري ، عن زيد بن رفيع - رفعه - قال : « **إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمانًا ، ثم بكوا القيح زمانًا ، قال : فتقول لهم الخزنة : يا معشر الأشقياء ، تركتم البكاء في الدار المرحوم فيها أهلها في الدنيا ، هل تجدون اليوم من تستغيثون به ؟ قال : فيرفعون أصواتهم : يا أهل الجنة ، يا معشر الآباء والأمهات والأولاد ، خرجنا من القبور عطاشًا ، وكنا طول الموقف عطاشًا ، ونحن اليوم عطاش ، فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، فيدعون أربعين سنة لا يجيبهم ثم يجيبهم ﴿ إنكم ماكثون ﴾ فييأسون من كل خير** » .

فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾

يقول تعالىٰ آمرًا لرسوله ، عليه الصلاة والسلام : ﴿ **فإن رجعك الله** ﴾ أي : ردك الله من غزوتك هذه ﴿ **إلىٰ طائفة منهم** ﴾ قال قتادة : ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلًا ﴿ **فاستأذنوك للخروج** ﴾ أي : معك إلىٰ غزوة أخرىٰ ﴿ **فقل لن تخرجوا معي أبدًا ولن تقاتلوا معي عدوًّا** ﴾ أي : تعزيرًا لهم وعقوبة ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ **إنكم رضيتم بالقعود أول مرة** ﴾ وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة** ﴾ . فإن جزاء السيئة السيئة بعدها ، كما أن [من][١] ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، كقوله في عمرة الحديبية : ﴿ **سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلىٰ مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فاقعدوا مع الخالفين** ﴾ قال ابن عباس : أي : الرجال الذين تخلفوا عن الغزاة . وقال قتادة : ﴿ **فاقعدوا مع الخالفين** ﴾ أي : مع النساء .

قال ابن جرير (١٩٢) : وهذا لا يستقيم ؛ لأن جمع النساء لا يكون بالياء والنون ، ولو

---

(١٩٢) - تفسير الطبري (١٤/٤٠٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

أريد النساء لقال : فاقعدوا مع الخوالف أو الخالفات ، ورجح قول ابن عباس رضي الله عنهما .

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾

أمر الله تعالىٰ رسوله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أن يبرأ من المنافقين ، وألَّا يصلي[١] علىٰ أحد منهم إذا مات ، وألَّا يقوم علىٰ قبره يستغفر[٢] له أو يدعو له ؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه ، وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه ، وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين ، كما قال البخاري :

حدثنا عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ قال : لما توفي عبد الله - [ ][٣] ابن أبي - جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنما خيرني الله فقال : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ وسأزيده علىٰ السبعين** » . قال : إنه منافق . قال : فصلىٰ عليه [رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم][٤] ، فأنزل الله عز وجل آية : **﴿ ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم علىٰ قبره ﴾** .

وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، به(١٩٣) .

ثم رواه البخاري ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن أنس بن عياض ، عن عبيد الله - وهو ابن عمر العمري - به . وقال : فصلىٰ[٥] عليه وصلينا معه ، وأنزل الله : **﴿ ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ﴾** . الآية .

وهكذا رواه الإمام أحمد ، عن يحيىٰ بن سعيد القطان ، عن عبيد الله ، به(١٩٤) .

---

(١٩٣) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٦٧٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين رقم (٢٧٧٤) .

(١٩٤) - صحيح البخاري ، كتاب التفسير رقم (٤٦٧٢) ، والمسند (١٨/٢) .

---

[١] - في خ : « يصل » .

[٢] - في خ : « ليستغفر » .

[٣] - في ز ، خ : هو .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - في ز : « فصلينا » .

وقد روي من حديث عمر بن الخطاب نفسه أيضًا بنحو من هذا ، فقال الإمام أحمد :

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ؛ قال : سمعت عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يقول : لما توفي [عبد الله بن أبي][١] ، [دُعِيَ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، للصلاة عليه فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحولت حتىٰ قمت في صدره ، فقلت : يا رسول الله][٢] ، [أَعَلَى عدو الله عبد الله بن أبي][٣] القائل يوم كذا : كذا وكذا - يعدد أيامه - ؟ قال : ورسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يتبسم[٤] ، حتىٰ إذا أكثرت عليه قال : « **أخر عني يا عمر ، إني خيرت فاختـرت ، قد قيل لي : ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾** لو أعلم أني إن[٥] زدت علىٰ السبعين غفر له لزدت » . قال : ثم صلىٰ عليه ومشىٰ معه ، وقام علىٰ قبره حتىٰ فرغ منه ، قال : [فعجبت من][٦] جراتي علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم . قال : فوالله ما كان إلا يسيرًا حتىٰ نزلت هاتان الآيتان **﴿ ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾** . فما صلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بعده علىٰ منافق ولا قام علىٰ قبره حتىٰ قبضه الله ، عز وجل .

وهكذا رواه الترمذي في التفسير من حديث محمد بن إسحاق عن الزهري ، به(١٩٥) ، وقال : حسن صحيح .

ورواه البخاري (١٩٦) ، عن يحيىٰ بن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن الزهري به ، فذكر مثله وقال : « **أخر عني يا عمر** » . فلما أكثرت عليه قال : « **إني[٧] خيرت فاخترت ، ولو أعلم أني إن زدت علىٰ السبعين غفر[٨] له لزدت عليها** » . قال : فصلىٰ عليه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم انصرف ، فلم يلبث إلا يسيرًا حتىٰ نزلت الآيتان من براءة : **﴿ ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم علىٰ قبره ﴾** . الآية .

(١٩٥) - المسند (١٦/١) ، وسنن الترمذي ، باب : ومن سورة التوبة برقم (٣٠٩٧) .
(١٩٦) - صحيح البخاري ، تفسير القرآن رقم (٤٦٧١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في خ : « يبتسم » .
[٥] - في خ : « لو » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « فعجب إلى » .
[٧] - سقط من : خ .
[٨] - في ز : « لغفر » .

فعجبت بعد من جرأتي على رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، ورسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، أعلم .

وقال الإمام أحمد(١٩٧) : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا عبد الملك ، عن أبي الزبير ، عن جابر ؛ قال : لما مات عبد اللَّه بن أبي ، أتى ابنه النبيَّ ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللَّه ، إنك إن لم تأته لم نزل نعير بها[١] . فأتاه النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، فوجده قد أدخل في حفرته ، فقال : « **أفلا قبل أن تدخلوه ؟** » فأخرج من حفرته ، وتفل عليه [من ريقه][٢] من قرنه إلى قدمه ، وألبسه قميصه .

ورواه النسائي عن أبي داود الحراني ، عن يعلى بن عبيد ، عن عبد الملك - وهو ابن أبي سليمان - به .

وقال البخاري(١٩٨) : حدثنا عبد اللَّه بن عثمان ، أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو ، سمع[٣] جابر بن عبد اللَّه ؛ قال : أتى النبي ، صلى اللَّه عليه وسلم ، عبدَ اللَّه بن أبي بعد ما أدخل في[٤] قبره ، فأمر به فأخرج ووضع على ركبتيه ، ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه . واللَّه أعلم .

وقد رواه أيضًا في غير موضع مع[٥] مسلم والنسائي من غير وجه عن سفيان بن عيينة به(١٩٩) .

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده(٢٠٠) : حدثنا عمرو ابن علي ، حدثنا يحيى ، حدثنا مجالد ، حدثنا عامر ، حدثنا جابر (ح) .

وحدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء الدوسي ، حدثنا مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر ؛ قال : لما[٦] مات رأس المنافقين - قال يحيى بن سعيد : بالمدينة -

(١٩٧) - المسند (٣/٣٧١) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٩٦٦٥) .

(١٩٨) - صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب : لبس القميص رقم (٥٧٩٥) .

(١٩٩) - صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، رقم (١٢٧٠،١٣٥٠) وكتاب الجهاد والسير رقم (٣٠٠٨) وصحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٧٧٣) وسنن النسائي ، كتاب الجنائز (٤/ ٣٧،٣٨) .

(٢٠٠) - ورواه ابن ماجه في السنن برقم (١٥٢٤) من طريق يحيى بن سعيد عن مجالد به نحوه .

[١] - في ت : « بهذا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ز : « وسمع » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

فأوصىٰ أن يصلي عليه النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فجاء ابنه إلىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : إن أبي أوصىٰ أن يكفن [في قميصك][١] - وهذا الكلام في حديث عبد الرحمن بن مغراء ، قال يحيىٰ في حديثه - : فصلىٰ عليه وألبسه قميصه - فأنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم علىٰ قبره** ﴾ وزاد عبد الرحمن : وخلع النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قميصه فأعطاه إياه ، ومشى فصلىٰ عليه وقام علىٰ قبره ، فأتاه جبريل ، عليه السلام ، لما ولىٰ قال : ﴿ **ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم علىٰ قبره** ﴾ وهذا إسناد[٢] لا بأس به ، وما قبله شاهد له .

وقال الإمام أبو جعفر الطبري(٢٠١) : [حدثنا أحمد بن إسحاق][٣] ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس ، أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أراد أن يصلي علىٰ عبد اللَّه بن أبي ، فأخذ جبريل بثوبه ، وقال : ﴿ **ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم علىٰ قبره** ﴾ .

ورواه الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده من حديث يزيد الرقاشي وهو ضعيف(٢٠٢) .

وقال قتادة : أرسل عبد اللَّه بن أبي إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو مريض ، فلما دخل عليه قال له النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أهلكك حب يهود** » . قال : يا رسول اللَّه ، إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ، ولم أرسل إليك لتؤنبني . ثم سأله عبد اللَّه أن يعطيه قميصه [ ][٤] يكفن فيه أباه[٥] ، فأعطاه إياه وصلىٰ عليه وقام علىٰ قبره ، فأنزل اللَّه عز وجل ﴿ **ولا تصل علىٰ أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره** ﴾ .

وقد ذكر بعض السلف أنه إنما ألبسه[٦] قميصه ؛ لأن عبد اللَّه بن أبي لما قدم العباس طُلِب له قميصٌ ، فلم يوجد علىٰ تفصيله إلا ثوب عبد اللَّه بن أُبي ؛ لأنه كان ضخمًا طويلًا ، ففعل ذلك به رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، مكافأة له ، فاللَّه أعلم .

ولهذا كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بعد نزول هذه الآية الكريمة عليه لا يصلي علىٰ أحد من المنافقين ، ولا يقوم علىٰ قبره .

---

(٢٠١) - تفسير الطبري (٤٠٧/١٤) رقم (١٧٠٥٣) .

(٢٠٢) - مسند أبي يعلى (١٤٥/٧) .

---

[١] - في خ : « بقميصك » .

[٢] - في خ : « وإسناده » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في خ : « كساه » .

كما قال الإمام أحمد(٢٠٣) : حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، حدثني عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه ؛ قال : كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا دعي [لجنازة][١] سأل عنها ، فإن أثني عليها خيرًا[٢] قام فصلىٰ عليها ، وإن [أثني عليها][٣] غير ذلك قال لأهلها : « **شأنكم بها**[٤] » . ولم يصل عليها .

وكان عمر بن الخطاب لا يصلي علىٰ جنازة من جهل حاله ، حتىٰ يصلي عليها حذيفة بن اليمان ؛ لأنه كان يعلم أعيان المنافقين[٥] ، قد أخبره بهم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ولهذا كان يقال له : صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ، أي : من الصحابة .

وقال أبو عبيد في كتاب الغريب[٦] في حديث عمر : إنه أراد أن يصلي علىٰ جنازة رجل فمرزه حذيفة ، كأنه أراد أن يصده عن الصلاة عليها . ثم حكىٰ عن بعضهم : أن المرز بلغة أهل اليمامة هو القرص بأطراف الأصابع .

ولما نهىٰ الله ،عز وجل، عن الصلاة علىٰ المنافقين ، والقيام علىٰ قبورهم للاستغفار لهم ، كان هذا الصنيع من أكبر القربات في حق المؤمنين فشرع ذلك ، وفي فعله الأجر الجزيل ، كما ثبت في الصحاح(٢٠٤) وغيرها من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **من شهد الجنازة حتىٰ يصلىٰ عليها فله قيراط ، ومن شهدها حتىٰ تدفن فله قيراطان** » . قيل : وما القيراطان ؟ قال : « **أصغرهما مثل أحد** » .

وأما القيام عند قبر المؤمن إذا مات ، فقد قال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن موسىٰ الرازي ، أخبرنا هشام ، عن عبد الله بن بحير ، عن هانئ - وهو أبو سعيد البربري ، مولىٰ عثمان بن عفان عن عثمان ،رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا فرغ من دفن الرجل[٧] وقف عليه وقال : « **استغفروا لأخيكم ، واسألوا له التثبيت ؛ فإنه الآن يسأل** » .

انفرد بإخراجه أبو داود(٢٠٥) ، رحمه الله .

---

(٢٠٣) - المسند (٥/٢٩٩) رقم (٢٢٦٥٨) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٣، ٤) وعزاه لأحمد وقال : « ورجاله رجال الصحيح » .

(٢٠٤) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز رقم (١٣٢٥) ومسلم في ، كتاب الجنائز رقم (٩٤٥) .

(٢٠٥) - سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب : الاستغفار عند القبر للميت رقم (٣٢٢١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : «إلى جنازة » .

[٢] - في ز : « خير » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « كان » .

[٤] - في ت : « به » .

[٥] - في ز : « منافقين » .

[٦] - غريب الحديث لأبي عبيد [٣٦/٢] .

[٧] - في خ : « الميت » .

وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

[وقد][١] تقدّم [نظير تفسير][٢] هذه الآية الكريمة(٢٠٦) ، ولله الحمد والمنة[٣] .

وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾

يقول تعالىٰ منكرًا وذامًّا للمتخلفين عن الجهاد ، الناكلين عنه مع القدرة عليه ، ووجود السعة والطَّوْل[٤] ، واستأذنوا الرسول في القعود وقالوا : ﴿ **ذرنا نكن مع القاعدين** ﴾ ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء ، وهن الخوالف بعد خروج الجيش ، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس ، وإذا كان أَمْنٌ كانوا أكثر الناس كلامًا ، كما قال تعالىٰ عنهم في الآية الأخرىٰ : ﴿ **فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشىٰ عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد** ﴾ أي : علت ألسنتهم بالكلام الحدِّ القوي في الأمن ، وفي الحرب أجبن شيء ، وكما قال الشاعر(٢٠٧) :

أَفِي السِّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وغِلْظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاهُ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ

وقال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولىٰ لهم طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرًا لهم** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وطبع علىٰ قلوبهم** ﴾ أي : بسبب نكولهم عن الجهاد ، والخروج مع الرسول في سبيل الله ﴿ **فهم لا يفقهون** ﴾ أي : لا يفهمون ما فيه صلاح لهم فيفعلوه ، ولا ما فيه

(٢٠٦) - انظر تفسير الآية : ٥٥ من هذه السورة .

(٢٠٧) - البيت في السيرة النبوية لابن هشام (٦٥٦/١) منسوبًا إلى هند بنت عتبة ، والأعيار : جميع عير وهو الحمار ، والعوارك : هن الحوائض .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٢] - في خ : « تفسير نظير » .

[٣] - سقط من : ز .

[٤] - الطَّوْل : الغنىٰ .

مضرة لهم فيجتنبوه .

لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

لما ذكر تعالىٰ ذم المنافقين ، بين ثناءه[١] علىٰ[٢] المؤمنين ، وما لهم في آخرتهم ، فقال : ﴿ **لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا** ﴾ إلىٰ آخر الآيتين من بيان حالهم ومآلهم .

وقوله : ﴿ **وأولئك لهم الخيرات** ﴾ أي : في الدار الآخرة في جنات الفردوس والدرجات العلى .

وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾

ثم بين تعالىٰ حال ذوي الأعذار في ترك الجهاد ، الذين جاءوا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يعتذرون إليه ، ويبينون له ما هم فيه من الضعف وعدم القدرة علىٰ الخروج ، وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة .

قال الضحاك ، عن ابن عباس : إنه كان يقرأ ﴿ **وجاء المعذرون** ﴾ بالتخفيف ويقول : هم أهل العذر . وكذا روي [عن][٣] ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد سواء .

قال ابن إسحاق : وبلغني أنهم نفر من بني غفار منهم[٤] : خُفافُ[٥] بنُ إيماء بن رَحَضَة .

وهذا القول هو الأظهر[٦] في معنىٰ الآية ؛ لأنه قال بعد هذا : ﴿ **وقعد الذين كذبوا اللّٰه ورسوله** ﴾ أي : لم يأتوا فيعتذروا .

وقال ابن جريج ، عن مجاهد ﴿ **وجاء المعذرون من الأعراب** ﴾ قال : نفر من بني غفار

---

[١] - في ز : « ثناء » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : « حُفَافُ » .
[٦] - في ز : « أظهر » .

جاءوا فاعتذروا فلم يعذرهم الله . وكذا قال الحسن وقتادة ومحمد بن إسحاق . والقول الأول أظهر - والله أعلم - لما قدمنا من قوله بعده : ﴿ **وقعد الذين كذبوا الله ورسوله** ﴾ أي : وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتذار ، ثم أوعدهم بالعذاب الأليم فقال : ﴿ **سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾ .

لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

ثم بين تعالىٰ الأعذار التي لا حرج علىٰ من قعد معها[١] عن القتال ، فذكر منها : [ما هو لازم][٢] للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف في التركيب الذي لايستطيع معه الجلاد في الجهاد ، ومنه العمىٰ والعرج ونحوهما ؛ ولهذا بدأ به ، ومنها[٣] ما هو عارض بسبب مرض عنّ له في بدنه شغله عن الخروج في سبيل الله ، أو بسبب فقره لا يقدر علىٰ التجهز[٤] للحرب ، فليس علىٰ هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ، ولم يرجفوا بالناس ، ولم[٥] يثبطوهم ، وهم محسنون في حالهم هذا ؛ ولهذا قال : ﴿ **ما علىٰ المحسنين من سبيل والله غفور رحيم** ﴾ .

وقال سفيان الثوري ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي ثمامة ، رضي الله عنه ، قال : قال الحواريون : يا روح الله ، أخبرنا عن الناصح لله ؟ قال : الذي يؤثر حق الله علىٰ حق الناس ، وإذا حدث له أمران ، أو بدا له أمر الدنيا وأمر الآخرة ، بدأ بالذي للآخرة ، ثم تفرغ[٦] للذي للدنيا .

وقال الأوزاعي : خرج الناس للاستسقاء ، فقام فيهم بلال بن سعد ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : يا معشر من حضر ، ألستم مقرين بالإساءة ؟ قالوا : اللهم ، نعم . فقال :

[١] - في خ : « فيها » .
[٢] - في ز : « لازمًا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « التجهيز » .
[٥] - في ز : « ولا » .
[٦] - في ت : « يفزع » .

اللهم إنا نسمعك تقول : ﴿ **ما على المحسنين من سبيل** ﴾ اللهم ، وقد أقررنا بالإساءة ؛ فاغفر لنا وارحمنا واسقنا . ورفع يديه ورفعوا أيديهم ، فسقوا .

وقال قتادة : نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو المزني .

وقال[١] ابن أبي حاتم(٢٠٨) : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي ، حدثنا ابن جابر ، عن أبي فروة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن زيد بن ثابت ؛ قال : كنت أكتب لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فكنت أكتب براءة ، فإني لواضع القلم على أذني إذ أمرنا بالقتال ، فجعل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ينظر ما ينزل عليه ، إذ جاء أعمى فقال : كيف بي يا رسول الله ، وأنا أعمى ؟! فنزلت[٢] ﴿ **ليس على الضعفاء ولا على المرضى** ﴾ [إلى آخر][٣] الآية .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : وذلك أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه ، فجاءته عصابة من أصحابه - فيهم عبد الله بن مُغَفَّل [ ][٤] المزني - فقالوا : يا رسول الله ، احملنا . فقال لهم : « **والله ، لا أجد ما أحملكم عليه** » . فتولوا [ولهم بكاء][٥] ، وعزَّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ، ولا يجدون نفقة ولا محملًا ، فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله - أنزل عذرهم في كتابه فقال : ﴿ **ليس على الضعفاء** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فهم لا يعلمون** ﴾ .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم** ﴾ : نزلت في بني مقرن من مزينة .

وقال محمد بن كعب(٢٠٩) : كانوا سبعة نفر ؛ من بني عمرو بن عوف : سالم بن عوف ؛ ومن بني واقف : [هرمي] بن عمرو ؛ ومن بني مازن بن النجار : عبد الرحمن بن كعب ، ويكنى أبا ليلى ؛ ومن بني المعلى : [سلمان بن صخر ؛ ومن بني حارثة : عبد الرحمن بن يزيد أبو عبلة وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه][٦] ؛ ومن بني

---

(٢٠٨) - ورواه الدارقطني في الأفراد كما في الأطراف لابن طاهر (ق ١٣٤) وقال : « غريب من حديث أبي فروة - مسلم بن سالم عنه - أي ابن أبي ليلى - عن زيد ، تفرد به محمد بن جابر عنه ، وهو غريب من حديث ابن أبي ليلى لا يعلم حدث به عنه غير أبي فروة » .

(٢٠٩) - تفسير الطبري (٤٢٣/١٤) رقم (١٧٠٨٨)

[١] - مكانها بياض في : ز ، وفي خ : « حدثنا » . [٢] - في ز : « فأنزل الله » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ . [٤] - في ز ، خ : ابن مقرن وهو خطأ .

[٥] - في خ : « وهم يبكون » .

[٦] - في ز ، خ : « فضل الله » . والمثبت من تفسير الطبري .

سلمة : عمرو بن عَنَمة[١] وعبد الله بن عمرو المزني .

وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك : ثم إن رجالًا من المسلمين أتوا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهم البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ، من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعَلْبة[٢] بن زيد أخو بني حارثة ، وأبو ليلىٰ عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار ، وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بني سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزني ، وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزني ، وهَرَميّ[٣] بن عبد الله أخو بني واقف ، وعرْباض[٤] بن سارية الفزاري ، فاستحملوا[٥] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : ﴿ **لا أجد ما أحملكم عليه تولوا**[٦] **وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون** ﴾(٢١٠) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن الأودي ، حدثنا وكيع ، عن الربيع ، عن الحسن ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد خلفتم بالمدينة أقوامًا ، ما أنفقتم من نفقة ، ولا قطعتم واديًا ، ولا نلتم من عدو نيلًا ، إلا وقد شركوكم في الأجر** » . ثم قرأ : ﴿ **ولا علىٰ الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه** ﴾ . الآية .

وأصل [هذا][٧] الحديث في الصحيحين(٢١١) من حديث أنس[٨] ؛ أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن بالمدينة أقوامًا ما قطعتم واديًا ، ولا سرتم سيرًا إلا وهم معكم** » . قالوا : وهم بالمدينة ؟ ! قال : « **نعم ، حبسهم العذر** » .

وقال الإمام أحمد (٢١٢) : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد خلفتم بالمدينة رجالًا ، ماقطعتم واديًا ، ولا سلكتم طريقًا إلا شركوكم في الأجر ، حبسهم المرض** » .

(٢١٠) - السيرة النبوة لابن هشام (٥١٨/٢) .

(٢١١) - صحيح البخاري رقم (٢٨٣٩) ، ولم يروه مسلم من حديث أنس ، وإنما رواه من حديث جابر ، كتاب الإمارة رقم (١٩١١) .

(٢١٢) - المسند (٣٠٠/٣) رقم (١٤٢٤٩) ، ورواه مسلم في كتاب الجهاد ، باب : ثواب من حبس عن الغزو ، حديث ١٥٩ - (١٩١١) . وابن ماجه في كتاب الجهاد ، باب : من حبسه العذر عن الجهاد ، حديث ٢٧٦٥ .

[١] - في ز : « عتمة » .

[٢] - في ز : « علية » .

[٣] - في ز ، خ : « حرمي » .

[٤] - في خ : « وعياض » .

[٥] - أي : طلبوا منه أن يوفر لهم ما يركبونه .

[٦] - في ز : « فولوا » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٨] - بياض في : ز ، خ .

ورواه مسلم وابن ماجه من طرق ، عن الأعمش ، به .

ثم ردّ تعالىٰ الملامة علىٰ الذين يستأذنون في القعود وهم أغنياء ، وأنبهم في رضاهم بأن يكونوا مع النساء الخوالف في الرحال ﴿ **وطبع اللّه علىٰ قلوبهم فهم لا يعلمون** ﴾ .

يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾

أخبر تعالىٰ عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلىٰ المدينة أنهم يعتذرون إليهم ﴿ **قل** [**لا تعتذروا**][١] **لن نؤمن لكم** ﴾ أي : لن نصدقكم ﴿ **قد نبأنا اللّه من أخباركم** ﴾ أي : قد أعلمنا اللّه أحوالكم ﴿ **وسيرىٰ اللّه عملكم ورسوله** ﴾ أي : سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا ﴿ **ثم تردّون إلىٰ عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ أي : فيخبركم بأعمالكم ؛ خيرِها وشرِّها ، ويجزيكم عليها .

ثم أخبر عنهم أنهم سيحلفون لكم[٢] معتذرين ﴿ **لتعرضوا عنهم** ﴾ فلا تؤنبوهم ﴿ **فأعرضوا عنهم** ﴾ احتقارًا لهم ﴿ **إنهم رجس** ﴾ أي : خبثاءُ ، نجس بواطنهم واعتقاداتهم ، ﴿ **ومأواهم** ﴾ في آخرتهم ﴿ **جهنم جزاء بما كانوا يكسبون** ﴾ أي : من الآثام والخطايا ، وأخبر أنهم وإن[٣] رضوا عنهم بحلفهم[٤] لهم ﴿ **فإن اللّه لا يرضىٰ عن القوم الفاسقين** ﴾ أي : الخارجين عن طاعة اللّه وطاعة رسوله ؛ فإن الفسق هو الخروج ، ومنه سميت الفأرة فويسقة ؛ لخروجها من جحرها للإفساد ، ويقال : فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها .

ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « إن » .
[٤] - في ز : « بحلفانهم » .

رَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

أخبر تعالىٰ أن في الأعراب [كفارًا ومنافقين ومؤمنين][١] ، وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم وأشد ﴿ وأجدر ﴾ . أي : أحرىٰ ﴿ **أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله علىٰ رسوله** ﴾ كما قال الأعمش ، عن إبراهيم ؛ قال : جلس أعرابي إلىٰ زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه ، وكانت يده قد أصيبت يوم « **نهاوند** » ، فقال الأعرابي : والله إن حديثك ليعجبني ، وإن يدك لتريبني . فقال زيد : ما يريبك من يدي إنها الشمال ؟ فقال الأعرابي : والله ما أدري اليمين يقطعون أو الشمال . فقال زيد بن صوحان : صدق الله [ ][٢] ﴿ **الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٢١٣) : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن أبي موسىٰ ، عن وهب بن مُنبِّه ، عن ابن عباس ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتىٰ السلطان افتتن** » .

ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري ، به . وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الثوري .

ولما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي ، لم يبعث الله منهم رسولًا ، وإنما كانت البعثة من أهل القرىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من[٣] قبلك إلا رجالًا نوحي[٤] إليهم من أهل القرى** ﴾ . ولما أهدىٰ ذلك الأعرابي تلك الهدية لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ،

---

(٢١٣) - المسند (٢٥٧/١) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصيد ، باب : اتباع الصيد رقم (٢٨٥٩) ، وسنن الترمذي ، كتاب الفتن رقم (٢٢٥٦) ، وسنن النسائي كتاب الصيد والذبائح (١٩٥/٧) .

---

[١] - في ز : « كفار ومنافقون ومؤمنون » .
[٢] - ما بين المعكوفين في ت : ورسوله .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « يوحى » .

فرد عليه أضعافها حتىٰ رضي ، قال : « **لقد هممت ألَّا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دَوْسِي** »(٢١٤) ؛ لأن هؤلاء كانوا يسكنون المدن[١] : مكة والطائف والمدينة واليمن ، فهم ألطف أخلاقًا من الأعراب ؛ لما في طباع الأعراب من الجفاء .

(حديث [الأعرابي في تقبيل الولد) قال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب ، قالا : ثنا أبو أسامة وابن نمير ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قدم ناس من الأعراب علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقالوا : أتقبلون صبيانكم ؟ قالوا : نعم . قالوا : لكنا والله ما نقبل . فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **وأَمْلِكُ إن كان الله نزع منكم الرحمة** » . وقال ابن نمير : « **من قلبك الرحمة** »(٢١٥)][٢] .

وقوله : ﴿ **والله عليم حكيم** ﴾ أي : عليم بمن يستحق أن يعلمه الإيمان والعلم ، حكيم فيما قسم بين عباده من العلم والجهل ، والإيمان والكفر والنفاق ، لا يسأل عما يفعل لعلمه وحكمته .

وأخبر تعالىٰ أن منهم ﴿ **من يتخذ**[٣] **ما ينفق** ﴾ أي : في سبيل الله ﴿ **مغرمًا** ﴾ أي : غرامة وخسارة ﴿ **ويتربص بكم الدوائر** ﴾ أي : ينتظر بكم[٤] الحوادث والآفات ﴿ **عليهم دائرة السوء** ﴾ أي : هي منعكسة عليهم ، والسوء دائر عليهم ﴿ **والله سميع عليم** ﴾ أي : سميع لدعاء عباده ، عليم بمن يستحق النصر ممن يستحق الخذلان .

وقوله : ﴿ **ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول** ﴾ هذا هو القسم الممدوح من الأعراب وهم : الذين يتخذون ما ينفقون في سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله ، ويبتغون بذلك دعاء الرسول لهم ﴿ **ألا إنها قربة لهم** ﴾ أي : ألا إن ذلك حاصل لهم ﴿ **سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم** ﴾ .

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

(٢١٤) – رواه الترمذي في المناقب ، باب : في ثقيف وبني حنيفة ، حديث (٣٩٤٥) ، والنسائي في العمرى حديث (٣٧٥٩) ، وأحمد (٧٨٥٨) ، ورواه بمعناه أبو داود في البيوع (٣٥٣٧) .

(٢١٥) – صحيح مسلم ، كتاب الفضائل رقم (٢٣١٧) .

[١] – في ز ، خ : « الملل » .

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] – في ز : « يجد » .

[٤] – في ز : « لهم » .

يخبر تعالىٰ عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان ، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم ، والنعيم المقيم . قال الشعبي : السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار : من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية .

وقال أبو موسىٰ الأشعري ، وسعيد بن المسيب ، ومحمد بن سيرين ، والحسن ، وقتادة : هم الذين صلوا إلىٰ القبلتين مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال محمد بن كعب القرظي[١] : مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ [ ][٢] ﴿ **والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار** ﴾ فأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا ؟ فقال : أُبيّ بن كعب . فقال : لا تفارقني حتىٰ أذهب بك إليه . فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم . قال : وسمعتها من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال لقد كنت أرىٰ أنَّا رُفِعْنَا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا . فقال أُبيّ : تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة : ﴿ **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم** ﴾ وفي سورة الحشر : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان** ﴾ ، وفي الأنفال ﴿ **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم** ﴾ . [إلىٰ آخر][٣] الآية .

ورواه ابن جرير قال(٢١٦) : وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤها برفع ﴿ **الأنصار** ﴾ عطفًا علىٰ [ ][٤] ﴿ **السابقون الأوّلون** ﴾ .

فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، فيا ويلَ من أبغضهم أو سبّهم ، أو أبغض أو سب بعضهم ، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم ، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر ابن أبي قحافة - رضي الله عنه - فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم ، عياذًا بالله من ذلك .

وهذا يدل علىٰ أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم ؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه ، ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويوالون من يوالي الله ، ويعادون من يعادي الله وهم متبعون

---

(٢١٦) - تفسير الطبري (٤٣٨/١٤) رقم (١٧١١٧) .

---

[١] - بعده في ز ، خ : « قال » .

[٢] - في ت : « هذه الآية » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ : «و» .

لا مبتدعون ، ويقتدون [ ][١] لا يبتدون ؛ ولهذا هم حزب الله المفلحون ، وعباده المؤمنون .

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، أن في أحياء العرب ممن حول المدينة منافقين ، وفي أهل المدينة أيضًا منافقون ﴿ **مردوا علىٰ النفاق** ﴾ أي : مرنوا واستمروا عليه ، ومنه يقال : شيطان مريد ومارد ، ويقال : تمرد فلان علىٰ الله ، أي : عتا وتجبر .

وقوله : ﴿ **لا تعلمهم نحن نعلمهم** ﴾ لا ينافي قوله تعالىٰ : ﴿ **ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول** ﴾ الآية ؛ لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها ، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب علىٰ التعيين ، وقد كان يعلم أن في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقًا ، وإن كان يراه صباحًا ومساء ، وشاهد هذا بالصحة ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال :

حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، عن رجل ، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه ؛ قال : قلت : يا رسول الله ، إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة . فقال : « **لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في جحر ثعلب** » . وأصغىٰ إليَّ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، برأسه فقال : « **إن في أصحابي منافقين** »(٢١٧) .

ومعناه : أنه قد يبوح[٢] بعض المنافقين والمرجفين من الكلام بما[٣] لا صحة له ، ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذي سمعه جبير بن مطعم ، وتقدم في تفسير قوله : ﴿ **وهموا بما لم ينالوا** ﴾ أنه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أعلم حذيفة بأعيان أربعة عشر أو خمسة عشر منافقًا ، وهذا تخصيص لا يقتضي أنه أطلع علىٰ أسمائهم وأعيانهم كلهم ، والله أعلم .

وروىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عمر البيروتي ، من طريق هشام بن عمار ، حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا ابن جابر ، حدثني شيخ ببيروت يكنىٰ أبا عمر أظنه حدثني عن أبي الدرداء ؛ أن رجلًا يقال له حرملة أتىٰ النبيَّ ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : الإيمان هاهنا وأشار بيده إلىٰ لسانه ، والنفاق هاهنا وأشار بيده إلىٰ قلبه ، ولم يذكر الله إلا قليلًا .

---

(٢١٧) – المسند (٨٣/٤) رقم (١٦٨١٤) . وفي إسناده رجل مجهول .

---

[١] – ما بين المعكوفين في خ : و .

[٢] – في ز : « ينوج » . [٣] – في ز : « ما » .

فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اللهم ؛ اجعل له لسانًا ذاكرًا ، وقلبًا شاكرًا ، وارزقه حبي وحب من يحبني ، وصير أمره إلىٰ خير** » . فقال : يا رسول اللَّه ، إنه كان لي أصحاب من المنافقين ، وكنت رأسًا فيهم أفلا آتيك بهم ؟ قال : « **من أتانا استغفرنا له ، ومن أصر على دينه فاللَّه أولى به ، ولا تخرقن علىٰ أحد سترًا** »(٢١٨) .

قال : وكذا رواه أبو أحمد الحاكم عن أبي بكر الباغندي عن هشام بن عمار ، به .

وقال عبد الرزاق(٢١٩) : أخبرنا معمر ، عن قتادة في هذه الآية أنه قال : ما بال أقوام يتكلفون علم الناس ، فلان في الجنة وفلان في النار ، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال : لا أدري ، لعمري أنت بنفسك[١] أعلم منك بأحوال الناس ! ولقد تكلفت شيئًا ما تكلفه الأنبياء قبلك ، قال نبي اللَّه نوح - عليه السلام - : ﴿ **وما علمي بما كانوا يعملون** ﴾ . وقال نبي اللَّه شعيب - عليه السلام - : ﴿ **بقية اللَّه خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ** ﴾ . وقال اللَّه تعالىٰ لنبيه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : ﴿ **لا تعلمهم نحن نعلمهم** ﴾ .

وقال السدي (٢٢٠) ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس في هذه الآية قال : قام رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، خطيبًا يوم الجمعة فقال : « **اخرج يا فلان ؛ فإنك منافق ، واخرج يا فلان ؛ فإنك منافق** » . فأخرج من المسجد ناسًا منهم فضحهم[٢] ، فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد ، فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة ، وظن أن الناس قد انصرفوا ، واختبئوا هم من عمر ظنوا أنه قد علم بأمرهم ، فجاء عمر فدخل المسجد ، فإذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من المسلمين : أبشر[٣] [يا عمر][٤] ؛ قد فضح اللَّه المنافقين اليوم . قال ابن عباس : فهذا العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد ، والعذاب الثاني عذاب القبر .

وكذا قال الثوري ، عن السدي ، عن أبي مالك نحو هذا .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **سنعذبهم مرتين** ﴾ يعني : القتل والسباء .

---

(٢١٨) - انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٩/٧٦) .

(٢١٩) - تفسير عبد الرزاق (١/٢٥٣) .

(٢٢٠) - رواه الطبري في تفسيره (١٤/٤٤١) رقم (١٧١٢٢) .

---

[١] - في ز : « بنصيبك » .

[٢] - في ز : « فضحتهم » .

[٣] - في ت : « فأبشر » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

وقال في رواية : بالجوع وعذاب القبر ، ثم يردون إلىٰ عذاب عظيم .

وقال ابن جريج : عذاب في[١] الدنيا وعذاب في[٢] القبر ﴿ **ثم يردون إلىٰ عذاب عظيم** ﴾ النار .

وقال الحسن البصري : عذاب في الدنيا وعذاب في القبر .

وقال عبد الرحمن بن زيد : أما عذاب في الدنيا فالأموال والأولاد ، وقرأ [قول الله][٣] : ﴿ **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد اللَّه ليعذبهم بها في الحياة الدنيا** ﴾ فهذه المصائب لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر ، وعذاب في الآخرة في النار ﴿ **ثم يردون إلىٰ عذاب عظيم** ﴾ قال : النار .

وقال : محمد بن إسحاق ﴿ **سنعذبهم مرتين** ﴾ قال : هو - فيما بلغني - ما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ[٤] ذلك علىٰ غير حسبة ، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه عذاب الآخرة والخلد فيه .

وقال سعيد ، عن قتادة في قوله : ﴿ **سنعذبهم مرتين** ﴾ عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿ **ثم يردّون إلىٰ عذاب عظيم** ﴾ و[٥] ذكر لنا أن نبي اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أسرَّ إلىٰ حذيفة باثني عشر رجلًا من المنافقين ، فقال : « **ستة منهم تكفيكهم الدبيلة[٦](*) : سراج من نار جهنم يأخذ في كتف أحدهم حتىٰ يفضي إلىٰ صدره ، وستة يموتون موتًا** » ، وذكر لنا أن عمر ابن الخطاب ، رضي اللَّه عنه ، كان إذا مات رجل ممن يرىٰ أنه منهم ، نظر إلىٰ حذيفة ، فإن صلىٰ عليه وإلا[٧] تركه ؛ وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة : أنشدك باللَّه ، أمنهم أنا ؟ قال : لا ، ولا أومِن[٨] منها أحدًا بعدك(٢٢١) .

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

---

(٢٢١) - رواه الطبري في تفسيره (١٤/٤٤٣) رقم (١٧١٣٠) .

(*) - الدبيلة : خراج ودمل كبير يظهر في الجوف فيقتل صاحبه غالبًا .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - زيادة من : ت .
[٣] - في خ : « قوله تعالىٰ » .
[٤] - في ز : « غليظ » ، خ : « غليط » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « الذبيلة » .
[٧] - في ز : « ولا » .
[٨] - في ز : « أمن » .

لما بين تعالىٰ حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكذيبًا وشكًّا - شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلًا وميلًا إلىٰ الراحة ، مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال : ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم** ﴾ أي : أقروا بها ، واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ، ولهم أعمال أخر صالحة ، خلطوا هذه بتلك ، فهؤلاء تحت عفو اللَّه وغفرانه .

وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين ، إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المخلطين المتلوثين .

وقد قال مجاهد : إنها نزلت في أبي لبابة لما قال لبني قريظة : إنه الذبح ، وأشار بيده إلىٰ حلقه .

وقال ابن عباس : ﴿ **وآخرون** ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه ، تخلفوا عن [رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في][١] غزوة تبوك . فقال بعضهم : أبو لبابة وخمسة معه ، وقيل : وسبعة معه ، وقيل : وتسعة معه ؛ فلما رجع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، من غزوته ربطوا أنفسهم بسواري المسجد ، وحلفوا لا يحلهم إلا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فلما أنزل اللَّه هذه الآية ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم** ﴾ أطلقهم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وعفا عنهم .

وقال البخاري : حدثنا مؤمل بن هشام ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا عوف ، حدثنا أبو رجاء ، حدثنا سمرة بن جندب ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لنا : « **أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا إلىٰ مدينة مبنية بلَبِن ذهب ولَبِن فضة ، فتلقانا رجال ، شطرٌ من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ**[٢] ، **وشطر كأقبح ما أنت راءٍ**[٣] ، **قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر ، فوقعوا فيه ، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا في أحسن صورة ، قالا**[٤] **لي : هذه جنة عدن ، وهذا منزلك . قالا : [ ]**[٥] **أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح ، فإنهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا فتجاوز اللَّه عنهم** » .

هكذا رواه البخاري[٦] مختصرًا في تفسير هذه الآية(٢٢٢) .

---

(٢٢٢) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٦٧٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « رائى » .

[٣] - في ز : « رائى » .

[٤] - في خ : « قال » .

[٥] - في خ : « و » .

[٦] - سقط من : ز .

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤)﴾

أمر الله تعالىٰ رسوله ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بأن[١] يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها ، وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في أموالهم إلىٰ ﴿ **الذين اعترفوا بذنوبهم وخلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا** ﴾ ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلىٰ الإمام لا يكون ، وإنما كان هذا خاصًا [برسول الله][٢] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ولهذا احتجوا بقوله تعالىٰ : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾ ، وقد رد عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد [الصديق أبو بكر][٣] وسائر الصحابة ، وقاتلوهم حتىٰ أدوا الزكاة إلىٰ الخليفة كما كانوا يؤدونها إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، حتىٰ قال الصديق : واللَّه لو منعوني عناقًا - وفي رواية عقالًا - كانوا يؤدونه إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لأقاتلنهم علىٰ منعه(٢٢٣) .

وقوله : ﴿ **وصل عليهم** ﴾ أي : ادع لهم واستغفر لهم ، كما رواه مسلم في صحيحه : عن عبد اللَّه بن أبي أوفىٰ ؛ قال : كان النبيّ ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذا أُتي بصدقة قوم صلّىٰ عليهم ، فأتاه أبي بصدقته فقال : « **اللهم ؛ صلِّ علىٰ آل أبي أوفىٰ** »(٢٢٤) . وفي الحديث الآخر : أن امرأة قالت : يا رسول اللَّه ؛ صل علي وعلىٰ زوجي . فقال : « **صلّىٰ اللَّه عليك وعلىٰ زوجك** »(٢٢٥) .

وقوله : ﴿ **إن صلاتك سكن لهم** ﴾ قرأ بعضهم : (**صلواتك**) علىٰ الجمع[٤] ،

(٢٢٣) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة (١٤٠٠ ، ١٤٥٧) وفي استتابة المرتدين (٦٩٢٤) بلفظ (عناقًا) وفي الاعتصام رقم (٧٢٨٤،٧٢٨٥) بلفظ : « عقالًا » قال : « وقال ابن بكير وعبد الله عن الليث : « عناقا وهو أصح » .

(٢٢٤) - صحيح البخاري ، كتاب الزكاة رقم (١٤٩٧) ، ومسلم في الزكاة رقم (١٠٧٨) .

(٢٢٥) - رواه أبو داود في كتاب الصلاة رقم (١٥٣٣) والنسائي في الكبرى برقم (١٠٢٥٦) من حديث جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه .

[١] - في ز : « أن » . [٢] - في خ : « بالرسول » .

[٣] - في خ : « أبو بكر الصديق » .

[٤] - وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر .

وآخرون قرءوا : ﴿ **إن صلاتك** ﴾[١] علىٰ الإِفراد ﴿ **سكن لهم** ﴾ قال ابن عباس : رحمةٌ لهم . وقال قتادة : وقارٌ .

وقوله : ﴿ **والله سميع** ﴾ أي : لدعائك ﴿ **عليم** ﴾ أي : بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له .

قال الإِمام أحمد(٢٢٦) : حدثنا وكيع ، حدثنا أبو العميس ، عن أبي بكر بن عمرو بن[٢] عتبة ، عن ابنِ لحذيفة[٣] ، عن أبيه ؛ أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كان إذا دعا لرجل أصابته وأصابت ولده وولد ولده .

ثم رواه عن أبي نعيم ، عن مسعر ، عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة ، عن ابن لحذيفة[٤] - قال مسعر : وقد ذكره مرة عن حذيفة - : أن صلاة النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لتدرك الرجل وولده وولد ولده (٢٢٧) .

وقوله : ﴿ **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ﴾ هذا تهييج إلىٰ التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها .

وأخبر تعالىٰ أنه[٥] كل من تاب إليه تاب عليه ، ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالىٰ يتقبلها بيمينه ، فيربيها لصاحبها حتىٰ تصير التمرة مثل أحد ، كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ؛ كما قال الثوري ووكيع ، كلاهما عن عباد ابن منصور ، عن القاسم بن محمد ؛ أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه ، فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره ، حتىٰ إن اللقمة لتصيرُ[٦] مثل أحد** » . وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿ **ألم يعلموا أن الله هو [ ][٧] يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ﴾ ، وقوله[٨] : ﴿ **يمحق الله الربا ويربي الصدقات** ﴾(٢٢٨) .

(٢٢٦) - المسند (٣٨٥/٥) .

(٢٢٧) - المسند (٤٠٠/٥) .

(٢٢٨) - رواه الطبري في تفسيره (٤٦١/١٤) رقم (١٧١٦٩) تنبيه : وقع خطأ في الآية هنا وعند الطبري ، وما أثبتناه هو الصواب .

[١] - وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص .

[٢] - في ز : « عن » .

[٣] - في ت : « الحذيفة » .

[٤] - في ت : « الحذيفة » .

[٥] - في خ : « أن » .

[٦] - في ت : « لتكون » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « الذي » .

[٨] - سقط من : ز .

وقال الثوري والأعمش ، كلاهما عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبي قتادة ؛ قال : قال عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه : إن الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ﴾ .

وقد روىٰ ابن عساكر في تاريخه(٢٢٩) في ترجمة عبد الله بن الشاعر السكسكي الدمشقي ، وأصله حمصي ، وكان أحد الفقهاء ، روىٰ عن معاوية وغيره ، وحكىٰ عنه حوشب بن سيف السكسكي الحمصي ؛ قال : غزا الناس في زمان معاوية ، رضي الله عنه ، وعليهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فَغَلَّ رجل من المسلمين مائة دينار رومية ، فلما قفل الجيش ندم وأتىٰ الأمير فأبىٰ أن يقبلها منه ، وقال : قد تفرق الناس ، ولن أقبلها منك حتىٰ تأتي الله بها يوم القيامة . فجعل الرجل يستقرئ الصحابة فيقولون له مثل ذلك ، فلما قدم دمشق ذهب إلىٰ معاوية ليقبلها منه فأبىٰ عليه ، فخرج من عنده وهو يبكي ويسترجع ، فمر بعبد الله بن الشاعر السكسكي ، فقال له : ما يبكيك ؟ فذكر له أمره ، فقال له[١] : [أمطيعني][٢] أنت ؟ فقال : نعم . فقال : اذهب إلىٰ معاوية فقل له اقبل مني خُمُسَك ، فادفع إليه عشرين دينارًا ، وانظر [ ][٣] الثمانين الباقية فتصدق بها عن ذلك الجيش ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، وهو أعلم بأسمائهم ومكانهم ، ففعل الرجل ، فقال معاوية رضي الله عنه : لأن أكون أفتيته بها أحب إلي من كل شيء أملكه ، أحسن الرجل !

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

قال مجاهد : هذا وعيد . يعني : من الله تعالىٰ للمخالفين أوامره ، بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالىٰ ، وعلىٰ الرسول ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وعلىٰ المؤمنين ، وهذا كائن لا محالة يوم القيامة : كما قال : ﴿ **يومئذ تعرضون لا تخفىٰ منكم خافية** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يوم تبلىٰ السرائر** ﴾ ، وقال : ﴿ **وحُصِّل ما في الصدور** ﴾ ، وقد يظهر الله تعالىٰ ذلك للناس في الدنيا ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي

---

(٢٢٩) - تاريخ دمشق (٤٠١/٩) « المخطوط » .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في خ : « أمطيعوني » .

[٣] - ما بين المعكوفين في ت : إلى .

سعيد [ ][١] ، عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أنه قال : « **لو أن أحدكم**[٢] **يعمل في صخرة صماء ، ليس لها باب ولا كُوَّة**(*) ، **لأخرج اللّٰه عمله للناس كائنا ما كان** »(٢٣٠) .

وقد ورد أن أعمال الأحياء تعرض علىٰ الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ ، كما قال أبو داود الطيالسي(٢٣١) : حدثنا الصلت بن دينار ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد اللّٰه ؛ قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن أعمالكم تعرض علىٰ أقربائكم وعشائركم في قبورهم ، فإن كان خيرًا استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم ؛ ألهمهم أن يعملوا بطاعتك** » .

وقال الإمام أحمد(٢٣٢) : أخبرنا عبد الرزاق ، عن سفيان ، عمن سمع أنسًا يقول : قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن أعمالكم تعرض علىٰ أقاربكم وعشائركم من الأموات ، فإن كان خيرًا استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم ؛ لا تمتهم حتىٰ تهديهم كما هديتنا** » .

وقال البخاري (٢٣٣) : قالت عائشة ، رضي اللّٰه عنها : إذا أعجبك حسن عمل امرئ مسلم[٣] فقل ﴿ **اعملوا فسيرىٰ اللّٰه عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ .

وقد ورد في الحديث شبيه بهذا ؛ قال الإمام أحمد (٢٣٤) : حدثنا يزيد ، حدثنا حميد ،

---

(٢٣٠) – المسند (٣/٢٨) (١١٢٤٤) وأخرجه أبو يعلى – (١٣٧٨) حدثنا زهير ، حدثنا الحسن بن موسى به .
وابن حبان في صحيحه – (٥٦٧٨) ، وفي الموارد – (١٩٤٢) مطولًا والحاكم – (٤/٣١٤) من طريقين عن عمرو بن الحارث به .
وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .
وقال الهيثمي في المجمع – (١٠/٢٢٨) : رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن .
وليس كما قالوا ؛ فإن دراجًا هذا ضعيف لا سيما في روايته عن أبي الهيثم ، وابن لهيعة مشهور بضعفه .
(*) – الكُوَّة (تُفْتَح وتضم) : الثُّقْبَة في الحائط ، وجمع المفتوح على لفظه : كَوَّات ، وكِواء بالكسر والمدّ . وجمع المضموم : كُوًى (بالضم والقصر) ، مثل : مُدْيَة ومُدًى . المصباح المنير [٢/٥٤٥] ..
(٢٣١) – مسند الطيالسي برقم (١٧٩٤) .
(٢٣٢) – المسند (٣/١٦٤) (١٢٧٠٦) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٢٨) : « وفيه رجل لم يُسم » .
(٢٣٣) – صحيح البخاري ، كتاب التوحيد (١٣/٥٠٣ « فتح ») .
(٢٣٤) – المسند (٣/١٢٠) (١٢٢٣٤) والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢١١) وقال :=

---

[١] – ما بين المعكوفين في ت : مرفوعًا . [٢] – في ز : « هم » .
[٣] – سقط من : ز ، خ .

عن أنس ؛ أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتىٰ تنظروا بما يختم له ، فإن العامل يعمل زمانًا من عمره - أو برهة من دهره - بعمل صالح لو مات عليه لدخل**[١] **الجنة ، ثم يتحول فيعمل عملًا سيئًا ، وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ لو مات عليه دخل النار ، ثم يتحول فيعمل عملًا**[٢] **صالحًا ، وإذا أراد اللَّه بعبده خيرًا استعمله قبل موته** » . قالوا : يا رسول اللَّه ، وكيف يستعمله ؟ قال : « **يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه** » . تفرد [به الإمام][٣] أحمد من هذا الوجه .

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد : هم الثلاثة الذين خلفوا . أي : عن التوبة ، وهم : مرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، قعدوا عن[٤] غزوة تبوك في جملة من قعد كسلًا وميلًا إلىٰ الدعة والحفظ ، وطيب الثمار والظلال ، لا شكًا ونفاقًا ، فكانت منهم طائفة ربطوا أنفسهم بالسواري كما فعل أبو لبابة وأصحابه ، وطائفة لم يفعلوا ذلك ، وهم هؤلاء الثلاثة المذكورون ، فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء ، وأرجئ هؤلاء عن التوبة حتىٰ نزلت الآية الآتية ، وهي قوله : ﴿ **لقد تاب اللَّه علىٰ النبي والمهاجرين والأنصار** ﴾ الآية ، ﴿ **وعلىٰ الثلاثة الذين خلفوا حتىٰ إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت** ﴾ الآية ، كما سيأتي بيانه في حديث كعب بن مالك .

وقوله : ﴿ **إما يعذبهم وإما يتوب عليهم** ﴾ أي : هم تحت عفو اللَّه إن شاء فعل بهم هذا ، وإن شاء فعل بهم ذاك ، ولكن رحمته تغلب غضبه ، ﴿ **واللَّه عليم حكيم** ﴾ أي : عليم بمن يستحق العقوبة ممن يستحق العفو ، حكيم في أفعاله وأقواله ، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا

= رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

وطرفه الثاني رواه ابن المبارك في الزهد ٩٧٠ . ورواه الترمذي في القدر ٢١٤٣. وابن حبان برقم ٣٣٥. والحاكم (٣٤٠/١) وصححه ووافقه الذهبي . ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١٧٤/١) حديث ٣٩٣ . وأبو يعلى حديث ٣٧٥٦ ، ٣٨٢٩ ، ٣٨٤٠ - (٤١٠/٦ ، ٤٤٣ ، ٤٥٢).

[١] - في خ : « دخل » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في خ : « في » .

لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾

سبب نزول هذه الآيات الكريمات أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، إليها رجل من الخزرج يقال له : أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وقرأ علم أهل الكتاب ، وكان فيه عبادة في الجاهلية ، وله شرف في الخزرج كبير ، فلما قدم رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، مهاجرًا إلىٰ المدينة ، واجتمع المسلمون عليه ، وصارت للإسلام كلمة عالية ، وأظهرهم اللّه يوم بدر شَرِق[١] اللعين أبو عامر بريقه ، وبارز بالعدواة وظاهر بها ، وخرج فارًا إلىٰ كفار مكة من مشركي قريش فألبهم[٢] علىٰ حرب رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب ، وقدموا عام أحد ، فكان من أمر المسلمين ما كان ، وامتحنهم اللّه عز وجل ، وكانت العاقبة للمتقين .

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين ، فوقع في إحداهن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، وأصيب ذلك اليوم ، فجرح في وجهه ، وكسرت رَباعِيَتُه[٣] اليمنىٰ السفلىٰ ، وشُجَّ رأسه ، صلوات اللّه وسلامه عليه ، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلىٰ قومه من الأنصار ، فخاطبهم واستمالهم إلىٰ نصره وموافقته ، فلما عرفوا كلامه قالوا : لا أنعم اللّه بك عينًا يا فاسق يا عدو اللّه ، ونالوا منه وسبوه ، فرجع وهو يقول : واللّه لقد أصاب قومي بعدي شر .

وكان رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قد دعاه إلىٰ اللّه قبل فراره وقرأ عليه من القرآن ، فأبىٰ أن يسلم وتمرد ؛ فدعا عليه رسول اللّه أن يموت بعيدًا طريدًا فنالته هذه الدعوة ؛ وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ، ورأىٰ أمر الرسول صلىٰ اللّه عليه وسلم [ ][٤] في ارتفاع وظهور ، ذهب إلىٰ هرقل ملك الروم يستنصره علىٰ النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فوعده ومناه وأقام عنده ، وكتب إلىٰ جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب ، يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ويغلبه ، ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلًا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ، ويكون مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك .

---

[١] - شَرِقَ بريقه : امتلأ فضاق . [٢] - في ت : « يمالئهم » .

[٣] - السّن بين الثنية والناب ، وهي أربع : رباعيتان في الفك الأعلى ، ورباعيتان في الفك الأسفل .

[٤] - في ز : « كلما له » .

فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء ، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ تبوك ، وجاءوا فسألوا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ؛ ليحتجوا بصلاته [عليه السلام] فيه علىٰ تقريره وإثباته ، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية ، فعصمه الله من الصلاة فيه ، وقال[١] : « **إنا علىٰ سفر ، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله** » . فلما قفل عليه السلام راجعًا إلىٰ المدينة من تبوك ، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم ، نزل عليه الوحي[٢] بخبر مسجد الضرار ، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم : مسجد قباء الذي أسس من أول يوم علىٰ التقوىٰ ، فبعث رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ ذلك المسجد مَنْ هَدَمَه قبل مقدمه المدينة .

كما قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿**والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا**﴾ : هم أناس من الأنصار ابتنوا[٣] مسجدًا ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدًا واستعدوا بما[٤] استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإني ذاهب إلىٰ قيصر ملك الروم ، فآتي بجند من الروم ، وأخرج محمدًا وأصحابه ، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقالوا له[٥] : قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه ، وتدعو لنا بالبركة . فأنزل الله عز وجل : ﴿ **لا تقم فيه أبدًا** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿**الظالمين**﴾ .

وكذا روي عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعروة بن الزبير ، وقتادة وغير واحد من العلماء .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار ، عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم قالوا : أقبل رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم - يعني من تبوك - حتىٰ نزل بذي أوان - بلد بينه وبين المدينة - ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلىٰ تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه . فقال : « **إني علىٰ جناح سفر وحال شغل** » - أو كما قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم - « **ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالىٰ أتيناكم فصلينا لكم فيه** » . فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ، ومعن بن عدي ، أو أخاه عامر بن عدي أخا بلعجلان[٦] ، فقال : « **انطلقا إلىٰ هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه** » .

---

[١] - في خ : « فقال » .
[٢] - في خ : « جبريل » .
[٣] - في خ : « بنوا » .
[٤] - في ز : « ما » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - أي: بني العجلان ، على لغة بعض العرب.

فخرجا سريعين حتىٰ أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرني حتىٰ أخرج إليك بنار من أهلي ، فدخل أهله ، فأخذ سعفًا من النخل ، فأشعل فيه نارًا ، ثم خرجا يشتدان حتىٰ دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ **والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا** ﴾ إلىٰ آخر القصة ، وكان الذين بنوه اثني عشر رجلًا : خِذَام[١] بن خالد ، من بني عبيد[٢] بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بني عبيد ، وهو إلى بني أمية [بن زيد ، ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة ابن الأزعر من بني ضُبَيْعة بن زيد ، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه : مجمع بن جارية ، وزيد بن جارية ونبتل [بن][٣] الحارث وهم من بني ضبيعة ، وبحزج وهو من بني ضبيعة ، وبجاد بن عثمان وهو من بني ضبيعة ، ووديعة بن ثابت وهو إلى بني أمية][٤] رهط أبي لبابة بن عبد المنذر(٢٣٥) .

وقوله : ﴿ **وليحلفن** ﴾ أي : الذين بنوه ﴿ **إن أردنا إلا الحسنى** ﴾ أي : ما أردنا ببنيانه إلا خيرًا ورفقًا بالناس ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **واللّٰه يشهد إنهم لكاذبون** ﴾ أي : فيما قصدوا وفيما نووا ، وإنما بنوه ضرارًا لمسجد قباء ، وكفرًا باللّٰه ، وتفريقًا بين المؤمنين ، وإرصادًا لمن حارب اللّٰه ورسوله [من قبل][٥] ، وهو : أبو عامر الفاسق الذي يقال له الراهب لعنه اللّٰه .

وقوله : ﴿ **لا تقم فيه أبدًا** ﴾ نهي [من الله لرسوله][٦] صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، والأمّة تبع له في ذلك ، عن أن يقوم فيه ، أي : يصلي فيه أبدًا .

ثم حثه علىٰ الصلاة بمسجد قباء : الذي أسس من أول يوم بنائه علىٰ التقوىٰ ، وهي طاعة اللّٰه وطاعة رسوله ، وجمعًا لكلمة المؤمنين ، ومعقلًا وموئلًا للإسلام وأهله ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لمسجد أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم أحق أن تقوم فيه** ﴾ والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء ؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح ، أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، [قال : « **صلاة في مسجد قباء كعمرة** »(٢٣٦) .

(٢٣٥) - السيرة النبوية لابن هشام (٥٣٠/٢) ورواه الطبري في تفسيره (٤٦٨/١٤) .

(٢٣٦) - رواه الترمذي في السنن برقم (٣٢٤) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها رقم (١٤١١) =

[١] - في ز : « خدام » .

[٢] - في ز : « عبد » .

[٣] - زيادة من تفسير الطبري [٤٦٩/١٤] .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : « له » .

وفي الصحيح : أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم][١] ، كان يزور مسجد قباء راكبًا وماشيًا(٢٣٧) ، وفي الحديث أن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لما بناه وأسسه أول قدومه ونزوله علىٰ بني عمرو[٢] بن عوف ، كان جبريل هو الذي عين له جهة القبلة(٢٣٨) ، فاللَّه أعلم .

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن يونس بن الحارث ، عن إبراهيم بن أبي ميمونة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، رضي اللَّه عنه ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **نزلت هذه الآية في أهل قباء ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا** » . قال : كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية .

ورواه[٣] الترمذي وابن ماجة ، من حديث يونس بن الحارث وهو ضعيف ، وقال الترمذي : غريب من هذا الوجه .

وقال الطبراني(٢٣٩) : حدثنا الحسن بن علي المعمري[٤] ، حدثنا محمد بن حميد

= من طريق أبي أسامة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن أبي الأبرد مولى بنى الخطمة - عن أسيد بن ظهير الأنصاري رضي الله عنه ، به .

وقال الترمذي - كما في تحفة الأشراف (٢٧٥/١) : « حديث حسن صحيح ، ولا نعرف لأسيد بن ظهير شيئًا يصح غير هذا الحديث ، ولا نعرفه إلا من حديث أبي أسامة » .

قال الذهبي في الميزان في ترجمة زياد أبي الأبرد : روى عن أسيد بن ظهير ، صحح له الترمذي حديثه وهو : « **صلاة في مسجد قباء كعمرة** » وهذا حديث منكر . روى عنه عبد الحميد بن جعفر فقط » اهـ .

قال المبارك فوري : لا أدري ما وجه كونه منكرًا .

وأبو الأبرد ؛ قال الترمذي : اسمه زياد .

قال الحافظ في التهذيب : أبو الأبرد المديني مولى بني خطمة - تبع المصنف في ذلك كلام الترمذي وهو وهم ، وكأنه اشتبه عليه بأبي الأبرد الحارثي ؛ فإن اسمه زياد كما قال ابن معين وأبو أحمد الحاكم وأبو بشر الدولابي وغيرهم ، والمعروف أن أبا الأبرد لا يعرف اسمه ، وقد ذكره في من لا يعرف اسمه أبو أحمد الحاكم في الكنى وابن أبي حاتم وابن حبان ، وأما الحاكم أبو عبد الله فقال في المستدرك : اسمه موسى بن سليم . اهـ .

(٢٣٧) - رواه البخاري في كتاب الجمعة ، باب : اتيان مسجد قباء ماشيًا وراكبًا . ومسلم في الحج رقم (١٣٩٩) .

(٢٣٨) - سنن أبي داود برقم (٤٤) وسنن الترمذي برقم (٣١٠٠) ، وسنن ابن ماجة برقم (٣٥٧) .

(٢٣٩) - المعجم الكبير (٦٧/١١) وفيه محمد بن حميد وهو ضعيف ، وابن إسحاق مدلس وقد عنعن .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « عمر » .

[٣] - في خ : « رواه » .

[٤] - في خ : « العمري » .

الرازي ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : لما[١] نزلت هذه الآية ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا** ﴾ بعث رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلىٰ عويم بن ساعدة ، فقال : « **ما هذا الطهور الذي أثنىٰ اللّٰه عليكم** ؟ » فقال : يا رسول اللّٰه ، ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه - أو قال : مقعدته - فقال[٢] النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هو هذا** » .

وقال الإمام أحمد(٢٤٠) : حدثنا حُسَيْنُ[٣] بن محمد ، حدثنا أبو أويس ، حدثنا شرحبيل ، عن عويم بن ساعدة الأنصاري أنه حدثه ؛ أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أتاهم في مسجد قباء فقال : « **إن اللّٰه تعالىٰ قد أحسن [عليكم الثناء][٤] في الطهور في قصة مسجدكم ، فما هذا الطهور الذي تطهرون به** ؟ » قالوا[٥] : واللّٰه يا رسول اللّٰه ، ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود ، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا .

ورواه ابن خزيمة في صحيحه .

وقال هشيم ، عن عبد الحميد المدني ، عن إبراهيم بن المعلىٰ الأنصاري ؛ أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال لعويم بن ساعدة : « **ما هذا الذي أثنىٰ اللّٰه عليكم ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا واللّٰه يحب المطهرين** ﴾ ؟ » . قالوا[٦] : يا رسول اللّٰه ، إنا نغسل الأدبار بالماء(٢٤١) .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، حدثنا محمد بن سعد ، ثنا إبراهيم ابن محمد ، عن شرحبيل بن سعد ؛ قال : سمعت خزيمة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا واللّٰه يحب المطهرين** ﴾ قال : كانوا يغسلون أدبارهم من

---

(٢٤٠) - المسند (٣/٤٢٢) (١٥٥٢٧) ، وابن خزيمة (٨٣* ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/١٥٥) . والطبراني في الكبير (١٧/١٤٠) حديث (٣٤٨) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢١٧) وقال : رواه أحمد والطبراني في الثلاثة وقال : وفيه شرحبيل بن سعد ضعفه مالك ، وابن معين ، وأبو زرعة ، ووثقه ابن حبان . اهـ . وذكره الشيخ الألباني كشاهد في الإرواء (١/٨٥) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « **لنزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ قال : كان يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية** » . وقد صححه .

(٢٤١) - تفسير الطبري (١٤/٤٨٧) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ : « قال » .
[٣] - في ز : « حسن » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « فقالوا » .
[٦] - في تفسير الطبري : قال .

الغائط(٢٤٢) .

(حديث آخر)(٢٤٣) قال[١] الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا مالك - يعني : ابن مغول - سمعت سيارًا أبا الحكم ، عن شهر بن حوشب ، [عن محمد ابن عبد اللَّه بن سلام][٢] قال : لَقَد[٣] قدم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم - يعني قباء - فقال : « **إن اللَّه عز وجل قد أثنىٰ عليكم في الطهور خيرًا ، أفلا تخبروني ؟** » يعني قوله : ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾ فقالوا : يا رسول اللَّه ، إنا نجده مكتوبًا علينا في التوراة : الاستنجاء بالماء .

وقد صرح [بأنه مسجد قباء جماعة من السلف][٤] . رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، ورواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير . وقاله عطية العوفي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والشعبي ، والحسن البصري ، ونقله البغوي عن سعيد بن جبير وقتادة .

وقد ورد في الحديث الصحيح أن مسجد رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، الذي [هو][٥] في جوف المدينة هو المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ ، وهذا صحيح ، ولا منافاة بين الآية وبين هذا ؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم ، فمسجد رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ؛ ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده :

حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد اللَّه بن عامر الأسلمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل

---

(٢٤٢) - تفسير الطبري (٤٨٧/١٤) .

(٢٤٣) - المسند (٦/٦) (٢٣٩٤٥). وسيار أبو الحكم : ثقة ، روى له الجماعة . وأبوه يكنى أبا سيار ، واسمه وردان ، وقيل : ورد ، وقيل غير ذلك . وشهر بن حوشب : صدوق كثير الإرسال والأوهام ، تقدم مراراً . ومحمد بن عبد اللَّه بن سلام : ذكره ابن حبان في ثقات التابعين ، وقال : يقال له صحبة . وقال ابن عبد البر : له رؤية ورواية محفوظة . وقال ابن مندة : رأى النبي صلى اللَّه عليه وسلم وسمع منه . والحديث رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥٣/١) من طريق شهر أيضاً . والبخاري في تاريخه (١٨/١) . وذكر البخاري الاختلاف على شهر فيه ، وقول من قال : عنه ، عن رجل من الأنصار من أهل قباء . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٣/١) وقال : « رواه أحمد عن محمد بن عبد اللَّه بن سلام ولم يقل : عن أبيه ، كما قال الطبراني ، وفيه شهر أيضًا » .

---

[١] - في ز : « وقال » . [٢] - تكررت هذه العبارة في : ز ، خ .

[٣] - في ت : « لما » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « جماعة من السلف بأنه مسجد قباء » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

ابن سعد ، عن أبي بن كعب ؛ أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ مسجدي هذا** » . تفرد به أحمد (٢٤٤) .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد(٢٤٥) : حدثنا وكيع ، حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي ، عن عمران بن أبي أنس[١] ، عن سهل بن سعد الساعدي ؛ قال : اختلف رجلان علىٰ عهد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ ، فقال أحدهما : هو مسجد [الرسول ، صلى الله عليه وسلم] . وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فأتيا النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فسألاه ، فقال : « **هو مسجدي هذا** » . تفرد به أحمد أيضًا .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد (٢٤٦) : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا ليث ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : تمارىٰ رجلان في المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ [من أول يوم][٢] ، فقال أحدهما : هو مسجد قباء ، وقال الآخر : هو مسجد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هو مسجدي هذا** » . تفرد به أحمد .

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد(٢٤٧) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثنا ليث ، حدثني عمران بن أبي أنس ، عن ابن أبي سعيد ، عن أبيه أنه قال : تمارىٰ رجلان في المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم ، فقال أحدهما[٣] : هو مسجد قباء ، وقال الآخر : هو مسجد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **هو مسجدي** » .

---

(٢٤٤) - المسند (١١٦/٥)(٢١١٨٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٠) وقال : « رواه أحمد وفيه عبد الله بن عامر الأسلمي ، وهو ضعيف » .

(٢٤٥) - المسند (٣٣١/٥) (٢٢٩١٣) ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٧/ رقم : ٦٠٢٥) . من نفس طريق أحمد . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٠) و (٧/ ٣٤) وعزاه لأحمد والطبراني وقال : « ورجالهما رجال الصحيح » .

(٢٤٦) - المسند (٨٩/٣) رقم (١١٨٦٢) .

(٢٤٧) - المسند (٧/٣) رقم (١١٠٦٠) .

إسحاق بن عيسى : ابن نجيح البغدادي أبو يعقوب بن الطباع ، قال البخاري : مشهور الحدبث ، وقال صالح بن محمد : لا بأس به ، صدوق . وقال أبو حاتم : أخوه محمد أحب إليَّ منه وهو صدوق . وذكره ابن حبان في الثقات . (التهذيب : ٢٤٥/١) وفي التقريب : صدوق .

---

[١] - في ز : « أنيس » . [٢] - سقط من : خ .

[٣] - في ز ، خ : « الرجل » .

وكذا رواه الترمذي والنسائي ، عن قتيبة ، عن الليث ، وصححه الترمذي ، ورواه مسلم كما سيأتي .

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد : حدثنا يحيىٰ ، عن أنيس بن أبي يحيىٰ ، حدثني أبي قال : سمعت أبا سعيد الخدري قال : اختلف رجلان ، رجل من بني خدرة ، ورجل من بني عمرو بن عوف - في المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ ، فقال الخدري : هو مسجد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وقال العمري : هو مسجد قباء ، فأتيا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه تعالىٰ عليه وسلم ، فسألاه عن ذلك ، فقال : « **هو هذا المسجد** » . لمسجد رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه تعالىٰ عليه وسلم ، وقال : « في ذلك [خير كثير »][١] . يعني مسجد قباء(٢٤٨) .

وليث : هو ابن سعد ، أبو الحارث المصري . وعمران بن أبي أنس : ثقة ، روى له مسلم والبخاري في الأدب والأربعة . وابن أبي سعيد : قال ابن حجر في ترجمة سعيد بن أبي سعيد (التعجيل : ٥٨١/١) : وثقه ابن حبان (٢٧٨/٤) : وقال : حديثه في المسجد الذي أسس على التقوى . والحديث أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب « ومن سورة التوبة » . (٣٠٩٩) . والنسائي - كتاب المساجد - باب : ذكر المسجد الذي أسس على التقوى - (٣٦/٢) ، وفي الكبرى - كتاب التفسير - باب : قوله تعالى : ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه** ﴾ - (١١٢٢٨) (٣٥٩/٦) . والطبري في تفسيره (٢٨/٧) ، وابن حبان في صحيحه (١٦٠٦) (٤٨٣/٤-٤٨٤) . وأخرجه الترمذي - كتاب الصلاة - باب : ما جاء في المسجد الذي أسس على التقوى - (٣٢٣) وقال : حديث حسن صحيح ، والطبري في تفسيره (٢٨/٧-٢٩) . والبغوي في شرح السنة (٤٥٥) (٣٤٠/٢-٣٤١) . وأبو يعلى في مسنده (٩٨٥) (٢٧٢/٢-٢٧٣) وعنه ابن حبان في صحيحه (١٦٢٦) (٥٠٦/٤) والمزى في تهذيب الكمال (١٣٨/١٢) ويأتي - (١١١٩٢، ١١٨٨٠) (٢٣/٣، ٩١) . من طرق عن أنيس بن أبي يحيى حدثني أبي قال : سمعت أبا سعيد الخدري يقول : فذكره وأنيس هذا ثقة ، لكن أبوه « أبو يحيى هذا » واسمه سمعان ؛ روى له الأربعة وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال النسائي : ليس به بأس . وذكره ابن خلفون في الثقات [انظر تهذيب الكمال (١٣٨/١٢)] وقال الحافظ في التقريب ت (٢٦٣٣) : لا بأس به . وتابع « أنيس » أخوه محمد بن أبي يحيى عند الحاكم (٣٣٤/٢) ومحمد هذا صدوق كما في التقريب ت (٦٣٩٥) .

وأخرجه مسلم - كتاب الحج ، باب : بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة - (٥١٤) (١٣٩٨) ويأتي - (١١٢٠١) (٢٤/٣) .

من طريق يحيى بن سعيد عن حميد الخراط قال : سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال : مرَّ بي عبد الرحمن بن أبي سعيد .... فذكره .

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٢/٢) ومن طريقه الحاكم (٣٣٤/٢) عن وكيع عن أسامة بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه به .

(٢٤٨) - المسند (٢٣/٣) رقم (١١١٩٢) . أنيس بن أبي يحيى الأسلمي ، ثقة ، واسم أبي يحيى =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

(طريق أخرىٰ) قال أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا حميد الخراط المدني ، سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، فقلت : كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس علىٰ التقوى ؟ فقال : [قال][١] أبي[٢] : أتيت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فدخلت عليه في بيت لبعض نسائه ، فقلت : يا رسول اللّٰه ، أين المسجد الذي أسس علىٰ التقوى ؟ قال : فأخذ كفًا من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : « **هو مسجدكم هذا** » . ثم قال : [فقلت له : هكذا][٣] سمعت أباك يذكره .

رواه مسلم منفردًا به(٢٤٩) ، عن محمد بن حاتم ، عن يحيىٰ بن سعيد ، به .

ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن حميد الخراط ، به (٢٥٠) .

وقد قال بأنه مسجد النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، جماعةٌ من السلف والخلف ، وهو مرويٌّ عن عمر بن الخطاب وابنه عبد اللّٰه ، وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب ، واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ **لمسجد أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا واللّٰه يحب المطهرين** ﴾ دليل علىٰ استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها علىٰ عبادة اللّٰه وحده لا شريك له ، وعلىٰ استحباب الصلاة مع جماعة[٤] الصالحين ، والعباد العاملين ، المحافظين علىٰ إسباغ الوضوء ، والتنزه عن[٥] ملابسة القاذورات .

وقد قال الإمام أحمد(٢٥١) : حدّثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن

= سمعان . قال الترمذي : حدثنا أبو بكر ، عن علي بن عبد اللّٰه قال : سألت يحيى بن سعيد ، عن محمد بن أبي يحيى الأسلمي ؟ فقال : لم يكن به بأس ، وأخوه أنيس بن أبي يحيى أثبت منه .

وأبوه سمعان أبو يحيى الأسلمي ، المدني ، قال ابن حجر : لابأس به .

(٢٤٩) - تفسير الطبري (٤٧٧/١٤) رقم (١٧٢٠٦) وصحيح مسلم ، كتاب الحج رقم (١٣٩٨) .

(٢٥٠) - صحيح مسلم ، كتاب الحج رقم (١٣٩٨) .

(٢٥١) - المسند (٤٧٢،٤٧١/٣) (١٥٩١٨) ورواه النسائي في كتاب الافتتاح ، باب : القراءة في =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ ، وأثبتناه من صحيح مسلم وتفسير الطبري .

[٢] - في ز ، خ : « إني » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ : « الجماعة » .

[٥] - في ز : « من » .

عمير ، سمعت شبيبًا أبا روح ، يحدث عن رجل من أصحاب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، صلىٰ بهم الصبح فقرأ بهم الروم فأَوْهَم[١][٢] ، فلما انصرف قال : « **إنه يلبس علينا القرآن ، إن أقوامًا منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء ، فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء** » .

ثم رواه من طريقين آخرين ، عن عبد الملك بن عمير ، عن شبيب أبي روح ، عن[٣] ذي الكلاع ؛ أنه صلىٰ مع النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ... فذكره ، فدل هذا علىٰ أن[٤] إكمال الطهارة يسهل القيام في العبادة ، ويعين علىٰ إتمامها وإكمالها ، والقيام بمشروعاتها .

وقال أبو العالية في قوله : ﴿ **والله يحب المطهرين** ﴾ : إن الطهور بالماء لحسن ، ولكنهم المطهرون من الذنوب .

وقال الأعمش : التوبة من الذنب ، والتطهير[٥] من الشرك .

وقد ورد في الحديث المروي من طرق في السنن وغيرها ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لأهل قباء : « **قد أثنىٰ الله عليكم في الطهور ، فماذا تصنعون ؟** » . فقالوا : نستنجي بالماء .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز ؛ قال : وجدته في كتاب أبي ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ؛ قال : نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿ **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** ﴾ فسألهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالوا : إنا نتبع الحجارة الماء[٦] .

[رواه البزار][٧] ، ثم قال : تفرد به محمد بن عبد العزيز ، عن الزهري ، ولم يرو عنه سوىٰ ابنه(٢٥٢) .

= الصبح بالروم (١٥٦/٢) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٦/١) وقال : رواه أحمد عن أبي روح عن رجل ورجاله رجال الصحيح . اهـ ..

(٢٥٢) - مسند البزار برقم (٢٤٧) وقال الهيثمي في المجمع (٢١٢/١) : « فيه محمد بن عبد العزيز بن عمر الزهري ضعفه البخاري والنسائي وهو الذي أشار بجلد مالك » .

---

[١] - في خ : « فأواهم » .

[٢] - يقال : أوهمتُ الشيء : إذا تركته ، وأوهمت في الكلام والكتاب ، إذا أسقطت منه شيئًا .

[٣] - في ز : « من » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « والتطهر » .

[٦] - في ت : « بالماء » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

قلت : وإنما ذكرته بهذا اللفظ ؛ لأنه مشهور بين الفقهاء ، ولم يعرفه كثير من المحدثين المتأخرين أو كلهم ، والله أعلم .

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

يقول تعالىٰ : لا يستوي من أسس بنيانه علىٰ تقوىٰ من الله ورضوان ، ومن بنىٰ مسجدًا ضرارًا وكفرًا ، وتفريقًا بين المؤمنين ، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله من قبل . فإنما بنىٰ هؤلاء بنيانهم علىٰ شفا جرف هار أي : طرف حفيرة [مُثْنالة] ﴿ **في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ أي : لا يصلح عمل المفسدين .

قال جابر بن عبد الله : رأيت المسجد الذي بني ضرارًا يخرج منه الدخان علىٰ عهد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال ابن جريج : ذكر لنا أن رجالًا حفروا فوجدوا الدخان يخرج منه . وكذا قال قتادة .

وقال خلف بن ياسين الكوفي : رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالىٰ في القرآن ، وفيه جحر يخرج منه الدخان ، وهو اليوم مزبلة . رواه [ ][١] ابن جرير رحمه الله(٢٥٣) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم** ﴾ أي : شكًّا ونفاقًا ؛ بسبب إقدامهم علىٰ هذا الصنيع الشنيع ، أورثهم نفاقًا في قلوبهم ، كما أشرب عابدو العجل حُبَّه .

وقوله : ﴿ **إلا أن تقطع قلوبهم** ﴾ أي : بموتهم . قاله ابن عباس ومجاهد ، وقتادة وزيد ابن أسلم ، والسدي وحبيب بن أبي ثابت ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد من علماء السلف .

﴿ **والله عليم** ﴾ أي : بأعمال خلقه ﴿ **حكيم** ﴾ في مجازاتهم عنها من خير وشر .

(٢٥٣) - تفسير الطبري (٤٩٤/١٤) رقم (١٧٢٥٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

يخبر تعالىٰ أنه عاوض [ ][١] عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة ، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه ، فإنه قَبِلَ العوض عما[٢] يملكه بما تفضل به علىٰ عباده المطيعين له ؛ ولهذا قال الحسن البصري وقتادة : بايعهم - والله - فأغلىٰ ثمنهم .

وقال شمر بن عطية : ما من مسلم إلا ولله عز وجل في عنقه بيعة ، وَفَّىٰ بها أو مات عليها ، ثم تلا هذه الآية ؛ ولهذا يقال : من حمل في سبيل الله بايع الله ، أي : قبل هذا العقد ووفَّىٰ به .

وقال محمد بن كعب القرظي وغيره : قال عبد الله بن رواحة ، رضي الله عنه ، لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يعني ليلة العقبة - : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، فقال : « **أشترط لربي أن تعبدوه[٣] ولا تشركوا به شيئًا ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم** » . قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : « **الجنة** » . قالوا : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ، فنزلت ﴿ **إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون** ﴾ أي : سواء قَتَلُوا [أو قُتِلُوا][٤] ، أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة ؛ ولهذا جاء في الصحيحين : « **وتكفل الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وتصديق برسلي[٥] - بأن توفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلىٰ مسكنه[٦] الذي خرج منه ، نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة** »(٢٥٤) .

---

(٢٥٤) - صحيح البخاري ،كتاب فرض الخمس رقم (٣١٢٣) ، وصحيح مسلم كتاب الإمارة رقم (١٨٧٦) .

---

[١] - في خ : من .
[٢] - في ز : « كما » .
[٣] - في ز : « تصدقوه » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « رسولي » .
[٦] - في ت : « منزله » .

وقوله : ﴿ **وعدًا عليه حقًا في التوراة والإنجيل والقرآن** ﴾ تأكيد لهذا[١] الوعد ، وإخبار بأنه قد كتبه علىٰ نفسه الكريمة ، وأنزله علىٰ رسله في كتبه الكبار ؛ وهي التوراة المنزلة علىٰ موسىٰ ، والإنجيل المنزل علىٰ عيسىٰ ، والقرآن المنزل علىٰ محمد ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقوله : ﴿ **ومن أوفىٰ بعهده من الله** ﴾ فإنه لا يخلف الميعاد ، وهذا[٢] كقوله تعالى : ﴿ **ومن أصدق من الله حديثًا** ﴾ ﴿**ومن أصدق من الله قيلًا** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ أي : فليستبشر من قام بمقتضىٰ هذا العقد ، ووَفَّىٰ بهذا العهد ، بالفوز العظيم والنعيم المقيم .

﴿ التَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٢)

هذا نعت المؤمنين الذين اشترىٰ الله منهم أنفسهم وأموالهم ، بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة ﴿ **التائبون** ﴾ من الذنوب كلها ، التاركون للفواحش ﴿ **العابدون** ﴾ أي : القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها ، وهي الأقوال[٣] والأفعال ، فمن أخص الأقوال : الحمد ، فلهذا قال : ﴿ **الحامدون** ﴾ ومن أفضل الأعمال : الصيام ، وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع ، وهو المراد بالسياحة هاهنا ؛ ولهذا قال : ﴿ **السائحون** ﴾ كما وصف أزواج النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ **سائحات** ﴾ أي : صائمات ، وكذا الركوع والسجود وهما عبارة عن الصلاة ؛ ولهذا قال : ﴿ **الراكعون الساجدون** ﴾ وهم مع ذلك ينفعون خلق الله ، ويرشدونهم إلىٰ طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه ، وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه ، علمًا وعملًا ، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ؛ ولهذا قال : ﴿ **وبشر المؤمنين** ﴾ ؛ لأن الإيمان يشمل هذا كله ، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به .

(بيان أن المراد بالسياحة الصيام)

قال سفيان الثوري عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود قال : ﴿ **السائحون** ﴾

---

[١] - في ز ، خ : « هذا » .
[٢] - في ت : « هذا » .
[٣] - في خ : « بالأقوال » .

الصائمون . وكذا رُوِي عن سعيد بن جبير ، والعوفي عن ابن عباس .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : كل ما ذكر الله في القرآن السياحة هم الصائمون . وكذا قال الضحاك رحمه الله .

وقال ابن جرير(٢٥٥) : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : سياحة هذه الأمة الصيام .

وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وأبو[١] عبد الرحمن السلمي ، والضحاك ابن مزاحم ، وسفيان بن عيينة ، وغيرهم : إن المراد بالسائحين الصائمون .

وقال الحسن البصري : ﴿ **السائحون** ﴾ : الصائمون شهر رمضان .

وقال أبو عمرو العبدي : ﴿ **السائحون** ﴾ : الذين يديمون الصيام من المؤمنين .

وقد ورد في حديث مرفوع نحو هذا . فقال[٢] ابن جرير(٢٥٦) : حدثني محمد بن عبد الله ابن بزيع ، حدثنا حكيم بن حزام ، حدثنا سليمان ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **السائحون هم الصائمون** » . وهذا الموقوف أصح .

وقال أيضًا (٢٥٧) : حدثني يونس ، عن ابن وهب ، عن عمر بن الحارث ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير قال : سئل النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عن السائحين فقال : « **هم الصائمون** » .

وهذا مرسل جيّد ، فهذا[٣] أصحّ الأقوال وأشهرها ، وجاء ما يدل علىٰ أن السياحة الجهاد ، وهو ما روىٰ أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة ؛ أن رجلًا قال : يا رسول الله ، ائذن لي في السياحة ؛ فقال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله** »(٢٥٨) .

---

(٢٥٥) - تفسير الطبري (١٤/٥٠٥) رقم (١٧٣١٣) .

(٢٥٦) - تفسير الطبري (١٤/٥٠٣) رقم (١٧٢٨٧) .

(٢٥٧) - تفسير الطبري (١٤/٥٠٢) رقم (١٧٢٨٦) .

(٢٥٨) - سنن أبي داود ، كتاب الجهاد رقم (٢٤٨٦) ، وفي إسناده القاسم بن عبد الرحمن قال المنذري=

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في خ : « وقال » . [٣] - في خ : « وهذا » .

وقال ابن المبارك ، عن ابن لهيعة : أخبرني عمارة بن غزية ؛ أن السياحة ذكرت عند رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله ، والتكبير علىٰ كل شَرَفٍ** »(٢٥٩) .

وعن عكرمة أنه قال : هم طلبة العلم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هم المهاجرون . رواهما ابن أبي حاتم .

وليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض ، والتفرد في شواهق الجبال والكهوف والبراري ، فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن والزلازل في الدين ، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يوشك أن يكون خير مال الرجل غَنَم يتبع بها شعف[١] الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن** »(٢٦٠) .

وقال العوفي ، وعلي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **والحافظون لحدود الله** ﴾ قال : القائمون بطاعة الله ؛ وكذا قال الحسن البصري ، وعنه رواية ﴿ **الحافظون لحدود الله** ﴾ قال : لفرائض الله . وفي رواية : القائمون علىٰ أمر الله .

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل عليه النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : « **أي عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل** » . فقال أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ،

= : تكلم فيه غير واحد . والعلاء بن الحارث : صدوق رمي بالقدر وقد اختلط .

(٢٥٩) - هذا منقطع ، فإن عمارة بن غزية لم يدرك أحدًا من الصحابة .

(٢٦٠) - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان رقم (١٩) .

[١] - جمع شَعَفَة ، وهي من كل شيء أعلاه .

أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ [قال : فلم يزالا يكلّمانه حتىٰ قال آخر شيء كلمهم به : أنا علىٰ ملة عبد المطلب][١] . فقال النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » . فنزلت ﴿ **ما كان للنَّبِيِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربىٰ**[٢] **من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ قال : ونزلت فيه ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللّٰه يهدي من يشاء** ﴾ . أخرجاه(٢٦١) .

وقال الإمام أحمد (٢٦٢) : حدثنا يحيىٰ بن آدم ، أخبرنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الخليل ، عن علي ، رضي اللّٰه عنه ، قال : سمعت رجلًا يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت : أيستغفر الرجل لأبويه وهما مشركان ؟! فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟! . فذكرت ذلك للنبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فنزلت : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ . [إلى قوله : ﴿ **فلما تبين له أنه عدو لله** ﴾][٣] الآية[٤] . قال : لما مات . فلا أدري قاله سفيان أو قاله إسرائيل ، أو هو في الحديث : « **لما مات** » .

(قلت) : هذا ثابت عن مجاهد أنه قال : لما مات .

وقال الإمام أحمد(٢٦٣) : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا زهير ، حدثنا زبيد بن الحارث اليامي ، عن محارب بن دثار ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : كنا مع النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، [ونحن في سفر][٥] ، فنزل بنا ونحن [معه][٦] قريب من ألف راكب فصلّىٰ ركعتين ، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان ، فقام إليه عمر بن الخطاب ، وفداه بالأب والأم وقال : يا رسول اللّٰه ؛ ما لَكَ ؟ ! قال : « **إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار**[٧] **لأمي فلم يأذن لي ، فدمعت عيناي رحمة لها من النار ، وإني كنت نهيتكم عن ثلاث :**

---

(٢٦١) - المسند (٤٣٣/٥) (٢٣٧٨٠) وأخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب : إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله (٢٦٣/٣/رقم : ١٣٦٠) . وأطرافه (٣٨٨٤) ، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢، ٦٦٨١) . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : الدليل على صحة إسلام من حضرة الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة (١/ ٥٤/رقم : ٢٤) . والنسائي في كتاب الجنائز ، باب : النهى عن الاستغفار للمشركين (٩٠/٤، ٩١/رقم : ٢٠٣٥) .

(٢٦٢) - المسند (٩٩/١) .

(٢٦٣) - المسند (٣٥٥/٥) رقم (٢٣١٠٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٧] - في ز ، خ : « استغفار » .

نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ؛ لتذكركم زيارتها خيرًا ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم ، ونهيتكم عن الأشربة في الأوعية فاشربوا في أي وعاء شئتم ، ولا تشربوا مسكرًا » .

وروىٰ ابن جرير(٢٦٤) من حديث علقمة بن مرثد ، عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه : أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لما قدم مكة أتىٰ رسم قبر فجلس إليه فجعل يخاطب ، ثم قام مستعبرًا ، فقلنا : يا رسول اللّٰه ، إنا رأينا ما صنعت ! قال : « **إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي** » . فما رُئيَ باكيًا أكثر من يومئذ .

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٥) : حدثنا أبي ، حدثنا خالد بن خداش ، حدثنا عبد اللّٰه بن وهب ، عن ابن جريج ، عن أيوب بن هانئ عن مسروق ، عن عبد اللّٰه بن مسعود قال : خرج رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يومًا إلىٰ المقابر فاتبعناه ، فجاء حتىٰ جلس إلىٰ قبر منها فناجاه طويلًا ، ثم بكىٰ فبكينا لبكائه[١] ، ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب فدعاه ، ثم دعانا فقال : « **ما أبكاكم ؟** » فقلنا : بكينا لبكائك ؟ قال : « **إن القبر الذي جلست عنده قبر آمنة ، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي** » .

[ثم أورده من وجه آخر ، ثم ذكر من حديث ابن مسعود قريبًا منه ، وفيه][٢] : « **وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي وأنزل عليَّ ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ﴾** الآية . **فأخذني ما يأخذ الولد للوالد[٣] ، وكنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ؛ فإنها تذكر الآخرة** » .

(حديث آخر في معناه) قال الطبراني : حدثنا محمد بن علي المروزي ، حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب[٤] ، حدثنا إسحاق بن عبد اللّٰه بن كيسان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر ، فلما هبط من ثنية عسفان أمر أصحابه : « **أن[٥] استندوا[٦] إلىٰ العقبة حتىٰ أرجع**

---

(٢٦٤) - تفسير الطبري (٥١٢/١٤) رقم (١٧٣٣٠) ورواه البيهقي في دلائل النبوة (١٨٩/١) من طريق سفيان عن علقمة بن مرثد به نحوه .

(٢٦٥) - ورواه الحاكم في المستدرك من طريق بحر ابن نصر عن ابن وهب به نحوه (٣٣٦/٢) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (١٨٩/١) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « الوالد » .

[٤] - في ز : « مثبت » ، خ : « ثبت » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « استسندوا » .

إليكم » . فذهب فنزل علىٰ قبر أمه ، فناجىٰ ربه طويلًا ، ثم إنه بكىٰ فاشتد بكاؤه ، وبكىٰ هؤلاء لبكائه ، وقالوا : ما بكىٰ نبي اللّٰه بهذا المكان إلا وقد أحدث في أمته شيء لا تطيقه ، فلما بكىٰ هؤلاء قام فرجع إليهم ، فقال : « **ما يبكيكم ؟** » قالوا : يا نبي اللّٰه ، بكينا لبكائك ؛ قلنا[١] لعله أحدث في أمتك شيء لا تطيقه ، قال : « **لا ، وقد كان بعضه ، ولكن نزلت علىٰ قبر أمي فدعوت[٢] اللّٰه أن يأذن لي في شفاعتها[٣] يوم القيامة فأبى اللّٰه أن يأذن لي ، فرحمتها وهي أمي فبكيت ، ثم جاءني جبريل فقال : ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو للّٰه تبرأ منه ﴾ فتبرأ أنت من أمك ، كما تبرأ إبراهيم من أبيه ، فرحمتها وهي أمي ، ودعوت ربي أن يرفع عن أمتي أربعًا ، فرفع عنهم اثنتين ، وأبىٰ أن يرفع عنهم اثنتين : دعوت ربي أن يرفع عنهم الرجم من السماء ، والغرق من الأرض ، وأن لا يلبسهم شيعًا ، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع اللّٰه عنهم الرجم من السماء ، والغرق من الأرض ، وأبىٰ اللّٰه أن يرفع عنهم القتل والهرج** » . وإنما عدل إلىٰ قبر أمه ؛ لأنها كانت مدفونة تحت كداء ، وكانت عسفان لهم(٢٦٦) .

وهذا حديث غريب ، وسياق عجيب ، وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب « السابق واللاحق » بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة : أن اللّٰه أحيا أمَّهُ فآمنت ثم عادت . وكذلك ما رواه السهيلي في الروض(٢٦٧) بسند فيه جماعة مجهولون ؛ أن اللّٰه أحيا له أباه وأمه فآمنا به .

وقد قال الحافظ ابن دحية : [هذا حديث موضوع يرده القرآن والإجماع قال تعالى : **﴿ ولا الذين يموتون وهم كفار ﴾** .

وقال القرطبي(٢٦٨) : إن مقتضى هذا الحديث ... وردَّ على ابن دحية][٤] في هذا الاستدلال بما حاصله : أن هذه حياة جديدة ، كما رجعت الشمس بعد غيبوبتها فصلىٰ عليٌّ العصر .

---

(٢٦٦) - المعجم الكبير (٣٧٤/١١) .

(٢٦٧) - الروض الأنف (١١٣/١) .

(٢٦٨) - ساقه القرطبي في « التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ١٦) وقال : خرجه أبو بكر أحمد بن علي الخطيب في كتاب السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين في الناسخ والمنسوخ ، =

---

[١] - في خ : « فقلنا » .

[٢] - في خ : « فسألت » . [٣] - في خ : « شفاعتهما » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

قال الطحاوي : وهو حديث ثابت . يعني : حديث الشمس .

قال القرطبي (٢٦٩) : فليس إحياؤهما يمتنع عقلًا ولا شرعًا . قال : وقد سمعت أن اللَّه أحيا عمه أبا طالب فآمن به .

(قلت) : وهذا كله متوقف علىٰ صحة الحديث ، فإذا صح فلا مانع منه ، واللَّه أعلم .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ . الآية : إن[١] النبي[٢] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أراد أن يستغفر لأمه فنهاه اللَّه عز وجل عن ذلك ، فقال : « **فإن[٣] إبراهيم خليل اللَّه [صلىٰ اللَّه عليه وسلم] قد استغفر لأبيه** » . فأنزل اللَّه : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مَوْعِدَةٍ وعدها إياه** ﴾ الآية .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية : كانوا يستغفرون لهم حتىٰ نزلت هذه الآية ، فلما [نزلت أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتىٰ يموتوا][٤] ، ثم[٥] أنزل اللَّه : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه ...** ﴾ الآية .

وقال قتادة في هذه[٦] الآية : ذكر لنا أن رجالًا من أصحاب النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، قالوا : يا نبي اللَّه ، إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويفك العاني ، ويوفي بالذمم ، أفلا نستغفر لهم ؟ ! قال : فقال النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **بلىٰ ، واللَّه إني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه** » . فأنزل اللَّه : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ حتىٰ بلغ قوله[٧] : ﴿ **الجحيم** ﴾ ، ثم عذر اللَّه تعالىٰ إبراهيم عليه السلام فقال : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه** ﴾ . قال : وذكر لنا أن نبي اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وآله

= ولا يصح الحديث . لمخالفته ما في صحيح مسلم برقم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة قال : زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله . فقال : « استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت » ولضعف إسناده .

(٢٦٩) - التذكرة (ص ١٧)

---

[١] - في ز ، خ : « فإن » .

[٢] - في خ : « رسول الله » .

[٣] - في ت : « إن » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز : « فلما » ، وسقط من : خ .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

وسلم ، قال : « [أوحي إليَّ][١] كلمات ، فدخلن في أذني ووقرن في قلبي : **أمرت أن لا أستغفر لمن مات مشركًا ، ومن أعطىٰ فضل ماله فهو خير له ، ومن أمسك فهو شر له ، ولا يلوم اللَّه علىٰ كفاف** » .

وقال الثوري ، عن الشيباني ، عن سعيد بن جبير ، قال : مات رجل يهودي وله ابن مسلم فلم يخرج معه ، فذكر ذلك لابن عباس ؛ فقال[٢] : فكان ينبغي له أن يمشي معه ويدفنه ، ويدعو له بالصلاح ما دام حيًا ، فإذا مات وكله إلىٰ شأنه ، ثم قال : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلماتبين له أنه عدو لله تبرأ منه** ﴾ : لم يَدْعُ .

وهذا يشهد له بالصحة[٣] ما رواه أبو داود وغيره : عن علي بن أبي طالب ، رضي اللَّه عنه ، قال : لما مات أبو طالب قلت : يا رسول اللَّه ، إن عمك الشيخ الضال [قد مات][٤] . قال : « **اذهب فواره ولا[٥] تحدثن شيئًا[٦] حتىٰ تأتيني** ... » وذكر[٧] تمام الحديث(٢٧٠) .

ويُرْوَىٰ [أن رسول الله][٨] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لما مرت به جنازة عمه أبي طالب قال : « **وصلتك رحم يا عم** »(٢٧١) .

وقال عطاء بن أبي رباح : ما كنت لأدع الصلاة علىٰ أحد من أهل القبلة ، ولو كانت حبشية حُبلىٰ من الزنا ؛ لأني لم أسمع اللَّه حجب الصلاة إلا عن المشركين ، يقول اللَّه عز وجل : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ الآية .

---

(٢٧٠) - سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب : الرجل يموت له قرابة مشرك رقم (٣٢١٤) . ورواه النسائي في الجنائز (٢٠٠٦) .

(٢٧١) - ورواه ابن عدي في الكامل (١/٢٦٠) من طريق الفضل بن موسى ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن - وهو ضعيف - عن ابن جريج عن عطاء ، عن ابن عباس مرفوعًا ولفظه : « وصلت رحم وجزيت خيرًا يا عم » . وإبراهيم بن عبد الرحمن قال ابن عدي : « أحاديثه عن كل من روى ليست بمستقيمة » ثم قال : « وعامة أحاديثه غير محفوظة » .

---

[١] - ما بين المعكوفين في خ : قد أوحى الله إلي .

[٢] - في ز : « قال » .

[٣] - غير واضحة في ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « لا » .

[٧] - سقط من : ت .

[٨] - في خ : « فذكر » .

[٩] - في خ : « أنه » .

وروى ابن جرير(٢٧٢) عن ابن وكيع ، عن أبيه ، عن عصمة بن زامل[١] ، عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم الله رجلًا استغفر لأبي هريرة ولأمه . قلت : ولأبيه . قال : لا . قال : إن أبي مات مشركًا .

وقوله : ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ قال ابن عباس : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه . وفي رواية : لما[٢] مات تبين له أنه عدو لله .

وكذا قال مجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وغيرهم رحمهم الله .

وقال [عبيد بن عمير] ، وسعيد بن جبير : إنه يتبرأ منه [في][٣] يوم القيامة ، حين يلقى أباه وعلى وجه أبيه [الغبرة والقترة][٤] ، فيقول : يا إبراهيم ، إني كنت أعصيك ، وإني اليوم لا أعصيك . فيقول : أي رب ، ألم تعدني أن لا تخزني[٥] يوم يبعثون ؟ فأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ ! فيقال : انظر إلى ما وراءك ، فإذا هو بذِيخ[٦] [٧] متلطِّخ ، أي : قد مسخ ضبعًا ، ثم[٨] يسحب[٩] بقوائمه ويلقى في النار .

وقوله : ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ قال سفيان الثوري وغير واحد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن زر[١٠] بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال : الأواه : الدعَّاء . وكذا رُوِيَ من غير وجه عن ابن مسعود .

وقال ابن جرير (٢٧٣) : حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج بن منهال ، حدثني عبد الحميد بن بهرام ، حدثنا شهر بن حوشب ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ؛ قال : بينما [رسول الله][١١] ، صلى الله عليه وسلم ، جالس ، قال رجل : يا رسول الله ، ما الأوّاه ؟ قال : «المتضرع » . قال : ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ .

---

(٢٧٢) - تفسير الطبري (١٤/٥١٧) رقم (١٧٣٣٩) .

(٢٧٣) - تفسير الطبري (١٤/٥٣١) رقم (١٧٤١٦) .

---

[١] - في ز ، خ : « رامل » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في : « القترة والغبرة » .

[٥] - في ت : « تخزني » .

[٦] - في ز ، خ : « بذبح » .

[٧] - الذِّيخ : ذَكَر الضباع ، والأنثى ذيخة .

[٨] - في ز : « نايم » .

[٩] - في حاشية ز : « يشخب » .

[١٠] - في خ : « زيد » .

[١١] - في خ : « النبي » .

ورواه[١] ابن أبي حاتم من حديث ابن المبارك ، عن عبد الحميد بن بهرام ، به . ولفظه[٢] : قال : « **الأواه[٣] : المتضرع الدعاء** » .

وقال الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن [أبي العُبَيْدَيْنِ][٤] أنه سأل ابن مسعود عن الأواه فقال : هو الرحيم .

وبه قال مجاهد ، وأبو[٥] ميسرة عمرو[٦] بن شرحبيل ، والحسن البصري ، وقتادة : إنَّه الرحيم ، أي : بعباد الله .

وقال ابن المبارك ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : **الأوّاه** : الموقن ، بلسان الحبشة . وكذا قال العوفي عن ابن عباس : إنه الموقن ، وكذا قال مجاهد ، والضحاك ، وقال علي بن أبي طلحة ومجاهد ، عن ابن عباس : **الأوّاه** : المؤمن . زاد علي بن أبي طلحة عنه : [ ][٧] المؤمن التواب . وقال العوفي عنه : هو المؤمن ، بلسان الحبشة . وكذا قال ابن جريج : هو المؤمن ، بلسان الحبشة .

وقال الإمام أحمد(٢٧٤) : حدثنا موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد[٨] ، عن علي بن رباح ، عن عقبة بن عامر أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لرجل يقال له : ذو البجادين[٩] : « **إنه أوّاه** » وذلك أنه رجل [كثير الذكر لله][١٠] في القرآن ويرفع[١١] صوته في الدعاء[١٢] . ورواه ابن جرير .

وقال سعيد بن جبير والشعبي : **الأوّاه** : المسبح . وقال ابن وهب ، عن معاوية بن

---

(٢٧٤) - المسند (١٥٩/٤) (١٧٥٠١) وتفسير الطبري (٥٣٣/١٤) رقم (١٧٤١٨) وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٩٥/١٧) حديث (٨١٣) . وذكره الهيثمي في المجمع (٣٧٢/٩) وقال : رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن .

---

[١] - في ز ، خ : « وروى » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « أبي القدير » ، في خ : « أبي الغدير » .
[٥] - في ز : « أبي » .
[٦] - في خ : « عمر » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « هو » .
[٨] - في ز ، خ : « مرثد » .
[٩] - في ز : « النجادين » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « كثيرًا لذكر الله » ، ت : « كان إذا ذكر الله » .
[١١] - في ت : « رفع » .
[١٢] - في خ : « بالدعاء » .

صالح ، عن أبي الزاهرية[١] ، [ ][٢] عن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء ، رضي اللّه عنه ، قال : [لا يحافظ] علىٰ سبحة[٣] الضحىٰ [إلّا أوّاه] .

وقال شُفَيّ[٤] بن ماتع[٥] ، عن أبي أيوب : الأواه الذي إذا ذكر خطاياه استغفر منها .

وعن مجاهد : الأوّاه : الحفيظ الوجل ، يذنب الذنب سرًّا ثم يتوب منه سرًّا .

ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم رحمه اللّه .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا المحاربي ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن الحسن بن مسلم بن يَنّاقٍ[٦] : أن رجلًا كان يكثر ذكر اللّه ويسبح ، فذكر ذلك للنبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فقال : « **إنه أوّاه** » (٢٧٥) .

وقال أيضًا : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن هانئ(*) ، حدثنا المنهال بن خليفة ، عن حجاج بن أرطاة ، عن عطاء ، عن ابن عباس أن النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، دفن ميتًا فقال : « **رحمك اللّه ، إن كنت لأواهًا** » . يعني : تلاء للقرآن (٢٧٦) .

وقال شعبة عن أبي يونس الباهلي قال : سمعت رجلًا بمكة - وكان أصله روميًا ، وكان قاصًا - يحدث عن أبي ذر قال : كان رجلٌ يطوف بالبيت الحرام ، ويقول في دعائه : أوّه أوّه . فذكر ذلك للنبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فقال : « **إنه أوّاه** » . قال : فخرجت ذات ليلة فإذا رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يدفن ذلك الرجل ليلًا ومعه المصباح .

هذا حديث غريب(٢٧٧) ، رواه ابن جرير ومشاه[٧] .

وروي عن كعب الأحبار أنه قال : سمعت ﴿ **إن إبراهيم لأوّاه** ﴾ قال : كان إذا ذكر النار قال : أوه من النار .

---

(٢٧٥) - تفسير الطبري (٥٢٩/١٤) رقم (١٧٧٠٧) .

(٢٧٦) - تفسير الطبري (٥٣٠/١٤) رقم (١٧١١٠) .

(٢٧٧) - تفسير الطبري (٥٣٠/١٤) رقم (١٧٤١١) . ورواه الحاكم في المستدرك (٣٦٨/١) من طريق شعبة به ، وقال : « إسناده معضل » .

---

[١] - في ز : « الزاهر » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « به » .

[٣] - في ز : « مسبحة » .

[٤] - في ز : « سقى » .

[٥] - في ز ، خ : « مانع » .

[٦] - في ز ، خ : « بيان » .

(*) عند ابن جرير : ابن يمان .

[٧] - سقط من : ت .

وقال[١] ابن جريج عن ابن عباس ﴿ إن إبراهيم لأواه ﴾ قال : فقيه .

قال : الإمام العَلَم أبو جعفر بن جرير (٢٧٨) : وأولى الأقوال قول من قال : إنه الدَّعَّاء ، وهو المناسب للسياق ، وذلك أن الله تعالىٰ لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إيّاه ، وقد كان إبراهيم كثيرَ الدعاء ، حليمًا عمن ظلمه وأناله مكروهًا ؛ ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه له في قوله : ﴿ **أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليًا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنَّه كان بي حفيًا** ﴾ فحلم عنه مع أذاه له ، ودعا له واستغفر ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ .

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نفسه الكريمة وحكمه[٢] العادل : إنه لا يضل قومًا [إلا] بعد بلاغ الرسالة [إليهم][٣] ، حتىٰ يكونوا قد قامت عليهم الحجة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾ الآية .

وقال مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **وما كان الله ليضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾ . قال : بيان الله عز وجل للمؤمنين[٤] في ترك[٥] الاستغفار للمشركين خاصة ، وفي بيانه [لهم في][٦] [طاعته ومعصيته] عامة ، فافعلوا أو ذروا .

وقال ابن جرير : يقول الله تعالىٰ : وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال ، بعد إذ رزقكم الهداية ، ووفقكم للإيمان به وبرسوله ، حتىٰ يتقدم إليكم بالنهي عنه فتتركوا ، فأمّا قبل أن يبين لكم كراهته ذلك بالنهي عنه ، [ثم تتعدوا][٧] نهيه إلىٰ ما نهاكم عنه ؛ فإنه لا يحكم عليكم بالضلال ؛ فإن الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهي ، فأما[٨] من لم يؤمر ، ولم ينه فغير كائن [ ] مطيعًا [كان][٩] أو عاصيًا

(٢٧٨) - تفسير الطبري (١٤/٥٣٢) .

[١] - في خ : « قال » .
[٢] - في خ : « وحلمه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ت : « فلم تضيعوا » .
[٨] - في خ : « أما » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

فيما[١] لم يؤمر به ولم ينه عنه[٢] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن اللّٰه له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون اللّٰه من ولي ولا نصير** ﴾ قال ابن جرير : هذا تحريض من اللّٰه تعالىٰ لعباده المؤمنين في قتال المشركين وملوك الكفر ، أن[٣] يثقوا بنصر اللّٰه[٤] مالك السموات والأرض ، ولا يرهبوا من أعدائه ، فإنه لا ولي لهم من دون اللّٰه ، ولا نصير لهم سواه .

وقال ابن أبي حاتم(٢٧٩) : حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن صفوان بن محرز ، عن حكيم بن حزام قال : بينا رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بين أصحابه إذ قال لهم : « **هل تسمعون ما أسمع ؟** » قالوا : ما نسمع من شيء . فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إني لأسمع أطِيط[٥] السماء ، وما تلام أن تئط ، وما فيها من موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم** » .

وقال كعب الأحبار : ما من موضع خرمة إبرة من الأرض ، إلا وملك موكل بها ، يرفع علم ذلك إلىٰ اللّٰه ، وإن ملائكة السماء لأكثر من عدد التراب ، وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلىٰ مخه مسيرة مائة عام .

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

قال مجاهد وغير واحد : نزلت هذه الآية في غزوة تبوك ، وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر ، في سنة مجدبة وحر شديد ، وعسر من الزاد والماء .

قال قتادة : خرجوا إلىٰ الشام عام تبوك في لهبان الحر ، علىٰ ما يعلم اللّٰه من الجهد ،

(٢٧٩) – ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣/٢٠١) وأبو نعيم في الحلية (٢/٢١٧) من طريق عبد الوهاب ابن عطاء به نحوه ، وقال أبو نعيم : « هذا حديث غريب من حديث صفوان بن محرز عن حكيم تفرد به عن قتادة سعيد بن أبي عروبة » .

[١] – في ز : « فما » .
[٢] – سقط من : ز .
[٣] – في خ : « أنهم » .
[٤] – سقط من : ز .
[٥] – الأطيط : تصويت الظهر من ثقل الحِمْل ، وأطيط الإبل : أنينها إذا تعبت من ثقل الحمل .

أصابهم فيها جهد شديد ، حتىٰ لقد ذكر لنا : أن الرجلين[١] كانا يشقان التمرة بينهما ، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم ، يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ، ثم يمصها هذا ، و[٢] يشرب عليها ، فتاب اللّٰه عليهم وأقفلهم من غزوتهم .

وقال ابن جرير (٢٨٠) : حدثني يونس بن عبد الأعلىٰ ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن عتبة بن أبي عتبة ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عبد اللّٰه بن عباس : أنه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة ، فقال عمر بن الخطاب : خرجنا مع رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلىٰ تبوك في قيظ[٣] شديد ، فنزلنا منزلًا فأصابنا فيه عطش ، حتىٰ ظننا أن رقابنا ستنقطع ، [حتىٰ إن][٤] كان[٥] الرجل[٦] [ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتىٰ يظن أن رقبته ستنقطع][٧] ، [وحتىٰ إن الرجل][٨] لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل ما بقي علىٰ كبده ، فقال[٩] أبو بكر الصديق : يا رسول اللّٰه ، إن اللّٰه -عز وجل- قد عودك في الدعاء خيرًا فادع لنا . فقال[١٠] : « **تحب ذلك ؟** » قال : نعم . فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأهطلت[١١] ، ثم سكبت فملئوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .

وقال ابن جرير في قوله : ﴿ **لقد تاب اللّٰه علىٰ النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة** ﴾ أي : من النفقة والظهر والزاد والماء ﴿ **من بعد ما كاد يزيغ[١٢] قلوب فريق منهم** ﴾ أي : عن الحق ، ويشك في دين [رسول الله][١٣] ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ويرتاب بالذي[١٤] نالهم من المشقة والشدة في [سفره وغزوه][١٥] ﴿ **ثم تاب عليهم** ﴾ يقول : ثم رزقهم الإنابة إلىٰ ربهم ، والرجوع إلىٰ الثبات علىٰ دينه ﴿ **إنه بهم رءوف**

(٢٨٠) - تفسير الطبري (٥٤١/١٤) رقم (١٧٤٢٩) ورواه ابن حبان في صحيحه برقم (١٧٠٧) « موارد » والحاكم في المستدرك (١٥٩/١) من طريق حرملة بن يحيى ، ورواه البزار في مسنده كما في « كشف الأستار » (١٨٤١) من طريق أصبغ بن الفرج - كلاهما عن ابن وهب به ، نحوه . وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . قال المصنف في السيرة (١٦/٤) : « إسناده جيد ، ولم يخرجوه من هذا الوجه » .

[١] - في ز : « رجلين » .
[٢] - في ت : ثم .
[٣] - في ز : « قبض » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - في خ : « قال » .
[١٠] - في ز : « قال » .
[١١] - في الطبري : فأظلت .
[١٢] - في ز : « تزيغ » .
[١٣] - في خ : « الرسول » .
[١٤] - في خ : « للذي » .
[١٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « سفرهم وغزوهم » .

رحيم ﴾ .

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) ﴾

قال الإمام أحمد(٢٨١) : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن أخي الزهري محمد بن عبد اللَّه ، عن عمه محمد بن مسلم الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن كعب ابن مالك ، أن [عبد اللَّه][١] بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيه[٢] حين عَمِيَ - قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في غزوة[٣] تبوك ، فقال كعب بن مالك : لم أتخلف عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في غزاة غزاها قط إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلفت في غزاة بدر ، ولم يعاتب أحد تخلف عنها ، إنما[٤] خرج رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يريد عير(١) قريش ، حتىٰ جمع اللَّه بينهم وبين عدوهم علىٰ غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم ، ليلة العقبة حين توافقنا[٥] علىٰ الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر ، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في غزوة تبوك : أني لم أكن قط أقوىٰ ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، واللَّه ما جمعت قبلها راحلتين قط حتىٰ جمعتهما في تلك الغزاة ، وكان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قلما يريد غزوة يغزوها

---

(٢٨١) - المسند (٣/٤٥٦-٤٥٩) (١٥٨٣١) وقصة تخلف كعب بن مالك رواه البخاري حديث ٢٧٥٧ وأطرافه ٢٩٤٧، ٢٩٤٨، ٢٩٤٩، ٢٩٥٠، ٣٠٨٨، ٣٥٥٦، ٣٨٨٩، ٣٩٥١، ٤٤١٨، ٤٦٧٣، ٤٦٧٦، ٤٦٧٧، ٤٦٧٨، ٦٢٥٥، ٦٦٩٠، ٧٢٢٥ مطولاً ومختصرًا . ومسلم (١٧ / ١٣٦ : ١٥٠) . حديث ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ - (٢٧٦٩) بشرح النووي . والطبراني في الكبير (١٩ / ٢٢ : ٥٩) حديث (٩١ : ١٠٣) .

(١) - عِيرَ : العِيرُ : الإبلُ بأحمالها ، فِعْلٌ من عار يعير إذا سار . نهاية [٣/٣٢٩] .

---

[١] - في ز ، خ : « عبيد الله » .

[٢] - في ز : « بيته » .

[٣] - في ز : « غزاة » .

[٤] - في خ : « وإنما » .

[٥] - في خ : « تواثقنا » .

[٦] - ورَّى عن الشيء : أراده وأظهر غيره .

إلا ورّىٰ[١] بغيرها ، حتىٰ كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في حر شديد ، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا(١) ، واستقبل[٢] عدوًا كثيرًا ، فَجَلَّىٰ[٣] للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم ، فأخبرهم وجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كثير لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان .

قال[٤] كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفىٰ له ، ما لم ينزل فيه وحي من الله -عز وجل- ، وغزا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، تلك الغزاة حين طابت الثمار والظل[٥] ، وأنا إليها أصعر[٦] (٢) -أميل[٧] - فتجهز إليها رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، والمؤمنون معه ، وطفقت[٨] أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض من جهازي شيئًا ، فأقول لنفسي : أنا قادر علىٰ ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمر[٩](٣) بالناس الجد ، فأصبح رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، غاديًا والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئًا ، وقلت : الجهاز[١٠] بعد يوم أو يومين ثم ألحقه ، فغدوت بعد ما فَصَلوا[١١](٤) لأتجهز ، فرجعت ولم أقض[١٢] [شيئًا][١٣] من جهازي [ ][١٤] ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئًا ، فلم يزل ذلك[١٥] يتمادىٰ بي حتىٰ أسرعوا وتفارط[١٦](٥) الغزو ، فهممت أن أرتحل فأدركهم[١٧] - وليت أني فعلت - ثم لم يقدر ذلك لي ، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج[١٨] رسول الله ، صلىٰ الله عليه

(١) مفازًا : المَفَاز والمَفَازة : البَرِّيَّة القَفْر . والجمع : المفاوز ، سُمِّيت بذلك لأنها مُهْلِكة ، من فَوَّز إذا مات . وقيل : سُمِّيت تفاؤلاً من الفَوْز : النَّجاة . نهاية [٣/٤٧٨] .

(٢) أَصْعَرُ ؛ أي : أَمْيَلُ . نهاية [٣/٣١] .

(٣) شَمَّر بالناس الجدُّ : أي .

(٤) فصلوا ؛ فَصَل القوم عن البلد : خرجوا ، وقد فَصَل يَفْصُل فُصولاً . المعجم الوسيط بتصرف [٢/ ٧١٧] .

(٥) تفارط الغَزْو أي : فات وقته وتقدم . نهاية [٣/٤٣٥] .

[١] - في ز : « استقبل » .
[٢] - في خ : « فخلّىٰ » .
[٣] - في ز : « فقال » .
[٤] - في ت : « والظلال » .
[٥] - في ز ، خ : « أصغر » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في خ : « فطفقت » .
[٨] - في . ، خ : «استمر » .
[٩] - في ت : « أتجهز » .
[١٠] - في ز ، خ : « صلوا » .
[١١] - في خ : « أقضي » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[١٣] - في ت : شيئًا .
[١٤] - سقط من : ، خ .
[١٥] - أي : فات وقته وتقدم .
[١٦] - في ت : « فألحقهم » .
[١٧] - سقط من : ز ، خ .

وسلم ، [فطفت فيهم][١] يحزنني أن[٢] لا أرىٰ إلا رجلًا مغموصًا(١) عليه في النفاق ، أو رجلًا ممن عذره الله عز وجل ، ولم يذكرني رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : « **ما فعل كعب ابن مالك ؟** » فقال رجل من بني سلمة : حبسه يا رسول الله برداه والنظر في عطفيه(٢) . فقال له معاذ بن جبل : بئسما قلت ! والله يا رسول الله ؛ ما علمنا عليه إلا خيرًا . فسكت رسول الله ﷺ .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد توجه قافلًا من تبوك حضرني بثي(٣) ، وطفقت أتفكر[٣] الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدًا ؟ أستعين علىٰ ذلك كل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قد أظل قادمًا زاح عني الباطل ، وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبدًا ، فأجمعت(٤) صدقه ، فأصبح[٤] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع[٥] ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا[٦] بضعة وثمانين رجلًا ، فقبل[٧] منهم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، علانيتهم ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلىٰ الله تعالىٰ ، حتىٰ[٨] جئت . فلما سلمت عليه تبسم تبسم المُغْضَب(٥) ، ثم قال لي : « **تعال** » . فجئت أمشي حتىٰ جلست بين[٩] يديه ، فقال لي : « **ما خلَّفك ، ألم تك[١٠] قد اشتريت ظهرك[١١] ؟** » . [قال][١٢] فقلت : يا رسول الله ، إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج

---

(١) مغموصًا عليه ؛ أي : مطعون في دينه ، متهم بالنفاق وقيل معناه : مُسْتَحْقَرًا . تقول : غمصت فلانا إذا استحقرته . نهاية [٣/٣٨٦] ، فتح الباري [٨/١١٨] .

(٢) عطفيه ؛ العِطْفُ بكسر العين المهملة وكنى بذلك عن حسنه وبهجته ، والعرب تصف الرداء بصفة الحسن وتسميه عِطْفًا ، لوقوعه على عطفي الرجل . فتح الباري بتصرف [٨/١١٨] .

(٣) بَثِّي أي : أشد الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه فيفشيه ويظهره . المعجم الوسيط بتصرف [١/٣٩] .

(٤) أَجْمَعْتُ أي : عزمت عليه ، يقال : أجمع أمره وعلى أمره ، وعزم عليه بمعنًى . شرح النووي على صحيح مسلم [١٧/١٤٠] .

(٥) المُغْضَب هو بفتح الضاد : الغضبان . شرح النووي على صحيح مسلم [١٧/١٤٠] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « أني » .
[٣] - في خ : « أتذكر » .
[٤] - في ز : « وصبح » .
[٥] - في خ : « فصلى » .
[٦] - في ز : « وكان » .
[٧] - في ت : « فيقبل » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - في خ : « تكن » .
[١١] - في خ : « ظهرًا » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

من سخطه بعذر ؛ لقد أعطيت جدلاً(١) ، ولكنه[١] والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم بحديث[٢] كذب ترضىٰ به عني - ليوشكن الله أن[٣] يسخطك عليَّ ، ولئن حدثتك بصدق تجد عليَّ فيه ، إني لأرجو أقرب عقبىٰ ذلك[٤] من الله عز وجل ، والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . قال : فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **أما هذا فقد صدق ، فقم حتىٰ يقضي الله فيك** » . فقمت وبادرني رجال من بني سلمة واتبعوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبًا قبل هذا ، ولقد عجزت ألّا تكون اعتذرت إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بما اعتذر به المتخلفون ، فقد كان كافيك [من ذنبك][٥] استغفارُ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لك[٦] . قال : فوالله ما زالوا يؤنبوني[٧] حتىٰ أردت أن أرجع فأكذب نفسي . قال : ثم قلت لهم : هل لقي [هذا معي][٨] أحد ؟ قالوا : نعم ، [لقيه معك][٩] رجلان قالا مثل[١٠] ما قلت ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت[١١] : فمن هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع[١٢] العامري ، وهلال بن أمية الواقفي : فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا ، لي فيهما أسوة . قال : فمضيت حين ذكروهما لي .

فقال : ونهىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، المسلمين عن كلامنا أيّها الثلاثة(٢) من بين من تخلف عنه[١٣] ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا ، حتىٰ تنكرت لي في نفسي الأرضُ ، فما هي بالأرض التي كنت أعرف ، فلبثنا علىٰ ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم ، فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم ، وأقول في نفسي : أَحَرَّكَ[١٤] شفتيه برد السلام

---

(١) جدلاً ، أي : فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إليَّ بما يُقْبَل ولا يُرد . فتح الباري [١١٩/٨] .

(٢) أيها الثلاثة : قال القاضي : هو بالرفع ، وموضعه نصب على الاختصاص . قال سيبويه نقلاً عن العرب : اللهم اغفر لنا أيتها المصيبة . شرح النووي على صحيح مسلم [١٤٢/١٧] .

---

[١] - في خ : « لكني » .
[٢] - في ز : « حديث » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - في خ : « قالوا » .
[٧] - في ز : « يؤانبوني » .
[٨] - في خ : « معي هذا » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١١] - في ز : « قلت » .
[١٢] - في ز : « ربيع » .
[١٣] - سقط من : ز .
[١٤] - في ز : « حَرَّكَ » .

عليَّ[١] أم لا ؟ ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت علىٰ صلاتي نظر إليَّ ، فإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال عليَّ ذلك من هجر المسلمين ، مشيت حتىٰ تسورت [ ][٢] حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ - فسلمت عليه ، فوالله ما رد عليَّ السلام ، فقلت له : يا أبا قتادة ، أنشدك الله[٣] هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت ، قال : فعدت له[٤] فنشدته [فسكت ، فعدت له فنشدته فسكت][٥] ، فقال : الله ورسوله أعلم . قال ففاضت عيناي ، وتوليت حتىٰ تسورت الجدار .

فبينا[٦] أنا أمشي بسوق المدينة ، إذا [أنا بنبطي][٧] من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل علىٰ كعب بن مالك . قال : فطفق الناس يشيرون له إليَّ حتىٰ جاء ، فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسان ، وكنت كاتبًا ، فإذا فيه : أما بعد ، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، [ولم يجعلك الله بدار][٨] هوان ولا مضيعة(١) ، فالحق بنا نواسك . قال : فقلت حين قرأتها[٩] : وهذا أيضًا من البلاء . قال : فتيممت بها[١٠] التنور فسجرته بها[١١](٢) .

حتىٰ إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا برسول رسول[١٢] الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يأتيني [فقال : إن][١٣] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يأمرك[١٤] أن تعتزل امرأتك . قال : فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ فقال : بل اعتزلها ولا تقربها . قال : وأرسل إلىٰ صاحبي بمثل ذلك . قال : فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك ، فكوني عندهم حتىٰ يقضي الله في هذا الأمر [ما يشاء][١٥] . قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ، صلىٰ

---

(١) مضيعة المضيعة فيها لغتان ؛ إحداهما : كسر الضاد وإسكان الياء . والثانية: بإسكان الضاد وفتح الياء أي : في موضع وحال يضاع فيه حقك . شرح النووي على صحيح مسلم [١٤٤/١٧] .

(٢) فسجرته بها أحرقته . المرجع السابق . شرح مسلم للنووي [١٤٤/١٧] .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : علوت .
[٣] - في ز : « بالله » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : « وبينا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « نبطي » .
[٨] - في ت : « وإن الله لم يجعلك في دار » .
[٩] - في ت : « قرأته » .
[١٠] - في خ : « به » .
[١١] - في خ : « به » .
[١٢] - سقط من : خ .
[١٣] - ما بين المعكوفتين في م : « يقول يأمرك » .
[١٤] - سقط من : ت .
[١٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

اللَّه عليه وسلم ، فقالت له : يا رسول اللَّه ، إن هلالًا شيخ ضائع[١](١) ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : « **لا ، ولكن لا يقربنك** » . قالت : وإنه واللَّه ما به [ ][٢] حركة إلىٰ شيء . [ ][٣] واللَّه ما يزال[٤] يبكي [من لدن أن كان من أمرك][٥] ما كان إلىٰ يومه هذا . قال : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه . قال : فقلت : واللَّه لا أستأذن فيها رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وما أدري ما يقول [ ][٦] رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذا استأذنته وأنا رجل شاب .

قال : فلبثنا [بعد ذلك][٧] عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهىٰ عن كلامنا . قال : ثم صليت صلاة الفجر[٨] صباح خمسين ليلة علىٰ ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس علىٰ الحال التي ذكر اللَّه تعالىٰ منا قد ضاقت عليّ نفسي ، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت ، سمعت صارخًا أوفىٰ علىٰ جبل سَلْعٍ يقول بأعلىٰ صوته : [ ][٩] يا كعب بن مالك [أبشر][١٠] . قال : فخررت ساجدًا وعرفت أن قد جاء [الفرج من اللَّه -عز وجل- بالتوبة علينا][١١] ، فآذن رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بتوبة اللَّه علينا حين صلىٰ الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قِبَلَ صاحبي مبشرون ، وركض إليَّ رجل فرسًا ، وسعىٰ ساع من أسلم وأوفىٰ علىٰ الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني فنزعت[١٢] له[١٣] ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته لي ، واللَّه ما أملك [يومئذ غيرهما] ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أؤم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ويلقاني[١٤] الناس فوجًا فوجًا[١٥] يهنئوني [بتوبة اللَّه][١٦] ، يقولون : لِيَهنك[١٧] توبة اللَّه عليك . حتىٰ دخلت المسجد ، فإذا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه

(١) ضائع أي : ذا ضَيَاعٍ من فَقْر أو عيالٍ أو حالٍ قَصَّر عن القيام بها . نهاية [٣/١٠٧].

[١] - في خ : « ضعيف » .
[٢] - في خ : من .
[٣] - في خ : وإنه .
[٤] - في خ : « زال » .
[٥] - في خ : « منذ كان من أمره » .
[٦] - في خ : فيها .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في خ : « الصبح » .
[٩] - في خ : أبشر .
[١٠] - سقط من خ .
[١١] - ما بين المعكوفتين في خ : « فرج » .
[١٢] - في ت : « نزعت » .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .
[١٤] - في خ : « تلقاني » .
[١٥] - في ز : « بعد فوج » .
[١٦] - في خ : « بالتوبة » .
[١٧] - في ز : « لتهنك » .

عليه وسلم ، جالس في المسجد [حوله الناس][١] ، فقام إليَّ طلحة بن عُبَيْد الله يهرول حتىٰ صافحني وهنأني ، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان[٢] كعب لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال وهو يبرق وجهه من السرور : « **أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك** » . قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : « **لا ، بل من عند الله** » . قال : وكان رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إذا سر استنار وجهه ، حتىٰ كأنه قطعة قمر ، حتىٰ يعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، [إن من][٣] توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلىٰ الله وإلىٰ رسوله . قال : « **أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك** » . قال : فقلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر ، وقلت : يا رسول الله ، إنما نجاني الله بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت . قال : فوالله ما أعلم أحدًا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أحسن مما[٤] أبلاني الله تعالىٰ ، والله ما تعمدت كذبةً منذ قلت ذلك لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله عز وجل فيما بقي .

قال : وأنزل الله تعالىٰ ﴿ **لقد تاب الله علىٰ النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ[٥] قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم * وعلىٰ الثلاثة الذين خلفوا حتىٰ إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ . [ ][٦] قال كعب : فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام ، أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يومئذ ؛ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه [حين كذبوه][٧] ، فإن الله تعالىٰ قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، فقال[٨] الله تعالىٰ : ﴿ **سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضىٰ عن القوم الفاسقين** ﴾ قال : وكنا [خُلِّفْنَا أيها الثلاثة][٩]

---

[١] - في خ : « والناس حوله » .
[٢] - في ز : « وكان » .
[٣] - في ز ، خ : « أمن » .
[٤] - في ز : « ما » .
[٥] - في ز : « تزيغ » .
[٦] - في ت : « إلى آخر الآيات » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] - في ز : « قال » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في خ : « أيها الثلاثة الذين خُلِّفْنَا » .

عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، حين حَلَفُوا فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا حتىٰ قضى الله فيه ، فبذلك[١] قال الله عز وجل : ﴿ وعلىٰ الثلاثة الذين خلفوا ﴾ وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخلفنا عن الغزو ، وإنما هو عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه .

هذا حديث صحيح ثابت متفق علىٰ صحته ، رواه صاحبا الصحيح : البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه ، فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها ، وكذا روي عن غير واحد من السلف في تفسيرها ، كما رواه الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله في قوله تعالىٰ : ﴿ وعلىٰ الثلاثة الذين خلفوا ﴾ قال : هم كعب ابن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع[٢] ، وكلهم من الأنصار .

وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد ، وكلهم قال : مرارة بن ربيعة ، وفي رواية عن سعيد بن جبير : ربيع بن مرارة .

وقال الحسن [البصري][٣] : [ربيع بن مرارة بن ربيع][٤] [وكذا في مسلم : ربيعة في بعض نسخه وفي بعضها مرارة بن الربيع][٥] .

وفي رواية عن الضحاك : مرارة بن الربيع ؛ كما وقع في الصحيحين وهو الصواب .

وقوله : فسمّوا رجلين شهدا بدرًا ، قيل : إنه خطأ من الزهري ، فإنه لا يعرف شهود واحد من هؤلاء الثلاثة بدرًا ، والله أعلم .

ولما ذكر تعالىٰ ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب ، من هجر المسلمين إياهم نحوًا من خمسين ليلة بأيامها ، وضاقت عليهم أنفسهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت - أي : مع سعتها - فسددت عليهم المسالك والمذاهب ، فلا يهتدون ما يصنعون ، فصبروا لأمر الله واستكانوا لأمر الله ، وثبتوا حتىٰ فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في تخلفهم ، وأنه كان عن غير عذر ، فعوقبوا علىٰ ذلك هذه المدة ثم تاب الله عليهم ، فكان عاقبة صدقهم خيرًا لهم وتوبة عليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ أي : اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله ، وتنجوا من المهالك ، ويجعل لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا .

---

[١] - في خ : « فلذلك » . [٢] - في ز : « ربيعة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٤] - في ز : « ربيع بن مرار ، أو مرار بن ربيع » . [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله – هو ابن مسعود رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **عليكم بالصدق ؛ فإن الصدق يهدي إلىٰ البر ، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة ، وما[١] يزال الرجل يصدق ويتحرىٰ الصدق حتىٰ يكتب عند الله صدّيقًا ، وإياكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور ، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار ، وما[٢] يزال الرجل يكذب ويتحرىٰ الكذب حتىٰ يكتب عند الله كذابًا** » . أخرجاه في الصحيحين(٢٨٢) .

وقال شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمع أبا عبيدة يحدّث ، عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، أنه قال : الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ، اقرءوا إن شئتم ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من[٣] الصادقين** ﴾ . هكذا قرأها ، ثم قال : فهل تجدون لأحد فيه رخصة ؟

وعن عبد الله بن عمر [في قوله][٤] : ﴿ **اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ قال[٥] : مع محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم وأصحابه .

وقال الضحاك : مع أبي بكر وعمر وأصحابهما[٦] .

وقال الحسن البصري : إن أردت أن تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا ، والكف عن أهل الملة .

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

(٢٨٢) – المسند (٣٨٤/١) وصحيح البخاري ، كتاب الأدب ، رقم (٦٠٩٤) وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة رقم (٢٦٠٧) .

[١] – في ت : « ولا » .
[٢] – في ت : « ولا » .
[٣] – في خ : « مع » .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] – سقط من : ز .
[٦] – في خ : « وأصحابهم » .

يعاتب تبارك وتعالىٰ المتخلفين عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك ، من أهل المدينة ، ومن حولها من أحياء العرب ، ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل له[١] من المشقة ، فإنهم نقصوا أنفسهم من الأجر ؛ لأنهم ﴿ **لا يصيبهم ظمأ** ﴾ وهو العطش ﴿ **ولا نصب** ﴾ وهو التعب ﴿ **ولا مخمصة** ﴾ وهي المجاعة ﴿ **ولا يطئون موطئًا يغيظ الكفار** ﴾ أي : ينزلون منزلًا يرهب عدوهم ﴿ **ولا ينالون** ﴾ منه ظفرًا وغلبة عليه إلا كتب الله لهم بهذه الأعمال التي ليست داخلة تحت قدرهم ، وإنما هي ناشئة عن أفعالهم - أعمالًا صالحة وثوابًا جزيلًا ﴿ **إن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ كقوله : ﴿ **إنا لا نضيع أجر من أحسن عملًا** ﴾ .

وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولا ينفقون**[٢] ﴾ هؤلاء الغزاة في سبيل الله ﴿ **نفقة صغيرة ولا كبيرة** ﴾ أي : قليلًا ولا كثيرًا ﴿ **ولا يقطعون واديًا** ﴾ أي : في السير إلىٰ الأعداء ﴿ **إلا كتب لهم** ﴾ ولم يقل هاهنا به ؛ لأن هذه أفعال صادرة عنهم ، ولهذا قال : ﴿ **ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون** ﴾ .

وقد حصل لأمير المؤمنين عثمان بن عفان من هذه الآية الكريمة حظ وافر ونصيب عظيم ، وذلك أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجليلة والأموال الجزيلة ، كما قال عبد الله بن الإمام أحمد(٢٨٣) :

حدثنا أبو موسىٰ العَنَزي[٣] ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني سكن[٤] بن المغيرة ، حدثني الوليد بن أبي هشام[٥] ، عن فرقد أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن

---

(٢٨٣) - زوائد المسند (٤/٧٥) (١٦٧٤٦) وإسناده ضعيف - لجهالة فرقد أبو طلحة . وأبو موسى العنزي : هو محمد ابن المثنى ، ثقة ثبت ، روى له الجماعة . وسكن بن المغيرة : صدوق ، روى له الترمذي . والوليد بن أبي هشام : قال أحمد : ثقة الحديث جداً ، ووثقه أبو داود ، وأبو حاتم . روى له مسلم وغيره . وفرقد أبو طلحة : مجهول . والحديث رواه الترمذي حديث ٣٧٠١ . وقال الترمذي : غريب من هذا الوجه . وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ٣٩٦٦/٧٦٤ .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في خ : « ولا ينفق » .

[٣] - في ز ، خ : « الغنوي » .

[٤] - في ز : « سكر » .

[٥] - في ز ، خ : هاشم . وهو تحريف .

خبّاب[١] السلمي ؛ قال : خطب رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فحث علىٰ جيش العسرة ، فقال[٢] عثمان بن عفان - رضي اللّٰه عنه - : عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، قال : ثم حث ، فقال عثمان : عليّ مائة بعير[٣] أخرىٰ بأحلاسها وأقتابها ، قال : ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث فقال عثمان بن عفان : عليّ مائة أخرىٰ بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يقول[٤] بيده هكذا يحركها - وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب - : « **ما علىٰ عثمان ما عمل بعد هذا !!!** » .

وقال عبد اللّٰه أيضًا(٢٨٤) : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ضمرة ، حدثنا عبد اللّٰه بن شوذب ، عن عبد اللّٰه بن القاسم ، عن كثير مولىٰ عبد الرحمن بن سمرة ، عن عبد الرحمن ابن سمرة ؛ قال : جاء عثمان ، رضي اللّٰه عنه ، إلىٰ النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بألف دينار في ثوبه حين[٥] جهز النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جيش العسرة ، قال : فصبها في حجر النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فجعل[٦] النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، يقلبها بيده ويقول : « **ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم !!!** » يرددها مرارًا .

وقال قتادة في قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يقطعون واديًا إلا كتب لهم** ﴾ الآية . ما ازداد قوم [من أهليهم في سبيل اللّٰه بعدًا][٧] إلا ازدادوا قربًا من اللّٰه .

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

هذا بيان من اللّٰه تعالىٰ لما أراد من نفير الأحياء مع الرسول ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، في غزوة تبوك ، فإنه قد ذهبت طائفة من السلف إلىٰ أنه كان يجب النفير علىٰ كل مسلم إذا خرج رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالاً** ﴾ ، وقال :

---

(٢٨٤) - زوائد المسند (٦٣/٥)(٢٠٧٨٦) وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب ، باب : في مناقب عثمان ابن عفان رضي الله عنه (٥ / ٦٢٦ / رقم : ٣٧٠١) من طريق محمد بن إسماعيل ، عن الحسن بن واقع ، عن ضمرة به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

---

[١] - في ز : « حباب » .
[٢] - في ز : « وقال » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « قال » .
[٥] - في ز : « حتى » .
[٦] - في ت : « فرأيت » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في خ : « في سبيل الله بعدًا من أهليهم » .

﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ ، قالوا : فنسخ ذلك بهذه الآية .

وقد يقال : [إنها][١] بيان لمراده تعالىٰ من نفير الأحياء كلها ، وشرذمة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم ؛ ليتفقه الخارجون مع الرسول بما ينزل من الوحي عليه ، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو ، فيجتمع لهم الأمران في هذا النفير المعين ، وبعده ، صلىٰ الله عليه وسلم ، تكون الطائفة النافرة من الحي إما للتفقه ، وإما للجهاد فإنه فرض كفاية علىٰ الأحياء .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس [في الآية][٢] ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** ﴾ . يقول : ما كان المؤمنون لينفروا جميعًا ويتركوا النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وحده ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** ﴾ يعني : عصبة ، يعني : السرايا ، ولا يسيروا إلا بإذنه ، فإذا رجعت السرايا وقد نزل[٣] بعدهم قرآن تعلمه القاعدون مع النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وقالوا : إنّ الله قد أنزل علىٰ نبيكم قرآنا وقد تعلمناه ، فتمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله علىٰ نبيهم بعدهم ، ويبعث سرايا أخرىٰ ، فذلك قوله : ﴿ **ليتفقهوا في الدين** ﴾ يقول : ليتعلموا ما أنزل الله[٤] علىٰ نبيهم ، وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم ﴿ **لعلهم يحذرون** ﴾ .

وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في أناس من أصحاب محمد[٥] ، صلىٰ الله عليه وسلم ، خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفًا ، ومن الخصب[٦] ما ينتفعون به ؛ ودعوا من وجدوا من الناس إلىٰ الهدىٰ ، فقال الناس لهم : ما نراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا ، فوجدوا في أنفسهم من ذلك [تحرجًا ، وأقبلوا][٧] من البادية كلهم حتى دخلوا علىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال الله عز وجل : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** ﴾ يبتغون[٨] الخير ﴿ **ليتفقهوا في الدين** ﴾ وليسمعوا[٩] ما في الناس ، وما أنزل الله بعدهم[١٠] ﴿ **ولينذروا قومهم** ﴾ الناس كلهم ﴿ **إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ .

---

[١] – ما بين المعكوفتين في خ : « إن هذا » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] – في ت : « أنزل » .
[٤] – سقط من : ز .
[٥] – في خ : « النبي » .
[٦] – في ز : « الخطب » .
[٧] – ما بين المعكوفتين في ز : « تحرجوا ، وأضلوا » .
[٨] – في خ : « يبغون » .
[٩] – في خ : « ليستمعوا » .
[١٠] – في ز : « فعذرهم » .

وقال قتادة في هذه الآية : هذا إذا بعث رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، الجيوش ، أمرهم اللَّه أن لا[١] [يُغزُوا نبيه][٢] ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وتقيم طائفة مع رسول اللَّه تتفقه في الدين ، وتنطلق طائفة تدعو قومها وتحذرهم وقائع اللَّه فيمن خلا قبلهم .

وقال الضحاك : كان رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يتخلف عنه إلا أهل العذر[٣] ، وكان إذا قام فاسترت السرايا لم يحل لهم[٤] أن ينطلقوا إلا بإذنه ، فكان[٥] الرجل إذا استرىٰ فنزل بعده قرآن ، وتلاه[٦] نبي اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، علىٰ أصحابه القاعدين[٧] معه ، فإذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : إن اللَّه أنزل بعدكم على نبيه قرآنًا ، فيقرئونهم ويفقهونهم في الدين ، وهو قوله : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** ﴾ يقول : إذا أقام[٨] رسول اللَّه ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** ﴾ يعني بذلك : أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعًا ونبي اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قاعد ، ولكن إذا قعد نبي اللَّه فسرت السرايا وقعد معه عُظْم الناس .

وقال علي[٩] بن أبي طلحة أيضًا ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** ﴾ إنها[١٠] ليست في الجهاد ، ولكن لما دعا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، علىٰ مضر بالسنين أجدبت بلادهم ، وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتىٰ يحلوا بالمدينة من الجهد ، ويعتلوا[١١] بالإسلام وهم كاذبون ، فضيقوا علىٰ أصحاب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأجهدوهم ، فأنزل اللَّه تعالىٰ يخبر رسوله أنهم ليسوا مؤمنين ، فردهم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إلىٰ عشائرهم ، وحذر قومهم[١٢] أن يفعلوا فعلهم ، فذلك قوله : ﴿ **ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : كان ينطلق من كل حي من العرب

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « يغزوا بنبيه » ، وخ : « يغذوا » والمثبت من تفسير الطبري .

[٣] - في ت : « الأعذار » .

[٤] - في ز : « لأحد منهم » ، خ : « لأحد » .

[٥] - في خ : « وكان » .

[٦] - في خ : « تلاه » .

[٧] - في ز ، خ : « القاعدون » .

[٨] - في خ : « قام » .

[٩] - سقط من : ز ، خ .

[١٠] - في ز : « فإنها » .

[١١] - في ز ، خ : « ويقبلوا » .

[١٢] - في ز ، خ : « قومه » .

عصابة ، فيأتون النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، ويسألونه[١] عما يريدون من أمر دينهم ، ويتفقهون في دينهم ، ويقولون [لنبي الله][٢] ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : ما تأمرنا أن نفعله ؟ وأخبرنا [بما نقول لعشائرنا إذا قدمنا عليهم][٣] . قال : فيأمرهم نبي اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، بطاعة اللّه وطاعة رسوله ، ويبعثهم إلىٰ قومهم بالصلاة والزكاة ، وكانوا إذا أتوا[٤] قومهم نادوا : إن من أسلم فهو منا ، وينذرونهم [ربهم حتىٰ][٥] إن الرجل ليفارق أباه وأمه ، وكان النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، يخبرهم وينذرهم قومهم ، فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلىٰ الإسلام ، وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة .

وقال عكرمة : لما نزلت هذه الآية ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليما** ﴾ ، ﴿ **وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله** ﴾ . قال المنافقون : هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه ، وقد[٦] كان ناس من أصحاب النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، خرجوا إلىٰ البدو إلىٰ قومهم يفقهونهم ، فأنزل اللّه عز وجل : ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** ﴾ الآية ، ونزلت : ﴿ **والذين يحاجون في اللّه من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد** ﴾ .

وقال الحسن البصري ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين** ﴾ قال : ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم[٧] اللّه من الظهور على المشركين والنصرة ، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

أمر اللّه تعالىٰ المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولًا فأولًا[٨] ، الأقرب فالأقرب إلىٰ حوزة الإسلام ، ولهذا بدأ رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، بقتال المشركين في جزيرة العرب ، فلما فرغ منهم، وفتح اللّه عليه مكة والمدينة ، والطائف واليمن، واليمامة وهجر، وخيبر وحضرموت ، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في

---

[١] - في خ : « فيسألونه » .
[٢] - في خ : « للنبي » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بعشائرنا إذا انطلقنا إليهم » ، خ : « ما نقول لعشائرنا إذا انطلقنا إليهم » .
[٤] - في ز ، خ : « أسر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز ، خ : « يردهم » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

دين الله أفواجًا - شرع في قتال أهل الكتاب ، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلىٰ جزيرة العرب ، وأولىٰ الناس بالدعوة إلىٰ الإسلام ؛ لكونهم[١] أهل الكتاب ، فبلغ تبوك ثم رجع ؛ لأجل جهد الناس وجدب البلاد[٢] وضيق الحال ، وكان ذلك سنة تسع من هجرته عليه السلام .

ثم اشتغل في السنة العاشرة [بحجته حجة][٣] الوداع ، ثم عاجلته المنية ، صلوات الله وسلامه عليه ، بعد حجته[٤] بأحد وثمانين يومًا ، فاختاره الله لما عنده .

وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق[٥] ، رضي الله عنه ، وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل[٦] فثبته الله تعالىٰ به ، فوطد[٧] القواعد وثبت الدعائم ، وردّ شارد الدين وهو راغم ، ورد أهل الردة إلىٰ الإسلام ، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغام[٨] ، وبين الحق لمن جهله ، وأدّىٰ عن الرسول ما حمله ، ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلىٰ الروم عبدة الصلبان ، وإلىٰ الفرس عبدة النيران ، ففتح الله ببركة سفارته البلاد ، وأرغم أنف كسرىٰ وقيصر ومن أطاعهما من العباد ، وأنفق كنوزهما في سبيل الله كما أخبر بذلك رسول الإله[٩] .

وكان تمام الأمر علىٰ يدي وصيه من بعده ، وولي عهده الفاروق الأواب ، شهيد المحراب ، أبي حفص عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين ، وقمع الطغاة والمنافقين ، واستولىٰ علىٰ الممالك شرقًا وغربًا ، وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعدًا وقربًا ، ففرقها علىٰ الوجه الشرعي ، والسبيل المرضي .

ثم لما مات شهيدًا ، وقد عاش حميدًا ، أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار علىٰ خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، شهيد الدار ، فكسا الإسلام رياسة حلة سابغة ، وامتدت [ ][١٠] في سائر الأقاليم علىٰ رقاب العباد - حجة الله البالغة ، فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وعلَتْ كلمة الله وظهر دينُه ، وبلغت الأمة[١١] الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها ، فكلما[١٢] علوا أمة انتقلوا إلىٰ من بعدهم ، ثم الذين

---

[١] - في ت : « لأنهم » .
[٢] - في ز ، خ : « الناس » .
[٣] - في ت : « بحجة » .
[٤] - في ز : « الحجة » .
[٥] - سقط من : خ .
[٦] - انجفل مطاوع جفله ، بمعنى جرفه ، وأبعده .
[٧] - في خ : « فاطر » .
[٨] - الطغام : أراذل الناس وسفهاؤهم .
[٩] - في ت : « الله » .
[١٠] - في ت : الدعوة .
[١١] - في ت : « الملة » .
[١٢] - في خ : « وكلما » .

يلونهم من العتاة الفجار ، امتثالًا لقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وليجدوا فيكم غِلْظَة** ﴾ [أي : وليجد الكفار منكم غلظة][١] عليهم في قتالكم لهم ، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقًا لأخيه المؤمن ، غليظًا علىٰ عدوه الكافر ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة علىٰ المؤمنين أعزة علىٰ الكافرين** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداءُ علىٰ الكفار رحماء بينهم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾ وفي الحديث أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **أنا الضحوك القتّال** » . يعني : أنه ضحوك في وجه وليه ، قتال لهامة عدوه .

وقوله : ﴿ **واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ أي : قاتلوا الكفار ، وتوكلوا علىٰ الله ، واعلموا أن الله معكم إن[٢] اتقيتموه وأطعتموه .

وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة ، في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالىٰ - لم يزالوا ظاهرين علىٰ عدوهم ، ولم تزل الفتوحات كثيرة ، ولم تزل الأعداء في سفال وخسار ، ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك ، طمع الأعداء في أطراف البلاد ، وتقدموا إليها ، فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض ، ثم تقدموا إلىٰ حوزة الإسلام فأخذوا من الأطراف بلدانًا كثيرة ، ثم لم يزالوا حتىٰ استحوذوا علىٰ كثير من بلاد الإسلام ، ولله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد !! فكلما قام ملك من ملوك الإسلام ، وأطاع أوامر الله وتوكل علىٰ الله - فتح الله عليه من البلاد ، واسترجع من الأعداء بحسبه وبقدر ما فيه من ولاية الله ، والله المسئول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين ، وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم ، إنه جواد كريم .

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة** ﴾ فمن المنافقين ﴿ **من يقول أيكم زادته هذه**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ت : « إذا » .

إيمانًا ﴾ أي : يقول بعضهم لبعض : أيكم زادته هذه السورة إيمانًا ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون** ﴾ .

وهذه الآية من أكبر الدلائل علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص ، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء ، بل قد حكىٰ [الإجماع علىٰ ذلك - غيرُ واحد][١] ، وقد بسط الكلام على هذه المسألة في أول شرح البخاري رحمه الله .

﴿ **وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلىٰ رجسهم** ﴾ أي : زادتهم شكًّا إلى شكهم ، وريبًا إلىٰ ريبهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلَّا خسارًا** ﴾ . و[قال تعالى][٢] : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ وهذا من جملة شقائهم ، أن ما يهدي القلوب يكون سببًا لضلالهم ودمارهم ! كما أن سيئ المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيده إلا خبالًا ونقصًا .

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : أو لا يرىٰ هؤلاء المنافقون[٣] ﴿ **أنهم يفتنون** ﴾ أي : يختبرون ﴿ **في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون** ﴾ أي : لا يتوبون من ذنوبهم السالفة ، ولا هم يذكرون فيما يستقبل من أحوالهم .

قال مجاهد : يختبرون بالسنة والجوع .

وقال قتادة : بالغزو في السنة مرة أو مرتين .

وقال شريك ، عن جابر - هو الجعفي - عن أبي الضحىٰ ، عن حذيفة [في قوله][٤] : ﴿ **أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين** ﴾ قال : كنا نسمع في كل عام كذبة أو كذبتين ، فيضل بها فئام من الناس كثير . رواه ابن جرير .

---

[١] - في ت : « غير واحد الإجماع على ذلك » . [٢] - في خ : « قوله » .
[٣] - في خ : « المنافقين » . [٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وفي الحديث عن أنس(٢٨٥) : « **لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا يزداد الناس إلا شحًا ، وما من عام إلا والذي بعده شر منه** » . سمعته من نبيكم ، صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلىٰ بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ . هذا أيضًا إخبار عن المنافقين أنهم إذا أنزلت سورة علىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **نظر بعضهم إلىٰ بعض** ﴾ أي : تلفتوا ﴿ **هل يراكم من أحد ثم انصرفوا** ﴾ أي : تولوا عن الحق وانصرفوا عنه ، وهذا حالهم في الدنيا[١] : لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **فما للذين كفروا قبلك مهطعين * عن اليمين وعن الشمال عزين** ﴾ أي : ما لهؤلاء القوم يتفللون عنك يمينًا وشمالًا ، هروبًا من الحق وذهابًا إلىٰ الباطل . وقوله : ﴿ **ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ أي : لا يفهمون عن الله خطابه ولا يقصدون لفهمه ولا يريدونه ، بل هم في شغل[٢] عنه ونفور منه ، فلهذا صاروا إلىٰ ما صاروا إليه .

---

(٢٨٥) - هذا الحديث مركب من حديثين عن أنس :

الأول :

رواه ابن ماجه في السنن ، كتاب الفتن ، باب : شدة الزمان برقم (٤٠٣٩) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤١) من طريق محمد بن خالد الجندي ، عن أبان بن صالح ، عن الحسن ، عن أنس رضي الله عنه : « **لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا الدنيا إلا إدبارًا ، ولا الناس إلا شحًا ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ، وما المهدي إلا عيسى ابن مريم** » .

ومحمد بن خالد الجندي ؛ قال الحاكم : مجهول .

قال البوصيري في الزوائد : قال الحاكم في المستدرك بعد أن روى هذا المتن بهذا الإسناد : هذا حديث يُعد من أفراد الشافعي . وليس كذلك فقد حدَّث به غيره . ثم ذكر سند أبي يحيى بن السكن ، عن محمد بن خالد الجندي به .

وقد بسط السيوطي القول فيه وخلاصته ما نُقل عن الحافظ ابن كثير [النهاية (٣٢/١)] : أنه قال : هذا حديث مشهور بمحمد بن خالد الجندي الصغاني المؤذن شيخ الشافعي ، وروى عنه غير واحد أيضًا ، وليس بمجهول كما زعمه الحاكم ، بل رُوي عن ابن معين أنه وثقه . ولكن روى بعضهم عنه عن الحسن مرسلًا وذكر المزي في التهذيب : عن بعضهم أنه رأى الشافعي في المنام وهو يقول : كذب عليَّ يونس بن عبد الأعلى ليس هذا من حديثي . قال ابن كثير : يونس بن عبد الأعلى الصدفي من الثقات لا يطعن فيه بمجرد منام اهـ .

وأما الثاني : فرواه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن برقم (٧٠٦٨) من طريق سفيان ، عن الزبير بن عدي قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج ، فقال : « اصبروا فإنه لا يأتي =

---

[١] - في ز : « الدين » . [٢] - في ز ، خ : « شك » .

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

يقول تعالىٰ ممتنًّا علىٰ المؤمنين بما أرسل إليهم رسولًا من أنفسهم ، أي : من جنسهم وعلىٰ لغتهم ، كما قال إبراهيم -عليه السلام- : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولًا منهم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **لقد مَنَّ اللَّه علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولًا من أنفسهم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ أي : منكم وبلُغَتِكم ، كما قال جعفر بن أبي طالب ،رضي اللَّه عنه، للنجاشي ، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرىٰ : إن اللَّه بعث فينا رسولًا منَّا نعرف نسبه وصفته ، ومدخله ومخرجه ، وصدقه وأمانته ... وذكر الحديث .

وقال سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه في قوله تعالىٰ : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية . وقال صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح** » .

وقد وصل هذا من وجه آخر ؛ كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي في كتابه الفاصل بين الراوي والواعي : حدثنا أبو أحمد يوسف بن هارون بن زياد ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد ، قال : أشهد علىٰ أبي لحدثني ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلىٰ أن ولدني أبي وأمي لم يمسني[١] من سفاح الجاهلية شيء[٢]** »(٢٨٦) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **عزيز عليه ما عنتم** ﴾ أي : يعز عليه الشيء الذي يُعنت أمته ويشق عليها ؛ ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال : « **بعثت بالحنيفية السمحة** »(٢٨٧) .

= عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم » سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم .

(٢٨٦) - المحدث الفاصل (ص ١٣٦) ورواه الطبراني في الأوسط برقم (٣٤٨٣) « مجمع البحرين » من طريق عبد الرحمن الرازي ، عن محمد بن أبي عمر به ، وفيه محمد بن جعفر بن محمد بن على متكلم فيه .

(٢٨٧) - رواه أحمد في مسنده (٥/٢٦٦) (٢٢٣٩١) من حديث أبي أمامة ، والطبراني في الكبير =

---

[١] - في ز : « يقسى » . [٢] - سقط من : خ .

وفي الصحيح (٢٨٨) : « **إن هذا الدين يسر** » . وشريعته كلها سهلة[١] سمحة كاملة ، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه .

﴿ **حريص عليكم** ﴾ أي : على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن فطْر ، عن أبي الطفيل ، عن أبي ذر قال : تركنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو [يذكر لنا][٢] منه علمًا . قال : وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **ما بقي شيء يقرِّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّنَ لكم** »(٢٨٩) .

وقال الإمام أحمد(٢٩٠) : حدثنا أبو[٣] قطن[٤] ، حدثنا المسعودي ، عن الحسن بن سعد ، عن عبدة النهدي[٥] ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع ، ألا وإني آخذ بحجزكم أن تهافتوا في النار كتهافت الفراش أو[٦] الذباب** » .

وقال الإمام أحمد (٢٩١) : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أتاه ملكان فيما يرى النائم ، فقعد أحدهما عند[٧] رجليه ، والآخر عند رأسه ، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : اضرب مثل هذا ومثل أمته . فقال : إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة ، ولم[٨] يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ،

= (٨ / ٢٥٧ / رقم : ٧٨٦٨) . من نفس طريق أحمد . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٧٩) وعزاه لأحمد الطبراني في الكبير وقال : « وفيه علي بن يزيد الألهاني ، وهو ضعيف » . ورواه أحمد (٦/٢٣٣) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢٨٨) - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : الدين يسر رقم (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢٨٩) - المعجم الكبير (٢/١٥٥) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٦٥) : « رجاله رجال الصحيح غير محمد ابن عبد الله بن يزيد المقري وهو ثقة » .

(٢٩٠) - المسند (١/٣٩٠) (٣٧٠٤) . وصححه العلامة أحمد شاكر - رحمه الله تعالى .

(٢٩١) - المسند (١/٢٦٧) وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « يذكرنا » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ت : « قطن » .

[٥] - في ز ، خ : « الهرلي » .

[٦] - في ز : « و » .

[٧] - في ز : « عن » .

[٨] - في ز : « فلم » .

ولا ما يرجعون به ، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة فقال : أرأيتم إن وردت[١] بكم رياضًا معشبة ، وحياضًا رواء تتبعوني ؟ فقالوا : نعم ! . قال : فانطلق بهم فأوردهم رياضًا معشبة وحياضًا رواء ، فأكلوا وشربوا وسمنوا ، فقال لهم : ألم ألفكم علىٰ تلك الحال ، فجعلتم لي إن وردت بكم رياضًا معشبة وحياضًا رواء أن تتبعوني ؟ فقالوا : بلىٰ . فقال[٢] : فإن بين أيديكم رياضًا هي أعشب من هذه ، وحياضًا هي أروى من هذه فاتبعوني . فقالت طائفة : صدق والله لنتبعنه ، وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه .

وقال البزار (٢٩٢) : حدثنا سلمة بن شبيب ، وأحمد بن منصور ، قالا : حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ، حدثنا أبي ، عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن أعرابيًا جاء إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يستعينه في شيء - قال عكرمة : أراه قال في دم - فأعطاه رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، شيئًا ثم قال : « **أحسنت إليك ؟** » قال الأعرابي : لا ، ولا أجملت . فغضب بعض المسلمين وهمّوا أن يقوموا إليه ، فأشار رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إليهم أن كفوا ، فلما قام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وبلغ إلىٰ منزله ، دعا الأعرابي إلىٰ البيت فقال له : « **إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك ، فقلت ما قلت** » . فزاده رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، شيئًا وقال : « **أحسنت إليك ؟** » فقال الأعرابي : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا . قال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت ، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء ، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتىٰ يذهب عن صدورهم** » . فقال[٣] : نعم . فلما جاء الأعرابي ، قال [رسول الله ، صلى الله عليه وسلم][٤] : « **إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال ، وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي ، [كذلك يا أعرابي][٥]** ؟ » فقال[٦] الأعرابي : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن مثلي ومثل هذا الأعرابي ، كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورًا ، فقال لهم صاحب الناقة : خلوا بيني وبين ناقتي ، فأنا أرفق بها وأنا[٧] أعلم بها ، فتوجه إليها وأخذ[٨] لها من قتام(*) الأرض ،**

(٢٩٢) - « كشف الأستار » رقم (٢٤٧٦) وقال الهيثمي في المجمع (١٥/٩) : « وفيه إبراهيم ابن الحكم ابن أبان ، وهو متروك » .

(*) - القتام : الغبار .

[١] - في ز : « رددت » .
[٢] - في ز : « قال » .
[٣] - في ز : « قال » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « فأخذ » .

ودعاها حتىٰ جاءت واستجابت وشد عليها رحلها ، وإني[١] لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار » . [ثم قال][٢] البزار ، [ ][٣] : لا نعلمه يروىٰ إلا من هذا الوجه .

(قلت) : وهو ضعيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان ، والله أعلم .

وقوله[٤] : ﴿ **بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ كما قال تعالى : ﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون * وتوكل علىٰ العزيز الرحيم** ﴾ وهكذا أمره تعالىٰ .

وهذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **فإن تولوا** ﴾ أي : تولوا عما جئتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة ﴿ **فقل حسبي الله لا إله إلا هو** ﴾ أي : الله كافيّ لا إله إلا هو عليه توكلت - كما قال تعالىٰ : ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلًا** ﴾ .

﴿ **وهو رب العرش العظيم** ﴾ أي : هو مالك كل شيء وخالقه ؛ لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات ، وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورين ، بقدرة الله تعالىٰ ، وعلمه محيط بكل شيء ، وقدره نافذ في كل شيء ، وهو علىٰ كل شيء وكيل .

قال [عبد الله ابن] الإمام أحمد(٢٩٣) : حدثنا محمد بن أبي بكر ، حدثنا بشر بن عمر ، حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن أبي بن كعب قال : آخر آية نزلت من القرآن هذه الآية : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ إلىٰ آخر السورة .

---

(٢٩٣) - زوائد المسند (١١٧/٥) (٢١١٩٠) وإسناده ضعيف من أجل علي بن زيد بن جدعان ؛ ضُعِّفَ لسوء حفظه . ويوسف المكي : هو يوسف بن مهران كما جاء مصرحاً به في رواية الحاكم . ويوسف بن مهران : قال الحافظ المزي : يوسف بن مهران - البصري - هكذا نسبه هنا بصرياً ، وفي ذكر الرواة عن ابن عباس قال : يوسف بن مهران المكي - والصحيح أنه غير يوسف بن ماهك ، قال الميموني عن أحمد : يوسف بن مهران لا يعرف . ولا أعرف أحداً روى عنه إلا علي بن زيد . وقال أبو زرعة : ثقة . وقال أبو حاتم : لا أعلم روى عنه إلا علي بن زيد . قال : وروى بعضهم عن علي بن زيد فقال : يوسف ابن ماهك ، ويوسف بن مهران أصح . يكتب حديثه ويذاكر به . وقال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث . روى له البخاري في الأدب حديثاً ، والترمذي آخر . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٩٩/ رقم: ٥٣٣) . من طريق على بن عبد العزيز ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن شعبة به . ورواه الحاكم =

---

[١] - في ز ، خ : « وإنه » .
[٢] - في خ : « رواه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : ثم قال .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

وقال عبد اللّٰه ابن الإمام أحمد(٢٩٤) : حدثنا روح بن عبد المؤمن ، حدثنا عمر بن شقيق ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، رضي اللّٰه عنه ، أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر ، رضي اللّٰه عنه ، فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبي بن كعب ، فلما انتهوا إلىٰ هذه الآية من سورة براءة ﴿ **ثم انصرفوا صرف اللّٰه قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ . فظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن ، فقال لهم أبي بن كعب : إن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أقرأني بعدها آيتين ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وهو رب العرش العظيم** ﴾ . قال : هذا آخر ما نزل من القرآن [ ][١] فختم بما فتح به - باللّٰه الذي لا إله إلا هو - وهو قول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي[٢] إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ .

وهذا[٣] غريب أيضًا .

وقال الإمام أحمد (٢٩٥) : حدثنا علي بن بحر ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيىٰ بن عباد ، عن أبيه عباد بن عبد اللّٰه بن الزبير ، رضي اللّٰه عنه ، قال : أتىٰ الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر براءة ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ إلىٰ عمر بن الخطاب ، فقال : من معك علىٰ هذا ؟ قال : لا أدري ، واللّٰه إني أشهد[٤] لسمعتها من رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، ووعيتها وحفظتها . فقال عمر : وأنا أشهد لسمعتها من رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . ثم قال : لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة علىٰ حدة ، فانظروا سورة من القرآن فضعوها فيها ، فوضعوها في آخر براءة .

وقد تقدم [ ][٥] أن عمر بن الخطاب هو الذي أشار علىٰ أبي بكر الصديق ، رضي اللّٰه عنهما ، بجمع القرآن ، فأمر زيد بن ثابت فجمعه ، وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون

= (٢/٣٣٨) . من حديث شعبة ، عن يونس بن عبيد ، وعلي بن زيد عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس به . وقال الحاكم : حديث شعبة عن يونس بن عبيد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٦) وقال : « رواه عبد الله بن أحمد . والطبراني ، وفيه على بن زيد ابن جدعان ، وهو ثقة سيء الحفظ ، وبقية رجاله ثقات » .

(٢٩٤) - المسند (٥/١٣٤) رقم (٢١٣٠٦) .

(٢٩٥) - المسند (١/١٩٩) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٢] - في ز : « يوحى » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « لأشهد » ، خ : « أشهر » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « الكلام » .

ذلك . وفي الصحيح أن زيدًا قال : فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت أو أبي خزيمة(٢٩٦) . وقد قدَّمنا أن جماعة من الصحابة تذكروا[١] ذلك عن[٢] رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كما قال خزيمة بن ثابت حين ابتدأهم بها ، واللّٰه أعلم .

وقد روىٰ أبو داود عن يزيد بن محمد ، عن عبد الرزاق بن عمر - وقال : كان من ثقات المسلمين من المتعبدين - عن مدرك بن سعد - قال يزيد : شيخ ثقة - عن يونس بن ميسرة ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء قال : من قال إذا أصبح وإذا أمسىٰ : حسبي اللّٰه لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم - سبع مرات - إلا كفاه اللّٰه ما يهمّه[٣](٢٩٧) .

وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عبد الرزاق بن[٤] عمر هذا من رواية أبي زرعة الدمشقي عنه ، عن أبي سعد مدرك بن أبي سعد الفزاري ، عن يونس بن ميسرة بن حلبس ، عن أم الدرداء ، سمعت أبا الدرداء يقول : ما من عبد يقول : حسبي اللّٰه لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، سبع مرات - صادقًا كان بها أو كاذبًا - إلا كفاه اللّٰه ما أهمّه[٥](٢٩٨) .

وهذه زيادة غريبة ، ثم رواه في ترجمة عبد الرزاق أبي محمد ، عن أحمد بن عبد اللّٰه ابن عبد الرزاق ، عن جده عبد الرزاق بن عمر بسنده ، فرفعه (٢٩٩) فذكر مثله بالزيادة ، وهذا منكر ، واللّٰه أعلم .

آخر سورة براءة ، والحمد لله وحده

☆ ☆ ☆

(٢٩٦) - صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٦٧٩) .
(٢٩٧) - سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح رقم (٥٠٨١) .
(٢٩٨) - تاريخ دمشق (٢٩١/١٠ « المخطوط ») .
(٢٩٩) - تاريخ دمشق (٣١٢/١٠ « المخطوط ») .

[١] - في ز ، خ : « يذكروا » .
[٢] - في خ : « عند » .
[٣] - في خ : « يغمه » .
[٤] - في ز ، خ : « عن » .
[٥] - في ز : « همه » .

[تفسير] سورة يونس عليه السلام

[وهي مكية]

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

أما الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تقدم الكلام عليها في أوائل سورة البقرة . وقال أبو الضحى(١) عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ الر ﴾ أي : أنا الله أرى . وكذا قال الضحاك وغيره .

﴿ **تلك آيات الكتاب الحكيم** ﴾ أي : هذه آيات القرآن المحكم المبين . وقال مجاهد : ﴿ **الر تلك آيات الكتاب الحكيم** ﴾ [قال الحسن : التوراة والزبور][١]. وقال قتادة ﴿ **تلك آيات الكتاب** ﴾ قال : الكتب التي كانت قبل القرآن . وهذا القول لا أعرف وجهه ولا معناه .

وقوله : ﴿ **أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا** ﴾ . يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر ، كما أخبر تعالىٰ عن القرون الماضية[٢] من[٣] قولهم ﴿ **أبشر يهدوننا** ﴾ ، وقول[٤] هود وصالح لقومهما : ﴿ **أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علىٰ رجل منكم** ﴾ وقال تعالىٰ مخبرًا عن كفار قريش أنهم قالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب** ﴾ .

وقال الضحاك(٢) ، عن ابن عباس : لما بعث الله تعالىٰ محمّدًا صلىٰ الله عليه وسلم

---

(١) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (٧٩/١١) ، وابن أبي حاتم (١٠١٨٤/٦) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (١/رقم١٦٧) من طريق شريك بن عبد الله ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى به ، وشريك ضعيف ، وعطاء مختلط ، والأثر زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٣٤/٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن النجار في تاريخه .

(٢) - **كسابقه** ، أخرجه ابن جرير (٨١/١١) ، وابن أبي حاتم (١٠١٩٣/٦) والضحاك لم يسمع من ابن عباس ، وفي إسناده « بشر بن عمارة » ضعيف ، وزاد نسبته السيوطي في الدر (٥٣٥/٣) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

---

[١] - بياض في ز ، وسقط من : خ .
[٢] - في خ : « الماضين » .
[٣] - في ز : « في » .
[٤] - في خ : « وقال » .

رسولًا أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم فقالوا : اللَّه أعظم من أن يكون رسوله بشرًا مثل محمد ، قال : فأنزل اللَّه عز وجل ﴿ **أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم** ﴾ .

و[١]قوله: ﴿ **أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾ اختلفوا فيه ؛ فقال علي بن أبي طلحة(٣) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وبشّرِ الذين آمنوا أن لهم قدم صدق** ﴾ يقول : سبقت لهم السعادة في الذكر الأول .

وقال العوفي(٤) ، عن ابن عباس : ﴿ **أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾ يقول أجرًا حسنًا بما قدموا . وكذا قال الضحاك ، والربيع بن أنس ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهذا كقوله تعالى ﴿ **لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا حسنا ماكثين فيه أبدًا** ﴾ .

وقال مجاهد ﴿ **أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾ قال : الأعمال الصالحة ؛ صلاتهم وصومهم ، وصدقتهم ، وتسبيحهم . قال : ومحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم شفيع[٢] لهم . وكذا قال زيد بن أسلم ومقاتل بن حيان .

وقال قتادة : سلف صدق عند ربهم .

واختار ابن جرير قول مجاهد : إنها[٣] الأعمال الصالحة التي قدموها ، [قال][٤] كما يقال : له قدم في الإِسلام ، [كقول حسان][٥]:

لنا القدم العليا(*) إليك وخَلْفُنا لأوَّلِنا في طَاعَةِ اللَّه تابِعُ

وقول ذي الرمَّة :

لَكُمْ قدم لا يُنْكِرُ الناسُ أنَّها مَعَ الحَسَب العادِي طَمَّتْ علىٰ البَحْرِ

وقوله تعالىٰ : ﴿ **قال الكافرون إن هذا لسحر مبين** ﴾ أي : مع أنا بعثنا إليهم رسولًا منهم رجلًا من جنسهم بشيرًا ونذيرًا ﴿ **قال الكافرون إن هذا لسحر مبين** ﴾ أي : ظاهر

(٣) - أخرجه ابن جرير (١١/٨٢) وابن أبي حاتم (٦/١٠١٩٦) ، وابن المنذر وأبو الشيخ ، كما في « الدر المنثور » (٤/٥٣٥) .

(٤) - **إسناده ضعيف من أجل العوفي** ، وأخرجه ابن جرير (١١/٨١) .

(*) في ابن جرير : « الأوْلى » .

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ت : « يشفع » .

[٣] - في ت : « إن » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .

[٥] - في ز ، خ : « ومنه قول الحسن رحمه الله » .

وهم الكاذبون في ذلك .

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾

يخبر تعالىٰ أنه رب العالم جميعه ، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ، قيل : كهذه الأيام ، وقيل : كل يوم كألف سنة مما تعدّون ، كما سيأتي بيانه . ﴿ **ثم استوىٰ علىٰ العرش** ﴾ والعرش أعظم المخلوقات وسقفها .

قال ابن أبي حاتم(٥) : حدثنا حجاج بن حمزة ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، قال : سمعت سعدًا الطائي يقول : العرش : ياقوتة حمراء .

وقال وهب بن منبه : خلقه اللَّه من نوره ، وهذا غريب .

وقوله[١]: ﴿ **يدبر الأمر** ﴾ أي : يدبر أمر الخلائق ﴿ **لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض** ﴾ ولا يشغله شأن عن شأن ، ولا تغلّطه المسائل ، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ، ولا يلهيه تدبير الكبير عن الصغير في الجبال ، والبحار ، والعمران ، والقفار ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا علىٰ اللَّه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ ، ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ .

وقال الدراوردي ، عن سعد بن إسحاق بن كعب ؛ أنه قال لما[٢] نزلت هذه الآية ﴿ **إن ربكم اللَّه الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام** ﴾ . لقيهم[٣] ركب عظيم لا [يرون

(٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠٢١٤/٦) ، وأخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٢١٥/٢) من طريق أبي أسامة به ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في « كتاب العرش » (٤٧) من طريق أبي أسامة أيضًا عن إسماعيل بن أبي خالد قال : أخبرت أن العرش ياقوتة حمراء ، وأورده الذهبي في « العلو » (ص ٥٨) وقال : « هذا ثابت عن هذا التابعي الإمام وروى ذلك عن قتادة أيضًا » أخرجه عبد الرزاق في تفسيره - كما في « الفتح » (٤٠٥/١٣) - عن معمر عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ قال : هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء ، وعرشه من ياقوتة حمراء .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ت : «حين » .
[٣] - في ز ، خ : « لقي » .

إلا][١] أنهم من العرب ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قالوا : من الجن ، خرجنا من المدينة ، أخرجتنا هذه الآية . رواه ابن أبي حاتم(٦) .

وقوله[٢]: ﴿ **ما من شفيع إلا من بعد إذنه** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد أن يأذن اللّٰه لمن يشاء ويرضىٰ** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ذلكم اللّٰه ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون** ﴾ أي : أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ﴿ **أفلا تذكرون** ﴾ أي : أيها المشركون في أمركم ، تعبدون مع اللّٰه إلهًا[٣] غيره وأنتم تعلمون أنه المتفرّد[٤] بالخلق ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولئن سألتهم [من خلقهم]**[٥] **ليقولن اللّٰه** ﴾ ، وقوله[٦]: ﴿ **قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون اللّٰه قل أفلا تتقون** ﴾ وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها .

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

يخبر تعالىٰ أن إليه مرجع الخلائق يوم القيامة ، لا يترك منهم أحدًا حتى يعيده كما بدأه ، ثم ذكر تعالىٰ أنه كما بدأ الخلق كذلك يعيده ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ .

﴿ **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط** ﴾ أي : بالعدل والجزاء الأوفىٰ ﴿ **والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** ﴾ أي : بسبب كفرهم يعذبون يوم القيامة بأنواع العقاب[٧]؛ من سموم وحميم ، وظل من يحموم ﴿ **هذا فليذوقوه حميم وغساق * وآخر من شكله أزواج** ﴾ ، ﴿ **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ .

(٦) - « التفسير » لابن أبي حاتم (٦/١٠٢٠٧) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في خ : « المنفرد » .
[٥] - في خ : « من خلق السموات والأرض » .
[٦] - بياض في : ز .
[٧] - في ت : « العذاب » .

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

يخبر تعالىٰ عما خلق من الآيات الدالة علىٰ كمال قدرته وعظيم سلطانه ، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياءً ، وجعل[١] شعاع القمر نورًا ، هذا فن وهذا فن آخر ، ففاوت بينهما لئلا يشتبها ، وجعل سلطان الشمس بالنهار ، وسلطان القمر بالليل ، وقدر القمر منازل ، فأول ما يبدو صغيرًا ، ثم يتزايد نوره وجرمه حتىٰ يستوسق ويكمل إبداره ، ثم يشرع في النقص حتىٰ يرجع إلىٰ حاله الأول في تمام شهر ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **والقمر قدَّرناه منازل حتىٰ عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ﴾ ، [وقوله تعالىٰ][٢]: ﴿ **والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ .

وقال[٣] في هذه الآية الكريمة : ﴿ **وقدره** ﴾ أي : القمر ﴿ **منازل لتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾ فبالشمس تعرف الأيام ، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام .

﴿ **ما خلق الله ذلك إلا بالحق** ﴾ أي : لم يخلقه عبثًا بل له حكمة عظيمة في ذلك ، وحجة بالغة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالىٰ الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾ .

وقوله[٤]: ﴿ **نفصل الآيات** ﴾ أي : نبين[٥] الحجج والأدلة ﴿ **لقوم يعلمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن في اختلاف الليل والنهار** ﴾ أي : تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب هذا ، وإذا ذهب هذا جاء هذا لا يتأخر عنه شيئًا ، كقوله تعالى : ﴿ **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **فالق الإصباح وجاعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا ذلك تقدير**

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « قال » .
[٣] - في ت : « وقوله » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .

العزيز العليم ﴾ .

وقوله : ﴿ **وما خلق الله في السموات والأرض** ﴾ أي : من الآيات الدالة علىٰ عظمته تعالىٰ ، كما قال : ﴿ **وكأين من آية في السموات والأرض** ... ﴾ . [الآية .

وقوله : ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض**][١] **وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ ، وقال : ﴿ **أفلم يروا إلىٰ ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾ أي : العقول ، وقال هٰهنا : ﴿ **لآيات لقوم يتقون** ﴾ أي : عقاب الله وسخطه وعذابه .

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن حال الأشقياء ؛ الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ، ولا يرجون[٢] في [لقاء الله][٣] شيئا ، ورضوا بهذه الحياة الدنيا ، واطمأنت إليها أنفسهم[٤].

قال الحسن : والله ما زينوها ولا رفعوها حتىٰ رضوا بها ، وهم غافلون عن آيات الله الكونية[٥] فلا يتفكرون فيها ، والشرعية[٦] فلا يأتمرون بها ، فإن[٧] مأواهم يوم معادهم النار جزاء علىٰ ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام ، مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسله واليوم الآخر .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين ، وامتثلوا ما أمروا به فعملوا الصالحات ، بأنه سيهديهم بإيمانهم .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « لقائه » .
[٤] - في ت : « نفوسهم » .
[٥] - في ز ، خ : « الكريمة » .
[٦] - في ز : « الشارعية » .
[٧] - في ز : « بأن » .

يحتمل أن تكون الباء هاهنا سببيةً ، فتقديره : بسبب إيمانهم في الدنيا يهديهم الله يوم القيامة على الصراط المستقيم[١]، حتى يجوزوه ويخلصوا إلى الجنة ، ويحتمل أن تكون للاستعانة ، كما قال مجاهد في قوله : ﴿ **يهديهم ربهم بإيمانهم** ﴾ قال : [يكون لهم نورًا يمشون به][٢] .

[وقال ابن جريج في الآية][٣]: يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة ، إذا قام من قبره يعارض[٤] صاحبه ويبشره[٥] بكل خير ، فيقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا عملك . فيجعل له نورًا من بين يديه حتى يدخله الجنة ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **يهديهم ربهم بإيمانهم** ﴾ والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة ، فيلازم[٦] صاحبه ويُلَازُّه[٧] حتى يقذفه في النار . وروي نحوه عن قتادة مرسلًا ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين** ﴾ أي : هذا حال أهل الجنة .

وقال ابن جريج : أُخبرتُ أن قوله : ﴿ **دعواهم فيها سبحانك اللهم** ﴾ [ ][٨] قال : إذا مر بهم الطير يشتهونه [قالوا : سبحانك اللهم ، وذلك دعواهم ، فيأتيهم الملك بما يشتهونه][٩]، فيسلم عليهم فيردون عليه ، فذلك قوله[١٠]: ﴿ **وتحيتهم فيها سلام** ﴾ . قال[١١]: فإذا أكلوا حمدوا الله ربَّهم ، فذلك قوله : ﴿ **وآخر دعواهم أن الحمد لله ربِّ العالمين** ﴾ .

وقال مقاتل بن حيان : إذا أراد[١٢] أهل الجنة أن يدعو[١٣] بالطعام ؛ قال أحدهم ﴿ **سبحانك اللهم** ﴾ قال : فيقوم على أحدهم عشرة آلاف خادم ، مع كل خادم صحفة من ذهب فيها طعام ليس في الأخرى ، قال : فيأكل منهن كلهن[١٤].

وقال سفيان الثوري : إذا أراد أحدهم أن يدعو بشيء قال : ﴿ **سبحانك اللهم** ﴾ .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « تعارض » .
[٥] - في ز : « فيبشره » .
[٦] - في ت : « فيلزم » .
[٧] - في ز ، خ : « ويُلَاده » . و«ولازة» : أي : لاصقة .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « وذلك دعواهم فيها سبحانك اللهم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - سقط من : ز ، خ .
[١٢] - في خ : « أرادوا » .
[١٣] - في ت : يدعو أحدهم .
[١٤] - في ز : « كلهم » .

وهذه الآية فيها شبه من قوله : ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرًا كريمًا** ﴾ . وقوله : ﴿ **لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا * إلا قيلًا سلامًا سلامًا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **سلام قولًا من رب رحيم** ﴾ ، وقوله : ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** ﴾ .

وقوله[١]: ﴿ **وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين** ﴾ هذا فيه دلالة على أن الله تعالى هو المحمود أبدًا ، المعبود على طول المدى ؛ ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره ، وفي ابتداء كتابه ، وعند ابتداء تنزيله ، حيث يقول تعالى : ﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾ ، [﴿ **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض** ﴾][٢] إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها ، وأنه المحمود في الأول والآخر ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، في جميع الأحوال ؛ ولهذا جاء في الحديث : « **إن أهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس** »(٧) . وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون[٣] [من تضاعف][٤] نعم الله[٥] عليهم [فتكرر وتعاد][٦] وتُزاد فليس لها انقضاء ولا أمد ، فلا إله إلا هو ولا ربَّ سواه .

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١)

يخبر تعالى عن حلمه[٧] ولطفه بعباده أنه لا يستجيب لهم[٨] إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم ، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك ، فلهذا لا يستجيب لهم والحالة هذه لطفًا ورحمة ، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم أو لأولادهم بالخير والبركة والنماء ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولو يعجل الله للناس الشرَّ استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم** ﴾ . أي : لو استجاب لهم[٩] كلما دعوه به في ذلك لأهلكهم ، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك ، كما جاء في الحديث الذي

---

(٧) - أخرجه مسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : في صفات الجنة وأهلها ، وتسبيحهم فيها بكرة وعشيًا (١٨ ، ١٩) (٢٨٣٥) ، وأحمد (١٤٨١٢) (٣/٣٤٩) من حديث جابر بن عبد الله .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « يريدون » .
[٤] - في خ : « من تزايد » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « وتكرر فتعاد » .
[٧] - في ز : « حكمه » .
[٨] - في ز : « منهم » .
[٩] - في ز ، خ : « منهم » .

رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده(٨) :

حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، حدثنا يعقوب بن مجاهد أبو حَزْرَةَ ، عن عبادة بن الوليد ، حدثنا جابر قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تدعوا علىٰ أنفسكم ، لا تدعوا علىٰ أولادكم ، لا تدعوا علىٰ أموالكم ، لا توافقوا من اللَّه ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم** » .

ورواه أبو داود من حديث حاتم بن إسماعيل به .

قال البزار : وتفرد به عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري ، لم يشاركه أحد فيه . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولًا** ﴾ الآية .

وقال مجاهد في تفسير هذه الآية : ﴿ **ولو يعجل اللَّه للناس الشر استعجالهم بالخير** ﴾ الآية : هو[١] قول الإنسان لولده أو[٢] ماله إذا غضب عليه : اللهم لا تبارك فيه والعنه . فلو يعجل[٣] لهم الاستجابة في ذلك كما يستجاب لهم في الخير لأهلكهم .

وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

يخبر تعالىٰ عن الإنسان وضجره وقلقه إذا مسه الشر[٤] ﴿ **وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض** ﴾ أي : كثير وهما في معنىٰ واحد ، وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها ، وأكثر الدعاء عند ذلك فدعا الله في كشفها وزوالها[٥] عنه ، في حال[٦] اضطجاعه وقعوده ، وقيامه وفي جميع أحواله ، فإذا فرج اللَّه شدته ، وكشف كربته ، أعرض ونأىٰ بجانبه ، وذهب كأنه ما كان به من ذلك[٧] شيء ﴿ **مر كأن لم يدعنا إلىٰ ضر مسه** ﴾ .

(٨) - **صحيح** وأخرجه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : النهى عن أن يدعو الإنسان على أهله وماله (١٥٣٢) وقال : هذا الحديث متصل الإسناد فإن عبادة بن الوليد بن عبادة لقى جابرًا . وأخرجه مسلم أيضًا ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر (٧٤) (٣٠٠٦) .

[١] - في ز : « وهو » .
[٢] - في ز : « و » .
[٣] - في ز : « تعجل » .
[٤] - في خ : « الضر » .
[٥] - في ت : « ودفعها » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز : « ذاك » .

ثم ذم تعالىٰ من هذه صفته وطريقته[١] فقال : ﴿ **كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون** ﴾ فأما من رزقه الله الهداية والسداد ، والتوفيق والرشاد ، فإنه مستثنىٰ من ذلك ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات** ﴾ ، وكقول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **عجبًا لأمر المؤمن ! لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له ؛ إن أصابته ضراء صبر[٢] فكان خيرًا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن[٣]** »(٩).

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

أخبر تعالىٰ عما أحل بالقرون الماضية في تكذيبهم الرسل فيما جاءوهم به من البينات ، والحجج الواضحات ، ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بعدهم ، وأرسل إليهم رسولًا لينظر طاعتهم له ، واتباعهم رسوله ، وفي صحيح مسلم(١٠) من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها [فناظر](*) ماذا تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في[٤] النساء** » .

وقال ابن جرير(١١) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا زيد بن عوف ، أبو ربيعة فهد[٥]، أنبأنا حماد ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ : **أن عوف بن مالك قال لأبي بكر** : رأيت فيما[٦] يرىٰ النائم : كأن سببًا دلى من السماء ، فانتشط رسول الله صلىٰ الله

---

(٩) - **صحيح** ، يأتي من حديث صهيب (سورة إبراهيم / آية (٥)) وفي الباب عن أنس عند أحمد (١٢١٨٠) (١١٧/٣) ، وأبي يعلى (٤٢١٧/٧) وصححه ابن حبان (٧٢٨/٢) واختاره الضياء في « المختارة » (٥١٨/١ مخطوط) وعن سعد بن أبي وقاص بإسناد صحيح عند أحمد (١٧٣/١ ، ١٧٧ ، ١٨٢) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (١٠٦٧) ، الطيالسي (٢١١) وغيرهم .

(١٠) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ١٦٥] .

(*) في صحيح مسلم (٢٧٤٢) (٩٨) « فَيَنْظُرُ كيف تعملون وفي رواية لِيَنْظُرَ » .

(١١) - **إسناده ضعيف جدًا** ، « التفسير » لابن جرير (٩٤/١١) وزيد بن عوف هذا تركه عمرو بن =

---

[١] - في ز : « طريقه » .
[٢] - في ز ، خ : « فصبر » .
[٣] - في خ : « للمؤمنين » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز : « سهد » ، سقط من : خ .
[٦] - في ز ، خ : « فيم » .

عليه وسلم ، ثم أعيد(*) فانتشط أبو بكر ، ثم ذرع الناس حول المنبر ، ففضل عمر بثلاث أذرع إلى[١] المنبر . فقال عمر : دعنا من رؤياك ، لا أرب لنا فيها . فلما استخلف عمر قال : يا عوف رؤياك ؟ فقال: وهل لك في رؤياي من حاجة أو لم تنتهرني ؟ فقال: ويحك إني كرهت أن تنعىٰ لخليفة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نفسه . فقص عليه الرؤيا ، حتىٰ إذا بلغ ذرع الناس إلىٰ المنبر بهذه الثلاث الأذرع ، قال : أما إحداهن فإنه كان[٢] خليفة ، وأما الثانية فإنه لا يخاف في اللّٰه لومة لائم ، وأما الثالثة فإنه شهيد . قال : فقال : يقول اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون** ﴾ فقد استخلفت يا ابن أم عمر ، فانظر كيف تعمل ؟ وأما قوله : فإني لا أخاف في اللّٰه لومة لائم فما شاء اللّٰه ، وأما قوله : شهيد فأنّىٰ لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون[٣] به ؟ .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾

يخبر تعالىٰ عن تعنت الكفار من مشركي قريش الجاحدين الحق المعرضين عنه : أنهم إذا قرأ عليهم الرسول صلىٰ اللّٰه عليه وسلم كتاب اللّٰه وحججه[٤] الواضحة قالوا له : ﴿ **ائت بقرآن غير هذا** ﴾ أي : رد هذا وجئنا بغيره من نمط آخر ﴿ **أو بدله** ﴾ إلىٰ وضع آخر ، قال اللّٰه تعالىٰ لنبيه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم : ﴿ **قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي** ﴾ أي : ليس هذا إلي ، إنما أنا عبد مأمور ورسول مبلغ عن اللّٰه ﴿ **إن أتبع إلا ما يوحىٰ إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** ﴾ .

= علي الفلاس ، وسئل عنه أبو حاتم ؟ فقال : « تعرف وتنكر » وحرك يده ، وكان علي بن المديني يتكلم فيه ، « الجرح والتعديل » (٥٧٠/٣) ، وقال البخاري « سكتوا عنه » « التاريخ الكبير » (٤٠٤/١/٢) وقد رواه ابن سعد في « الطبقات » (٢٥٢/٣ - ٢٥٣) بغير هذا اللفظ وإسناده حسن .

(*) في ابن جرير : « ذُلّي » .

---

[١] - في ت : « حول » . [٢] - في ز : « كائن » .

[٣] - في خ : « سيطيعون » . [٤] - في ز : « حجته » .

ثم قال محتجًا عليهم في صحة ما جاءهم به : ﴿ **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به** ﴾ أي : هذا إنما جئتكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيئته وإرادته ، والدليل علىٰ أني لست أتقوَّله من عندي ولا افتريته : أنكم عاجزون عن معارضته ، وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلىٰ حين بعثني الله عز وجل ، لا تنتقدون علي شيئًا تغمصوني(*) به ، ولهذا قال : ﴿ **فقد لبثت فيكم عمرًا من قبله أفلا تعقلون** ﴾ أي : أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل ؟ ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا[١] سفيان ومن معه فيما سأله من صفة النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، قال [هرقل لأبي سفيان][٢]: هل كنتم تتهمونه[٣] بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال أبو سفيان : فقلت : لا . وقد[٤] كان أبو سفيان إذ ذاك رأسَ الكفرة وزعيمَ المشركين ، ومع هذا اعترف بالحق ، والفضل ما شهدت به الأعداءُ ، فقال له هرقل : فقد أعرف أنه لم يكن ليدع الكذب علىٰ الناس ثم يذهب فيكذب علىٰ الله(١٢) .

وقال جعفر بن أبي طالب للنجاشي ملك الحبشة(١٣) : بعث الله فينا رسولًا نعرف صدقه ونسبه وأمانته . وقد كانت مدة مقامه - عليه السلام - بين أظهرنا قبل النبوة أربعين سنة(١٤) ، وعن سعيد بن المسيب : ثلاثًا[٥] وأربعين سنة(١٥) ، والصحيح المشهور الأول .

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

(*) - غمصه : احتقره وعابه .

(١٢) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام / آية ٥٤] .

(١٣) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن هشام في « السيرة » (١/٢٢٢ - ٢٢٥) ، وأحمد في المسند (١/ ٢٠٢)، (٥/٢٩٠) من طريق محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة ضمن حديث طويل ، وهذا إسناد حسن ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وأورده الهيثمي في « المجمع » (٦/٢٧ - ٣٠) وعزاه لأحمد وقال : « ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع » .

(١٤) - أخرجه البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - (٣٥٤٧) ، ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : في صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه (١١٣) (٢٣٤٧) ، والترمذي ، كتاب : المناقب ، باب : ما جاء في مبعث النبي ﷺ وابن كم كان حين بعث (٣٦٢٧) ، والنسائي في «الكبرى» (٤/٩٣١٠) ، وأحمد (١٣٥٤٤) (٣/٢٤٠) من حديث أنس بن مالك .

(١٥) - **شاذ** ، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/٤٣٧) ، والحاكم (٢/٦١٠) شاهدًا من طريقين =

[١] - في ز ، خ : « لأبي » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ : « تفهمونه » .
[٤] - سقط من ت .
[٥] - في خ : « ثلاث » .

ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالىٰ : لا أحد أظلم ولا أعتىٰ ولا أشد إجرامًا ﴿ **ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا** ﴾ وتقوّل[١] علىٰ الله ، وزعم أن الله أرسله ولم يكن كذلك ، فليس أحد أكبر جرمًا ولا أعظم ظلمًا من هذا ، ومثل هذا لا يخفىٰ أمره علىٰ الأغبياء ، فكيف يشتبه حال هذا بالأنبياء ؟ فإن من قال هذه المقالة صادقًا أو كاذبًا ، فلابد أن الله ينصب عليه من الأدلة علىٰ بره أو فجوره ما هو أظهر من الشمس ، فإن الفرق بين محمد صلىٰ الله عليه وسلم وبين مسيلمة الكذاب لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحىٰ وبين وقت نصف الليل في حندس الظلماء ، فمن سيما كل منهما وأفعاله وكلامه يستدل من له بصيرة علىٰ صدق محمد صلىٰ الله عليه وسلم وكذب مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي .

قال عبد الله بن سلام(١٦) : لما قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة : انجفل(*) الناس فكنت فيمن انجفل ، فلما رأيته عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب . قال[٢] : فكان أول ما سمعته يقول : « **يا[٣] أيها الناس : أفشوا السلام ؛ وأطعموا الطعام ، [وصلوا الأرحام][٤] ، وصلّوا بالليل والناس نيامٌ ، تدخلوا الجنة بسلام** » .

ولما قدم[٥] ضمام بن ثعلبة علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم في[٦] قومه بني سعد بن بكر ، قال لرسول الله فيما قال له : من رفع هذه السماء ؟ قال : « **الله** » . قال : ومن نصب هذه الجبال ؟ قال : « **الله** » . قال : ومن سطح هذه الأرض ؟ قال : « **الله** » قال : فبالذي رفع هذه السماء ، ونصب هذه الجبال ، وسطح هذه الأرض ، آلله أرسلك إلىٰ الناس

= عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب به ، وحكم عليه بالشذوذ الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥٧٠/٦) ، وقال النووي في «شرح صحيح مسلم » (١٤٦/١٥) : «..... وهذا الذي ذكرناه أنه بعث على رأس أربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء ، وحكى القاضي عياض عن ابن عباس وسعيد ابن المسيب رواية شاذة أنه – صلى الله عليه وسلم – بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة ، والصواب أربعون .....» .

(١٦) – **صحيح** ، أخرجه الترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : « أفشوا السلام ....» (٢٤٨٧) ، وابن ماجة، كتاب : إقامة الصلاة ، باب : ما جاء في قيام الليل (١٣٣٤)، وك : الأطعمة ، باب : إطعام الطعام (٣٢٥١) ، وأحمد (٢٣٨٩٧) (٤٥١/٥) وقال الترمذي : «حديث صحيح » ، وصححه الحاكم (١٣/٣) (١٦٠/٤) ووافقه الذهبي وهو كما قالوا .

(*) – انجفل القوم : انقلعوا فمضوا .

---

[١] – في ز ، خ : « ويقول » .
[٢] – سقط من : ز .
[٣] – سقط من : ز .
[٤] – سقط من : ز ، خ .
[٥] – في ز ، خ : « قدم وفد » .
[٦] – سقط من : ز .

كلهم ؟ قال : « **اللهم نعم** » . ثم سأله عن الصلاة والزكاة والحج والصيام ، ويحلف عند كل واحدة هذه اليمين ، ويحلف له[١] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال له : صدقت ، والذي بعثك بالحق لا أزيد علىٰ ذلك ولا أنقص(١٧) .

فاكتفىٰ هذا الرجل بمجرد هذا ، وقد أيقن بصدقه - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - بما رأىٰ وشاهد من الدلائل الدالة عليه ، كما قال حسان بن ثابت :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

وأما مسيلمة فَمَنْ شاهده من ذوي البصائر علم أمره لا محالة ، بأقواله الركيكة التي ليست بفصيحة[٢]، وأفعاله غير الحسنة بل القبيحة ، وقرآنه الذي يخلد به في النار يوم الحسرة والفضيحة ، وكم[٣] من فرق بين قوله تعالىٰ : ﴿ **اللّٰه لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ [إلىٰ آخرها] ، وبين عُلاك[٤] مسيلمة - قبحه اللّٰه ولعنه- : يا ضفدع بنت ضفدعين[٥]، نقي كم تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين . وقوله [قبحه اللّٰه][٦]: لقد أنعم اللّٰه علىٰ الحبلىٰ ، إذ أخرج منها نسمة تسعىٰ ، من بين صفاق وحشا . وقوله خَذَّرَهُ اللّٰه في نار جهنم - وقد فعل - : الفيل وما [أدراك ما][٧] الفيل ، له زُلْقُوم[٨] طويل . وقوله أبعده اللّٰه من رحمته : والعاجنات عجنًا ، والخابزات خبزًا ، واللاقمات لقمًا ، إهالة وسمنًا ، إن قريشًا قوم يعتدون . إلىٰ غير ذلك من [الخرافات و][٩] الهذيانات[١٠] والخرافات التي يأنف الصبيان أن يتلفظوا بها إلا علىٰ وجه السخرية والاستهزاء ، ولهذا أرغم اللّٰه أنفه ، وشرب يوم حديقة الموت حتفه ، ومزق شمله ، ولعنه صحبه وأهله ، وقَدِموا علىٰ الصديق تائبين ، وجاءوا في دين اللّٰه راغبين ، فسألهم الصديق خليفة الرسول صلوات اللّٰه وسلامه عليه ورضي عنه أن يقرءوا عليه شيئًا من قرآن مسيلمة

---

(١٧) - أخرجه البخاري ، كتاب : العلم ، باب : ما جاء في العلم (٦٣) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في المشرك يدخل المسجد (٤٨٦) ، والنسائي ، كتاب : الصيام ، باب : وجوب الصيام (٤/ ١٢٣) ، وابن ماجة كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها (١٤٠٢)، وأحمد (١٢٧٤٢) (٣/١٦٨) من طريق شريك بن عبد الله وهو ابن أبي نمر عن أنس بن مالك به ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : السؤال عن أركان الإسلام (١٠) (١٢) ، والبخاري معلقا - عقب =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « بصحيحة » .
[٣] - في ز : « وهم » .
[٤] - في ز : « قول » .
[٥] - في ز : « الضفدعين » .
[٦] - في ز ، خ : « قبح وأمن »
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز ، خ : « زلوم » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في : « الهذايانات » .

لعنه الله ، فسألوه أن يعفيهم من ذلك ، فأبىٰ عليهم إلا[١] أن يقرءوا شيئًا منه ؛ ليسمعه من لم يسمعه من الناس ، فيعرفوا فضل ما هم عليه من الهدىٰ والعلم ، فقرءوا عليه من هذا الذي ذكرناه وأشباهه ، فلما فرغوا قال لهم الصديق رضي الله عنه : ويحكم ! أين كان يذهب بعقولكم ؟ والله إن هذا لم يخرج من إلّ .

وذكروا أن وفد عمرو بن العاص علىٰ مسيلمة ، وكان صديقًا له في الجاهلية ، وكان عمرو لم يسلم بعد ، فقال له مسيلمة : ويحك يا عمرو ! وماذا أنزل علىٰ صاحبكم - يعني رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم - في هذه المدة ؟ فقال : لقد سمعت أصحابه يقرءون سورة عظيمة قصيرة . فقال : وما هي ؟ فقال : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر** ﴾ إلىٰ آخر السورة ، ففكر مسيلمة ساعة ، ثم قال : وأنا[٢] قد أنزل عليَّ مثله . فقال : وما هو ؟ فقال : ياوبر ياوبر ، إنما أنت أذنان وصدر[٣]، وسائرك حَفْرٌ نقر . كيف ترىٰ يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أني أعلم أنك لتكذب[٤](١٨).

فإذا كان هذا من مشرك في حال شركه لم يشتبه عليه[٥] حال محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وصدقه ، وحال مسيلمة لعنه الله وكذبه ، فكيف بأولى البصائر والنُّهىٰ ، وأصحاب العقول السليمة المستقيمة والحجا ، ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **ومن[٦] أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله** ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا أو كذب بآياته إنه لايفلح المجرمون** ﴾ ، وكذلك من كذب بالحق الذي جاءت به الرسل ، وقامت عليه الحجج ، لا أحد أظلم منه كما جاء في الحديث : « **أعتىٰ الناس علىٰ الله رجل قتل نبيًّا أو قتله نبي** »(١٩) .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا

= السابق ، والترمذي ، كتاب : الزكاة ، باب : ما جاء إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك (٦١٩)، والنسائي (١٢١/٤)، وأحمد (١٢٤٧٩) (١٤٣/٣) من طريق ثابت عن أنس بنحوه .

(١٨) - الأثران أوردهما المصنف في كتاب « البداية والنهاية » (٣٥٩/٦) .

(١٩) - أخرجه أحمد (٤٠٧/١) - ومن طريقه أورده المصنف (البقرة/ آية ٦١) ، والبزار في مسنده (٥/ ١٧٢٨) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا بلفظ « **أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًّا** ....» وجوّد إسناده الألباني في «الصحيحة» (٢٨١/١) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « و » .
[٣] - في ز : « حلر » .
[٤] - في ت : « تكذب » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « فمن » .

عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٩﴾

ينكر تعالىٰ علىٰ المشركين الذين عبدوا مع اللَّه غيره ، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند اللَّه ، فأخبر تعالىٰ أنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئًا ، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ولا يكون هذا أبدًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **قل أتنبئون اللَّه بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض** ﴾ .

وقال ابن جرير : معناه[1] أتخبرون اللَّه بما لا يكون في السموات ولا في الأرض ؟

ثم نزه نفسه [ ][٢] عن شركهم وكفرهم فقال : ﴿ **سبحانه وتعالىٰ عما يشركون** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ أن هذا الشرك حادث في الناس ، كائن بعد أن لم يكن ، وأن الناس كلهم كانوا علىٰ دين واحد وهو الإسلام ، قال ابن عباس(٢٠) : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم علىٰ الإسلام ، ثم وقع الاختلاف بين الناس ، وعبدت الأصنام والأنداد والأوثان ، فبعث اللَّه الرسل بآياته وبيناته ، وحججه البالغة وبراهينه الدامغة ﴿ **ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حي عن بينة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون** ﴾ ، أي : لولا ما تقدم من اللَّه تعالىٰ أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، وأنه قد أجل الخلق إلىٰ

(*) في تفسيره (١١/٩٨) .

(٢٠) - ذكره الهيثمي في « المجمع » (٦/٣٢١ - ٣٢٢) بلفظ « كان بين آدم ونوح .... كلهم على شريعة من الحق ...» ، وقال : « رواه البزار وفيه عبد الصمد بن النعمان وثقه ابن معين وقال غيره : ليس بالقوى » ، وأخرجه الحاكم (٢/٤٤٢) من طريق آخر ، وقال : « حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، ويذكره المصنف أيضًا برقم (٨٤) ، وباللفظ الذي أورده المصنف ، أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١/٤٤) بإسناد حسن عن عكرمة من قوله ، وقد صح مرفوعًا من حديث أبي أمامة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سُئل : كم كان بين آدم ونوح ؟ فقال : « **عشرة قرون** » أخرجه الطبراني في « الكبير » (٨/٧٥٤٥) ، وفي « الأوسط » (١/٤٠٣) ، وصححه ابن حبان (١٤/٦١٩٠) ، والحاكم (٢/٢٦٢) على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١/٩٤) وقال : هذا على شرط مسلم ولم يخرجه .

---

[1] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « الكريمة » .

أجل معدود ، لقضىٰ[١] بينهم فيما اختلفوا فيه فأسعد المؤمنين وأعنت[٢] الكافرين .

وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

أي : ويقول هؤلاء الكفرة الملحدون[٣] المكذبون المعاندون : لولا أنزل[٤] علىٰ محمد آية من ربه ، يعنون كما أعطىٰ اللَّه ثمود الناقة ، أو أن يحول لهم الصفا ذهبًا ، أو[٥] يزيح عنهم جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأنهارًا ، أو نحو ذلك مما اللَّه عليه قادر ، ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورًا * بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرًا** ﴾ ، وكقوله[٦]: ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا** ﴾ .

يقول تعالىٰ إن سنتي في خلقى أني إذا آتيتهم ما سألوا ؛ فإن آمنوا وإلا عاجلتهم بالعقوبة ، ولهذا لما خُيِّر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بين أن يعطى ما سألوا فإن أجابوا[٧] وإلا عوجلوا[٨]، وبين [أن يتركهم وينظرهم][٩] - اختار إنظارهم ، كما حلم عنهم غير مرة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه تعالىٰ عليه وآله وسلم ، ولهذا قال تعالى إرشادًا لنبيه صلىٰ اللَّه تعالىٰ عليه وآله وسلم إلىٰ الجواب لهم[١٠] عما سألوا : ﴿ **فقل إنما الغيب لله** ﴾ أي : الأمر كله للَّه ، وهو يعلم العواقب في الأمور ﴿ **فانتظروا إني معكم من المنتظرين** ﴾ أي : إن كنتم لا تؤمنون حتىٰ تشاهدوا ما سألتم ، فانتظروا حكم اللَّه في وفيكم .

هذا مع أنهم قد شاهدوا من معجزاته[١١] صلىٰ اللَّه عليه وسلم أعظم مما سألوا ، حين أشار بحضرتهم إلىٰ القمر ليلة إبدراه فانشق باثنتين[١٢] فرقة من وراء الجبل وفرقة من

---

(٢١) - أخرج البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : سؤال المشركين أن يُريهم النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - آية ... (٣٦٣٦) ، ومسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم، باب : انشقاق القمر (٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥) (٢٨٠٠) ، وغيرهما من حديث ابن مسعود قال : « انشق القمر على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم =

---

[١] - في ز ، خ : « ليقضي » .
[٢] - في ز : « أعتب » .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ت : « أنزل الله » .
[٥] - في ز : « و » .
[٦] - في ز : « قال تعالى » .
[٧] - في ت : « آمنوا » .
[٨] - في ت : « عذبوا » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ت : «نظارَهم » ؟
[١٠] - في ز ، خ : « لهم عما » .
[١١] - في ت : « آياته » .
[١٢] - في ت : « اثنتين » .

دونه(٢١) ، وهذا أعظم من سائر الآيات الأرضية مما سألوا ومالم يسألوا ، ولو علم الله منهم أنهم سألوا ذلك استرشادًا وتثبتًا لأجابهم ، ولكن علم أنهم إنما يسألون عنادًا وتعنتًا فتركهم فيما رابهم ، [وعلم أنهم لا][١] يؤمن منهم أحد[٢]، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ . وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو أننا نزلنا[٣] إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ . ولما[٤] فيهم من المكابرة كقوله تعالىٰ : ﴿ **ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون وقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** ﴾ . وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإن يروا كِسْفًا من السماء ساقطًا يقولوا سحاب مركوم** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا إلا سحر مبين** ﴾ . فمثل هؤلاء أقل من أن يجابوا إلىٰ ما سألوا ؛ لأنه لا فائدة في [جواب هؤلاء][٥]؛ لأنه دائر علىٰ تعنتهم وعنادهم لكثرة فجورهم وفسادهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **فانتظروا إني معكم من المنتظرين** ﴾ .

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

= شقتين ، فقال النبيّ - صلى الله عليه وسلم - : « **اشهدوا** » .

---

[١] - في ز ، خ : « ولكن من لم » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « أنزلنا » .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين في م : « جوابهم » .

يخبر تعالىٰ أنه إذا أذاق الناس رحمة من بعد ضراء مستهم ، كالرخاء بعد الشدة ، والخصب بعد الجدب ، والمطر بعد القحط ونحو ذلك ﴿ **إذا لهم مكر في آياتنا** ﴾ .

قال مجاهد : استهزاء وتكذيب . كقوله : ﴿ **وإذا مس الإنسان الضر**[١] **دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه** ﴾ . وفي الصحيح(٢٢) أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم صلَّىٰ بهم الصبح علىٰ إثر سماء [كانت من الليل أي : مطر][٢]، ثم قال : « **هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟** » قالوا[٣]: اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل اللَّه ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب** » .

وقوله : ﴿ **قل اللَّه أسرع مكرًا** ﴾ أي : أشد استدراجًا وإمهالًا ، حتىٰ يظن الظان من المجرمين أنه [ليس بمعذب][٤] وإنما هو في مهلة ، ثم يؤخذ علىٰ غرة منه ، والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله ويحصونه[٥] عليه، ثم يعرضونه علىٰ عالم الغيب والشهادة ، فيجازيه علىٰ الجليل والحقير والنقير والقطمير .

ثم أخبر تعالىٰ أنه ﴿ **هو**[٦] **الذي يسيركم في البر والبحر** ﴾ أي : يحيطكم[٧] ويكلؤكم بحراسته ﴿ **حتىٰ إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها** ﴾ أي : بسرعة سيرهم رافقين[٨]، فبينما هم كذلك إذ ﴿ **جاءتها** ﴾ أي : تلك السفن ﴿ **ريح عاصف** ﴾ أي : شديدة ﴿ **وجاءهم الموج من كل مكان** ﴾ أي : اغتلم البحر عليهم ﴿ **وظنوا أنهم أحيط بهم** ﴾ أي : هلكوا ﴿ **دعوا اللَّه مخلصين له الدين** ﴾ أي[٩] : لا يدعون معه صنمًا ولا وثنًا ، بل[١٠] يفردونه بالدعاء والابتهال ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وإذا**

---

(٢٢) - أخرجه البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : يستقبلُ الإمام الناسَ إذا سلم (٨٤٦) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان باب : بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء (١٢٥) (٧١) ، وأبو داود ، كتاب : الطب ، باب : في النجوم (٣٩٠٦) ، والنسائي ، كتاب : الاستسقاء ، باب : كراهية الاستمطار بالكوكب (٣/١٦٤ - ١٦٥) ، وأحمد (٤/١١٥) من حديث زيد بن خالد الجهني .

---

[١] - في ز : « ضر » .
[٢] - في ز : « مطر أصابهم من الليل » .
[٣] - في ز ، خ : « قلنا » .
[٤] - في ز ، خ : « يعذب » .
[٥] - بعده في ت : عليه .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ت : « يحفظكم » .
[٨] - في ز ، خ : « واقفين » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من : خ .

مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلىٰ البر أعرضتم وكان الإنسان كفورًا ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **دعوا اللَّه مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه** ﴾ أي : هذه الحال ﴿ **لنكونن من الشاكرين** ﴾ أي : لا نشرك بك أحدًا ، ولنفردنك بالعبادة هناك ، كما أفردناك بالدعاء هاهنا ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلما أنجاهم** ﴾ أي : من تلك الورطة ﴿ **إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق** ﴾ أي : كأن لم يكن من ذاك شيء ﴿ **كأن لم يدعنا إلىٰ ضر مسه** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الناس إنما بغيكم علىٰ أنفسكم** ﴾ أي : إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم ، ولا تضرون به أحدًا غيركم ، كما جاء في الحديث(٢٣) : « **ما من ذنب أجدر أن يعجل اللَّه عقوبته في الدنيا - مع ما يدخر اللَّه لصاحبه في الآخرة - من البغي وقطيعة الرحم** » .

وقوله : ﴿ **متاع الحياة الدنيا** ﴾ [أي : إنما لكم متاع في الحياة الدنيا الدنيئة][١] الحقيرة ﴿ **ثم إلينا مرجعكم** ﴾ أي : مصيركم ومآلكم[٢] ﴿ **فننبئكم** ﴾ أي : فنخبركم بجميع أعمالكم ونوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد اللَّه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه .

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

ضرب تعالىٰ مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها ، وسرعة انقضائها وزوالها ، بالنبات الذي[٣] أخرجه اللَّه من الأرض بما[٤] أنزل من السماء من الماء ، مما يأكل الناس من زروع[٥] وثمار

(٢٣) - **صحيح** ، أخرجه أبو داود ، كتاب : الأدب ، باب : في النهي عن البغي (٤٩٠٢) ، والترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : « انظروا إلى من هو أسفل منكم » (٢٥١٣) ، وابن ماجة ، كتاب : الزهد =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « ما بكم » .
[٣] - في ز : « التي » .
[٤] - في ت : « بماء » .
[٥] - في ز : « زرع » .

علىٰ اختلاف أنواعها وأصنافها ، وما تأكل الأنعام من أب وقضب وغير ذلك ﴿ **حتىٰ إذا أخذت الأرض زخرفها** ﴾ أي : زينتها الفانية ﴿ **وازينت** ﴾ أي : حسنت بما خرج من[١] رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان ﴿ **وظن أهلها** ﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿ **أنهم قادرون عليها** ﴾ أي : علىٰ جذاذها وحصادها ، [فبينما هم][٢] كذلك إذ جاءتها صاعقة[٣] أو ريح شديدة[٤] باردة ، فأيبست أوراقها[٥] وأتلفت ثمارها ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أتاها أمرنا ليلًا أو نهارًا فجعلناها حصيدًا** ﴾ أي : يبسًا بعد الخضرة والنضارة ﴿ **كأن لم تغن بالأمس** ﴾ أي : كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك .

وقال قتادة : ﴿ **كأن لم تغن** ﴾ كأن لم تنعم .

وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن ؛ ولهذا جاء في الحديث(٢٤)[٦] « **يؤتىٰ بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة ، فيقال[٧] له : هل رأيت خيرًا قط ؟ [هل مر بك نعيم قط ؟][٨] فيقول : لا . [ويؤتي بأشد الناس عذابًا في الدنيا فيغمس في النعيم غمسة ، ثم يقال له : هل رأيت بؤسًا قط ؟ فيقول : لا][٩]** ».

وقال تعالىٰ إخبارًا عن المهلكين : ﴿ **فأصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **كذلك نفصل الآيات** ﴾ أي : نبين الحجج والأدلة ﴿ **لقوم يتفكرون** ﴾ فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا عن[١٠] أهلها سريعًا ، مع اغترارهم[١١] بها وتمكنهم وثقتهم[١٢] بمواعيدها [وتفلتها عنهم][١٣]، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها ،

= باب : البغي ، وأحمد (٢٠٤٢٦) (٣٦/٥) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٩) وغيرهم من حديث أبي بكرة ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن صحيح»، وصححه ابن حبان (٤٥٥/٢ ، ٤٥٦) ، والحاكم (٣٥٦/٢) ، (١٦٣/٤) ووافقه الذهبي وهو كما قالوا .

(٢٤) - أخرجه مسلم ، كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم ، (٥٥) (٢٨٠٧) ، وأحمد (١٣١٣٥ ، ١٣٦٨٦) (٢٠٣/٣ ، ٢٥٣) من حديث ثابت البناني عن أنس فذكر الحديث ، وقد أورده المصنف هنا بمعناه ، وأخرجه أيضًا ابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : صفة النار (٤٣٢١) من طريق حميد عن =

[١] - في ت : « في » .
[٢] - في خ : « فبينما هم » .
[٣] - في خ : « عاصفة » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز ، خ : « أرزاقها » .
[٦] - في ت : « الحديث » .
[٧] - في ز : « ثم يقال » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ت : « من » .
[١١] - في ز : « إعزازهم » .
[١٢] - سقط من : ز .
[١٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « نقلتها منهم » .

والطلب لمن هرب منها ، وقد ضرب الله مثل الحياة[١] الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتابه العزيز ؛ فقال في سورة الكهف : ﴿ **واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح وكان الله علىٰ كل شيء مقتدرًا** ﴾ . وكذا في سورة الزمر والحديد ، يضرب الله[٢] بذلك مثل الحياة الدنيا كماء .

و[٣] قال ابن جرير(٢٥) : حدثني الحارث ، حدثنا[٤] عبد العزيز ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو[٥] بن دينار ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ قال : سمعت مروان - يعني ابن الحكم - يقرأ[٦] علىٰ المنبر (وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها وما كان الله ليهلكها[٧] إلا بذنوب أهلها) قال : قد قرأتها وليست في المصحف . فقال عباس [بن عبد الله][٨] بن عباس : هكذا يقرؤها ابن عباس . فأرسلوا إلىٰ ابن عباس ، فقال : هكذا أقرأني أبي بن كعب .

وهذه قراءة غريبة ، وكأنها زيادة[٩] للتفسير .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **والله يدعو إلىٰ دار السلام** ﴾ . [الآية . لما ذكر تعالىٰ الدنيا وسرعة زوالها ، رغب في الجنة ودعا إليها وسماها دار السلام][١٠]، أي : من الآفات والنقائص والنكبات ، فقال : ﴿ **والله يدعو إلىٰ دار السلام ويهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم** ﴾ .

قال أيوب(٢٦) ، عن أبي قلابة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **قيل لي : لتنم عينك ، وليعقل قلبك ، ولتسمع أذنك ، فنامت عيني ، وعقل[١١] قلبي ، وسمعت**

= أنس ، وفي إسناده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه .

(٢٥) - **إسناد ضعيف جدًا** ، وهو في « التفسير » لابن جرير (١١/١٠٢ - ١٠٣) ، وعبد العزيز هذا هو ابن أبان الأموي ، متروك وكذبه ابن معين وغيره ، وعبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن هذا لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من الكتب والله أعلم .

(٢٦) - **مرسل** ، أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/١٠٣) هكذا كما أورده « المصنف » عن أبي قلابة مرسلًا ، وقد وصله الدارمي في سننه (١١) ، والطبراني في « الكبير » (٥/٤٥٩٧) من طريق ريحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب - أقحم هنا عند الدارمي أبو سلامة - عن أبي قلابة عن عطية أنه =

[١] - سقط من : ت .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز ، خ : « بن » .
[٥] - في ز ، خ : « عبد » .
[٦] - في ز ، خ : « يقول » .
[٧] - في ز : « ليهلكهم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - في ت : « زيدت » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] - في خ : « وسمع » .

أذني ، ثم قيل [لي : مثلي ومثل ما جئت كمثل][١] سيد بنىٰ دارًا ، ثم صنع مأدبة وأرسل داعيًا ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ورضي عنه السيد ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد وفالله السيد ، والدار الإسلام ، والمأدبة الجنة ، والداعي محمد صلىٰ الله عليه وسلم » .

وهذا حديث مرسل ، وقد جاء متصلًا من حديث الليث ، عن خالد بن يزيد[٢]، عن سعيد ابن أبي هلال ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : خرج علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يومًا ، فقال : « **إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي ، وميكائيل عند رجلي ، يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلًا . فقال : اسمع سمعت أذنك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارًا ، ثم بنىٰ فيها بيتًا ، ثم جعل فيها مأدبة ، ثم بعث رسولًا يدعو الناس إلىٰ طعامه ، فمنهم من أجاب الرسول ، ومنهم من تركه ، فالله الملك ، والدار الإسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يا محمد الرسول ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل منها** » . رواه ابن جرير(٢٧) .

وقال قتادة : حدثني خليد العصري ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من يوم طلعت فيه شمسه إلا وبجنبتيها[٣] ملكان يناديان[٤]، يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين : يا أيها الناس ؛ هلموا إلىٰ ربكم ، إن ما قل وكفىٰ خير مما كثر**

= سمع ربيعة الجرشي فذكره ، وحسن إسناده الهيثمي في « المجمع » (٢٦٣/٨) وجوّده الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٢٥٦/١٣) ، وربيعة الجرشي ، مختلف في صحبته ، وريحان وعباد فيهما كلام ، وانظر ما بعده .

(٢٧) - **إسناده فيه انقطاع** ، ابن جرير في تفسيره (١٠٤/١١) ، وأخرجه الترمذي ، كتاب : الأمثال ، باب : ما جاء في مثل الله لعباده (٢٨٦٤) ، والبخاري في « الصحيح » معلقًا - بالسند دون اللفظ - عقب حديث رقم (٧٢٨١) ، والإسماعيلي وأبو نعيم - كما في « الفتح » (٢٥٦/١٣) من طريق قتيبة ، حدثنا الليث به ، وقال الترمذي « هذا حديث مرسل ، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبد الله » ، قلت : وقد وصله الحاكم في « المستدرك » (٣٣٨/٢ - ٣٣٩) وعنه البيهقي في « الدلائل » (٣٧٠/١) من طريق عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال ، قال : سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين وتلا هذه الآية : ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام** ... ﴾ فقال : حدثني جابر ابن عبد الله ... فذكر الحديث وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي ، وعبد الله بن صالح ، فيه ضعف من قبل حفظه ، لكن قال الترمذي: « وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بإسناد أصح من هذا » قلت : وهو ما أخرجه البخاري ، كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، ب : الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٧٢٨١) ثنا محمد بن عبادة نا يزيد =

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز ، خ : « سويد » .
[٣] - في ز : « وبجنبيها » . [٤] - سقط من : ز ، خ .

وألهىٰ ». قال : وأنزل [ ][١] ذلك في القرآن ، في قوله : « يا أيها الناس هلموا إلىٰ ربكم ﴿ **والله يدعو إلىٰ دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير(٢٨) .

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح [أن له][٢] الحسنىٰ في الدار الآخرة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وزيادة** ﴾ يشمل[٣] تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف وزيادة علىٰ ذلك أيضًا[٤]، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرّة أعين ، وأفضل من[٥] ذلك وأعلاه النظر إلىٰ وجهه[٦] الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ، لا يستحقونها بعملهم بل بفضله ورحمته[٧]، وقد رُوِيَ[٨] تفسير الزيادة بالنظر إلىٰ وجهه[٩] الكريم عن أبي بكر الصديق(٢٩) ، وحذيفة بن

= ثنا سليم بن حيان – وأثنى عليه – ثنا سعيد بن ميناء ثنا أو سمعت جابر بن عبد الله يقول ، فذكر الحديث بلفظ مقارب من هذا .

(٢٨) – **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٠٤/١١) ومختصرًا (٢٢١/٣٠) وابن أبي حاتم (١٠٣٢٦/٦) ، وكذا عزاه الحافظ في «الفتح» (٣٠٤/٣) إلى ابن أبي حاتم ، وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٣٤١٢/٣) من طريق عباد بن راشد عن قتادة به ، وأخرجه مختصرًا الطيالسي (٩٧٩) ، وأحمد (٢١٨١٢) (٥/ ١٩٧) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٨٩١/٣) ، وفي « الكبير » – كما في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٢٥٨) – وأبو نعيم في « الحلية » (٢٢٦/١) ، (٢٣٢/٢) ، (٦٠/٩) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (٨١٠/٢) ، والبغوي في « شرح السنة » (٤٠٤٥/١٤) وصححه ابن حبان (٦٨٦/٢) ، (٣٣٢٩/٨) ، والحاكم (٤٤٤/٢ – ٤٤٥) ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا . وكذا صححه على شرط مسلم الألباني في « الصحيحة » (٤٤٣/١) .

(٢٩) – **صحيح موقوف** ، أخرجه ابن جرير (١٠٤/١١) ، وهناد في « الزهد » (١٧٠) ، وعبد الله بن أحمد في « السنة » (٤٧١) ، والآجري في « الشريعة » (٦٣٠ ، ٦٣٢) ، وابن منده في « الرد على الجهمية » (٨٤) ، والدارقطني في « الرؤية » (١٩٢ : ٢٠١) وغيرهم ، وصححه الألباني في « ظلال الجنة » (٤٧٤) مستشهدًا له بحديث صهيب الآتي برقم (٣٢) .

[١] – في ز : « في ذلك القرآن » .
[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] – في ز : « يشمل » .
[٤] – سقط من : ز .
[٥] – سقط من : ز .
[٦] – في ز : « وجه الله » .
[٧] – في ز : « برحمته » .
[٨] – في ز ، خ : « رُوِيَ في » .
[٩] – في ز : « وجه الله » .

اليمان(٣٠) ، وعبد الله بن عباس(٣١) ، وسعيد بن المسيب ، وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، وعبد الرحمن بن سابط ، ومجاهد ، وعكرمة ، وعامر بن سعد ، وعطاء ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم من السلف والخلف .

وقد وردت فيه[١] أحاديث كثيرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد(٣٢) : حدثنا عفان ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن صهيب - رضي الله عنه - : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم تلا هذه الآية ﴿ **للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة** ﴾ وقال : « **إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادىٰ مناد : يا أهل الجنة ؛ إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه . فيقولون : وما هو ؟ ألم يثقل موازيننا ؟ ألم[٢] يبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، ويزحزحنا من النار ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه ، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ، ولا أقر لأعينهم** » .

وهكذا رواه مسلم وجماعة من الأئمة من حديث حماد بن سلمة به .

وقال ابن جرير(٣٣) : أخبرنا يونس ، قال[٣]: أخبرنا ابن وهب ، قال[٤]: أخبرني شبيب ، عن أبان عن أبي تميمة الهجيمي ، أنه سمع أبا موسىٰ الأشعري يحدّث ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله يبعث يوم القيامة مناديًا ينادي : يا أهل الجنة - بصوت**

(٣٠) - **صحيح موقوف** ، أخرجه ابن جرير (١١/١٠٥) ، وهناد في « الزهد » (١٧٠) ، وعبد الله بن أحمد في « السنة » (٤٧٣) ، والدارقطني في « الرؤية » (٢٠٢ ، ٢٠٦) وغيرهم .

(٣١) - أخرجه ابن جرير (١١/١٠٨) ، وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي - كما في « الدر المنثور » (٣/ ٥٤٨) .

(٣٢) - **صحيح** « المسند » (١٨٩٩٤) (٤/٣٣٣) ، وأخرجه أيضًا (١٨٩٨٨ ، ١٨٩٨٩) (٤/٣٣٢) (٢٤٠٣٠) (٦/١٥) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (٢٩٧ ، ٢٩٨) (١٨١) ، والترمذي ، كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى (٢٥٥٥) ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة يونس (٣١٠٤) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب : النعوت (٤/٧٧٦٦) ، وفي « التفسير » (٦/١١٢٣٤) ، وابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٨٧) من طرق عن حماد بن سلمة به .

(٣٣) - **إسناده ضعيف جدًا، ابن جرير في تفسيره** (١١/١٠٥) وأبان هو ابن أبي عياش متروك الحديث ، ومن طريقه أخرجه الدارقطني في « الرؤية » (٤٣) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد» (٣/٧٨٢) ، وله طريق آخر عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي موسى الأشعري به موقوفًا - وهو الآتي .

[١] - في ز : « في ذلك » .

[٢] - في ز ، خ : « و » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

يُسْمِعُ أَوَّلَهُمْ وآخِرَهُم – إن اللّه وعدكم الحسنىٰ وزيادة ، فالحسنىٰ[١] الجنة ، والزيادة[٢] النظر إلىٰ وجه الرحمن عز وجل » .

رواه أيضًا ابن أبي حاتم(٣٤) من حديث أبي بكر الهذلي ، عن أبي تميمة الهجيمي به .

وقال ابن جرير أيضًا(٣٥) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن كعب بن عجرة ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم في قوله : **﴿ للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة ﴾** قال : « **[الزيادة](*) النظر إلىٰ وجه الرحمن عز وجل** » .

وقال أيضًا(٣٦) : حدثنا ابن عبد الرحيم ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، سمعت زهيرًا ، عمن سمع أبا العالية ، حدثنا أبي بن كعب ؛ أنه سأل رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم عن قول اللّه عز وجل : **﴿ للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة ﴾** قال : « **الحسنىٰ الجنة ، والزيادة النظر إلىٰ وجه اللّه عز وجل** » .

ورواه ابن أبي حاتم أيضًا من حديث زهير به .

---

(٣٤) – **كسابقه** ، (٦/١٠٣٤١) والهذلي أخباري تالف تركوا حديثه ، ومن طريقه أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٤١٩ – زوائد نعيم بن حماد) ، ومن طريق ابن المبارك أخرجه ابن جرير (١١/١٠٥) ، والدارقطني في « الرؤية » (٤٦) ، والبيهقي في « البعث والنشور » (٤٤٧) ، ومن طريق أخرى عن الهذلي أخرجه هناد في « الزهد » (١/١٦٩) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (ص ١٨٤) ، وابن جرير والدارقطني (٤٤ ، ٤٥) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٧٨٥ ، ٧٨٦) .

(٣٥) – **إسناده ضعيف** ، تفسير ابن جرير (١١/١٠٧) ومن طريق ابن حميد أخرجه عبد الله بن أحمد في « السنة » (٤٨٤) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٧٨١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥/٢٠٤) ، وابن حميد – وهو محمد بن حميد الرازي – حافظ ضعيف وكان ابن معين حسن الرأى فيه ، وشيخه إبراهيم بن المختار ، قال ابن معين : ليس بذلك ، وقال البخاري : فيه نظر ، وقال أبو داود لا بأس به وقال ابن حبان في « الثقات » (٨/٦٠) : « يتقى حديثه من رواية ابن حميد عنه » وعطاء وهو الخراساني روايته عن كعب بن عجرة مرسلة ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٥٤٧) إلى ابن مردويه ، والبيهقي في « كتاب الرؤية » .

(*) ما بين المعكوفتين زيادة من ابن جرير .

(٣٦) – **إسناده فيه جهالة** ، تفسير ابن جرير (١١/١٠٧) ، وأخرجه اللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (٣/٧٨٠) من طريق الوليد بن مسلم ثنا زهير بن محمد به ، وإسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي العالية ، وأخرجه الدارقطني في « الرؤية » (١٨٣) ، واللالكائي (٨٤٩) من طريقين عن قحطبة بن غدانة – تصحف عند الدارقطني إلى عبدانة – ثنا أبو خلدة عن أبي العالية فذكره ، وأبو خَلْدة وهو خالد بن دينار التميمي صدوق ، لكن الإسناد إلى قحطبة – عند كليهما – فيه ضعف أو جهالة .

---

[١] – في ز : « الحسنىٰ » . [٢] – في ز ، خ : « وزيادة » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ولا يرهق وجوههم قتر ﴾ أي : قتام[١] وسواد في عرصات المحشر ، كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القترة والغبرة ﴿ ولا ذلة ﴾ أي[٢] : هوان وصغار ، أي : لا يحصل لهم إهانة في الباطن ولا في[٣] الظاهر ، بل هم كما قال تعالىٰ في حقهم : ﴿ فوقاهم اللّٰه شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسرورًا ﴾ أي : نضرة في وجوههم وسرورًا في قلوبهم ، جعلنا اللّٰه منهم بفضله ورحمته آمين !

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

لما أخبر تعالىٰ عن حال السعداء الذين يضاعف لهم الحسنات ، ويزدادون علىٰ ذلك ، عطف بذكر حال الأشقياء ، فذكر تعالىٰ عدله فيهم ، وأنه يجازيهم علىٰ السيئة بمثلها لا يزيدهم علىٰ ذلك ﴿ وترهقهم ﴾ أي : تعتريهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها ، كما قال : ﴿ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ ولا تحسبن اللّٰه غافلًا عما يعمل الظالمون * إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب ﴾ . وقوله : و ﴿ ما لهم من اللّٰه من عاصم ﴾ أي : مانعٍ ولا واقٍ يقيهم العذاب ، كقوله تعالىٰ : ﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلىٰ ربك يومئذ المستقر ﴾ .

وقوله : ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا ﴾ . إخبار عن سواد وجوههم في الدار الآخرة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ يوم تبيض وجوه ، وتسودّ وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة اللّٰه هم فيها خالدون ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك الكفرة الفجرة ﴾ .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن

---

[١] - في ز : « قتار » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ويوم نحشرهم** ﴾ أي : أهل الأرض كلهم ؛ من إنس وجن ، وبر وفاجر ، كقوله : ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا** ﴾ . ﴿ **ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم** ﴾ . أي : الزموا أنتم وهم مكانًا معينًا ، امتازوا فيه عن مقام المؤمنين ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون** ﴾ ، وفي الآية الأخرىٰ : ﴿ **يومئذ يصدعون** ﴾ أي : يصيرون صدعين ، وهذا يكون إذا جاء الرب تبارك وتعالىٰ لفصل القضاء ؛ ولهذا قيل ذلك [ ][١] يستشفع المؤمنون إلىٰ الله تعالىٰ أن يأتي لفصل القضاء ويريحنا من مقامنا هذا(٣٧) ، وفي الحديث الآخر(٣٨) : « **نحن يوم القيامة علىٰ كوم فوق الناس** » .

وقال الله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة ، إخبارًا عما يأمر به المشركين وأوثانهم يوم القيامة ﴿ **مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون** ﴾ . أنهم أنكروا عبادتهم وتبرءوا منهم ، كقوله : ﴿ **كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر**

---

(٣٧) - أخرجه أحمد (١٢١٧٣) (١١٦/٣) ، والبخاري ، كتاب : التفسير ، باب : سورة البقرة (٤٤٧٦) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٢) (١٩٣) ، والنسائي في الكبرى في « التفسير » (١٠٩٨٤/٦) ، وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : ذكر الشفاعة (٤٣١٢) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه .

(٣٨) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (١٤٧٦٤) (٣٤٥/٣) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير أنه سأل جابرًا عن الورود قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول ... فذكره ، وابن لهيعة سيئ الحفظ ، وقد خالفه ابن جريج فقال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يُسْأل عن الورود فقال - هكذا موقوفًا - « نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس - وقد أفاد النووي في «شرح صحيح مسلم » (٥٩/٣) نقلا عن القاضي عياض .... أن هذا اللفظ فيه تغيير كثير وتصحيف وصوابه « نجيء يوم القيامة على كوم » وانظر بقية كلامه هناك - واللفظ الذى أورده المصنف له شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن خريمة في « التوحيد » (ص ٢٣٥ - ٢٣٦) ، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٢/ ٧٥٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في ز .

الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ .

وقوله[١] في هذه الآية إخبارًا عن قول الشركاء فيما راجعوا فيه عابديهم عند ادعائهم عبادتهم ﴿ **فكفىٰ بالله شهيدًا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين** ﴾ . أي : ما كنا نشعر بها[٢] ولا نعلم بها، وإنما أنتم[٣] كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم ، والله شهيد بيننا وبينكم أنا ما دعوناكم إلىٰ عبادتنا ، ولا أمرناكم بها ، ولا رضينا منكم بذلك .

وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين[٤] الذين عبدوا مع الله غيره ، ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئًا ، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي به ولا أراده ، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه ، وقد تركوا[٥] عبادة الحي القيوم السميع البصير القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، وقد أرسل رسله وأنزل كتبه ، آمرًا بعبادته وحده لا شريك له ، ناهيًا عن عبادة ما سواه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدىٰ الله ومنهم من حقت عليه الضلالة** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ، وقال : ﴿ **واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟** ﴾ .

والمشركون أنواع وأقسام كثيرون قد ذكرهم الله في كتابه ، وبين أحوالهم وأقوالهم ، ورد عليهم فيما هم فيه[٦] أتم رد .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت** ﴾ أي : في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس ، وتعلم ما أسلفت[٧] من خير وشر ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **يوم تبلىٰ السرائر** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا * اقرأ كتابك كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيبًا** ﴾ .

وقد قرأ بعضهم : (هنالك تتلوا كل نفس ما أسلفت) وفسرها بعضهم بالقراءة ، وفسرها بعضهم بمعنىٰ تتبع ما قدمته[٨] من خير وشر ، وفسرها بعضهم بحديث(٣٩) :

---

(٣٩) - أخرجه البخاري ، كتاب : الأذان ، باب : فضل السجود (٨٠٦) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : معرفة طريق الرؤية (٢٩٩) (١٨٢) ، وأحمد (٢/٢٧٥) مطولًا من حديث أبي هريرة ومختصرًا =

---

[١] - في ز : « قال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - في ز : « بالمشركين » .
[٥] - في ز : « ترك » .
[٦] - بعده في خ : « من » .
[٧] - في ت : « سلف من عملها » .
[٨] - في ت : « قدمت » .

« **تتبع[١] كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت** » . الحديث .

وقوله : ﴿ **وردوا إلىٰ الله مولاهم الحق** ﴾ أي : ورجعت الأمور كلها إلىٰ الله الحكم العدل ، ففصلها وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

﴿ **وضل عنهم** ﴾ أي : ذهب عن المشركين ﴿ **ما كانوا يفترون** ﴾ أي : ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه .

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

يحتج تعالىٰ على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية الإلٰه ، فقال تعالىٰ : ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض** ﴾ أي : من ذا[٢] الذي ينزل من السماء ماء المطر[٣]، فيشق[٤] الأرض شقًّا بقدرته ومشيئته ، فيخرج منها ﴿ **حبًّا * وعنبًا وقضبًا * وزيتونًا * ونخلًا وحدائق غلبًا * وفاكهة وأبًّا** ﴾ ، ﴿ **أإله مع الله** ﴾ ، ﴿ **فسيقولون الله** ﴾ وكذلك قوله : ﴿ **أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه** ﴾ . وقوله[٥]: ﴿ **أمّن[٦] يملك السمع والأبصار** ﴾ أي : الذي وهبكم هذه القوة السامعة ، والقوة الباصرة ، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم[٧] إياها ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل : هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلًا ما تشكرون** ﴾ . وقال : ﴿ **قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به** ﴾ .

= عند النسائي (٢٢٩/٢) ، وابن ماجة (٤٣٢٦) ، وأخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة » (٤٥٨١) ، ومسلم (٣٠٢) (١٨٣) ، وأحمد (١١١٤١) (١٦/٣ - ١٧) من حديث أبي سعيد الخدري .

[١] - في ز : « لتتبع » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ز ، خ : « و » .
[٤] - في ز : « يشق » .
[٥] - في ز : « وكذا قل » ، خ : « وكذلك قوله » .
[٦] - في ز : « من » .
[٧] - في ز : « سلبكم » .

وقوله : ﴿ **ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** ﴾ أي : بقدرته العظيمة ومنته العميمة ؛ وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك ، وأن الآية عامة في ذلك كله .

وقوله[١]: ﴿ **ومن يدبر الأمر** ﴾ أي : من بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴿ **يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن** ﴾ فالملك كله ؛ العلوي والسفلي ، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان ، فقيرون إليه ، عبيد له ، خاضعون لديه . ﴿ **فسيقولون الله** ﴾ أي : هم يعلمون ذلك ويعترفون به ﴿ **فقل أفلا تتقون** ﴾ أي : أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم .

وقوله : ﴿ **فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون** ﴾ أي : فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق ، الذي يستحق أن يفرد بالعبادة ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال** ﴾ أي : فكل معبود سواه باطل ، لا إله إلا هو واحد لا شريك له . ﴿ **فأنى تصرفون** ﴾ أي : فكيف تصرفون عن عبادته إلىٰ عبادة ما سواه ، وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء ، والمتصرف في كل شيء .

وقوله : ﴿ **كذلك حقت كلمة ربك علىٰ الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون** ﴾ . أي : كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا علىٰ شركهم ، وعبادتهم مع الله غيره ، مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده ، الذي بعث رسله بتوحيده ، فلهذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من ساكني النار ، كقوله[٢]: ﴿ **قالوا بلىٰ ولكن حقت كلمة العذاب علىٰ الكافرين** ﴾ .

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

وهذا إبطال لدعواهم فيما أشركوا بالله غيره ، وعبدوا من الأصنام والأنداد ﴿ **قل هل من**

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .

شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ أي : من بدأ خلق هذه السموات والأرض ، ثم ينشئ ما فيهما من الخلائق ، ويفرق أجرام السموات والأرض ويبدلهما[١] [بفناء ما فيهما][٢] ، ثم يعيد الخلق[٣] خلقًا جديدًا ﴿ **قل الله** ﴾ هو الذي يفعل هذا ، ويستقل به وحده لا شريك له ﴿ **فأنى تؤفكون** ﴾ أي : فكيف تصرفون عن طريق الرشد إلى الباطل .

﴿ **قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق** ﴾ أي : أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر على هداية ضال ، وإنما يهدي الحيارى والضلال ، ويقلب القلوب من الغي إلى الرشد ، الله الذي لا إله إلا هو ﴿ **أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمّن لا يهدّي إلا أن يهدى** ﴾ أي : أفيتبع [العبد الذي يهدي إلى الحق ، ويُبَصِّر بعد العمى ، أم الذي لا يهدي إلى شيء إلا أن][٤] يهدى لعماه وبكمه ، كما قال تعالى إخبارًا عن إبراهيم أنه قال : ﴿ **يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا** ﴾ ، وقال لقومه : ﴿ **أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : ﴿ **فما لكم كيف تحكمون** ﴾ أي : فما بالكم[٥] أن[٦] يذهب بعقولكم ؟! كيف سوّيتم بين الله وبين خلقه ، وعدلتم هذا بهذا ، وعبدتم هذا وهذا ؟ وهلا أفردتم الرب جل جلاله المالك الحاكم الهادي من الضلالة - بالعبادة وحده ، وأخلصتم إليه الدعوة والإنابة ؟

ثم بين تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلًا ولا برهانًا ، وإنما هو ظن منهم أي : توهم وتخيل ، وذلك لا يغني عنهم شيئًا ﴿ **إن الله عليم بما يفعلون** ﴾ تهديد لهم ووعيد شديد ؛ لأنه تعالى أخبر[٧] أنه سيجازيهم على ذلك أتم الجزاء .

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا

---

[١] - في ز : « يبدلها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « الخلائق » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « لكم » .
[٦] - في ز : « أي » .
[٧] - في ز ، خ : « يخبر » .

يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

هذا بيان لإعجاز القرآن ، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ، ولا بعشر سور ولا بسورة[١] من مثله ؛ لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته ، واشتماله على المعاني العزيزة النافعة في الدنيا والآخرة ، لا تكون إلا من عند اللَّه الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله ، فكلامه[٢] لا يشبه كلام المخلوقين ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وما كان هذا القرآن أن يفترىٰ من دون اللَّه** ﴾ أي : مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند اللَّه ، ولا يشبه هذا كلام البشر ﴿ **ولكن تصديق الذي بين يديه** ﴾ أي : من الكتب المتقدمة ، ومهيمنًا عليها[٣] ، ومبينًا لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل .

وقوله : ﴿ **وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين** ﴾ أي : وبيان الأحكام والحلال والحرام بيانًا شافيًا كافيًا ، حقًّا لا مرية فيه من اللَّه رب العالمين ، كما تقدم في حديث الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب(٤٠) : « **فيه خبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وفصل ما بينكم** » . أي : خبر عما[٤] سلف وعما سيأتي ، وحكم فيما بين الناس بالشرع الذي يحبه اللَّه ويرضاه .

وقوله : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون اللَّه إن كنتم صادقين** ﴾ أي : إن ادعيتم وافتريتم وشككتم في أن هذا من عند اللَّه ، وقلتم كذبًا ومَيْنًا إن هذا من عند محمد ، فمحمد بشر مثلكم ، وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن فأتوا أنتم[٥] بسورة مثله . أي : من جنس هذا القرآن ، واستعينوا علىٰ ذلك بكل من قدرتم عليه : من إنس وجان .

وهذا هو المقام الثالث في التحدي ، فإنه تعالىٰ تحداهم ودعاهم إن كانوا صادقين في دعواهم أنه من عند محمد ، فلتعارضوه بنظير ما جاء به وحده ، واستعينوا[٦] بمن شئتم[٧] ، وأخبر أنهم لا يقدرون علىٰ ذلك ، ولا سبيل لهم إليه ، فقال تعالىٰ : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن علىٰ أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا** ﴾ ثم تقاصر معهم إلىٰ عشر سور منه ، فقال في أول سورة هود : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا**

---

(٤٠) - تقدم في « الفضائل » .

[١] - في ز : « سورة » .
[٢] - في ز : « وكلامه » .
[٣] - في ت : « عليه » .
[٤] - في ز ، خ : « ما » .
[٥] - في ز ، خ : « فأتوا أنتم » .
[٦] - في ت : « وليستعينوا » .
[٧] - في ت : « شاءوا » .

بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ . ثم تنازل إلى سورة ، فقال فى هذه السورة : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ . وكذا في سورة البقرة وهي مدنية تحداهم بسورة منه ، وأخبر أنهم لايستطيعون ذلك أبدًا ، فقال : ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار** ﴾ . الآية .

هذا وقد كانت الفصاحة من سجاياهم ، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها المنتهىٰ في هذا الباب ، ولكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد به ، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة[١] [هذا الكلام وحلاوته ، وجزالته وطلاوته ، وإفادته وبراعته][٢]، فكانوا أعلم الناس به ، وأفهمهم له ، وأتبعهم له ، وأشدهم له انقيادًا ، كما عرف السحرة لعلمهم بفنون السحر أن هذا الذي فعله موسىٰ - عليه السلام - لا يصدر إلا عن مؤيد مسدد مرسل من الله ، وأن هذا لايستطاع لبشر إلا بإذن الله .

وكذلك عيسىٰ - عليه السلام - بعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضىٰ ، فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتىٰ بإذن الله ، ومثل هذا لا مدخل للعلاج والدواء فيه ، فعرف من عرف منهم أنه عبد الله ورسوله ؛ ولهذا جاء في الصحيح(٤١) عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن علىٰ مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا** » .

وقوله : ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله** ﴾ يقول : بل كذب هؤلاء بالقرآن ولم يفهموه ولا عرفوه ﴿ **ولما يأتهم تأويله** ﴾ أي : ولم يحصّلوا ما فيه من الهدىٰ ودين الحق إلىٰ حين تكذيبهم به جهلًا وسفهًا ﴿ **كذلك كذب الذين من قبلهم** ﴾ أي : من الأمم السالفة ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** ﴾ أي : فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلمًا وعلوًّا وكفرًا وعنادًا وجهلًا ، فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم .

وقوله : ﴿ **ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين** ﴾ . أي : ومن هؤلاء الذين بعثت إليهم يا محمد من يؤمن بهذا القرآن و[٣]يتبعك ، وينتفع بما أرسلت

(٤١) - أخرجه البخاري ، كتاب : فضائل القرآن ، باب : كيف نزل الوحيُ ، وأول ما نزل (٤٩٨١) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (٢٣٩) (١٥٢) ، والنسائي في التفسير من الكبرى (١١١٢٩/٦) ، وأحمد (٢/ ٣٤١ ، ٤٥١) من حديث أبي هريرة .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز .

به ، ﴿ **ومنهم من لا يؤمن به** ﴾ بل يموت على ذلك ويبعث عليه ﴿ **وربك أعلم بالمفسدين** ﴾ أي : و[١]هو أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه ، ومن يستحق الضلالة[٢] فيضله ، وهو العادل الذي لا يجور ، بل يعطي كلًّا ما يستحقه تبارك وتعالى وتقدس وتنزه لا إله إلا هو .

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : وإن كذبك هؤلاء المشركون فتبرأ منهم ومن عملهم ﴿ **فقل لي عملي ولكم عملكم** ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ **قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون** ﴾ إلى آخرها ، وقال إبراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين : ﴿ **إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ .

وقوله ﴿ **ومنهم من يستمعون إليك** ﴾ [أي : ينظرون][٣] أي : يسمعون كلامك الحسن والقرآن العظيم ، والأحاديث الصحيحة الفصيحة النافعة في القلوب والأديان والأبدان، وفي هذا كفاية عظيمة ، ولكن ليس ذلك إليك ولا إليهم ، فإنك لا تقدر على إسماع الأصم وهو الأطرش ، فكذلك لا تقدر على هداية هؤلاء إلا أن يشاء الله .

﴿ [**ومنهم من ينظر**][٤] **إليك** ﴾ وإلى ما أعطاك الله من التؤدة والسمت الحسن والخلق العظيم ، والدلالة الظاهرة على نبوّتك لأولي البصائر والنُّهى ، وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم ولا يحصل لهم من الهداية شيء كما[٥] يحصل لغيرهم ، بل المؤمنون ينظرون إليك بعين الوقار ، والكافرون[٦] ينظرون إليك[٧] بعين الاحتقار ﴿ **وإذا رأوك إن يتخذونك إلا**

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « الضلال » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - خ : « أين ينظرو » .
[٥] - في خ : « كما » .
[٦] - في ت : « وهؤلاء الكفار » .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

هزوًا أهذا الذي بعث الله رسولًا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلًا ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ أنه لا يظلم أحدًا شيئًا وإن كان قد هدىٰ به من هدىٰ ، وبصر به من العمىٰ ، وفتح به أعينًا عميًا ، وآذانًا صمًّا ، وقلوبًا غلفًا ، وأضلّ به عن الإيمان آخرين ، فهو الحاكم المتصرف في ملكه بما يشاء ، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، لعلمه وحكمته وعدله ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون** ﴾ وفي الحديث : عن أبي ذر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : « **يا عبادي، إني حرمت الظلم علىٰ نفسي ، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا – إلىٰ أن قال في آخره – يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه** » . رواه مسلم بطوله(٤٢) .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مذكرًا للناس قيام الساعة ، وحشرهم من أجداثهم إلىٰ عرصات القيامة كأنهم[١] يوم يوافونها لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار ، [كقوله : ﴿ **كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار** ﴾ ،][٢] و[٣]كقوله : ﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقًا * يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرًا * نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يومًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة** ﴾ الآيتين ، وهذا كله دليل علىٰ استقصار الحياة الدنيا في الدار الآخرة ، كقوله : ﴿ **قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين * قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فاسأل العادّين * قال إن لبثتم إلا قليلًا لو أنكم كنتم تعلمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يتعارفون بينهم** ﴾ أي : يعرف الأبناء الآباء ، والقرابات بعضهم بعضًا[٤] كما كانوا في الدنيا ، ولكن كل مشغول بنفسه ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولا يسأل حميم حميمًا** ﴾ . الآيات .

---

(٤٢) – كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم (٥٥) (٢٥٧٧) .

---

[١] – سقط من خ .

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] – سقط من : ز

[٤] – في ز ، خ : « لبعض » .

وقوله : ﴿ **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ ؛ لأنهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران المبين ، فهذه هي الخسارة العظيمة [ولا خسارة أعظم من خسارة][١] من فرق بينه وبين أحبته[٢] يوم الحسرة والندامة .

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا لرسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿ **وإما نرينك بعض الذي نعدهم** ﴾ أي: ننتقم منهم[٣] في حياتك ؛ لتقر عينك منهم ﴿ **أو نتوفينك فإلينا مرجعهم** ﴾ أي : مصيرهم ومنقلبهم ، واللَّه شهيد علىٰ أفعالهم بعدك .

وقد قال الطبراني(٤٣) : حدثنا عبد اللَّه بن أحمد ، حدثنا عقبة بن مكرم ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا داود بن الجارود(*) ، عن [أبي الطفيل](**) ، عن حذيفة بن أسيد ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **عرضت عليَّ أمتي البارحة لدىٰ هذه الحجرة أولها و[٤] آخرها** » . فقال رجل : يا رسول اللَّه ، [هذا][٥] عرض عليك من خلق فكيف [عرض عليك] من لم يخلق ؟ فقال : « **صوّروا لي في الطين حتىٰ أني لأعْرَف بالإنسان منهم من أحدكم بصاحبه** » .

ورواه(٤٤) عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، عن عقبة بن مكرم ، عن يونس بن بكير ،

---

(٤٣) - في « المعجم الكبير » (٣/٣٠٥٥) وانظر ما بعده .

(*) لم أجد ترجمة في كتب الرجال ، وظني والله أعلم - على الرغم من وقوعه في « المعجم الكبير » هكذا - أنه تصحيف أو تحريف قديم ولعله يكون هو نفسه زياد بن المنذر - كما في الإسناد الثاني - وكنيته أبو الجارود ، وقد ذكر الهيثمي هذا الحديث في « المجمع » (١٠/٧٢) وضعفه بزياد بن المنذر هذا دون أن يتعرض للإسناد الأول ، والله أعلم .

(**) في (ز ، خ) أبي السليل وهو تحريف وصوابه ما أثبتناه كما في « المعجم الكبير » (٣/٣٠٥٥) وكتب الرجال .

(٤٤) - الطبراني أيضًا في « الكبير » (٣/٣٠٥٤) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٧٢) وقال : « رواه الطبراني وفيه زياد بن المنذر وهو كذاب » ، وقد أورده الألباني في « ضعيف الجامع الصغير » =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « أخيه » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - في ز : « إلى » .

[٥] - سقط من خ .

عن زياد بن المنذر ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد به نحوه .

وقوله : ﴿ **ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم** ﴾ قال مجاهد : يعني يوم القيامة .

﴿ **قُضِيَ بينهم بالقسط وهم لا يظلمون** ﴾. كقوله تعالىٰ : ﴿ **وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون** ﴾ . فكل أمة تعرض علىٰ اللَّه بحضرة رسولها ، وكتاب أعمالها من خير وشر موضوع شاهد عليهم ، وحفظتهم من الملائكة شهود أيضًا ، أمة بعد أمة ، وهذه الأمة الشريفة وإن كانت آخر الأمم في الخلق ، إلا أنها أول الأمم يوم القيامة يفصل بينهم ويقضىٰ لهم ، كما جاء في الصحيحين(٤٥) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، المقضىٰ لهم قبل الخلائق** » . فأمته إنما حازت قصب السبق بشرف[١] رسولها - صلوات اللَّه وسلامه عليه - دائمًا[٢] إلىٰ يوم الدين .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

= (٣٧٠٣/٢٩/٤) وزاد نسبته إلى الضياء في « المختارة » .

(٤٥) - **صحيح** ، هكذا أورده المصنف ، وعزاه للصحيحين ، وإنما أخرجه مسلم ، كتاب : الجمعة ، ب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٢٢) (٨٥٦) ، والنسائي ، كتاب : الجمعة ، باب : إيجاب الجمعة (٨٧/٣) ، وابن ماجة كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : في فرض الجمعة (١٠٨٣) من حديث حذيفة وأبي هريرة مرفوعًا بلفظ « ... **نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة - المقضى لهم قبل الخلائق** » وفي رواية : « **المقضى بينهم** » والجملة الأولى من الحديث أخرجها البخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : فرض الجمعة (٨٧٦) - وانظر أطرافه عند رقم (٢٣٨) - ، ومسلم (٢١) (٨٥٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة .

[١] - في ز : « لشرف » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كفر هؤلاء المشركين[١] في استعجالهم العذاب ، وسؤالهم عن وقته قبل التعيين ، مما لا فائدة [لهم فيه]، كقوله : ﴿ **يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق** ﴾ . أي : كائنة لا محالة ، وواقعة وإن لم يعلموا وقتها عينًا ، ولهذا أرشد تعالىٰ رسوله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إلىٰ جوابهم فقال : ﴿ **قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله** ﴾ . أي : لا أقول إلا ما علمني ، ولا أقدر علىٰ شيء مما استأثر به إلا أن يطلعني عليه ، فأنا عبده ورسوله إليكم ، وقد أخبرتكم بمجيء الساعة وأنها كائنة ، ولم يطلعني علىٰ وقتها ولكن[٢] ﴿ **لكل أمة أجل** ﴾ أي : لكل قرن مدة من العمر مقدرة[٣]، فإذا انقضىٰ أجلهم ﴿ **فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **ولن يؤخر اللّٰه نفسًا إذا جاء أجلها** ﴾ . الآية . ثم أخبرهم أن عذاب اللّٰه سيأتيهم بغتة ؛ فقال : ﴿ **قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتًا أو نهارًا** ﴾ [أي : ليلًا أو نهارًا][٤] ﴿ **ماذا يستعجل منه المجرمون * أثم إذا ما وقع آمنتم به** [**آلآن وقد كنتم به تستعجلون** ﴾] يعني : أنهم إذا جاءهم العذاب قالوا : ﴿ **ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا باللّٰه وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة اللّٰه التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون** ﴾ .

﴿ **ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد** ﴾ أي : يوم القيامة يقال لهم هذا تبكيتًا وتقريعًا ، كقوله : ﴿ **يوم يدعون إلىٰ نار جهنم دعًا هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون** ﴾ .

﴿ وَيَسْتَنْبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾

يقول تعالىٰ : ويستخبرونك أحق هو ؟ أي : المعاد والقيامة من الأجداث بعد صيرورة الأجسام ترابًا ﴿ **قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين** ﴾ أي : ليس صيرورتكم ترابًا بمعجز اللّٰه عن إعادتكم كما بدأكم من العدم ، فإنما ﴿ **أمره**[٥] **إذا أراد شيئًا أن يقول له كن**

[١] - في ز ، خ : « المشركون » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « مقدر » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ : « قوله » .

فيكون ﴾ .

وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آيتان أخريان يأمر الله تعالىٰ رسوله أن يقسم به علىٰ من أنكر المعاد في[١] سورة سبأ : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلىٰ وربي لتأتينكم** ﴾ . وفي التغابن : ﴿ **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلىٰ وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك علىٰ الله يسير** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ أنه إذا قامت القيامة يود الكافر لو افتدىٰ من عذاب الله بملء الأرض ذهبًا ﴿ **وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط** ﴾ أي : بالحق ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ .

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

يخبر تعالىٰ أنه مالك السموات والأرض ، وأن وعده حق كائن لا محالة ، وأنه يحيي ويميت[٢] وإليه مرجعهم ، وأنه القادر[٣] علىٰ ذلك ، العليم بما تفرق من الأجسام ، وتمزّق في سائر أقطار الأرض والبحار والقفار .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ خلقه بما [أنزل إليهم][٤] من القرآن العظيم علىٰ رسوله الكريم ﴿ **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم** ﴾ أي : زاجر عن الفواحش ﴿ **وشفاء لما في الصدور** ﴾ أي : من الشبه[٥] والشكوك ، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس . ﴿ **وهدىً ورحمة** ﴾ أي : فحصل لها الهداية والرحمة من الله تعالىٰ ، وإنما ذلك للمؤمنين به ، والمصدقين والموقنين بما فيه ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء**

---

[١] - سقط من: ز ، خ .

[٢] - في ت : « الموتىٰ » .

[٣] - في ز : « قادر » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « أنزله » .

[٥] - في خ : « التشبه » .

والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمي أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ .

وقوله تعالىٰ : **﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾** أي : بهذا الذي جاءهم من الله من[١] الهدىٰ ودين الحق فليفرحوا ، فإنه أولىٰ ما يفرحون به [**﴿ هو خير مما يجمعون ﴾**][٢] أي : من حطام الدنيا ، وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة ، كما قال ابن أبي حاتم(٤٦) في تفسير هذه الآية وذكر بسنده[٣] عن بقية - يعني[٤] ابن الوليد عن صفوان بن عمرو : سمعت أيفع[٥] بن عبد الكلاعي يقول : لما قدم خراج العراق إلىٰ عمر - رضي الله عنه - خرج عمر ومولىٰ له ، فجعل عمر يعد الإبل ، فإذا هي[٦] أكثر من ذلك ، فجعل عمر يقول : الحمد لله تعالىٰ . **﴿ قل بفضل الله وبرحمته ﴾** ويقول مولاه : هذا والله من فضل الله ورحمته . فقال عمر : كذبت ، ليس هذا ، هو الذي يقول الله تعالىٰ : **﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾** وهذا مما يجمعون .

وقد أسنده الحافظ أبو القاسم الطبراني(٤٧) فرواه عن أبي زرعة الدمشقي ، عن حيوة بن شريح ، عن بقية فذكره .

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾

قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : وغيرهم[٧] نزلت إنكارًا علىٰ المشركين فيما كانوا [يحلون ويحرمون] من البحائر والسوائب والوصايل ، كقوله تعالىٰ : **﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا ﴾** . الآيات .

---

(٤٦) - تفسير ابن أبي حاتم (٦/١٠٤٣٥) معلقًا عن بقية به وبقية يدلس ويسوي ولم يصرح هنا بالتحديث .

(٤٧) - لم أهتد إليه .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ت .

[٥] - في ز : « أنفع » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

وقال الإمام أحمد(٤٨) : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت أبا الأحوص - وهو عوف [بن مالك][١] بن نضلة - يحدث عن أبيه قال : أتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وأنا قَشِفُ الهيئة(*) ، فقال : « **هل لك مال ؟** » [قال][٢] قلت : نعم . قال : « **من أي المال** » ؟ قال : قلت : من كل المال ؛ من الإبل والرقيق والخيل والغنم[٣]. فقال[٤]: « **إذا آتاك الله مالاً فليُرَ عليك** » .وقال : « **هل تنتج [إبلك][٥] صحاحًا آذانها ، فتعمد إلىٰ موسىٰ فتقطع آذانها ، فتقول : هذه بُحرٌ(**) وتشقها ، أو[٦]تشق جلودها وتقول هذه صُرُم(***) ، وتحرمها عليك وعلىٰ أهلك** » . قال : نعم . قال : « **فإن ما آتاك الله عز وجل لك حل ، و[٧]ساعد الله أشد من ساعدك ، وموسىٰ الله أحد من موساك** » . وذكر تمام الحديث .

ثم رواه(٤٩) عن سفيان بن عيينة ، عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو ، عن عمه أبي الأحوص . وعن بهز بن أسد(٥٠) ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن أبي الأحوص به ، وهذا حديث جيّد قوي الإسناد .

---

(٤٨) - **صحيح** « المسند » (١٥٩٣٣) (٣/٤٧٣) ، وأخرجه من طرق عن أبي إسحاق به ، أحمد (٣/ ٤٧٣)، (٤/١٣٧) ، وأبو داود ، كتاب : اللباس ، باب : في غسل الثوب وفي الخلقان ، (٤٠٦٣) ، والترمذي ، كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في الإحسان والعفو (٢٠٠٧) ، والنسائي (٨/١٨٠ - ١٨١ ، ١٨١، ١٩٦) ، وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » ، وصححه ابن حبان (١٢/٥٤١٦) ، والحاكم (٤/١٨١) ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا .

(*) - أي تاركًا للتنظيف والغسل . والقشف : يبس العيش . النهاية (٤/٦٦) .

(**) - جمع بحيرة ؛ كانوا إذا ولدت إبلهم سقبا بحروا أذنه : أي شقوها وقالوا : اللهم إن عاش ففتى وإن مات فذكيٌّ ، فإذا مات أكلوه وسموه البحيرة . وقيل في تعريفها غير ذلك . انظر النهاية (١/١٠٠) .

(***) - هي جمع صريم ، وهو الذي صرمت أذنه : أي قطعت . النهاية (٣/٢٦)

(٤٩) - **كسابقه** « **المسند** » (١٧٢٧٧) (٤/١٣٦) . ومن طريق أحمد أخرجه الطبراني في « الكبير » (١٩/٦٢٢) ، وأخرجه البخاري في « خلق أفعال العباد » (٣١٦) ، والنسائي (٧/١١) ، وابن ماجة ، كتاب : الكفارات ، باب : من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها (٢١٠٩) ، والحميدي (٨٨٣) من طرق عن ابن عيينة به مختصرًا .

(٥٠) - **كسابقه** « المسند » (١٥٩٣٧) (٣/٤٧٣ - ٤٧٤) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٣] - في ز : « النعم » .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « إبلك » .

[٦] - في ز : « و » .

[٧] - سقط من : ز .

وقد[١] أنكر [اللَّه] تعالىٰ علىٰ من حرم ما أحل [اللَّه] ، أو أحل ما حرم ، بمجرد الآراء والأهواء التي لا مستند لها ولا دليل عليها ، ثم توعدهم علىٰ ذلك يوم القيامة فقال : ﴿ **وما ظن الذين يفترون علىٰ اللَّه الكذب يوم القيامة** ﴾ أي : ما ظنهم أن[٢] نصنع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة .

وقوله : ﴿ **إن اللَّه لذو فضل علىٰ الناس** ﴾ قال ابن جرير : في تركه معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا .

قلت : ويحتمل أن يكون المراد : لذو فضل علىٰ الناس فيما أباح لهم مما خلقه من المنافع في الدنيا ، ولم يحرم عليهم إلا ما هو ضار لهم في دنياهم أو دينهم .

﴿ **ولكن أكثرهم لا يشكرون** ﴾ بل يحرمون ما أنعم اللَّه به[٣] عليهم ، ويضيقون علىٰ أنفسهم ، فيجعلون بعضًا حلالًا وبعضًا حرامًا ، وهذا قد[٤] وقع فيه المشركون فيما شرعوه لأنفسهم ، وأهلُ الكتابِ فيما ابتدعوه في دينهم .

وقال ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية(٥١) : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا رباح ، حدثنا عبد اللَّه بن سليمان ، حدثنا موسىٰ بن[٥] الصباح في قول الله عز وجل : ﴿ **إن اللَّه لذو فضل علىٰ الناس** ﴾ قال : إذا كان يوم القيامة يؤتىٰ بأهل ولاية اللَّه عز وجل ، فيقومون بين يدي اللَّه عز وجل ثلاثة أصناف قال[٦]: فيؤتىٰ برجل من الصنف الأول فيقول : « **عبدي ، لماذا عملت ؟ فيقول : يارب ، خلقت الجنة وأشجارها ، وثمارها وأنهارها ، وحورها ونعيمها ، وما أعددت لأهل طاعتك فيها ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، شوقًا إليها . قال : فيقول اللَّه تعالىٰ : عبدي ، إنما عملت للجنة ، هذه الجنة فادخلها ، ومن فضلي عليك أن أعتقك[٧] [من النار ، ومن][٨] [فضلي عليك أن أدخلك جنتي][٩] قال : فيدخل[١٠] هو ومن معه الجنة . قال : ثم يؤتىٰ [برجل من**

= (٦٢٣/١٩) من طريق هدبة بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة به .

(*) في تفسيره (١٢٨/١١) .

(٥١) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠٤٤٥/٦) .

[١] - في ز : « فقد » .
[٢] - في خ : « ما » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - في ز ، خ : « ابن أبي » .
[٦] - سقط من : ت .
[٧] - في خ : « أعتقتك » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١٠] - سقط من خ .

الصنف][١] الثاني ، [قال][٢] فيقول : عبدي لماذا[٣] عملت ؟ فيقول : يارب ، خلقت نارًا ، وخلقت أغلالها وسعيرها ، وسمومها ويحمومها ، وما أعددت لأعدائك وأهل معصيتك فيها ، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري خوفًا منها . فيقول : عبدي ، إنما عملت ذلك خوفًا من ناري ، فإني قد أعتقتك من النار ، ومن فضلي عليك أن أدخلك جنتي . فيدخل هو ومن معه الجنة . ثم يؤتىٰ برجل من الصنف الثالث . فيقول : عبدي لماذا عملت ؟ فيقول : رب حبًا لك ، وشوقًا إليك ، وعزتك ، لقد أسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقًا إليك وحبًا لك . فيقول تبارك وتعالى : عبدي إنما عملت حُبًا لي وشوقًا إليّ ، فيتجلىٰ له الرب جل جلاله ويقول : هأنذا [فانظر][٤] إلي . ثم يقول : من فضلي عليك أن أعتقك من النار ، وأبيحك جنتي ، وأزيرك ملائكتي ، وأسلم عليك بنفسي . فيدخل هو ومن معه الجنة .

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

يخبر تعالىٰ نبيّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته وجميع الخلائق ، في كل ساعة وآن[٥] ولحظة ، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مثقالُ ذرّة في حقارتها وصغرها في السمٰوات [ولا في الأرض][٦]، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين ، كقوله : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾ فأخبر تعالىٰ أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات ، وكذلك الدواب السارحة في قوله : ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا علىٰ اللّه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ .

فإذا[٧] كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء ، فكيف بعلمه[٨] بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتوكل علىٰ العزيز الرحيم * الذي يراك حين**

---

[١] - في ز : « بالصنف » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من خ .
[٣] - في ز : « لما » .
[٤] - في ز : « انظر » .
[٥] - في ت : « وأوان » .
[٦] - في ت : « والأرض » .
[٧] - في خ : « وإذا » .
[٨] - في خ : « علمه » .

تقوم * وتقلبك في الساجدين ﴾ ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه ﴾ أي : إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون ، ولهذا قال صلىٰ اللَّه عليه وسلم لما سأله جبريل عن الإحسان(٥٢) : « أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك » .

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾

يخبر تعالىٰ أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما فسرهم ربهم ، فكل من كان تقيًا كان للَّه وليًا ف[١] ﴿ لا خوف عليهم ﴾ أي[٢] : فيما يستقبلونه[٣] من أهوال الآخرة[٤] ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ علىٰ ما وراءهم في الدنيا .

وقال عبد اللَّه بن مسعود(٥٣) وابن عباس(٥٤) وغير واحد من السلف : أولياء اللَّه الذين إذا رءوا ذكر اللَّه .

وقد ورد هذا في حديث مرفوع ؛ كما قال البزار(٥٥) :

---

(٥٢) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ١٨٧] .

(٥٣) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٣١/١١) عن سفيان بن وكيع ، ثنا زيد بن الحباب عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي وائل عن عبد الله فذكره ، وسفيان بن وكيع ساقط الحديث، وقد رواه القاسم بن محمد ابن أبي شيبة عن زيد بن الحباب به مرفوعًا ، أخرجه الطبراني « المعجم الكبير » (١٠٤٧٦/١٠) والقاسم هذا واهٍ متروك الحديث .

(٥٤) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٣١/١١) وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو ضعيف .

(٥٥) - ذكره الهيثمي في « المجمع » (٨١/١٠) قال : « رواه البزار عن شيخه علي بن حرب الرازي ولم أعرفه وبقية رجاله وثقوا » ، وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٢١٨) من طريق محمد بن سعيد به ، والنسائي في « التفسير » (١١٢٣٥/٦) من طريق عثمان نا يعقوب به ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١٢٣٢٥/١٢) ومن طريقه أبو نعيم في « أخبار أصبهان » (٢٣٠/١ ، ٢٣١) ، والمقدسي في « المختارة » (١٠/رقم ١٠٤) عن أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة به ، ومن هذا الطريق ذكره الهيثمي =

---

[١] - في ز : « أنه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « يستقبلون » .
[٤] - في ز : « القيامة » .

حدثنا علي بن حرب الرازي ، حدثنا محمد بن سعيد بن سابق ، حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري وهو القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله ، من أولياء الله ؟ قال : « **الذين إذا رءوا ذكر الله** » . ثم قال البزار : وقد روي عن سعيد مرسلًا(٥٦) .

وقال ابن جرير(٥٧) : حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا ابن[١] فضيل ، حدثنا أبي ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة بن[٢] عمرو بن جرير البجلي ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن من عباد الله عبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء** » . قيل : من هم يا رسول الله ؛ لعلَّنا نحبهم ؟ قال : « **هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور علىٰ منابرَ من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس** » . ثم قرأ : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون** ﴾ .

= في « المجمع » وقال : « رواه الطبراني ورجاله ثقات » قلت : جعفر هذا ، صدوق يهم - كما في « التقريب » - وقد اختلف عليه فيه فروي عنه عن سعيد بن جبير موصولًا - كما تقدم - ومرسلًا - وهو الآتي - .

(٥٦) - أخرجه ابن جرير (١١/ ١٣١ ، ١٣٢) ، وتابع جعفر بن أبي المغيرة على إرساله سهل أبو أسد القراري الحنفي - وهو ثقة - أخرجه ابن جرير أيضًا وابن المبارك في « الزهد » (٢١٧) ، وأخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٦) (٧/ ٢٣١) من طريق بكير بن الأخنس عن سعيد مرسلًا ، وبهذا الإرسال أعل الشيخ الألباني الحديث في «الصحيحة» (٤/ ١٧٣٣) - وقد كان حسنه عند رقم (٤/ ١٦٤٦) - لكنه ظن أن طريق البزار ليس فيها - جعفر بن أبي المغيرة ، فقال بعد كلام الهيثمي المذكور أولًا - فالظاهر أنه من طريق أخرى غير الأولى فالحديث به يتقوى ، وعلي بن حرب الرازي لعله الطائي الرازي فإنه من هذه الطبقة ، وهو صدوق فاضل ، والله أعلم » ، كذا قال الشيخ ، وقد تبين أن إسناد البزار الموصول فيه جعفر بن أبي المغيرة وهو سبب إعلال الحديث ، والصحيح في الحديث الإرسال والله أعلم .

(٥٧) - « التفسير » لابن جرير (١١/ ١٣٢) ، وأخرجه النسائي في « التفسير » من الكبرى (٦/ ١١٢٣٦) ، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٨٩٩٧) من طريقين عن محمد بن فضيل به ، وقد رواه ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع مباشرة دون واسطة أبيه ، أخرجه أبو يعلى (١٠/ ٦١١٠) ، وعنه ابن حبان (٢/ ٥٧٣ - الإحسان) و(٨/ ٢٥٠٨ - موارد) وهذا إسناد حسن إلا أن البيهقي أعله فقال : « كذا قال عن أبي هريرة ، وهو وهم ، والمحفوظ عن أبي زرعة عن عمر بن الخطاب - يأتي بعد هذا الحديث - ، وأبو زرعة عن عمر مرسلًا » .

وله طريق آخر عن أبي هريرة أخرجه البزاز (٢/ ٢٣١٠ - مختصر الزوائد) لكن في إسناده جهالة كما قال ابن حجر ، ومن قبله قال شيخه الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ٢٨٠) : « فيه من لم أعرفهم » . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٥٥٧) إلى ابن أبي الدنيا وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه .

[١] - في ز : « أبو » . [٢] - في ت : « عن » .

ثم رواه أيضًا(٥٨) أبو[١] داود من حديث جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ابن عمرو بن جرير ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله .

وهذا أيضًا إسناد جيد إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب ، والله أعلم .

وفي حديث الإمام أحمد(٥٩) : عن أبي النضر ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تتصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في الله وتصافوا في الله ، يضع الله لهم يوم[٢] القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ، يفزع الناس ولا يفزعون ، وهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون** » . والحديث متطول .

(٥٨) - « التفسير » لابن جرير (١١/١٣٢) ، وأبو داود ، كتاب : البيوع ، باب : في الرهن (٣٥٢٧) ، وابن أبي حاتم (٦/١٠٤٥٣) ، والبيهقي في « الشعب» (٦/٨٩٩٨) ، وأخرجه البيهقي أيضًا (٨٩٩٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/٥) من طريق قيس بن الربيع ثنا عمارة بن القعقاع به ، وأخرجه هناد في « الزهد » (٢/٤٧٤) من طريق عمرو بن مرة عن طلق عن عمر بن الخطاب فذكره بنحوه ، لكن قال أبو زرعة - كما في « جامع التحصيل » للعلائي (ص٢٠٢) - : « طلق بن حبيب عن عمر - رضي الله عنه - مرسل » ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٥٥٧) إلى ابن مردويه .

(٥٩) - « المسند » (٢٣٠١٣) (٥/٣٤٣) ، وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٧١٤) ، وابن جرير (١١/ ١٣٢) وابن أبي حاتم (٦/١٠٤٥٢) من طريق عبد الحميد بن بهرام به ، وأخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١١/٢٠٣٢٤) ومن طريقه الطبراني في « الكبير » (٣/٣٤٣٣) ، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٩٠٠١) عن معمر عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن أبي مالك الأشعري فذكره بنحوه وأخرجه الطبراني (٣٤٣٤) من طريق آخر عن شهر بن حوشب عن أبي مالك وليس فيه عبد الرحمن بن غَنم ، وأخرجه أبو يعلى (١٢/٦٨٤٢) ، والطبراني (٣٤٣٥) من طريق أبي المنهال ثنا شهر بن حوشب قال : كان منا رجل معشر الأشعريين .... يقال له مالك أو ابن مالك تم ذكر الحديث ، وشهر بن حوشب فيه ضعف يسير ، قال عنه الحافظ في « التقريب » : صدوق كثير الإرسال والأوهام ، وذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » (٤/٢١ ، ٢٢) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن والحاكم وقال : صحيح الإسناد » وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٢٧٩ ، ٢٨٠) وقال : « رواه كله أحمد والطبراني بنحوه .... ورجاله وثقوا » وقال عن رواية أبي يعلى : « ... رجاله رجال الصحيح غير شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد » والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٥٥٨) إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب الإخوان » وابن مردويه .

[١] - في ز ، خ : « وأبو » .

[٢] - في ز : « في » .

وقال الإمام أحمد(٦٠) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ذكوان أبي صالح ، عن رجل ، عن أبي الدرداء - رضي اللّٰه عنه - ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في قوله : ﴿ **لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ قال : « **الرؤيا الصالحة ، يراها المسلم أو تُرَىٰ له** » .

وقال ابن جرير(٦١) : حدثني أبو السائب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، عن أبي الدرداء في قوله : ﴿ **لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ قال : سأل رجل أبا[١] الدرداء عن هذه الآية فقال : لقد سألت عن شيء ما سمعت أحدًا[٢] سأل عنه بعد رجل سأل[٣] عنه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال[٤]: « **هي الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل المسلم أو تُرىٰ له ، بشراه في الحياة الدنيا ، وبشراه في الآخرة الجنة[٥]** » . ثم رواه ابن جرير(٦٢) [من حديث][٦] سفيان عن ابن[٧] المنكدر عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر : أنه سأل أبا الدرداء عن هذه الآية فذكر نحو ما تقدم .

ثم[٨] قال ابن جرير(٦٣) : حدثني المثنىٰ ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن

(٦٠) - **إسناده فيه جهالة** ، « **المسند** » (٢٧٦١٧) (٦/٤٤٥) ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن جرير (١١/١٣٥) ، وانظر ما بعده .

(٦١) - **كسابقه** ، تفسير ابن جرير (١١/١٣٤) ، وأخرجه أحمد (٢٧٦٦٣) (٦/٤٥٢) ثنا أبو معاوية به ، وأخرجه أيضًا (٢٧٦٢٧) (٦/٤٤٧) ، وابن جرير (١١/١٣٥) وابن أبي شيبة في « المصنف» كتاب : الإيمان والرؤيا ، باب : ما قالوا في تعبير الرؤيا (٧/٢٣٠) ، والبيهقي في «الشعب» (٤/٤٧٥١) ، وعلقه ابن عبد البر في « التمهيد » (٥/٥٩) من طرق عن الأعمش به ، وتابعه عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح به أخرجه أحمد (٢٧٦٢٨) (٦/٤٤٧) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة يونس (٣١٠٥) ، وابن جرير (١١/١٣٦) ، والحاكم (٤/٣٩١) شاهدًا ، والحميدي في مسنده (٣٩١ ، ٣٩٢) ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٤٧٥٢) ، وابن عبد البر في « التمهيد » وقال : « هذا حديث حسن في التفسير المرفوع صحيح من نقل أهل المدينة » وفيه جهالة لكن له طريق موصول يأتي (٦٣) .

(٦٢) - **كسابقه ، تفسير ابن جرير** (١١/١٣٤)، وأحمد (٢٧٦٢٨) (٦/٤٤٧)، والترمذي ، كتاب : الرؤيا ، باب : قوله : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا** ﴾ (٢٢٧٤) ، (٣١٠٥) وحسنه ، وانظر ما بعده ، وما قبله .

(٦٣) - **إسناده حسن من أجل عاصم بن بهدلة** ، تفسير ابن جرير (١١/١٣٦) ، وأخرجه أيضًا ، وابن =

[١] - في ز : « أبو » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « سألت » .
[٤] - في ز : « قال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في خ : « عن » .
[٧] - في خ : « أبي » .
[٨] - في ز : « و » .

زيد ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي صالح قال : سمعت أبا الدرداء سئل عن [هذه الآية][١] ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرىٰ ﴾ فذكر نحوه سواء .

وقال الإمام أحمد(٦٤) : حدثنا عفان حدثنا أبان ، حدثنا يحيىٰ ، عن أبي سلمة ، عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا رسول اللَّه ، أرأيت قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ فقال : « **لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أمّتي - أو قال**[٢]: « **أحد قبلك** » قال[٣]: « **تلك الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل الصالح أو تُرىٰ له** » .

وكذا رواه أبو داود الطيالسي(٦٥) عن عمران القطان ، عن يحيىٰ بن أبي كثير به .

ورواه الأوزاعي(٦٦) : عن يحيىٰ بن أبي كثير فذكره ، ورواه علي بن المبارك(٦٧) ، عن يحيىٰ ، عن أبي سلمة قال : نبئنا عن عبادة بن الصامت : سأل رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عن هذه الآية فذكره .

وقال ابن جرير(٦٨) : حدثني أبو حميد الحمصي ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا عمر بن

= أبي شيبة في « المصنف » (٢٣١/٧) ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم به .

(٦٤) - **إسناده فيه انقطاع بين أبي سلمة وعبادة** ، « **المسند** » (٢٢٧٩١) (٣١٥/٥) ، وأخرجه الدارمي ، كتاب : الرؤيا ، باب : في قوله تعالى : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا** ﴾ (٢١٤٢) ، وابن جرير (١١/ ١٣٤ ، ١٣٦) من طريق أبان به ، وانظر ما بعده .

(٦٥) - **كسابقه** ، لم أقف عليه في « المطبوع » من مسنده ، وأخرجه من طريقه الترمذي ، كتاب : الرؤيا ، باب : قوله : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا** ﴾ (٢٢٧٦) مقرونًا بـ « عمران القطان » حرب بن شداد ، وطريق حرب أخرجه الطيالسي (٥٨٣) ، وأحمد (٢٢٨٤٥)(٣٢١/٥)، والحاكم (٣٩١/٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٧٥٣/٤)، وقال الترمذي : « حديث حسن » . والحاكم وقال : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، كذا قالوا ، وقد أفاد المزي في ترجمة « أبي سلمة بن عبد الرحمن » أنه لم يسمع من عبادة بن الصامت والله تعالى أعلم .

(٦٦) - أخرجه ابن جرير (١٣٣/١١ ، ١٣٥) .

(٦٧) - أخرجه أحمد (٢٢٧٩٠) (٣١٥/٥) ، وابن ماجة ، كتاب : تعبير الرؤيا ، باب : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له (٣٨٩٨) ، وابن جرير (١٣٤/١١ ، ١٣٦) - وفي المطبوع منه تحريفات مزرية نبه عليها العلامة محمود شاكر عند تحقيقه له (١٧٧٢١) - والحاكم (٣٤٠/٢) وقال : « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي ، وقد تبين لك ما فيه ، فانظر ما تقدم قبله .

(٦٨) - تفسير ابن جرير (١٣٤/١١) ، وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٤٨٧/١) من طريق صفوان=

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - سقط من : ت .

عمرو بن عبد الأحموسي عن حميد بن عبد الله المزني قال : أتى رجل عبادة بن الصامت فقال : آية في كتاب الله أسألك عنها : قول الله تعالى : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا** ﴾ ؟ فقال عبادة : ما سألني عنها أحد قبلك ، سألت عنها نبي الله ؟ فقال مثل ذلك : « **ما سألني عنها أحد قبلك ، الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن في المنام أو تُرىٰ له** » .

ثم رواه(٦٩) من حديث موسىٰ بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن صفوان ، عن عبادة بن الصامت ؛ أنه قال لرسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم : ﴿ **لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ فقد عرفنا بشرىٰ الآخرة الجنة ، فما بشرىٰ الدنيا ؟ قال : « **الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن**[١] **أو ترىٰ له ، وهي جزء من أربعة وأربعين جزءًا أو سبعين جزءًا من النبوة** » .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٧٠) : حدثنا بهز ، حدثنا حماد ، حدثنا أبو عمران ، عن عبد الله ابن الصامت ، عن أبي ذر أنه قال : يا رسول الله ؛ الرجل يعمل العمل ويحمده الناس عليه ، ويثنون عليه به ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **تلك عاجل بشرىٰ المؤمن** » . رواه مسلم .

وقال أحمد أيضًا(٧١) : حدثنا حسن - يعني الأشيب - حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « ﴿ **لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ - قال - الرؤيا الصالحة يُبَشَّرُها المؤمن هي جزء[٢] من تسعة وأربعين جزءًا من النبوة ، فمن رأىٰ ذلك[٣] فليخبر بها ، ومن

= ابن عمرو عن حميد بن عبد الرحمن فذكره بزيادة فيه ، كذا وقع « حميد بن عبد الرحمن » وهو ثقة ، إلا أن الشيخ الألباني أفاد أن راوى هذا الحديث إنما هو حميد بن عبد الله ، وأن حميد بن عبد الرحمن خطأ من ناسخ الكتاب ، وقد صححه الشيخ أيضًا في « الصحيحة » (١٧٨٦/٤) .

(٦٩) - **إسناده ضعيف** ، (١٣٥/١١) ، وموسى بن عبيدة ضعيف ، وأيوب بن خالد ، لم أقف على من صرح بأن له رواية عن عبادة بن الصامت ، والله أعلم .

(٧٠) - **صحيح** ، (٢١٤٥٩) (١٥٦/٥) ، وأخرجه أيضًا (٢١٥٥٨) (١٦٨/٥) ، ومسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : إذا أثنى على الصالح فهى بشرى ولا تضره (١٦٦) (٢٦٤٢) ، وابن ماجة ، كتاب : الزهد ، باب : الثناء الحسن (٤٢٢٥) من طريق أبي عمران الجوني به .

(٧١) - **إسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة** ، « **المسند** » (٢١٩/٢ - ٢٢٠) وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٧٨/٧) وقال : « رواه أحمد من طريق ابن لهيعة عن دراج وحديثهما حسن ، وفيهما ضعف ، =

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ . [٣] - سقط من : ز ، خ .

رأىٰ سوىٰ ذلك فإنما هو من الشيطان ليحزنه ، فلينفث عن يساره ثلاثًا ، وليسكتْ(*) ولا يخبر بها أحدًا » . لم يخرجوه .

وقال ابن جرير(٧٢) : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، حدثني عمرو بن الحارث ، أن دراجًا أبا السمح حدثه ، عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد اللّٰه بن عمرو ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال : « **﴿لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا﴾** الرؤيا الصالحة يشربها(**) المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة » .

وقال أيضًا(٧٣) : حدثني محمد بن حاتم المؤدب ، حدثنا عمار بن محمد ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم **﴿ لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ قال : « هي في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترىٰ له ، وهي في الآخرة الجنة »** .

ثم رواه(٧٤) عن أبي كريب ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أنه قال : الرؤيا الحسنة بشرىٰ من اللّٰه ، وهي من المبشرات .

هكذا رواه من هذه الطريق موقوفًا .

وقال أيضًا(٧٥) : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن

= وبقية رجاله ثقات » وانظر ما بعده .

(*) في (خ ، ز) : « وليكبر » ، والمثبت من المسند وهو أشبه بالصواب » .

(٧٢) - **إسناده حسن من أجل دراج أبي السمح** ، تفسير ابن جرير (١١/١٣٧) ، وأخرجه البيهقي في « الشعب » (٤/٤٧٦٤) من طريق ابن وهب به مطولًا ، وله طريق آخر عند ابن جرير (١١/١٣٥) وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٥٥٩) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(**) في (خ ، ز) : « يبشرها » ، والمثبت من ابن جرير .

(٧٣) - تفسير ابن جرير (١١/١٣٥) ، وعمار بن محمد صدوق يخطئ ، كما في « التقريب » ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الرؤيا (٨) (٢٢٦٣) ، وأحمد (٢/٤٩٥) من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ « **رؤيا المسلم يراها أو ترى له ، جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة** » .

(٧٤) - تفسير ابن جرير (١١/١٣٥) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » ، كتاب : الرؤيا ، باب : ما قالوا في تعبير الرؤيا (٧/٢٣١) ثنا أبو بكر بن عياش بهذا الإسناد ، وأخرج البخاري ، كتاب : التعبير ، باب : المبشرات (٦٩٩٠) عن أبي هريرة مرفوعًا « **لم يبق من النبوة إلا المبشرات** » . قالوا وما المبشرات ؟ قال : « **الرؤيا الصالحة** » .

(٧٥) - **صحيح** ، تفسير ابن جرير (١١/١٣٤ - ١٣٥) ، وأخرج البخاري (٧٠١٧) ، ومسلم (٦) (٢٢٦٣) وغيرهما من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا - ضمن حديث طويل -: «... **فالرؤيا الصالحة بشرى من الله** ....» .

أبي هريرة ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الرؤيا الحسنة هي البشرىٰ يراها المسلم أو ترىٰ له** » .

وقال ابن جرير(٧٦) : حدثني أحمد بن حماد الدولابي ، حدثنا سفيان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، عن سباع بن ثابت ، عن أم كرز الكعبية ، سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **ذهبت النبوة وبقيت المبشرات** » .

وهكذا روي عن ابن مسعود(٧٧) وأبي هريرة(٧٨) ، وابن عباس(٧٩) ومجاهد ، وعروة بن الزبير ، ويحيىٰ بن أبي كثير ، وإبراهيم النخعي ، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم[١]؛ أنهم فسروا ذلك بالرؤيا الصالحة .

وقيل : المراد بذلك[٢] بشرىٰ الملائكةِ للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من غفور رحيم** ﴾ .

وفي حديث البراء(٨٠) - رضي الله عنه - أن المؤمن إذا حضره الموت ، جاءه ملائكة بيض الوجوه ، بيض الثياب ، فقالوا : اخرجي أيتها الروح الطيبة ؛ إلىٰ روح وريحان ورب غير غضبان ، فتخرج من فمه كما تسيل القطرة من فم السقاء .

وأما بشراهم في الآخرة فكما قال تعالىٰ : ﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يوم ترىٰ المؤمنين والمؤمنات يسعىٰ**

---

(٧٦) - **صحيح** ، تفسير ابن جرير (١١/١٣٥) ، وأخرجه الحميدي (٣٤٨)- ومن طريقه ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/٥٧) ، وأحمد (٢٧٢٥٣) (٦/٣٨١) ، وابن ماجة ، كتاب : تعبير الرؤيا ، باب : الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له (٣٨٩٦) ، والدارمي (٢١٤٤) من طريق سفيان بن عيينة به وقال البوصيري في « الزوائد » (٣/٢١٢) « هذا إسناد صحيح رجاله ثقات » وصححه ابن حبان (١٣/٦٠٤٧) ، وأبو زيد والد عبيد الله وهو المكي لم يرو عنه غير ابنه ، ووثقه ابن حبان (٧/٦٥٧) والعجلي (ت ٢٠٦٦) وكلاهما معروف بتساهله ، لكن يشهد له حديث أبي هريرة المتقدم تخريجه - تحت رقم (٧٤) .

(٧٧) - **صحيح موقوف** ، أخرجه ابن جرير (١١/١٣٧) .

(٧٨) - تقدم برقم (٧٤) .

(٧٩) - أخرجه ابن جرير (١١/١٣٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٧/٢٣٢) من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه ، وأخرجه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عنه به .

(٨٠) - **صحيح** ، يأتي (سورة إبراهيم / آية ٢٧) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - في ز : « من ذلك » .

نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

وقوله : ﴿ **لا تبديل لكلمات الله** ﴾ أي : هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير ، بل هو مقرر مثبت كائن لا محالة ﴿ **ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالىٰ لرسوله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **ولا يحزنك** ﴾ قول هؤلاء المشركين واستعن بالله عليهم وتوكل عليه ، فـ ﴿**إن العزة لله جميعًا**﴾ أي : جميعها له ولرسوله وللمؤمنين ﴿ **هو السميع العليم** ﴾ أي : السميع لأقوال عباده ، [العليم بأحوالهم][١] .

ثم أخبر تعالىٰ أن له ملك السموات والأرض ، وأن المشركين يعبدون الأصنام ، وهي لا تملك شيئًا ، لاضرًا ولا نفعًا ، ولا دليل لهم علىٰ عبادتها ، بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخرصهم وكذبهم وإفكهم .

ثم أخبر أنه الذي جعل لعباده الليل ليسكنوا فيه ، أي : يستريحون فيه من نصبهم وكلالهم وحركاتهم ﴿ **والنهار مبصرًا** ﴾ أي : مضيئًا لمعاشهم وسعيهم وأسفارهم ومصالحهم ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون** ﴾ أي : يسمعون هذه الحجج والأدلة فيعتبرون بها ، ويستدلون علىٰ عظمة خالقها ومقدرها ومسيرها .

قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عليم بهم » .

ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ من ادعىٰ أن له ولدًا ﴿ **سبحانه هو الغني** ﴾ أي : تقدس عن ذلك ، هو الغني عن كل ما سواه ، وكل شيء فقير إليه ﴿ **له ما في السموات وما في الأرض** ﴾ أي : فكيف يكون[١] له ولد مما خلق ، وكل شيء مملوك له عبد له ﴿ **إن عندكم من سلطان بهذا** ﴾ أي : ليس عندكم دليل علىٰ ما تقولونه من الكذب والبهتان ﴿ **أتقولون علىٰ الله ما لا تعلمون** ﴾ إنكار ووعيد أكيد وتهديد شديد ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمنُ ولدًا * لقد جئتم شيئًا إدًّا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا * أن دعوا للرحمن ولدًا * وما ينبغي للرحمٰن أن يتخذ ولدًا * إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدًا * لقد أحصاهم وعدهم عدًّا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا** ﴾ .

ثم توعد تعالىٰ الكاذبين عليه المفترين ، ممن زعم أن له ولدًا ، بأنهم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة ، فأما في الدنيا فإنهم إذا استدرجهم وأملىٰ لهم متعهم قليلًا ثم يضطرهم[٢] إلىٰ عذاب غليظ ، كما قال تعالىٰ هاهنا : ﴿ **متاع في الدنيا** ﴾ أي : مدة قريبة ﴿ **ثم إلينا مرجعهم** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **ثم نذيقهم العذاب الشديد** ﴾ أي : الموجع المؤلم ﴿ **بما كانوا يكفرون** ﴾ أي : بسبب كفرهم وافترائهم وكذبهم علىٰ الله فيما ادعوه من الإِفك والزور .

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

---

[١] - سقط من : ز .   [٢] - سقط من : ز ، خ .

يقول تعالىٰ لنبيه - صلوات اللَّه وسلامه عليه - : ﴿ **واتل عليهم** ﴾ أي : أخبرهم واقصص ﴿عليهم﴾ ، أي : علىٰ كفار مكة الذين يكذبونك ويخالفونك ﴿ **نبأ نوح** ﴾ أي : خبره مع قومه الذين كذبوه ، كيف أهلكهم اللَّه ودمرهم بالغرق أجمعين عن آخرهم ، ليحذر هؤلاء أن يصيبهم من الهلاك والدمار ما أصاب أولئك ﴿ **إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم** ﴾ أي : عَظُمَ عليكم ﴿ **مقامي** ﴾ أي : فيكم بين أظهركم ﴿ **وتذكيري** ﴾ إياكم ﴿ **بآيات اللَّه** ﴾ أي : بحججه وبراهينه ﴿ **فعلىٰ اللَّه توكلت** ﴾ أي : فإني لا أبالي ولا أكف[١] عنكم ، سواء عظم عليكم أو لا ﴿ **فأجمعوا أمركم وشركاءكم** ﴾ أي : فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون اللَّه من صنم ووثن ﴿ **ثم لا يكن أمركم عليكم غمة** ﴾ أي : ولا تجعلوا أمركم عليكم[٢] ملتبسًا ، بل افصلوا حالكم معي ، فإن كنتم تزعمون أنكم محقون ﴿ **فاقضوا إلي ولا تنظرون** ﴾ أي : ولا تؤخروني ساعة واحدة ، أي : مهما قدرتم فافعلوا فإني لا أباليكم[٣] ولا أخاف منكم ؛ لأنكم[٤] لستم علىٰ شيء ، كما قال هود لقومه : ﴿ **إني أشهد اللَّه واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون * إني توكلت علىٰ اللَّه ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم** ﴾ .

وقوله[٥]: ﴿ **فإن توليتم** ﴾ أي : كذبتم وأدبرتم عن الطاعة ﴿ **فما سألتكم من أجر** ﴾ أي : لم أطلب منكم علىٰ نصحي إياكم شيئًا ﴿ **إن أجري إلا علىٰ اللَّه وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ أي : [وأنا ممتثل][٦] ما أمرت به من الإسلام للَّه - عز وجل - والإسلام هو دين جميع الأنبياء من أولهم إلىٰ آخرهم ، وإن تنوعت شرائعهم وتعددت مناهجهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا** ﴾ قال ابن عباس(٨١) : سبيلًا وسنة .

فهذا نوح يقول : ﴿ **وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ ، وقال تعالىٰ عن إبراهيم الخليل : ﴿ **إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصىٰ بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ يا بني إن اللَّه اصطفىٰ لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ ، وقال يوسف : ﴿ **رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين** ﴾ ، وقال موسىٰ : ﴿ **يا قوم إن كنتم آمنتم باللَّه فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ ، وقالت السحرة : ﴿ **ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفنا مسلمين** ﴾ ، وقالت بلقيس : ﴿ **رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان للَّه رب**

(٨١) - تقدم (المائدة/ آية ٤٨) .

[١] - في ز ، خ : « أفكر » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « أبالكم » .
[٤] - في ز : « أنكم » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « اتل متثل » .

العالمين ﴾ ، وقال تعالىٰ : **﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾** ، وقال تعالىٰ : **﴿ وإذ أوحيت إلىٰ الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾** ، وقال خاتم الرسل وسيد البشر صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **﴿ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للَّه رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾** أي : من هذه الأمة ، ولهذا قال في الحديث الثابت عنه(٨٢) : « **نحن - معاشر الأنبياء - أولاد علات** ، و[١]**ديننا واحد** » . أي : هو عبادة اللَّه وحده لا شريك له وإن تنوعت شرائعنا ، و ذلك معنىٰ قوله : « **أولاد علّات** » ، وهم الإِخوة من أمّهات شتىٰ والأب واحد .

وقوله تعالىٰ : **﴿ فكذبوه فنجيناه ومن معه ﴾** أي : علىٰ دينه **﴿ في الفلك ﴾** وهي السفينة **﴿ وجعلناهم خلائف ﴾** أي : في الأرض **﴿ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾** أي : يا محمد ؛ كيف أنجينا المؤمنين وأهلكنا المكذبين .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾

يقول تعالىٰ : ثم بعثنا من بعد [ ][٢] نوح **﴿ رسلًا إلىٰ قومهم فجاءوهم بالبينات ﴾** أي : بالحجج والأدلة والبراهين علىٰ صدق ما جاءوهم به **﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ﴾** أي : فما كانت الأمم لتؤمن بما جاءتهم به رسلهم ؛ بسبب تكذيبهم إياهم أول ما أرسلوا إليهم ، كقوله تعالىٰ : **﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾** .

وقوله : **﴿ كذلك نطبع علىٰ قلوب المعتدين ﴾** أي : كما طبع اللَّه علىٰ قلوب هؤلاء فما آمنوا بسبب تكذيبهم المتقدم ، هكذا يطبع اللَّه علىٰ قلوب من أشبههم ممن[٣] بعدهم ، ويختم علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم .

والمراد أن اللَّه تعالىٰ أهلك الأمم المكذبة للرسل ، وأنجىٰ من آمن بهم ، وذلك من بعد نوح

---

(٨٢) - أخرجه البخاري ، كتاب : الأنبياء ، باب : قول الله : **﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾** (٣٤٤٢) ، ومسلم ، كتاب : الفضائل ، باب : فضائل عيسى عليه السلام (١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥) (٢٣٦٥) ، وأحمد (٢/٣١٩ ، ٤٣٧ ، ٤٦٣ ، ٤٨٢ ، ٥٤١) من حديث أبي هريرة .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « قوم » . [٣] - في ز : « من » .

- عليه السلام - فإن الناس كانوا من قبله من[١] زمان آدم - عليه السلام - [على الإسلام][٢]، إلى أن أحدث الناس عبادة الأصنام ، فبعث الله إليهم نوحًا - عليه السلام - ولهذا يقول له المؤمنون يوم القيامة : « **أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض** »(٨٣) .

قال[٣] ابن عباس(٨٤) : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام .

وقال الله تعالى : ﴿ **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرًا بصيرًا** ﴾ . وفي هذا إنذار عظيم لمشركي العرب الذين كذبوا سيد[٤] الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين ، فإنه إذا كان قد[٥] أصاب من كذب بتلك[٦] الرسل ما ذكره الله تعالى من العقاب والنكال ، فماذا ظن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبر من أولئك ؟ .

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى : ﴿ **ثم بعثنا** ﴾ من بعد تلك الرسل ﴿ **موسى وهارون إلى فرعون وملئه** ﴾ أي : قومه ﴿ **بآياتنا** ﴾ أي : حججنا وبراهيننا ﴿ **فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين** ﴾ أي : استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له ، [وكانوا قومًا مجرمين][٧] ﴿ **فلما جاءهم الحق من**

(٨٣) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدًا شكورًا** ﴾ (٤٧١٢) ، ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٧) (١٩٤) ، والترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : ما جاء في الشفاعة (٢٤٣٦) ، والنسائي في التفسير من الكبرى (٦/ ١١٢٨٦) وابن ماجة مختصرًا كتاب : الأطعمة ، باب : أطايب اللحم (٣٣٠٧) ، وأحمد (٢/ ٣٣١ ، ٤٣٥) من حديث أبي هريرة .

(٨٤) - تقدم (سورة البقرة/ آية ٢١٣) ، ومن هذه السورة برقم (٢٠) .

[١] - في ز ، خ : « إلى » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « فقال » .
[٤] - في ز : « بسيد » .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « تلك » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين ﴾ كأنهم - قبحهم الله - أقسموا على ذلك ، وهم يعلمون أن ما قالوه كذب وبهتان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾ .

﴿ **قال** ﴾ لهم ﴿ **موسىٰ** ﴾ منكرًا عليهم ﴿ **أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون * قالوا أجئتنا لتلفتنا** ﴾ أي : تثنينا ﴿ **عما وجدنا عليه آباءنا** ﴾ أي : الدين الذي كانوا عليه ﴿ **وتكون لكما** ﴾ أي : لك ولهارون ﴿ **الكبرياء** ﴾ أي : العظمة والرياسة ﴿ **في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين** ﴾ .

وكثيرًا ما يذكر الله تعالىٰ قصة موسىٰ - عليه السلام - مع فرعون في كتابه العزيز ؛ لأنها من أعجب القصص ، فإن فرعون حذر من موسىٰ كل الحذر ، فَسَخَّرَهُ القَدَرُ أَنْ رَبَّىٰ هذا الذي يحذر منه علىٰ فراشه ومائدته بمنزلة الولد ، ثم ترعرع وعقد الله له سببًا أخرجه من بين أظهرهم ، ورزقه النبوة والرسالة والتكليم ، وبعثه إليه ليدعوه إلىٰ الله تعالىٰ ليعبده ويرجع إليه ، هذا مع ما كان عليه فرعون من عظمة المملكة والسلطان ، فجاءه برسالة الله تعالىٰ ، وليس له وزير سوىٰ أخيه هارون - عليهما السلام - فتمرد فرعون واستكبر ، وأخذته الحمية ، والنفس الخبيثة الأبية ؛ وقوىٰ رأسه وتولىٰ بركنه ، وادعىٰ ما ليس له ، وتجهرم علىٰ الله وعتى وبغىٰ ، وأهان حِزْبَ الإيمان من بني إسرائيل ، والله تعالىٰ يحفظ رسوله موسىٰ - عليه السلام - وأخاه هارون ، ويحوطهما بعنايته ، ويحرسهما بعينه التي لا تنام ، ولم تزل المحاجة والمجادلة والآيات تقوم علىٰ يد موسىٰ شيئًا بعد شيء ، ومرة[١] بعد مرة ، مما يبهر العقول ، ويدهش الألباب ، مما لا يقوم له شيء ، ولا يأتي به إلا من هو مؤيد من الله ﴿ **وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها** ﴾ وصمّم فرعون وملؤه ، قبحهم الله ، علىٰ التكذيب بذلك كله ، والجحد والعناد والمكابرة ، حتىٰ أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد ، وأغرقهم في صبيحة واحدة أجمعين ﴿ **فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾ .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

---

[١] - في ز ، خ : « وكرة » .

ذكر الله سبحانه قصة السحرة مع موسىٰ - عليه السلام - في سورة الأعراف ، وقد تقدم الكلام عليها هناك ، وفي هذه السورة وفي سورة طه وفي الشعراء وذلك أن فرعون - لعنه الله - أراد أن يتهرج علىٰ الناس ، ويعارض ما جاء به موسىٰ - عليه السلام - من الحق المبين ، بزخارف السحرة والمشعبذين ، فانعكس عليه النظام ، ولم يحصل له ذلك المرام ، وظهرت البراهين الإلهية في ذلك المحفل العام ﴿ **وألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * ربِّ موسىٰ وهارون** ﴾ فظن فرعون [أنه ينتصر][١] بالسحار ، علىٰ رسول عالم الأسرار ، فخاب وخسر الجنة واستوجب النار .

﴿ **وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم * فلما جاء السحرةُ قال لهم موسىٰ ألقوا ما أنتم ملقون** ﴾ وإنما قال لهم ذلك ؛ لأنهم لما اصطفوا وقد وعدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل ﴿ **قالوا يا موسىٰ إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقىٰ * قال بل ألقوا** ﴾ . فأراد موسىٰ أن تكون البداءة منهم ليرىٰ الناس ما صنعوا ، ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ[٢] باطلهم ؛ ولهذا لما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ﴿ **فأوجس في نفسه خيفة موسىٰ * قلنا لاتخف إنك أنت الأعلىٰ * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ** ﴾ فعند ذلك قال موسىٰ لما ألقوا : ﴿ **ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٨٥): حدثنا محمد بن عمار بن الحارث ، حدثنا عبد الرحمن - يعني الدشتكي - أخبرنا أبو جعفر الرازي عن ليث - وهو ابن أبي سليم - قال : بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالىٰ ، تقرأ في إناء فيه ماء ، ثم يصب علىٰ رأس المسحور ؛ الآية التي من سورة يونس ﴿ **فلما ألقوا قال موسىٰ ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون** ﴾ . والآية الأخرىٰ : ﴿ **فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون** ﴾ إلىٰ آخر أربع آيات ، وقوله : ﴿ **إن ما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى** ﴾ .

فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾

---

(٨٥) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠٥١٤/٦) وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٦٤/٣) إلى أبي الشيخ .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ح : « أن يستنصر » . [٢] - في ز : « فيدفع » .

يخبر تعالىٰ أنه لم يؤمن بموسىٰ - عليه السلام - مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساطعات ، إلا قليل من قوم فرعون من الذرية وهم الشباب ، علىٰ وجل وخوف منه ومن[١] ملئه أن يردوهم إلىٰ ما كانوا عليه من الكفر ، لأن فرعون [لعنه اللّٰه] كان جبارًا عنيدًا ، مسرفًا في التمرد والعتو ، وكانت له سطوة ومهابة تخاف رعيته منه خوفًا شديدًا .

قال العوفي(٨٦) ، عن ابن عباس : ﴿ **فما آمن لموسىٰ إلا ذرية من قومه علىٰ خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم** ﴾ قال : فإن الذرية التي آمنت لموسىٰ من أناس غير بني إسرائيل من قوم فرعون - يسير ، منهم امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون وامرأة خازنه .

وروىٰ علي بن أبي طلحة(٨٧) ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فما آمن لموسىٰ إلا ذرية من قومه** ﴾ يقول : بني إسرائيل . وعن ابن عباس والضحاك وقتادة : الذرية : القليل .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **إلا ذرية من قومه** ﴾ قال : هم أولاد الذين أرسل إليهم موسىٰ من طول الزمان ومات آباؤهم .

واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية : أنها[٢] من بني إسرائيل لا من قوم فرعون ، لعود الضمير علىٰ أقرب المذكورين ، وفي هذا نظر ؛ لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب وأنهم من بني إسرائيل ، فالمعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسىٰ - عليه السلام - واستبشروا به ، وقد كانوا يعرفون نعته وصفته والبشارة به من كتبهم المتقدمة ، وأن اللّٰه تعالىٰ سينقذهم به من أسر فرعون ويظهرهم عليه ، ولهذا لما بلغ هذا فرعون حذر كل الحذر فلم يُجْدِ عنه شيئًا ، ولما جاء موسىٰ آذاهم فرعون أشد الأذىٰ و ﴿ **قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسىٰ ربكم أن يُهْلِكَ عدوّكم ويستخلفكم في الأرض فينظرَ كيف تعملون** ﴾ . وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد : إلا ذرية من قوم موسىٰ وهم بنو إسرائيل ؟!

﴿ **علىٰ خوف من فرعون وملئهم** ﴾ أي : وأشراف قومه أن يفتنهم ، ولم يكن في بني إسرائيل من يخاف منه أن يفتن عن الإيمان سوىٰ قارون ، فإنه كان من قوم موسىٰ فبغىٰ

(٨٦) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١١/١٥٠) ، وعطية العوفي ، ضعيف ، وقد روي عن ابن عباس خلاف ذلك ، وهو الآتي .

(٨٧) - أخرجه ابن جرير (١١/١٥٠) ، وابن أبي حاتم (١٠٥١٦/٦) ، وابن المنذر وأبو الشيخ ، كما في « الدر المنثور » (٥٦٥/٣) .

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : ز .

عليهم ، لكنه كان طاويًا إلىٰ فرعون متصلًا به متعلقًا بحباله . ومن قال : إن الضمير في قوله : ﴿ وملئهم ﴾ عائد إلىٰ فرعون وعظم الملك من أجل اتباعه أو بحذف[١] آل فرعون وإقامة المضاف إليه مقامه - فقد أبعد ، وإن كان ابن جرير قد حكاهما عن بعض النحاة . ومما يدل علىٰ أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن موسىٰ أنه قال لبني إسرائيل ﴿ **يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ أي : فإن الله كاف من توكل عليه ﴿ **أليس الله بكاف عبده** ﴾ ، ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ ، وكثيرًا ما يقرن الله تعالىٰ بين العبادة والتوكل ، كقوله[٢] تعالىٰ : ﴿ **فاعبده وتوكل عليه** ﴾ ، ﴿ **قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا** ﴾ ، ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلًا** ﴾ ، وأمر الله تعالىٰ المؤمنين أن يقولوا في كل صلواتهم مرات متعددة : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ .

وقد امتثل بنو إسرائيل ذلك فقالوا : ﴿ **علىٰ الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين** ﴾ أي : [لا تظفرهم][٣] بنا وتسلطهم علينا ، فيظنوا أنهم إنما سلطوا لأنهم علىٰ الحق ونحن علىٰ الباطل فيفتنوا بذلك ، هكذا روي عن أبي مجلز وأبي الضحىٰ .

وقال ابن أبي نجيح وغير واحد ، عن مجاهد : لاتعذبنا بأيدي قوم فرعون ولا بعذاب من عندك ، فيقول قوم فرعون : لو كانوا علىٰ حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم فيفتنوا[٤] بنا .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ **ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين** ﴾ لا تسلطهم علينا فيفتنونا .

وقوله[٥]: ﴿ **ونجنا [برحمتك** ﴾ أي : خلصنا][٦] برحمة منك وإحسان ﴿ **من القوم الكافرين** ﴾ أي : الذين كفروا الحق وستروه ، ونحن قد آمنا بك وتوكلنا عليك .

---

[١] - في ز : « بخوف » ، خ : « تخوف » .
[٢] - في ز : « كما في قوله » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « بظفرهم » .
[٤] - في ز : « ليفتتنوا » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

يذكر اللَّه تعالىٰ سبب إنجائه بني إسرائيل من فرعون وقومه ، وكيفية خلاصهم منهم ، وذلك أن اللَّه تعالىٰ أمر موسىٰ وأخاه هارون - عليهما السلام - أن يتبوَّءا ، [أي : يتخذا][١] لقومهما بمصر بيوتًا .

واختلف المفسرون في معنىٰ قوله تعالى : ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ فقال الثوري وغيره(٨٨) ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ قال : أُمِرُوا أن يتخذوها مساجد .

وقال الثوري أيضًا ، عن ابن منصور ، عن إبراهيم ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ قال : كانوا خائفين ، فأمروا أن يصلوا في بيوتهم .

وكذا قال مجاهد وأبو مالك ، والربيع بن أنس والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وأبوه زيد بن أسلم ، وكأن هذا - واللَّه أعلم - لما اشتد بهم البلاء من قِبَلِ فرعون وقومه وضيقوا عليهم ، أمروا بكثرة الصلاة ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ وفي الحديث(٨٩) : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا حزبه أمر صلَّىٰ أخرجه أبو داود ؛ ولهذا قال تعالىٰ في هذه الآية : ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين** ﴾ أي : بالثواب والنصر القريب .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : قالت بنو إسرائيل لموسىٰ - عليه السلام - : لا نستطيع أن نُظهرَ صلاتَنا مع الفراعنة ، فأذن اللَّه تعالىٰ لهم أن يصلوا في بيوتهم ، وأمروا أن يجعلوا بيوتهم قِبَلَ القبلة .

وقال مجاهد : ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ قال[٢]: لما خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا في الكنائس الجامعة ، أمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرًّا . وكذا قال قتادة والضحاك ، وقال سعيد بن جبير : ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ أي :

---

(٨٨) - أخرجه ابن جرير (١١/١٥٣) ، وابن أبي حاتم (٦/١٠٥٢٩) ، والفريابي وابن المنذر ، وأبو الشيخ وابن مردويه ، كما في « الدر المنثور » (٣/٥٦٦) .

(٨٩) - **حسن** ، يأتي (سورة الحجر / آية ٩٩) .

---

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : ت .

يقابل[١] بعضها بعضًا .

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩) ﴾

هذا إخبار من اللّه تعالىٰ عما دعا به موسىٰ - عليه السلام - علىٰ فرعون وملئه ، لما أبوا قبول الحق واستمروا علىٰ ضلالهم وكفرهم ، معاندين جاحدين ظلمًا وعلوًّا وتكبرًا وعتوًّا قال : ﴿ **ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة** ﴾ أي : من أثاث الدنيا ومتاعها ﴿ **وأموالًا** ﴾ أي : جزيلة كثيرة ﴿ **في** ﴾ هذه ﴿ **الحياة الدنيا ربنا ليَضلوا عن سبيلك** ﴾ بفتح الياء أي : أعطيتهم ذلك ، وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم ، استدراجًا منك لهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **لنفتنهم فيه** ﴾ ، وقرأ آخرون ﴿ **ليُضلوا** ﴾ بضم الياء أي : ليفتتن بما أعطيتهم من شئت من خلقك ، ليظن من أغويته أنك إنما أعطيتهم[٢] [ ][٣] هذا لحبّك إياهم[٤]، واعتنائك بهم .

﴿ **ربنا اطمس علىٰ أموالهم** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد : أي أهلكها . وقال الضحاك وأبو العالية والربيع بن أنس : جعلها اللّه حجارة منقوشة كهيئة ما كانت .

وقال قتادة : بلغنا أن زروعهم تحوّلت حجارة .

وقال محمد بن كعب القرظي : جعل سكّرهم حجارة[٥].

وقال ابن أبي حاتم(٩٠) : حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث ، حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير ، عن أبي معشر ، حدثني محمد بن قيس ؛ أن محمد بن كعب قرأ سورة يونس علىٰ عمر ابن عبد العزيز [حتىٰ بلغ][٦] ﴿ **وقال موسىٰ ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في**

(٩٠) - **إسناده ضعيف لضعف أبي معشر وهو نجيح بن عبد الرحمن**
التفسير (١٠٥٤٣/٦) وأخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ ، كما في « الدر المنثور » (٥٦٦/٣) .

[١] - في ز : « تقابل » .
[٢] - في خ : « أعطيت » .
[٣] - في ز ، خ : هؤلاء .
[٤] - في ز : « لهم » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

الحياة الدنيا ﴾ إلىٰ قوله : **﴿ ربنا اطمس علىٰ أموالهم ﴾** . الآية . [فقال له عمر : يا أبا حمزة ؛ أي : شيءٍ الطمسُ ؟ قال : عادت أموالهم كلها حجارة][١]. فقال [ ][٢] عمر بن عبد العزيز لغلام له : ائتني بكيس ، [فجاءه بكيس][٣] فإذا فيه حمص وبيض قد قُطِّعَ قد حُوِّل حجارة .

وقوله : **﴿ واشدد علىٰ قلوبهم ﴾** قال ابن عباس : أي : اطبع عليها . **﴿ فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم ﴾** .

وهذه الدعوة كانت من موسىٰ - عليه السلام - غضبًا للّٰه ولدينه علىٰ فرعون وملئه الذين تبين له أنهم لا خير فيهم ولا يجيء منهم شيء ، كما دعا نوح - عليه السلام - فقال : **﴿ رب لا تذر علىٰ الأرض من الكافرين ديارًا * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا ﴾** ، ولهذا استجاب اللّٰه تعالىٰ لموسىٰ - عليه السلام - فيهم هذه الدعوة ، التي أمَّن عليها أخوه هارون ، فقال تعالىٰ : **﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾** .

قال أبو العالية وأبو صالح ، وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي ، والربيع بن أنس : دعا موسىٰ وأمَّن هارون . أي : قد أجبناكما فيما سألتما من تدمير[٤] آل فرعون .

وقد يحتج بهذه الآية من يقول : إن تأمين المأموم علىٰ قراءة الفاتحة يتنزل منزلة قراءتها ؛ لأن موسىٰ دعا وهارون أمن .

وقال تعالىٰ : **﴿ قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ﴾** . [الآية . أي : كما أجيبت دعوتكما فاستقيما][٥] علىٰ أمري .

قال ابن جريج ، عن ابن عباس : **﴿ فاستقيما ﴾** فامضيا لأمري وهي الاستقامة . قال ابن جريج يقولون : إن فرعون مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة .

وقال محمد بن علي بن الحسين : أربعين يومًا .

۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « له » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - في ز : « تدمر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

﴿ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

يذكر تعالىٰ كيفية إغراقه فرعون وجنودَه ؛ فإن بني إسرائيل لما خرجوا من مصر صحبة موسىٰ - عليه السلام - وهم - فيما قيل - ستمائة ألف مقاتل سوىٰ الذرية ، وقد كانوا استعاروا من القبط حُليًا كثيرًا فخرجوا به معهم ، فاشتد حنق فرعون عليهم ، فأرسل في المدائن حاشرين ، يجمعون له جنوده من أقاليمه ، فركب وراءهم في أبهة عظيمة وجيوش هائلة لما يريده اللَّه تعالىٰ بهم ، ولم يتخلف عنه أحد ممن له دولة وسلطان في سائر مملكته ، فلحقوهم وقت شروق الشمس ﴿ **فلما تراءىٰ الجمعان قال أصحاب موسىٰ إنا لمدركون** ﴾ وذلك أنهم لما انتهوا إلىٰ ساحل البحر ، [وفرعون وراءهم][١]، ولم يبق إلا أن يتقاتل الجمعان ، وألح أصحاب موسىٰ - عليه السلام - في السؤال : كيف المخلص مما نحن فيه ؟ فيقول : إني أمرت أن أسلك هاهنا ﴿ **كلّا إن معي ربي سيهدين** ﴾ فعندما ضاق الأمر اتسع ، فأمره اللَّه تعالىٰ أن يضرب البحر بعصاه ، فضربه فانفلق البحر ﴿ **فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ أي : كالجبل العظيم ، وصار اثني عشر طريقًا لكل سبط واحد ، وأمر اللَّه الريحَ فنشفت أرضَه ﴿ **فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا * لا تخاف دركا ولا تخشى** ﴾ . وتخرق الماء بين الطرق كهيئة الشبابيك ؛ ليرىٰ كل قوم الآخرين لئلا يظنوا أنهم هلكوا ، وجاوزت بنو إسرائيل البحر ، فلما خرج آخرهم منه ، انتهىٰ فرعون وجنوده إلىٰ حافته من الناحية الأخرىٰ ، وهو في مائة ألف أدهم سوىٰ بقية الألوان ، فلما رأىٰ ذلك هاله وأحجم وهاب ، وهَمَّ بالرجوع وهيهات ولات حين مناص ، نفذ القدر ، [واستجيبت الدعوة][٢]، وجاء جبريل - عليه السلام - علىٰ فرس وديق(*) حائل ، فمر إلىٰ جانب حصان فرعون فحمحم إليها ، [وتقدم جبريل فاقتحم البحر ودخله ، فاقتحم الحصان][٣] وراءه ، ولم يبق فرعون يملك من نفسه شيئًا ، فتجلد لأمرائه وقال لهم : ليس بنو إسرائيل بأحق بالبحر منَّا ، فاقتحموا كلهم عن آخرهم ، وميكائيل في ساقتهم لا يترك [منهم أحدًا] إلا ألحقه[٤] بهم ، فلما استوسقوا فيه وتكاملوا ، وهَمَّ أولهم بالخروج منه ، أمر اللَّه القديرُ البحرَ أن يرتطم عليهم ، فارتطم عليهم فلم ينج منهم أحد ، وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم ، وتراكمت الأمواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت ، فقال وهو كذلك :

(*) - الوديق : هي التي تشتهي الفحل ، والحائل : غير الحامل .

[١] - في ز ، خ : « وأدركهم فرعون » . [٢] - في ز : استجيب للدعوة » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « واقتحم جبريل » .

[٤] - في ز : « لحقه » .

﴿ **آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين** ﴾ فآمن حيث لا ينفعه الإيمان ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون** ﴾ .

ولهذا[١] قال الله تعالىٰ في جواب فرعون حين قال ما قال : ﴿ **آلآن وقد عصيت قبل** ﴾ أي : أهذا الوقت تقول ، وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه ﴿ **وكنت من المفسدين** ﴾ أي : في الأرض ، الذين أضلوا الناس ﴿ **وجعلناهم أئمة يدعون إلىٰ النار ويوم القيامة لا ينصرون** ﴾ .

وهذا الذي حكىٰ الله تعالىٰ عن فرعون من قوله هذا في حاله ذلك - من أسرار الغيب التي أَعْلَمَ الله بها رسوله صلىٰ الله عليه وسلم ؛ ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله(٩١) - :

حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لما قال فرعون : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل -قال - قال لي جبريل : [يا محمد](*) لو رأيتني وقد أخذت حالاً[٢] من حال(**) البحر فدسسته في فيه مخافة أن تنالَهُ الرحمةُ** » .

ورواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم في تفاسيرهم من حديث حماد بن سلمة به ، وقال الترمذي : حديث حسن .

---

(٩١) - **إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد** ، « المسند » (٣٠٩/١) ، وأخرجه أيضًا (٢٤٥/١) وعبد بن حميد في « المنتخب » (٦٦٤)- وعنه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة يونس » (٣١٠٦) - ، وابن أبي حاتم (١٠٥٦١/٦) ، وتمام في فوائده (١٦٩٣/٥ - الروض البسام) ، والطيالسي (٢٦٩٣) ، والحاكم (٢٥٠/٤) شاهدًا ، وابن جرير (١٦٣/١١) ، والطبراني في « الكبير » (١٢٩٣/٢)- ومن طريقه المزي في « تهذيب الكمال » (٤٦٤/٣٢) وله طريق آخر عنده - والخطيب البغدادي في تاريخه (١٠١/٨ - ١٠٢) ، وفي « موضح أوهام الجمع والتفريق » (٣٤٣/١) من طرق عن حماد بن سلمة به ، ويوسف بن مهران ، قال أحمد : لا يعرف ، ولا أعرف أحدًا روى عنه إلا علي بن زيد لكن قال أبو حاتم : يكتب حديثه ويُذاكر به ، ووثقه ابن سعد وأبو زرعة . إلا أن علي بن زيد وهو ابن جُدْعان ، ضعيف ، وقد ورد بإسناده آخر فانظر ما بعده .

(*) ما بين المعكوفتين زيادة من : المسند .

(**) الحال : الطين الأسود .

---

[١] - في ز : « وهكذا » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

وقال أبو داود الطيالسي(٩٢) : حدثنا شعبة ، عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **قال لي جبريل – عليه السلام – : لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فم فرعون مخافة أن تدركَه الرحمةُ** » . وقد رواه أبو عيسىٰ الترمذي أيضًا وابن جرير أيضًا من غير وجه عن شعبة به [فذكر مثله][١]، وقال الترمذي : حسن غريب صحيح .

ووقع في روايةٍ عند ابن جرير : عن محمد بن المثنىٰ ، عن غندر ، عن شعبة ، عن عطاء وعدي ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، رفعه أحدهما وكأنَّ الآخر لم يرفعه، فاللّٰه أعلم .

وقال ابن أبي حاتم(٩٣) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمر بن عبد اللّٰه بن يعلىٰ الثقفي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أغرق[٢] اللّٰه فرعون أشار بأصبعه ورفع صوته : ﴿ **آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل** ﴾ قال : فخاف جبريل أن تسبق رحمةُ اللّٰهِ فيه غضبَه ، فجعل يأخذ الحال بجناحيه[٣] فيضرب به وجهه فيرمسه .

وكذا رواه ابن جرير(٩٤) : عن سفيان بن وكيع [ثنا أبي](*) ، عن [أبي][٤] خالد به موقوفًا .

---

(٩٢) – **صحيح** ، مسند الطيالسي (٢٦١٨) ومن طريقه ابن أبي حاتم (١٠٥٦٢/٦) ، وأخرجه أحمد (١/ ٢٤٠ ، ٣٤٠) ، والترمذي (٣١٠٧) ، والنسائي في التفسير من الكبرى (١١٢٣٨/٦) ، وابن جرير (١١/ ١٦٣) ، ابن حبان (٦٢١٥/١٤ – الإحسان) ، (١٧٤٥/٥ – موارد) ، والحاكم (٥٧/١) ، و(٣٤٠/٢) و(٢٥٠/٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٣٩١/٧ ، ٩٣٩٢ ، ٩٣٩٣) ، والخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (٣/رقم ١٥٨٩) من طرق عن شعبة به ، وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب صحيح » وقال الحاكم في أحد المواضع . « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس » وأقره الذهبي وقال : « وعامة أصحاب شعبة أوقفوه » قلت ، وهذا غاية ما فيه ومع ذلك فإن مثله لا يقال من قبل الرأى ، وعليه فإن له حكم الرفع ، والله تعالى أعلم . ثم إن له شاهدًا من حديث أبي هريرة يأتي (٩٥) .

(٩٣) – **إسناده ضعيف لضعف عمر بن عبد الله بن يعلى** ، (١٠٥٦٣/٦) وعمر بن عبد الله هذا ضعيف ، كما في « التقريب » ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٦٨/٣) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه ، وانظر ما قبله وما بعده .

(٩٤) – **كسابقه** ، تفسير ابن جرير (١٦٤/١١) .

(*) ما بين المعكوفتين سقط من : (ز ، خ) والمثبت من تفسير ابن جرير .

---

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] – في ز : « غرق » .

[٣] – في ز : « بجناحه » .

[٤] – ما بين المعكوفتين في ز : « ابن أبي » .

وقد روي من حديث أبي هريرة أيضًا فقال ابن جرير(٩٥) :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، عن عنبسة - هو ابن[١] سعيد - عن كثير بن زاذان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **قال لي جبريل : يا محمد ، لو رأيتني وأنا أغطه وأدس من الحال في فيه مخافة أن تدركَه رحمةُ اللَّه فيغفر له** » . يعني : فرعون .

كثير بن زاذان هذا قال ابن معين : لا أعرفه . وقال أبو زرعة وأبو حاتم : مجهول . وباقي رجاله ثقات .

وقد أرسل[٢] هذا الحديث جماعة من السلف ؛ قتادة وإبراهيم التيمي وميمون بن مهران ، ونقل عن الضحاك بن قيس أنه[٣] خطب بهذا للناس ، فاللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية** ﴾ قال ابن عباس وغيره من السلف : إن بعض بني إسرائيل شكّوا في موت فرعون ، فأمر اللَّه تعالىٰ البحر أن يلقيه بجسده سويًّا[٤] بلا روح ، وعليه درعه المعروفة [علىٰ نجوة][٥] من الأرض وهو المكان المرتفع ، ليتحققوا موته وهلاكه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فاليوم ننجيك** ﴾ أي : نرفعك علىٰ نشز من الأرض ﴿ **ببدنك** ﴾ قال مجاهد : بجسدك . وقال الحسن : بجسم لا روح فيه ، وقال عبد اللَّه بن شداد : سويًّا صحيحًا ؛ أي : لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه ، وقال أبو صخر : بدرعك .

وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها[٦] كما تقدم ، واللَّه أعلم .

---

(٩٥) - **إسناده فيه جهالة لجهالة كثير بن زاذان** ، والحديث في تفسير ابن جرير (١٦٣/١١) ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٧٨٨/٢ - ٧٨٩) ، والسهمي في « تارج جرجان » (ص ٢٠٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٣٩٠/٧) من طريق حكام بن سَلْم به ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥٨٢٣/٦) من طريق قيس بن الربيع عن سعيد بن مسروق عن أبي حازم به نحوه ، لكن قيس بن الربيع هذا « صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به » فأخشى أن يكون هذا الحديث مما أدخله عليه ابنه والله أعلم ، ومن طريق الطبراني ذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٩١٧) وقال : « ... فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه جماعة » .

---

[١] - في ز ، خ : « ابن أبي » .
[٢] - في ز ، خ : « أرسل على » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « فيه على نجوة » ، خ : « فيه على نحوه » .
[٦] - في ز ، خ : « فيها » .

وقوله : ﴿ **لتكون لمن خلفك آية** ﴾ أي : لتكون لبني إسرائيل دليلًا علىٰ موتك وهلاكك ، وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده ، وأنه لا يقوم لغضبه شيء ، ولهذا قرأ [بعض السلف][١] (**لتكون لمن خلقك**(*) **آية وإنَّ كثيرًا من الناس عن آياتنا لغافلون**) أي : لايتعظون بها[٢] ولا يعتبرون بها ، وقد كان [إهلاك فرعون][٣] يوم عاشوراء ، كما قال البخاري(٩٦) :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم النبي صلىٰ الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء ، [فقال : « **ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟** »][٤] فقالوا : هذا يوم ظهر فيه موسىٰ علىٰ فرعون . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم لأصحابه : « **أنتم أحق بموسىٰ منهم فصوموه**[٥]» .

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عما أنعم به علىٰ بني إسرائيل من النعم الدينية والدنيوية ، [وقوله : مبوأ][٦] صدق قيل : هو بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه ، فإن الله تعالىٰ لما أهلك فرعون وجنوده استقرت يد الدولة الموسوية علىٰ بلاد مصر بكمالها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنىٰ علىٰ بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** ﴾ . وقال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز**[٧]

(*) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط (١٨٩/٥ - ١٩٠)

(٩٦) - صحيح البخاري كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وجاوزنا بيني إسرائيل البحر ﴾ (٤٦٨٠) ، ومسلم ، كتاب : الصيام ، باب : صوم يوم عاشوراء (١٢٧) (١١٣٠) ، وأبو داود ، كتاب : الصوم ، باب : في صوم يوم عاشوراء (٢٤٤٤) ، والنسائي في الكبرى ، كتاب : الصيام ، باب : صيام يوم عاشوراء (٢/ ٢٨٣٤) ، وك : التفسير باب : قوله تعالى : ﴿ وجاوزنا بينى إسرائيل البحر ﴾ (١١٢٣٧/٦) ، وأحمد (١/ ٣٤٠) ، من طريق أبي بشر به .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « بعضهم » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في خ : « إهلاكهم » .
[٤] - ما بين المعكوفيتن سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « فصوموا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « فالمبوأ » .
[٧] - في ز : « زروع » .

ومقام كريم * كذلك وأورثناها بني إسرائيل ﴾ ، [وقال : ﴿ كم تركوا من جنات وعيون ﴾ الآيات][١]. ولكن استمروا مع موسىٰ - عليه السلام - طالبين إلىٰ بلاد بيت المقدس ، [وهي بلاد الخليل - عليه السلام - فاستمر موسىٰ بمن معه طالبًا بيت المقدس][٢]، وكان فيه قوم من العمالقة ، [فنكل بنو إسرائيل عن قتالهم][٣]، فشردهم اللّٰه تعالىٰ في التيه أربعين سنة ، ومات فيه[٤] هارون . ثم موسىٰ - عليهما السلام - وخرجوا بعدهما مع يوشع بن نون ، ففتح اللّٰه عليهم بيت المقدس ، واستقرت أيديهم عليها ، إلىٰ أن أخذها منهم بختنصر حينًا من الدهر ، ثم عادت إليهم ، ثم أخذها ملوك اليونان فكانت تحت أحكامهم مدة طويلة ، وبعث اللّٰه عيسىٰ بن مريم - عليه السلام - في تلك المدة ، فاستعانت اليهود - قبحهم اللّٰه ! علىٰ معاداة عيسىٰ - عليه السلام - بملوك اليونان وكانت تحت أحكامهم ، ووشوا عندهم وأوحوا إليهم أن هذا يفسد عليكم الرعايا ، فبعثوا من يقبض عليه ، فرفعه اللّٰه إليه وشبه لهم بعض الحواريين بمشيئة اللّٰه وقدره ، فأخذوه فصلبوه واعتقدوا أنه هو ﴿ **وما قتلوه يقينًا * بل رفعه اللّٰه إليه وكان اللّٰه عزيزًا حكيمًا** ﴾ .

ثم بعد المسيح - عليه السلام - بنحو ثلثمائة سنة ، دخل قسطنطين أحد ملوك اليونان في دين النصرانية ، وكان فيلسوفًا قبل ذلك ، فدخل في دين النصارىٰ ، قيل : تقية ، وقيل : حيلة ليفسده ، فوضعت له الأساقفة منهم قوانين وشريعة وبدعًا أحدثوها ، فبنىٰ لهم الكنائس والبيع الكبار والصغار والصوامع والهياكل والمعابد والقلايات(*) ، وانتشر دين النصرانية في ذلك الزمان ، واشتهر علىٰ ما فيه من تبديل وتغيير وتحريف ، ووضع وكذب ومخالفة لدين المسيح ، ولم يبق علىٰ دين المسيح علىٰ الحقيقة منهم إلا القليل من الرهبان ، فاتخذوا لهم الصوامع في البراري والمهامة(**) والقفار ، واستحوذت يد النصارىٰ علىٰ مملكة الشام والجزيرة وبلاد الروم ، وبنىٰ هذا الملك[٥] المذكور مدينة قسطنطينية والقمامة وبيت لحم ، وكنائس بلاد[٦] بيت المقدس ومدن حوران كبُصرىٰ وغيرها من البلدان - بناءات هائلة محكمة ، وعبدوا الصليب من حينئذ ، وصلوا إلىٰ الشرق ، وصوروا الكنائس ، وأحلوا لحم الخنزير ، وغير ذلك مما أحدثوه من الفروع في دينهم والأصول ، ووضعوا له الأمانة [ ][٧] الحقيرة التي يسمونها الكبيرة ، وصنفوا له القوانين ، وبسط هذا يطول[٨] .

(*) جمع قلية ، وهي كالصومعة ، واسمها عند النصارى قلّاية وهو تعريب : كلادة وهي من بيوت عادتهم .

(**) جمع مهمة وهو المفازة ، والبرية : القفر .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - في خ : « في أثنائها » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : خ .

[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « الكبيرة » .

[٨] - سقط من : خ .

والغرض أن يدهم لم تزل علىٰ هذه البلاد إلىٰ أن انتزعها منهم الصحابة - رضي الله عنهم - وكان فتح بيت المقدس علىٰ يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ولله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ **ورزقناهم من الطيبات** ﴾ أي : الحلال من الرزق ، الطيب النافع المستطاب طبعًا وشرعًا .

وقوله : ﴿ **فما اختلفوا حتىٰ جاءهم العلم** ﴾ أي : ما اختلفوا في شيء من المسائل إلا من بعد ما جاءهم العلم ، أي : ولم يكن لهم أن يختلفوا ، وقد بين الله لهم وأزال عنهم اللبس ، وقد ورد في الحديث : « **إن اليهود اختلفوا علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة ، وإن النصارىٰ اختلفوا علىٰ ثنتين**[١] **وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة ، منها واحدة في الجنة ، وثنتان وسبعون في النار** » . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : « **ما أنا عليه وأصحابي** » .

رواه الحاكم في مستدركه بهذا اللفظ(٩٧) ، وهو في السنن والمسانيد ، ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **إن ربك يقضي بينهم** ﴾ أي : يفصل بينهم ﴿ **يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ .

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ

(٩٧) - حسن ، قلت : لفظ الحاكم في النسخة التى بين أيدينا (١٢٨/١) : «.... **إن بنى إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة** » فقيل له ما الوحدة ؟ قال : « **ما أنا عليه اليوم وأصحابي** » ، وأخرجه الترمذي (٢٦٤٣) والآجري في « الشريعة » (١/رقم ٢٣) ، والمروزي في « السنة » (ص ١٨) ، وابن بطة في « الإبانة » (١/٢٦٤ ، ٢٦٥) ، واللالكائي في « شرح أصول الاعتقاد » (١٤٧/١) كلهم من حديث عبد الله بن عمرو ، وفي إسناده عبدالرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف وقد حسنه الترمذي والألباني في « صحيح الجامع الصغير » (٥/ ٥٢١٩/٨٠) فلعله بشواهده فإن لأوله شاهدًا من حديث أبي هريرة عند أحمد (٣٣٢/٢) ، أبي داود (٤٥٩٦) ، والترمذي (٢٦٤٢) ، وابن ماجة (٣٩٩١) وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » ، وصححه ابن حبان (٦٢٤٧/١٤) و(٦٧٣١/١٥) ، والحاكم (١٢٨/١) ووافقه الذهبي ، وإسناده حسن ، وحديث معاوية بن أبي سفيان عند أبي داود (٤٥٩٧) وغيره وإسناده صحيح ، وانظر « الصحيحة » للألباني (٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ١٤٩٢) كما يشهد لقوله : « **ما أنا عليه وأصحابي** » حديث أنس عند الطبراني في « الأوسط » (٤٨٨٦/٥)، (٧٨٤٠/٨) ، والعقيلي في « الضعفاء » (٢٦٢/٢) لكن في إسناده عبد الله ابن سفيان الخزاعي ، قال العقيلي : « لا يتابع على حديثه » .

[١] - في ت : « اثنتين » .

لَقَدْ جَاءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

قال قتادة بن دعامة(٩٨) : بلغنا أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا أشك ولا أسأل** » . وكذا قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والحسن البصري .

وهذا فيه تثبيت[١] للأمة ، وإعلام لهم أن صفة نبيهم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم موجودةٌ في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ . الآية . ثم مع هذا العلم الذي يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم ، يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ، ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ أي : لا يؤمنون[٢] إيمانًا ينفعهم ، بل حين لا ينفع نفسًا إيمانُها ، ولهذا لما دعا موسىٰ - عليه السلام - علىٰ فرعون وملئه قال : ﴿ **ربنا اطمس علىٰ أموالهم واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ . كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء اللّٰه ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ . ثم قال تعالىٰ :

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾

يقول تعالىٰ : فهلا كانت قرية آمنت بكمالها من الأمم السالفة الذين بعثنا إليهم الرسل ،

---

(٩٨) - **مرسل** ، أخرجه عبد الرزاق في « المصنف » (١٠٢١١/٦) وابن جرير (١٦٨/١١) عن معمر عنه به ، وأخرجه ابن جرير أيضًا من طريق سعيد عنه به ، وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم (١٠٥٨٣/٦) وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٥٧١/٣) - واختاره الضياء في « المختارة » (٩١/١٠) عن ابن عباس ﴿ **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك** ﴾ قال: لم يشكَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يسأل ، وفي الباب عن سعيد بن جبير والحسن - عند ابن جرير - مرسلًا .

---

[١] - في ز : « تثبت » . [٢] - في خ : « يؤمنوا » .

بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلا كذبه قومه أو أكثرهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **يا حسرة علىٰ العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون** ﴾ ، ﴿ **كذلك ما أتىٰ الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون** ﴾ ، ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون** ﴾ . وفي الحديث الصحيح(٩٩) : « **عرض علي الأنبياء ، فجعل النبي يمر ومعه الفئام من الناس ، والنبي يمرّ[١] معه الرجل ، والنبي معه الرجلان ، والنبي ليس معه أحد** » . ثم ذكر كثرة أتباع موسىٰ - عليه السلام - ثم ذكر كثرة أمّته - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - كثرة سدت الخافقين الشرقي والغربي .

والغرض أنه لم توجد[٢] قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرىٰ إلا قوم يونس وهم أهل نينوىٰ ، وما كان إيمانهم إلا خوفًا من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعد ما عاينوا أسبابه ، وخرج رسولهم من بين أظهرهم ، فعندها جأروا إلىٰ اللّٰه واستغاثوا به وتضرعوا له[٣] واستكانوا ، وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم ، وسألوا اللّٰه تعالىٰ أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم ، فعندها رحمهم اللّٰه وكشف عنهم العذاب وأُخِّرُوا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلىٰ حين** ﴾ .

واختلف المفسرون هل كشف عنهم العذاب الأخروي مع الدنيوي ، أو إنما كشف عنهم في الدنيا فقط ؟ علىٰ قولين ؛ أحدهما : إنما كان ذلك في الحياة الدنيا كما هو مقيد في هذه الآية ، والقول الثاني : فيهما ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ **وأرسلناه إلىٰ مائة ألف أو يزيدون * فآمنوا فمتعناهم إلىٰ حين** ﴾ فأطلق عليهم الإيمان ، والإيمانُ منقذ من العذاب الأخروي ، وهذا هو الظاهر ، واللّٰه أعلم .

(٩٩) - لم أقف على اللفظ الذي أورده المصنف ، وبنحوه أخرجه البخاري، كتاب : الطب ، باب : الحلق من الأذى (٥٧٠) - وانظر أطرافه عند رقم (٣٤١٠) - ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٣٧٤) (٢٢٠) ، والترمذي ، كتاب : صفة القيامة ، باب : أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - سواد عظيم يوم القيامة .. (٢٤٤٨) ، والنسائي في الكبرى ، كتاب : الطب (٧٦٠٤/٤) ، وأحمد (٢٧١/١ ، ٣٢١) من حديث ابن عباس ، وفي الباب عن عمران بن حصين عند الطبراني في « الكبير » (٦٠٥/١٨) ، وصححه ابن حبان (٦٠٨٩/١٣) ، وعبد الله ابن مسعود عند أحمد (٤٠١/١ ، ٤٢٠) ، وأبي يعلى (٥٣٣٩/٩) ، وصححه ابن حبان (٧٣٤٦/١٦) .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « يوجد » .

[٣] - في خ : « لديه » .

وقال قتادة في تفسير هذه الآية : لم ينفع قرية كفرت ، ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت ، إلا قوم يونس لما فقدوا نبيهم ، وظنوا أن[١] العذاب قد دنا منهم ، قذف الله في قلوبهم التوبة ، ولبسوا المسوح ، وفرّقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجوا إلىٰ الله أربعين ليلة ، فلما عرف الله منهم الصدق من قلوبهم ، والتوبة والندامة علىٰ ما مضىٰ منهم ، كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلىٰ عليهم ، قال قتادة : وذكر أن قوم يونس كانوا[٢] بنينوىٰ أرض الموصل .

وكذا روي عن ابن مسعود ومجاهد ، وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف ، وكان ابن مسعود يقرؤها : (فهلا كانت قرية آمنت) .

وقال أبو عمران ، عن أبي الجلد قال : [لما نزل بهم][٣](*) العذاب جعل يدور علىٰ رءوسهم كقطع الليل المظلم ، فمشوا إلىٰ رجل من علمائهم ، فقالوا : علمنا دعاء ندعو به ، لعل الله يكشف عنا العذاب . فقال : قولوا : يا حي حين لا حي ، يا محيي الموتىٰ ، لا إله إلا أنت ! قال : فكشف عنهم العذاب .

وتمام القصة سيأتي مفصلًا في سورة والصافات إن شاء الله .

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء ربك** ﴾ يا محمد لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان بما جئتهم به فآمنوا كلهم ، ولكن له حكمة فيما يفعله تعالىٰ ، كقوله تعالى : ﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدىٰ الناس جميعًا** ﴾ ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أفأنت تكره الناس** ﴾ [أي : تلزمهم وتلجئهم][٤] ﴿ **حتىٰ يكونوا مؤمنين** ﴾ أي : ليس ذلك عليك ولا إليك ،

(*) في ابن جرير (١١/١٧٢) ، « لما غشى قوم يونس » .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « كان » .
[٣] - في ز ، خ : « نزل بقوم يونس » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

بل الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ ، ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ ، ﴿ لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ﴾ ، ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ ، ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ ، ﴿ فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ أن الله تعالىٰ هو الفعال لما يريد ، الهادي من يشاء ، المضل لمن يشاء ، لعلمه وحكمته وعدله ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس ﴾ وهو الخبال والضلال ﴿ علىٰ الذين لا يعقلون ﴾ أي : حجج الله وأدلته ، وهو العادل في كل ذلك في هداية من هدىٰ وإضلال من ضل .

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٣) ﴾

يرشد تعالىٰ عباده إلىٰ التفكر في آلائه ، وما خلق الله[١] في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب ، مما[٢] في السموات[٣] من كواكب نيرات ، ثوابت وسيارات ؛ والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما ، وإيلاج أحدهما في الآخر حتىٰ يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يقصر هذا ويطول هذا ، وارتفاع السماء واتساعها وحسنها وزينتها ، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها ، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات ، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع ، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب ؛ وما في البحر من العجائب والأمواج ، وهو مع هذا مسخر[٤] مذلل للسالكين ، يحمل سفنهم ويجري بها برفق بتسخير[٥] القدير [له]، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله : ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ أي : وأي شيء تجدي[٦] الآيات السماوية والأرضية والرسل ، بآياتها وحججها وبراهينها [الدالة] علىٰ صدقها - عن

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « بما » .
[٣] - في ز : « السماء » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في خ : « تغني » .

قوم لا يؤمنون ، كقوله : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم** ﴾ أي : فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد ؛ من النقمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم الماضية[١] المكذبة لرسلهم ﴿ **قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين * ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا** ﴾ أي : ونهلك المكذبين بالرسل ﴿ **كذلك حقًا علينا ننجي المؤمنين** ﴾ أي : حقًا أوجبه الله تعالى على نفسه الكريمة ، كقوله ﴿ **كتب ربكم على نفسه الرحمة** ﴾ ، وكما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال(١٠٠) : « **إن الله كتب[٢] كتابًا فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي** » .

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : قل : يا أيها الناس ؛ إن كنتم في شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف ، الذي أوحاه الله إلي ، فها أنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله وحده لا شريك له ، وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم

---

(١٠٠) - أخرجه البخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ...** ﴾ (٣١٩٤) ، ومسلم ، كتاب : التوبة ، باب : في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه (١٤،١٥،١٦) (٢٧٥١) ، والترمذي ، ك: الدعوات ، باب : رحمة الله غلبت غضبه (٣٥٣٧) ، والنسائي في « النعوت » من الكبرى (٧٧٥٠/٤ ، ٧٧٥١) ، وابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٨٩) ، كتاب : الزهد ، باب : ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٢٩٥) ، وأحمد (٢٤٢/٢، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، وفي مواضع أخر) من حديث أبي هريرة ، وانظر [سورة الأنعام/ آية ١٢] و[سورة الأعراف / آية ١٥٦] .

---

[١] - سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : خ .

ثم إليه مرجعكم ، فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون اللّٰه حقًّا فأنا لا أعبدها[١]، فادعوها فلتضرني فإنها لا تضر ولا تنفع ، وإنما الذي بيده الضر والنفع هو اللّٰه وحده لا شريك له ، وأمرت أن أكون من المؤمنين .

وقوله : ﴿ **وأن أقم وجهك للدين حنيفًا ولا تكونن من المشركين** ﴾ . أي : أخلص العبادة للّٰه وحده ﴿ **حنيفًا** ﴾ أي : منحرفًا عن الشرك ، ولهذا قال : ﴿ **ولا تكونن من المشركين** ﴾ وهو معطوف على قوله : ﴿ **وأمرت أن أكون من المؤمنين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن يمسسك اللّٰه بضر** ﴾ . الآية[٢]. فيه[٣] بيان لأن الخير والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلى اللّٰه تعالى وحده ، لا يشاركه[٤] في ذلك أحد ، فهو الذي يستحق العبادة وحده لاشريك له .

روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة صفوان بن سليم(١٠١) ، من طريق عبد اللّٰه بن وهب ، أخبرني يحيى بن أيوب ، عن عيسى بن موسى ، عن صفوان بن سليم ، عن أنس ابن مالك ؛ أن رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « **اطلبوا الخير دهركم كله ، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم ، فإن للّٰه نفحات من رحمته ، يصيب بها من يشاء من عباده ، واسألوه أن يستر عوراتكم ، ويؤمن روعاتكم** » .

---

(١٠١) - **إسناده ضعيف وفيه انقطاع** ، « تاريخ دمشق » لابن عساكر (٣٢٨/٨ - مخطوط) ، وأخرجه البغوي في « شرح السنة » (١٣٧٨/٥) ، والبيهقي في « الشعب » (١١٢١/٢) من طريق عبد الله بن وهب به ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٧٢٠/١) وفي كتاب الدعاء (٢٦) - وعنه أبو نعيم في « الحلية » (١٦٢/٣) - والقضاعي في « مسند الشهاب » (٧٠١/١) ، والبيهقي في « الشعب » (١١٢٢) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٣٣٩/٥) وعلقه ابن عساكر ، كلهم من طريق عمرو بن الربيع بن طارق عن يحيى بن أيوب به ، وأخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ١٥٠) من طريق سعيد بن أبي مريم أخبرني يحيى بن أيوب به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٣٤/١٠) وقال : رواه الطبراني وإسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى ... وهو ثقة » ، قلت : اعتمد الهيثمي على توثيق ابن حبان له في « الثقات » (٢١٦/٥) (٢٣٤/٧) وابن حبان معروف بتساهله ، وقد ضعفه أبو حاتم - كما في « الجرح والتعديل » (٢٨٥/٦) - ثم إن صفوان بن سليم لم ير أنسًا، ولم تصح روايته عنه ، كما قال أبو حاتم - انظر «تهذيب التهذيب» (٣٧٤/٤) والحديث زاد نسبته السيوطي في « الجامع الصغير »، وفي « الدر المنثور » (٤٦/٤) إلى ابن أبي الدنيا في « كتاب الفرج بعد الشدة » ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ، وانظر ما بعده .

---

[١] - في خ : « أعبد » .

[٢] - في ز : « آخرها » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ز : « يشركه » .

ثم رواه(١٠٢) من طريق الليث ، عن عيسىٰ بن موسىٰ ، عن صفوان ، عن رجل من أشجع ، عن أبي هريرة مرفوعًا بمثله سواء[١].

وقوله : ﴿ **وهو الغفور الرحيم** ﴾ أي : لمن تاب إليه وتوكل عليه ، ولو من أي ذنب كان ، حتىٰ من الشرك به فإنه يتوب عليه .

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا لرسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يخبر الناس أن الذي جاءهم به من عند اللَّه هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ، فمن اهتدىٰ به واتبعه فإنما يعود نفع ذلك الإتباع[٢] علىٰ نفسه ، [ومن ضل عنه فإنما يرجع وبال ذلك عليه][٣] ﴿ **وما أنا عليكم بوكيل** ﴾ أي : وما أنا موكل بكم حتىٰ تكونوا مؤمنين به[٤]، و[٥]إنما أنا نذير لكم ، والهداية علىٰ اللَّه تعالىٰ .

وقوله : ﴿ **واتبع ما يوحىٰ إليك واصبر** ﴾ أي : تمسك بما أنزل اللَّه عليك وأوحاه إليك[٦]، واصبر علىٰ مخالفة من خالفك من الناس ﴿ **حتىٰ يحكم اللَّه** ﴾ أي : يفتح بينك وبينهم ﴿ **وهو خير الحاكمين** ﴾ أي : خير الفاتحين بعدله وحكمته .

☆ ☆ ☆

---

(١٠٢) - **إسناده ضعيف وفيه جهالة** ، « تاريخ دمشق » لابن عساكر (٣٢٨/٨ - مخطوط) ، وأخرجه الطبراني في « الدعاء » (٢٧) ، والبيهقي في « الشعب » (١١٢٣/٢) من طريق الليث به ، وأعل البيهقي الطريق السابق به فقال : « وهذا هو المحفوظ دون الأول » .

---

[١] - في ز : « سواء » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

تفسير سورة هود
وهي مكية

قال الحافظ أبو يعلى(١) : حدثنا خلف بن هشام البزار ، حدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن عكرمة ؛ قال : قال أبو بكر : سألت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ما شيبك ؟ قال : « **شيبتني هود ، والواقعة ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت** » .

[وقال أبو عيسىٰ الترمذي(٢) : حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول اللّٰه ، قد شبت ! قال : « **شيبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت** » . وفي رواية : « **هود وأخواتها** »][١] .

وقال الطبراني(٣) : حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا حماد[٢] بن الحسن ، حدثنا سعيد بن سلام ، حدثنا عمر بن محمد ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ؛ قال : قال رسول

---

(١) - **إسناده منقطع بين عكرمة وأبي بكر ، وهو حديث صحيح** ، والحديث في مسند أبي يعلى الموصلي (١/رقم ١٠٧) ، وأخرجه أيضًا برقم (١٠٨) ، وابن سعد في « الطبقات » (١/٣٣٦) ، وأبو بكر المروزي في « مسند أبي بكر » (٣١) من طرق عن أبي الأحوص به ، وهذا إسناد منقطع بين عكرمة وأبي بكر ، ووصله الحاكم في «المستدرك» (٢/٤٧٦) من طريق أبي الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن عكرمة ، عن عبد الله بن عباس قال : قال أبو بكر ... فذكره ، وقال : «صحيح على شرط البخاري» ووافقه الذهبي ، لكن أعله أبو حاتم في «العلل» (٢/١١٠) فقال : « هذا خطأ ، ليس فيه ابن عباس » وانظر ما بعده .

(٢) - **صحيح** ، رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الواقعة (٣٢٩٣) ، وفي الشمائل (٤١) ، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/٣٣٥) والمروزي في مسند أبي بكر (٣٠) ، والدارقطني في « العلل » (١/٢٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/٣٥٠) من طريق شيبان به ، وقال الترمذي : « هذا حديث غريب » . وفي رواية : « حسن غريب ...» ، وصححه الحاكم على شرط البخاري (٢/٣٤٤) ووافقه الذهبي ، واختاره الضياء في « المختارة » (٦٦/٧٥/١) ، وكذا صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة » (٢/٩٥٥) ، على خلاف في إسناده مُبيّن هناك فانظره ثمة .

(٣) - **إسناده ضعيف جدًا** ، « المعجم الكبير » (٦/٥٨٠٤) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٧/٤٠) وقال: « رواه الطبراني وفيه سعيد بن سلام العطار وهو كذاب » قلت : وشيخه عمر بن محمد وقيل ابن صُهْبان ، ضعيف ، كما في « التقريب » ، والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٥٧٧) إلى ابن مردويه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

[٢] - في (خ ، ز) حجاج بن الحسن ، وهو تحريف أو خطأ من الناسخ ؛ ولم أجد من اسمه حجاج بن الحسن ، والمثبت من « المعجم الكبير » وكتب الرجال .

اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **شيبتني هود وأخواتها : الواقعة ، والحاقة ، وإذا الشمس كورت** » . وفي رواية : « **هود وأخواتها** » .

وقد روي من حديث ابن مسعود نحوه[١] :

فقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في معجمه الكبير(٤) : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا أحمد بن طارق الرائشي[٢] ، حدثنا عمرو بن ثابت ، عن أبي إسحاق ، عن عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - أن أبا بكر قال : يا رسول اللَّه ، ما شيبك ؟ قال : « **هود والواقعة** » .

عمرو بن ثابت متروك ، وأبو إسحاق لم يدرك ابن مسعود[٣] ، واللَّه أعلم .

الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

قد تقدم الكلام علىٰ حروف الهجاء في أول سورة البقرة بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا[٤] وباللَّه التوفيق .

---

(٤) - **إسناده ضعيف جدًا من أجل عمرو بن ثابت** ، والحديث في « المعجم الكبير » (١٠٠٩٢/١٠) ورواه أيضًا الدارقطني في « العلل » (٢١٠/١) من طرق عن محمد بن عثمان به ، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٤٠/٧) وقال : « رواه الطبراني وفيه عمرو بن ثابت وهو متروك » . ومن هذا الطريق زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٧٧/٣) إلى ابن مردويه . وفي الباب عن عقبة بن عامر عند الطبراني (٧٩٠/١٧) وإسناده صحيح ، وعن أبي جحيفة عن الترمذي في « الشمائل » (٤٢) ، وأبي يعلى في مسنده (٨٨٠/٢) وفي إسناده ضعف ، وانظر « الدر المنثور » .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في المعجم : « الوابشي » ولم أقف على ترجمة له .

[٣] - هذه علة صحيحة إن كان الإسناد كما أورده الحافظ ابن كثير - دون إثبات أبي الأحوص في الإسناد - لكن تبين لنا - فيما وقفنا عليه من مصادر - أن بين أبي إسحاق وابن مسعود « أبو الأحوص وهو عوف ابن مالك » .

[٤] - في خ : « هنا » .

وأما قوله : ﴿ **أحكمت آياته ثم فصلت** ﴾ أي : هي محكمة في لفظها ، مفصلة في معناها ، فهو كامل صورة ومعنىٰ ؛ هذا معنىٰ ما روي عن مجاهد وقتادة ، واختاره ابن جرير .

وقوله : ﴿ **من لدن حكيم خبير** ﴾ أي : من عند الله الحكيم في أقواله وأحكامه ، الخبير بعواقب الأمور .

﴿ **ألا تعبدوا إلا الله** ﴾ أي : نزَّل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي**[١] **إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ ، وقال[٢] : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إنني لكم منه نذير وبشير** ﴾ أي : إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه ، وبشير بالثواب إن أطعتموه ، كما جاء في الحديث الصحيح(٥) ؛ أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم صعد الصفا ، فدعا بطون قريش الأقرب ثم الأقرب ، فاجتمعوا فقال : « **يا معشر قريش ؛ أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا تصبحكم ألستم مصدقيّ ؟** » فقالوا : ما جربنا عليك كذبًا . قال : « **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد** » .

وقوله : ﴿ **وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلىٰ أجل مسمىٰ ويؤت كل ذي فضل فضله** ﴾ أي : وآمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة ، والتوبة منها إلىٰ الله عز وجل فيما تستقبلونه ، وأن تستمروا علىٰ ذلك ﴿ **يمتعكم متاعًا حسنًا** ﴾ أي : في الدنيا ﴿ [**إلىٰ أجل مسمىٰ**][٣] **ويؤت كل ذي فضل فضله** ﴾ أي : في الدار الآخرة . قاله قتادة . كقوله : ﴿ **من عمل صالحًا من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ . وقد جاء في الصحيح(٦) أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لسعد : « **وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت**

---

(٥) - أخرجه البخاري : كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ (٤٧٧٠) - وانظر أطرافه عند رقم (١٣٩٤) - ومسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : في قوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ (٣٥٥ ، ٣٥٦) (٢٠٨) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة تبَّت (٣٣٦٠) ، والنسائي في الكبرى (١٠٨١٩/٦ ، ١١٧١٤) ، وأحمد (٢٨١/١ ، ٣٠٧) . كلهم من حديث عبد الله بن عباس .

(٦) - هو قطعة من حديث طويل ، أخرجه البخاري ، كتاب : الجنائز ، باب : رثاء النبي - صلى الله عليه وسلم - سعد بن خَولَة (١٢٩٥) - وانظر أطرافه عند رقم (٥٦) - ومسلم ، كتاب : الوصية ، =

---

[١] - في ز : « يوحي » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ .

بها ، حتىٰ ما تجعل في فيِّ امرأتك » .

وقال ابن جرير(٧) : حدثني[١] [٢] المسيب بن شريك ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - في قوله : ﴿ **ويؤت كل ذي فضل فضله** ﴾ قال : من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ، ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات ، فإن عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات ، وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ، ثم يقول : هلك من غلب آحاده علىٰ أعشاره .

وقوله : ﴿ **وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير** ﴾ هذا تهديد شديد لمن تولىٰ عن أوامر الله تعالىٰ وكذب رسله ، فإن العذاب يناله يوم معاده[٣] لا محالة ﴿ **إلىٰ الله مرجعكم** ﴾ أي : معادكم ومرجعكم يوم القيامة ﴿ **وهو علىٰ كل شيء قدير** ﴾ أي : وهو القادر علىٰ ما يشاء من إحسانه إلىٰ أوليائه ، وانتقامه من أعدائه ، وإعادته[٤] الخلائق يوم القيامة ، وهذا مقام الترهيب كما أن الأول مقام[٥] ترغيب .

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

قال ابن عباس : كانوا يكرهون أن يستقبلوا السماء بفروجهم وحال وقاعهم ، فأنزل الله هذه الآية . رواه البخاري(٨) من حديث ابن جريج ، عن[٦] محمد بن عباد بن جعفر ؛ أن

= باب : الوصية بالثلث (١٦٢٨) ، وأبو داود ، كتاب : الوصايا ، باب : ما جاء في مالا يجوز للموصي في ماله (٢٨٦٤) ، والترمذي ، كتاب : الوصايا ، باب : ما جاء في الوصية بالثلث (٢١١٧) والنسائي كتاب : الوصايا ، باب الوصية بالثلث (٦/٢٤١ : ٢٤٢) وابن ماجة (٢٧٠٨) ، وأحمد (١/١٦٨ ، ١٧٢، ١٧٦ وفي مواضع أخر) بروايات مطولة ومختصرة .

(٧) - **إسناده ضعيف جدًا ، وفيه انقطاع** ، والحديث في تفسير ابن جرير (١١/١٨٢) ، والمسيب بن شريك هذا ، قال أحمد : ترك الناس حديثه ، وقال ابن معين : لا شيء ، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث كأنه متروك [« الجرح والتعديل » (٨/٢٩٤)] ، وقال البخاري : « سكتوا عنه » [« التاريخ الكبير » (٧/ ٤٠٨)] .

(٨) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : « ألا إنهم يثنون صدورهم ....» (٤٦٨٢) .

---

[١] - في تفسير ابن جرير « حُدثت عن المسيب بن شريك » .

[٢] - في ز : « عن ابن » .

[٣] - في خ : « القيامة » .

[٤] - في ت : « إعادة » .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في « الصحيح » :أخبرني .

ابن عباس قرأ : (**ألا إنهم تَثْنَوْني**[١] **صدورهم**) الآية .

قلت[٢] : يا أبا العباس ، ما تثنوني[٣] صدورهم ؟ قال : [كان الرجل][٤] يجامع امرأته فيستحي أو يتخلىٰ فيستحي ، فنزلت : (**ألا إنهم تَثْنَوْني**[٥] **صدورهم**) . وفي لفظ آخر له(٩) قال ابن عباس : أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلىٰ السماء ، وأن يجامعوا نساءهم [فيفضوا إلىٰ السماء][٦] ، فنزل ذلك فيهم .

قال البخاري : وقال غيره عن ابن عباس : ﴿ **يستغشون** ﴾ يغطون رءوسهم .

[ثم قال(١٠) : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو قال : قرأ[٧] ابن عباس ﴿ **ألا إنهم يثنوني صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم**][٨] ﴾ .

وقال ابن عباس في رواية أخرىٰ في تفسير هذه الآية(١١) : يعني به الشك في اللَّه ، وعمل السيئات . وكذا روي عن مجاهد والحسن وغيرهم ، أي : أنهم كانوا يثنون صدورهم إذا قالوا شيئًا أو عملوه ، يظنون[٩] أنهم يستخفون من اللَّه بذلك ، فأعلمهم[١٠] اللَّه تعالىٰ أنهم حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل ﴿ **يعلم ما يسرون** ﴾ من القول ﴿ **وما يعلنون * إنه عليم بذات الصدور** ﴾ أي : يعلم ما تكن صدورهم من النيات والضمائر والسرائر ، وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمىٰ في معلقته المشهورة :

فَلا تَكْتُمُنَّ اللَّه ما في نفوسِكم[١١] [ليخفىٰ فمهما يُكتم][١٢] اللَّه يَعْلم
يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ في كتابٍ فَيُدَّخرْ[١٣] ليوم حسابٍ[١٤] أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

(٩) - صحيح البخاري رقم (٤٦٨١) .

(١٠) - صحيح البخاري رقم (٤٦٨٣) .

(١١) - **إسناده فيه انقطاع** ، أخرجه ابن جرير (١١/١٨٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٠٦٥٧) .

[١] - في خ : « يثنون » .

[٢] - في خ : « فقلت » . [٣] - في ز ، خ : « يثنون » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « الرجل » والمثبت من الصحيح .

[٥] - في خ : « يثنون » . [٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٧] - سقط من : ز .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : مكانها قبل الفقرة التي قبلها .

[٩] - في خ : « فيظنون » . [١٠] - في ت : « فأخبرهم » .

[١١] - في ت : « قلوبكم » . [١٢] - في ز : « لتخفىٰ فمهما تكتمْ » .

[١٣] - في ز : « ليدخر » . [١٤] - في ز : « الحساب » .

فقد اعترف هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع ، وعلمه بالجزئيات وبالمعاد وبالجزاء ، وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامة .

وقال عبد اللّٰه بن شداد(١٢) : كان أحدهم إذا مر برسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثنىٰ صدره وغطىٰ رأسه ، فأنزل اللّٰه ذلك .

وعود الضمير [ ][١] علىٰ اللّٰه أولىٰ لقوله : ﴿ **ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون** ﴾ .

وقرأ ابن عباس(١٣)[٢] : (**ألا إنهم تَثْنَوْنِي صدورُهم**) برفع الصدور علىٰ الفاعلية ، وهو قريب المعنى .

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾

أخبر تعالىٰ أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض ؛ صغيرها وكبيرها ، بحريها وبريها ، وأنه يعلم مستقرها ومستودعها ، أي : يعلم أين منتهىٰ سيرها في الأرض ، وأين تأوي إليه من وكرها ، وهو مستودعها .

وقال علي بن أبي طلحة وغيره ، عن ابن عباس(١٤) ﴿ **ويعلم مستقرها** ﴾ أي : حيث تأوي ﴿ **ومستودعها** ﴾ حيث تموت .

وعن مجاهد : ﴿ **مستقرها** ﴾ في الرحم ﴿ **ومستودعها** ﴾ في الصلب كالتي في الأنعام . وكذا روي عن ابن عباس والضحاك وجماعة ، وذكر ابن أبي حاتم أقوال المفسرين هاهنا كما ذكره عند تلك الآية ، فاللّٰه أعلم . وأن جميع ذلك مكتوب في كتاب عند اللّٰه مبين عن جميع ذلك ، كقوله ﴿ **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلىٰ ربهم يحشرون** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وعنده مفاتح**

(١٢) - **مرسل** ، أخرجه ابن جرير (١١/١٨٣) ، وابن أبي حاتم (٦/١٠٦٥٩) وسعيد بن منصور وابن المنذر وأبو الشيخ - كما في « الدر المنثور » (٣/٥٧٩) .

(١٣) - **صحيح** ، تقدم (٨ ، ٩) .

(١٤) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٢/٢) ، وابن أبي حاتم (٦/١٠٦٧٧) ، وعبد الرزاق ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ ؛ كما في « الدر المنثور » (٣/٥٨١) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « أولًا » . [٢] - في ز : « مسعود » .

الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن قدرته علىٰ كل شيء ، وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وأن عرشه كان علىٰ الماء قبل[١] ذلك ، كما قال الإمام أحمد(١٥) :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن مُحْرِز ، عن عمران بن حصين ؛ قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **اقبلوا البشرىٰ يا بني تميم** » . قالوا : قد بشرتنا فأعطنا . قال : « **اقبلوا البشرىٰ يا أهل اليمن** » . قالوا : قد قبلنا . فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان ؟ قال : « **كان اللَّه قبل كل شيء ، وكان عرشه علىٰ الماء ، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء** » . قال : فأتاني آت فقال : يا عمران ، انحلت ناقتك من عقالها . قال : فخرجت في إثرها فلا أدري ما كان بعدي .

وهذا الحديث مخرج في صحيحي البخاري ومسلم[٢] بألفاظ كثيرة ؛ فمنها : قالوا : جئناك نسألك عن أول هذا الأمر . فقال : « **كان اللَّه ولم يكن شيء قبله** »(١٦) ، وفي

(١٥) - **إسناده صحيح** ، « المسند » (١٩٩٢٩) (٤٣١/٤) ، وأخرجه أيضًا (١٩٨٧٤ ، ١٩٩٣٩ ، ١٩٩٦٤) (٤/٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦) ، والبخاري ، كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده** ...﴾ (٣١٩٠) ، والترمذي ، كتاب : المناقب، باب : في ثقيف وبني حنيفة (٣٩٤٦) ، والنسائي في « التفسير » من الكبرى (٦/١١٢٤٠) من طرق عن جامع بن شداد ، به مطولاً ومختصرًا .

(١٦) - أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : ﴿ **وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم** ﴾ (٧٤١٨) .

[١] - سقط من : خ .

[٢] - كذا قال ، ولم يعزه المزيُّ في « التحفة » (٦/١٠٨٢٩) ، والحافظ ابن حجر في « النكت الظراف » إلا إلى البخاري والترمذي والنسائي دون مسلم ، وكذا ذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١/١٧) ،

رواية : « **غيره** »(١٧) ، وفي رواية : « **معه** »(١٨) - « **وكان عرشه علىٰ الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض** » .

وفي صحيح مسلم(١٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه علىٰ الماء** » .

وقال البخاري في تفسير هذه الآية(٢٠) : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **قال الله عز وجل : أَنفقْ أُنفقْ عليك** » . وقال : « **يد الله ملأىٰ لا يغيضها(*) نفقة ، سَحَّاءُ(**) الليلَ والنهارَ** » . وقال : « **أفرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يده ، وكان عرشه علىٰ الماء ، وبيده الميزان يخفض ويرفع** » .

وقال الإمام أحمد(٢١) : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن يعلىٰ بن

---

(١٧) - أخرجه البخاري كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده** ...﴾ (٣١٩١) ، والنسائي في « التفسير » (١١٢٤٠/٦) .

(١٨) - هذه الرواية ذكرها الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٢٨٩/٦) ونسبها إلى غير البخاري ، وكلامه يشعر بأنه لم يقف عليها ، فقد قال : تنبيه : وقع في بعض الكتب في هذا الحديث « **كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان** » وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث ، نبه على ذلك العلامة تقي الدين ابن تيمية ، وهو مسلم في قوله : « وهو الآن » إلى آخره ، وأما لفظ « **ولا شيء معه** » فرواية الباب بلفظ : « **ولا شيء غيره** » بمعناها .

(١٩) - تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ١٧٩] .

(٢٠) - صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ (٤٦٨٤) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : الزكاة ، باب : الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٣٦ ، ٣٧) (٩٩٣) ، والترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة المائدة (٣٠٤٨) ، والنسائي في « التفسير » من الكبرى (٦/ ١١٢٣٩) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٩٧) ، كتاب : الكفارات ، باب : النهي عن النذر (٢١٢٣) ، وأحمد (٢٤٢/٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤) مطولاً ومختصرًا .

(٢١) - **صحيح** ، (١١/٤) ، وأخرجه أيضًا (١٢/٤) وابنه عبد الله في « السنة » (٤٥٠/١)، والترمذي =

(٥٠٨٢/٥) وعزاه إلى البخاري والترمذي ، النسائي ، ولم يذكر مسلمًا .

(*) أي : لا ينقصها .

(**) أي : دائمة الصَّبِّ والهطل بالعطاء .

عطاء ، عن وكيع بن عُدُس[١] ، عن عمه أبي رزين - واسمه لقيط بن عامر بن المنتفق[٢] العَقِيلي - قال : قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « **كان في عَمَاءٍ - سحاب[٣] - ما تحته هواء وما فوقه هواء ، ثم خلق العرش بعد ذلك** » .

وقد رواه الترمذي في التفسير ، وابن ماجة في السنة[٤] من حديث يزيد بن هارون ، به . وقال الترمذي : هذا حديث حسن .

وقال مجاهد : ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ قبل أن يخلق شيئًا . وكذا قال وهب ابن منبه ، وضمرة بن [حبيب][٥] ، وقاله قتادة وابن جرير وغير واحد .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ ينبئكم كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض .

وقال الربيع بن أنس : ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ فلما خلق السموات والأرض قسم ذلك الماء قسمين ؛ فجعل نصفًا تحت العرش وهو البحر المسجور .

وقال ابن عباس(٢٢) : إنما سمي العرش عرشًا لارتفاعه .

وقال إسماعيل بن أبي خالد : سمعت سعدًا الطائي يقول(٢٣) : العرش ياقوتة حمراء .

= كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة هود (٣١٠٨) ، وابن ماجه، في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٨٢) ، والطيالسي في مسنده (١٠٩٣) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في « كتاب العرش » (٧) ، وابن أبي عاصم في السنة (٦١٢) ، وابن جرير في « التفسير » (١٢/٤) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٨٣/١ ، ٨٤) ، وابن أبي زَمَنِين في « أصول السنة » (٣١) ، والطبراني في « الكبير » (٤٦٨/١٩) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٨٠١/٢) من طرق عن حماد بن سلمة به ، ووكيع بن عدس - وقيل : حدس - وثقه ابن حبان « الثقات » (٤٩٦/٥) ، وذكره في « مشاهير علماء الأمصار » (٩٧٣) وقال : « من الأثبات » وباقي رجاله ثقات من رجال « التهذيب » والحديث قال فيه الترمذي : « حديث حسن » ، وصححه ابن حبان (٦١٤١/١٤) ، وصححه أبو عبيد القاسم بن سلام ، ونقل تصحيح أصحاب الحديث له كما في كتاب « النزول » للدارقطني (ص ٦٨) .

(٢٢) - لم أهتد إليه .

(٢٣) - تقدم [(سورة يونس آية ٣] .

---

[١] - قال الترمذي : هكذا يقول حماد بن سلمة : وكيع بن حدس ، ويقول : شعبة وأبو عوانة وهشيم : وكيع بن عَدَس ، وهو أصح .

[٢] - في ز ، خ : « المنفق » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « السنن » .

[٥] - سقط من ز ، خ . والمثبت من تفسير الطبري .

وقال محمد بن إسحاق في قوله تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه علىٰ الماء** ﴾ فكان كما وصف نفسه تعالىٰ ، إذ ليس إلا الماء و[١] عليه العرش ، وعلىٰ العرش ذو الجلال والإكرام ، والعزة والسلطان ، والملك والقدرة ، والحلم والعلم ، والرحمة والنعمة ، الفعالُ لما يريد .

وقال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ؛ قال : سئل ابن عباس عن قول اللَّه : ﴿ **وكان عرشه علىٰ الماء** ﴾ علىٰ أي شيء كان الماء ؟ قال : علىٰ متن الريح(٢٤) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملًا** ﴾ أي : خلق السموات والأرض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبدوه وحده [لا شريك له][٢] ، ولم يخلق ذلك عبثًا ، كقوله : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار** ﴾ ، وقال تعالىٰ ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالىٰ اللَّه الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليبلوكم** ﴾ أي : ليختبركم ﴿ **أيكم أحسن عملًا** ﴾ ولم يقل : أكثر عملًا ، بل أحسن عملًا ، و[لا يكون][٣] العمل حسنًا حتىٰ يكون خالصًا للَّه -عز وجل- علىٰ شريعة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فمتىٰ فَقَدَ العمل واحدًا من هذين[٤] الشرطين بطل وحبط .

وقوله : ﴿ **ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ يقول تعالىٰ : ولئن أخبرت يا محمد هؤلاء المشركين أن اللَّه سيبعثهم بعد

---

(٢٤) - **صحيح موقوف** ، أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٥٨٤/١) ، والدارمي في « الرد على المريسي» (ص ٨٧) ، وابن أبي حاتم (١٠٦٩٧/٦) ، وابن جرير (٥/١٢) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٢/ ٢١٠) ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في « كتاب العرش » (رقم ٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣٤١) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (٨٠٢/٢) من طرق عن سفيان ، به .

وقال الحاكم : « حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . وقال الألباني في ظلال الجنة : « إسناده جيد موقوف ، وليس له حكم المرفوع ؛ لاحتمال أن يكون ابن عباس تلقاه عن أهل الكتاب ».

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ت : « ولا يشريكوا به شيئًا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « لم يكن » .

[٤] - في ز ، خ : « هذا » .

مماتهم كما بدأهم ، مع أنهم يعلمون أن الله تعالىٰ هو الذي خلق السموات والأرض ، [كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ ، ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض**][١] **وسخر الشمس والقمر ليقولن الله** ﴾ ، وهم مع هذا ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة ، الذي هو بالنسبة إلىٰ القدرة أهون[٢] من البداءة ، كما قال تعالىٰ ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ .

وقولهم : ﴿ **إن هذا إلا سحر مبين** ﴾ أي : يقولون كفرًا وعنادًا : ما نصدقك علىٰ وقوع البعث ، وما يذكر[٣] ذلك إلا من سَحَرْتَه فهو يتبعك علىٰ ما تقول .

وقوله : ﴿ **ولئن أخرنا عنهم العذاب إلىٰ أمة معدودة ليقولن ما يحبسه** ﴾ يقول تعالىٰ : ولئن أخرنا العذاب والمؤاخذة عن هؤلاء المشركين إلىٰ أجل معدود ، وأمد محصور ، وأوعدناهم به إلىٰ مدة مضروبة ، ليقولن تكذيبًا واستعجالًا : ﴿ **ما يحبسه** ﴾ أي : يؤخر هذا العذاب عنا ، فإن سجاياهم قد ألفت التكذيب والشك ، فلم يبق لهم محيص عنه ولا محيد .

والأمة تستعمل في القرآن والسنة في معان متعددة ؛ فيراد بها الأمد ، كقوله في هذه الآية : ﴿ **إلىٰ أمة معدودة** ﴾ ، وقوله في يوسف : ﴿ **وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة** ﴾ ، وتستعمل في الإمام المقتدىٰ به ، كقوله : ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفًا ولم يك من المشركين** ﴾ ، وتستعمل في الملة والدين ، كقوله إخبارًا عن المشركين أنهم قالوا : ﴿ **إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون** ﴾ ، وتستعمل في الجماعة ؛ كقوله : ﴿ **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون** ﴾ ، وقال تعالى[٤] : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون** ﴾ والمراد من الأمة هاهنا الذين يبعث فيهم الرسول ؛ مؤمنهم وكافرهم ، كما في صحيح مسلم(٢٥) : « **والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من[٥] هذه الأمة ؛ يهودي ولا نصراني ، ثم لا**

---

(٢٥) - صحيح مسلم ، كتاب : الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (٢٤٠) (١٥٣) ، لكنه مغاير في بعض الأحرف لسياق المصنف .
وأخرجه أحمد أيضًا (٣١٧/٢ ، ٣٥٠) ، كلاهما من حديث أبي هريرة . وانظر [سورة الأعراف آية ١٥٨] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « يذكره من » ، خ : « يذكره » .
[٤] - في ت : « قوله » . [٥] - في خ : « في » .

يؤمن بي إلا دخل النار » .

وأما أمة الأتباع فهم المصدقون للرسل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ ، وفي الصحيح(٢٦) : « **فأقول : أمتي ! أمتي !** » .

وتستعمل الأمة في الفرقة والطائفة ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **ومن قوم موسىٰ أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾ ؛ وكقوله : ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناءَ الليل وهم يسجدون** ﴾ .

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

يخبر تعالىٰ عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة ، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين : أنه[١] إذا أصابته شدة بعد نعمة ، حصل له إياس[٢] وقنوط من الخير بالنسبة إلىٰ المستقبل ، وكفر وجحود لماضي الحال ، كأنه لم ير خيرًا ولم يرج بعد ذلك[٣] فرجًا ، وهكذا إذا[٤] أصابته نعمة بعد نقمة ﴿ **ليقولن ذهب السيئات عني** ﴾ أي : يقول ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء ﴿ **إنه لفرح فخور** ﴾ أي : فرح بما في يده ، بطر فخور علىٰ غيره ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **إلا الذين صبروا** ﴾ [أي : في[٥] الشدائد والمكاره][٦] ﴿ **وعملوا الصالحات** ﴾ أي : في الرخاء والعافية ﴿ **أولئك لهم مغفرة** ﴾ أي : بما يصيبهم من الضراء ﴿ **وأجر كبير** ﴾ بما أسلفوه في زمن الرخاء ، كما جاء في الحديث(٢٧) :

(٢٦) – أخرجه البخاري ، كتاب : التوحيد ، باب : كلام الرب – عز وجل – يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥١٠) ، ومسلم : كتاب : الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٣٢٦) (١٩٣) ، والنسائي في « التفسير » من الكبرى (١١١٣١/٦) من حديث أنس بن مالك .

(٢٧) – أخرجه البخاري ، كتاب : المرضى ، باب : ما جاء في كفارة المرض (٥٦٤١ ، ٥٦٤٢) ، ومسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض (٥٢) (٢٥٧٣) ، والترمذي ، كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في ثواب المريض (٩٦٦) ، وأحمد (١١٠٢٠ ، ١١١٥٥) =

[١] – في ز : « فإنه » .
[٢] – في ت : « يأس » .
[٣] – في ز : « تلك » .
[٤] – في ت : « إن » .
[٥] – في ت : « على » .
[٦] – سقط من : خ .

« **والذي نفسي بيده ، لا يصيب المؤمن هم ولا غم ، ولا نصب ولا وصب ولاحزن** [**حتىٰ الشوكة يُشاكُها**][١] ، **إلا كفر اللّٰه عنه بها من خطاياه** » . وفي الصحيحين(٢٨) : « **والذي نفسي بيده ، لا يقضي اللّٰه للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له : إن أصابته سراء فشكر كان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرًا له ، وليس ذلك لأحد غير المؤمن** » . ولهذا[٢] قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعًا إذا مسه الشر جزوعًا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين** ﴾ .

فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ مسليًا لرسوله ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عما كان يتعنت به المشركون ، فيما كانوا يقولونه عن الرسول ، كما أخبر تعالىٰ عنهم [في قوله][٣] : ﴿ **وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا * أو يلقىٰ إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلًا مسحورًا** ﴾ ، فأمر اللّٰه تعالىٰ رسوله ، صلوات اللّٰه وسلامه عليه ، وأرشده إلىٰ أن لا يضيق بذلك منهم صدره ، ولا يهيدنه[٤] ذلك ولا يثنيه عن دعائهم إلىٰ اللّٰه عز وجل ، آناء الليل وأطراف النهار ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ . وقال هاهنا : ﴿ **فلعلك تارك بعض ما يوحىٰ إليك وضائق به صدرك أن يقولوا** ﴾ أي : لقولهم ذلك ، فإنما أنت نذير ، ولك

= (٤/٣ ، ١٨ وفي مواضع أخر) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد - وعن أحمد في الموضع الأول عن أبي سعيد فقط - بنحو اللفظ الذي أورده المصنف .

(٢٨) - **صحيح** . انظر ما تقدم [سورة يونس / آية ١٣] وما يأتي [سورة إبراهيم / آية ٥] .

[١] - في ز ، خ : « وقعت بعد قوله : « خطاياه » . [٢] - في ز : « هكذا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٤] - في خ : « يهدنه » .

أسوة بإخوانك من الرسل قبلك ، فإنهم كذبوا وأوذوا فصبروا حتىٰ أتاهم نصر اللَّه عز وجل .

ثم بين تعالىٰ إعجاز القرآن ، وأنه لا يستطيع [البشر الإتيان][١] بمثله ، ولا بعشر سور مثله ، ولا بسورة من مثله ؛ لأن كلام الرب تعالىٰ لا يشبهه[٢] كلام المخلوقين ، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات ، وذاته لا يشبهها شيء ، تعالىٰ وتقدس وتنزه ، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **فإن لم يستجيبوا لكم** ﴾ أي : فإن لم يأتوا بمعارضة ما دعوتموهم[٣] إليه ، فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك ، وأن هذا الكلام منزل من عند اللَّه ، متضمنًا علمه وأمره ونهيه ، ﴿ **وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون** ﴾ .

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية(٢٩): إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا ، وذلك أنهم لا يظلمون نقيرًا ؛ يقول : من عمل صالحًا التماس الدنيا ؛ صومًا أو صلاة أو تهجدًا بالليل ، لا يعمله إلا لالتماس[٤] الدنيا ، يقول اللَّه تعالى : أُوفِّيه الذي التمس في الدنيا من المثابة ، وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس[٥] الدنيا ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

وهكذا روي عن مجاهد والضحاك وغير واحد .

وقال أنس بن مالك(٣٠) ، والحسن : نزلت في اليهود والنصارىٰ .

---

(٢٩) - **إسناده ضعيف ، لضعف العوفي** ، أخرجه ابن جرير (١١/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٧٣٩/٦) .

(٣٠) - أخرجه ابن جرير (١٢/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٧٣٦/٦) ، ورجاله ثقات ، إلا أن فيه عنعنة قتادة ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٨٤/٣) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

---

[١] - في ت : « أحد أن يأتي » .

[٢] - في خ : « يشبه » .

[٣] - في ز : « دعوتهم » .

[٤] - في خ : « التماس » .

[٥] - في ز : « التماس » .

وقال مجاهد وغيره : نزلت في أهل الرياء .

وقال قتادة : من كانت الدنيا همه وسدمه(٣١) [١] ، جازاه اللّٰه بحسناته في الدنيا ، ثم يفضي إلىٰ الآخرة وليس له حسنة يعطىٰ بها جزاء ، وأما المؤمن فيجازىٰ بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة .

وقد ورد في الحديث المرفوع نحو من هذا(٣٢) .

وقال تعالىٰ : ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا * ومن أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورًا * كلًّا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا * انظر كيف فضلنا بعضهم علىٰ بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب** ﴾ .

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

يخبر تعالىٰ عن حال المؤمنين الذين هم علىٰ فطرة اللّٰه تعالىٰ التي فطر عليها عباده من الاعتراف له بأنه لا إله إلا هو ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة اللّٰه التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم** ﴾ . وفي الصحيحين[٢] عن أبي

---

(٣١) - السَدَم : الولوع بالشيء واللهج به ، والغم بطلبه والندم على فوته .

(٣٢) - في هذا الباب حديث أنس عند الطبراني في « الأوسط » (٥٩٩٠ ، ٨٨٨٢) بإسنادين وكلاهما ضعيف جدًّا ، وهو عند الترمذي (٢٤٦٧) وفيه ضعف أيضًا ، وعن زيد بن ثابت عند ابن ماجه (٤١٠٥) ، وفي الزوائد : « إسناده صحيح ، رجاله ثقات » ، وصححه ابن حبان (٢/٦٨٠) ، وانظر : « مجمع الزوائد » (١٠/٢٥٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « سدته » .

[٢] - في ز : « الصحيح » ، والمثبت من : خ .

هريرة قال(٣٣) : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **كل مولود يولد علىٰ الفطرة ، فأبواه يهودانه و**[١] **ينصرانه و**[٢] **يمجسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟** » الحديث[٣] .

وفي صحيح مسلم(٣٤) عن عياض بن حمار ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **يقول الله تعالىٰ : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم ،** [**وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**][٤] » .

وفي المسند والسنن(٣٥) (٣٦) : « **كل مولود يولد علىٰ هذه الملة ، حتىٰ يعرب عنه لسانه** » . الحديث . فالمؤمن باق علىٰ هذه الفطرة .

[وقوله : ﴿ **ويتلوه شاهد منه** ﴾ أي][٥] : وجاءه شاهد من الله ، وهو ما أوحاه إلىٰ الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة ، المختتمة بشريعة محمد ، صلوات الله وسلامه [عليه و][٦] عليهم أجمعين ؛ ولهذا قال ابن عباس(٣٧) ، ومجاهد وعكرمة ، وأبو العالية ، والضحاك ، وإبراهيم النخعي ، والسدي وغير واحد في قوله تعالىٰ : ﴿ **ويتلوه شاهد منه** ﴾ : إنه جبريل عليه السلام .

---

(٣٣) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام/ آية ٧٩] .

(٣٤) - تقدم تخريجه [سورة الأنعام/آية ٧٩] .

(٣٥) - **صحيح** ، أخرجه أحمد (١٥٦٣٠) (٤٣٥/٣ - وفي مواضع أخر) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٠٩٠/١١) ، وأبو يعلى (٩٤٢/٢) ، والطبراني في « الكبير » (٢٨٣/١ ، ٢٨٥) ، وفي «الأوسط» (١٩٨٤ ، ٤٩٤١) وغيرهم من حديث الأسود بن سريع ، وصححه ابن حبان (١٣٢/١) ، والحاكم (٢/ ١٢٣) على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وأقرهما الألباني في « الصحيحة » (٤٠٢/١) ، وانظر ما تقدم [سورة الأعراف / آية ١٧٤] ، وفي الباب عن جابر بن عبد الله عند أحمد (١٤٨٤٨) (٣٥٣/٣) وفي إسناده ضعف .

(٣٦) - كذا قال ، ولم يعزه صاحب « التحفة » (٧٠/١) إلا إلى النسائي في « السير » (٨٦١٦/٥) من الكبرى بلفظ آخر . حديث الأسود بن سريع وفي الباب عن جابر بن عبد الله عند أحمد فقط . انظر الهامش (٣٥) .

(٣٧) - أخرجه ابن جرير (١٦/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٧٥٩/٦) ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ ، وابن مردويه - كما في « الدر المنثور » (٥٨٧/٣) - .

---

[١] - [٢] - في ت : « أو » . [٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٦] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

وعن علي(٣٨) رضي الله عنه والحسن وقتادة : هو محمد صلىٰ الله عليه وسلم .

وكلاهما قريب في المعنىٰ ؛ لأن كلًّا من جبريل ومحمد ، صلوات الله عليهما ، بلغ رسالة الله تعالىٰ ، فجبريل إلىٰ محمد ومحمد إلىٰ الأمة .

وقيل : هو علي ، وهو ضعيف لا يثبت له قائل ، والأول والثاني هو الحق ، وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجملة ، والتفاصيل تؤخذ من الشريعة ، والفطرة تصدقها وتؤمن بها ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أفمن كان علىٰ بينة من ربه ويتلوه شاهد منه** ﴾ وهو القرآن ، بلغه جبريل إلىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وبلغه النبي محمد ، صلىٰ الله عليه وسلم ، إلىٰ أمته .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن قبله كتاب موسى** ﴾ أي : ومن قبل القرآن كتاب موسىٰ وهو التوراة ﴿ **إمامًا ورحمة** ﴾ أي : أنزله الله تعالىٰ إلىٰ تلك الأمة إمامًا لهم ، وقدوة يقتدون بها ، ورحمة من الله بهم ، فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلىٰ الإيمان بالقرآن ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك يؤمنون به** ﴾ .

ثم قال تعالى متوعدًا لمن كذب بالقرآن أو بشيء منه : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ أي : ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض ؛ مشركيهم و[١] أهل الكتاب ، وغيرهم من سائر طوائف بني آدم ، علىٰ اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ممن بلغه القرآن ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ . وفي صحيح مسلم(٣٩) من حديث شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسىٰ الأشعري – رضي الله عنه – : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال :

---

(٣٨) – **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٤/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٧٥٩/٦) ، وإسناده قوي ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦٨٢٨/٧) لكن في إسناده خُليد بن دَعْلج وهو ضعيف ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٥٨٦/٣) إلى ابن المنذر وأبي الشيخ .

(٣٩) – **صحيح** ، كذا عزاه المصنف هنا إلى صحيح مسلم ، وقد ذكره في « جامع المسانيد » (٢٨٤/٥ – مخطوط) ، وكذا المزي في « التحفة » (٨٩٩٥/٦) ولم ينسباه إلا إلى النسائي . وقد أخرجه النسائي في « التفسير » من الكبرى (١١٢٤١/٦) أنا محمد بن عبد الأعلى ، نا خالد عن شعبة بهذا الإسناد ، وأخرجه أيضًا أحمد (١٩٥٩٣ ، ١٩٦١٩) (٣٩٦/٤ ، ٣٩٨) ، والطيالسي (٥٠٩) – ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (٣٠٨/٤) – والبزار في مسنده (٣٠٥٠/٨) ، والروياني في مسنده (٥٢٦/١) ، وابن جرير في تفسيره (٢٠/١٢) من طرق عن شعبة ، به . =

---

[١] – سقط من : ت .

« **والذي نفسي بيده[١] ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ؛ يهودي أو نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار** » .

وقال أيوب[٢] السختياني ، عن سعيد بن جبير قال(٤٠) : كنت لا أسمع بحديث عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، علىٰ وجهه إلا وجدت[٣] مصداقه - أو قال : تصديقه - في القرآن ، فبلغني أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ؛ ولا[٤] يهودي ولا نصراني ، فلا يؤمن بي إلا دخل النار** » ، فجعلت أقول : أين مصداقه في كتاب اللّٰه ؟ قال : وقلما سمعت عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، إلا وجدت له تصديقًا في القرآن ، حتىٰ وجدت هذه الآية : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ قال[٥] : من الملل كلها .

وقوله : ﴿ **فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك** ﴾ . أي : القرآن حق من اللّٰه لا مرية [فيه ولا شك] ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** ﴾ ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل اللّٰه** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين** ﴾ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ

=وذكره الهيثمي في « المجمع » (٨/٢٦٤) وقال : « رواه الطبراني ... وأحمد بنحوه ... ورجال أحمد رجال الصحيح ...» وهو كذلك إلا أن سعيد بن جبير ، لم يسمع من أبي موسى على الراجح . وقد زاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور » (٣/٥٨٧) إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه ، وأخرج مسلم في صحيحه (٢٤٠) (١٥٣) من طريق عمرو - وهو ابن الحارث بن يعقوب - أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « **والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار** » .

(٤٠) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٩) ، وابن أبي حاتم (٦/١٠٧٦٩) ، وقد وصله الحاكم (٢/٣٤٢) من حديث ابن عباس، وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز ، خ : « أبو » .

[٣] - في ز ، خ : « سمعت » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

﴿ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ
(١٨) ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ
(١٩) أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ
يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ (٢٠)
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٢١) لَا جَرَمَ
أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ (٢٢) ﴾

يبين تعالىٰ حال المفترين عليه ، وفضيحتهم في الدار الآخرة علىٰ رءوس الخلائق ؛ من الملائكة والرسل والأنبياء[١] وسائر البشر والجان ، كما قال الإمام أحمد(٤١) :

حدثنا بهز وعفان ؛ قالا : أخبرنا همام ، حدثنا قتادة ، عن صفوان بن محرز[٢] قال : كنت آخذًا بيد ابن عمر ، إذ[٣] عرض له رجل قال : كيف سمعت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، يقول في النجوىٰ يوم القيامة ؟ قال : [سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم][٤] ، يقول : « **إن اللَّه عز وجل يدني المؤمن ، فيضع عليه كنفه ، ويستره من الناس ، ويقرره بذنوبه ، ويقول له : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتىٰ إذا قرره بذنوبه ، ورأىٰ في نفسه أنه قد هلك ، قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا ، وإني أغفرها لك اليوم . ثم يعطىٰ كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فـ ﴿ يقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا علىٰ ربهم ألا لعنة اللَّه علىٰ الظالمين ﴾** » .

أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين : من حديث قتادة ، به[٥] .

---

(٤١) - **صحيح** ، « المسند » (٧٤/٢) وأخرجه أيضًا (١٠٥/٢) ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، نا سعيد عن قتادة به ، وأخرجه البخاري ، كتاب : المظالم ، باب : قول الله تعالى : **﴿ ألا لعنة الله على الظالمين ﴾** (٢٤٤١) ، مسلم كتاب : التوبة ، باب : قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله (٥٢) (٢٧٦٨) ، والنسائي في « التفسير » (١١٢٤٢/٦) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية (١٨٣) من طرق عن قتادة ، به .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز : « محزر » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « سمعته » .
[٥] - سقط من : ت .

وقوله : ﴿ **الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا** ﴾ [أي : يردون الناس عن اتباع الحق ، وسلوك طريق الهدىٰ الموصلة إلىٰ الله عز وجل ، ويجنبونهم الجنة ﴿ **ويبغونها عوجًا**][١] ﴾ أي : ويريدون أن يكون طريقهم[٢] عوجًا غير معتدلة ﴿ **وهم بالآخرة هم كافرون** ﴾ أي : جاحدون بها مكذبون بوقوعها وكونها .

﴿ **أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء** ﴾ أي : بل كانوا تحت قهره وغلبته ، وفي قبضته وسلطانه ، وهو قادر علىٰ الانتقام منهم في الدار الدنيا قبل الآخرة ﴿ **إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ ، وفي الصحيحين(٤٢) : « **إن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته** » ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون** ﴾ . أي : يضاعف عليهم العذاب ، وذلك أن الله تعالىٰ جعل لهم سمعًا وأبصارًا وأفئدة ، فما أغنىٰ عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم ، بل كانوا صمًّا عن سماع الحق ، عميًا عن اتباعه ، كما أخبر تعالىٰ عنهم حين دخولهم النار ، كقوله[٣] : ﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون** ﴾ ، ولهذا يعذبون علىٰ كل أمر تركوه ، وعلىٰ كل نهي ارتكبوه ، ولهذا كان أصح الأقوال أنهم مكلفون بفروع الشرائع ؛ أمرها ونهيها ، بالنسبة إلىٰ الدار الآخرة .

وقوله : ﴿ **أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ أي : خسروا أنفسهم ؛ لأنهم دخلوا[٤] نارًا حامية فهم معذبون فيها ، لا يفتر عنهم من عذابها طرفة عين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كلما خبت زدناهم سعيرًا** ﴾ .

﴿ **وضل عنهم** ﴾ أي : ذهب عنهم ﴿ **ما كانوا يفترون** ﴾ من دون الله من الأنداد والأصنام ، فلم تجد عنهم شيئًا ، بل ضرتهم كل الضرر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزًّا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ ، وقال

(٤٢) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ...** ﴾ (٤٦٨٦) ، ومسلم ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم (٦١) (٢٥٨٣) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة هود (٣١٠٩) ، والنسائي في « التفسير » (١١٢٤٥/٦) ، وابن ماجه ، كتاب : الفتن ، باب : العقوبات (٤٠١٨) من حديث أبي موسى الأشعري .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - في ز ، خ : « طريق » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « أدخلوا » .

الخليل لقومه : ﴿ **إنما اتخذتم من دون الله أوثانًا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ ، وقوله : ﴿ **إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب** ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات الدالة علىٰ خسرهم ودمارهم ، ولهذا قال :

﴿ **لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون** ﴾ يخبر تعالىٰ عن حالهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة ؛ لأنهم استبدلوا الدركات[١] عن الدرجات ، واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن ، وعن شرب الرحيق المختوم بسموم وحميم وظلّ من يحموم ، وعن الحور العين بطعام من غسلين ، وعن القصور العالية بالهاوية ، وعن قرب الرحمن ورؤيته بغضب الديان وعقوبته ، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

لما ذكر تعالىٰ حال الأشقياء ثنّىٰ بذكر السعداء ، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فآمنت قلوبهم ، وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة ؛ قولًا وفعلًا ، من الإتيان بالطاعات ، وترك المنكرات ، وبهذا ورثوا الجنات ، المشتملة علىٰ الغرف العاليات ، والسرر المصفوفات ، والقطوف الدانيات ، والفرش المرتفعات ، والحسان الخيرات ، والفواكه المتنوعات ، والمآكل المشتهيات ، والمشارب المستلذات ، والنظر إلىٰ خالق الأرض والسموات ، وهم في ذلك خالدون لا يموتون ، ولا يهرمون ولا يمرضون ، ولا[٢] ينامون ولا يتغوطون ، ولا يبصقون ولا يتمخطون ، إن هو إلا رشح مسك يعرقون .

ثم ضرب تعالىٰ مثل الكافرين والمؤمنين فقال : ﴿ **مثل الفريقين** ﴾ أي : الذين وصفهم أولًا بالشقاء ، والمؤمنين السعداء ، فأولئك كالأعمىٰ والأصم ، وهؤلاء كالبصير والسميع ، فالكافر : أعمىٰ عن[٣] وجه الحق في الدنيا وفي الآخرة ، لا يهتدي إلىٰ خير ولا يعرفه ، أصم عن سماع الحجج ، فلا يسمع ما ينتفع به ﴿ **ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** ﴾ . وأما المؤمن : ففطن ذكي لبيب ، بصير بالحق يميز بينه وبين الباطل ، فيتبع الخير ويترك الشر ، سميع للحجة يفرق بينها وبين الشبهة فلا يروج

---

[١] - في ز ، خ : « بالدركات » . [٢] - سقط من : ت .

[٣] - في ز ، خ : « من » .

عليه[١] باطل ، فهل يستوي هذا وهذا ؟ ﴿ **أفلا تذكرون** ﴾ أفلا تعتبرون فتفرقون[٢] بين هؤلاء وهؤلاء ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ **لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون** ﴾ ، وقال[٣] ﴿ **وما يستوي الأعمىٰ والبصير * ولا الظلمات ولا النور * ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن اللَّه يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * إن أنت إلا نذير * إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾

يخبر تعالىٰ عن نوح ، عليه السلام - وكان أول رسول بعثه اللَّه إلىٰ أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام - أنه قال لقومه : ﴿ **إني لكم نذير مبين** ﴾ أي : ظاهر النذارة لكم من عذاب اللَّه إن أنتم عبدتم غير اللَّه ، ولهذا قال : ﴿ **أن لا تعبدوا إلا اللَّه** ﴾ [ ][٤] . ﴿ **إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم** ﴾ أي : إن استمررتم علىٰ ما أنتم عليه عذبكم اللَّه عذابا أليمًا موجعًا شاقًا في الدار الآخرة .

﴿ **فقال الملأ الذين كفروا من قومه** ﴾ والملأ : هم السادة والكبراء من الكافرين منهم [﴿ **ما نراك إلا بشرًا مثلنا** ﴾ أي : لست بملك ولكنك بشر ، فكيف أوحي إليك من دوننا ، ثم][٥] ما نراك اتبعك إلا [الذين هم][٦] أراذلنا ؛ كالباعة والحاكة وأشباههم ، ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا[٧] ، ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن تروٍّ منهم ولا فكر[٨] ولا نظر ، بل بمجرد[٩] ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك ، ولهذا قالوا[١٠] : ﴿ **وما**[١١]

---

[١] - في ت : « إليه » .
[٢] - في ز : « وتفرقون » .
[٣] - في خ : « كقوله » .
[٤] - ما بين المعكوفين في ت : وقوله .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - في ز : « فكرة » .
[٩] - في خ : « مجرد » .
[١٠] - في ز : « قال » .
[١١] - في ز : « إنما » .

نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ﴾ أي : في أول باديء الرأي ، [ ][١] ﴿ **وما نرىٰ لكم علينا من فضل** ﴾ يقولون : ما رأينا لكم علينا فضيلة في خَلْقٍ ، ولا خلق ولا رزق ولا حال ، لما دخلتم في دينكم هذا ﴿ **بل نظنكم كاذبين** ﴾ أي : فيما تدعونه لكم من البر والصلاح والعبادة ، والسعادة في الدار الآخرة إذا صرتم إليها .

هذا اعتراض الكافرين علىٰ نوح - عليه السلام - وأتباعه ، وذلك[٢] دليل علىٰ جهلهم وقلة علمهم وعقلهم ، فإنه ليس بعار علىٰ الحق رذالة من اتبعه ، فإن الحق في نفسه صحيح ، سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل ، بل الحق الذي لا شك فيه : أن أتباع الحق هم الأشراف ولو كانوا فقراء ، والذين يأبونه هم الأراذل ولو كانوا أغنياء ، ثم الواقع غالبًا أن ما يتبع الحق ضعفاء الناس ، والغالب علىٰ الأشراف والكبراء مخالفته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون** ﴾ ، ولما سأل هرقل ملك الروم [أبا سفيان][٣] صخر بن حرب عن صفات النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال له فيما قال : أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم ؟ قال : بل ضعفاؤهم . فقال هرقل : هم أتباع الرسل(٤٣) .

وقولهم : ﴿ **بادي الرأي** ﴾ ليس[٤] بمذمة ولا عيب ؛ لأن الحق إذا وضح لا يبقى للرأي[٥] ، ولا للفكر مجال ، بل لابد من اتباع الحق - والحالة هذه - لكل ذي زكاء وذكاء ، بل[٦] لا يفكر هاهنا إلا عيي أو غبي ، والرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، إنما جاءوا بأمر جلي واضح . وقد جاء في الحديث أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال(٤٤) : « **ما دعوت أحدًا إلىٰ الإسلام إلا كانت له كبوة ، غير أبي بكر ، فإنه لم يتلعثم** » أي : ما تردد ولا تروىٰ ؛ لأنه رأىٰ أمرًا جليًا عظيمًا واضحًا فبادر إليه وسارع . وقوله[٧] : ﴿ **وما نرىٰ لكم علينا من فضل** ﴾ هم لا يرون ذلك ؛ لأنهم عُمْي عن الحق لا يسمعون ولا يبصرون ، بل هم في ريبهم يترددون ، في ظلمات الجهل يعمهون ، وهم الأفاكون الكاذبون ، الأقلون الأرذلون ، وفي الآخرة هم الأخسرون .

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « ثم » .
[٢] - في ت : « وهو » .
[٣] - في ز ، خ : « لأبي سفيان » .
[٤] - في ز : « ليست » .
[٥] - في خ : « للروي » .
[٦] - في ز : « و » .
[٧] - في خ : « قولهم » .

يقول تعالىٰ مخبرًا [عمَّا ردّ به][١] نوح [ ][٢] علىٰ قومه في ذلك ﴿ **أرأيتم إن كنت علىٰ بينة من ربي** ﴾ أي : علىٰ يقين وأمر جلي ونبوة صادقة ، وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم ﴿ **فعميت عليكم** ﴾ أي : خفيت عليكم فلم تهتدوا إليها ، ولا عرفتم قدرها ، بل بادرتم إلىٰ تكذيبها وردها ﴿ **أنلزمكموها** ﴾ أي : نغصبكم بقبولها وأنتم لها كارهون .

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾

يقول لقومه : لا أسألكم علىٰ نصحي لكم مالًا أجرة آخذها منكم ، إنما أبتغي الأجر من[٣] الله عز وجل- ﴿ **وما أنا بطارد الذين آمنوا** ﴾ كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه احتشامًا ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم ، كما سأل أمثالهم خاتم[٤] الرسل ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ، ويجلس معهم مجلسًا خاصًّا ، فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** ﴾ الآية . [﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**][٥] **يريدون** [**وجهه ولا تعد عيناك عنهم** ﴾][٦] وقال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾ الآية .

وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾

يخبرهم أنه رسول من الله ، يدعو إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له ، بإذن الله له في ذلك ، ولا يسألهم علىٰ ذلك أجرًا ، بل هو يدعو من لقيه من شريف ووضيع ، فمن استجاب له فقد نجا ، ويخبرهم أنه لا [يقدر][٧] علىٰ التصرف في خزائن الله ، ولا يعلم

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « ماردٌ » .
[٣] - في ز ، خ : « علىٰ » .
[٤] - في ز : « لخاتم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في ت : « قدرة له » .

من الغيب إلا ما أطلعه اللّٰه عليه ، وليس هو بملك من الملائكة ، بل هو بشر مرسل مؤيد بالمعجزات ، ولا أقول عن هؤلاء الذين تحتقرونهم وتزدرونهم [: إنهم][١] ليس لهم عند اللّٰه ثواب على أعمالهم ، اللّٰه أعلم بما في أنفسهم ، فإن كانوا مؤمنين باطنًا - كما هو الظاهر من حالهم - فلهم جزاء الحسنى ، ولو قطع لهم أحد بشر بعد ما آمنوا لكان ظالمًا قائلًا ما لا علم له به .

قَالُوا يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤)

يقول تعالى مخبرًا عن استعجال قوم نوح نقمة اللّٰه وعذابه وسخطه - والبلاء موكل بالمنطق - ﴿ **قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا** ﴾ أي : حاججتنا فأكثرت من ذلك ، ونحن لا نتبعك ﴿ **فأتنا بما تعدنا** ﴾ أي : من النقمة والعذاب ، ادع علينا بما شئت فليأتنا ما تدعو به ﴿ **إن كنت من الصادقين * قال إنما يأتيكم به اللّٰه إن شاء وما أنتم بمعجزين** ﴾ أي : إنما الذي يعاقبكم ويعجلها لكم اللّٰه الذي لا يعجزه شيء ﴿ **ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان اللّٰه يريد أن يغويكم** ﴾ أي[٢] : أيُّ شيء يجدي عليكم إبلاغي لكم ، وإنذاري إياكم ونصحي ﴿ **إن كان اللّٰه يريد أن يغويكم** ﴾ أي[٣] : إغواءكم ودماركم ﴿ **هو ربكم وإليه ترجعون** ﴾ أي : هو مالك أزمة الأمور ، المتصرف الحاكم العادل الذي لا يجور ، له الخلق وله الأمر ، وهو المبدئ المعيد ، مالك الدنيا والآخرة .

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥)

هذا كلام معترض في وسط هذه القصة مؤكد لها و[٤] مقرر شأنها[٥] ؛ يقول تعالى [لنبيه محمد][٦] ، صلى اللّٰه عليه وسلم : أم يقول هؤلاء الكافرون الجاحدون : افترى هذا

---

[١] - في ت : « إنه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ت .
[٥] - في ت : « لها » ، خ : « لشأنهما » .
[٦] - في ت : « لمحمد » .

وافتعله من عنده ﴿ **قل إن افتريته فعليَّ إجرامي** ﴾ أي : فإثم ذلك علي ﴿ **وأنا بريء مما تجرمون** ﴾ أي : ليس ذلك مفتعلًا ولا مفترًى ؛ لأني أعلم ما عند اللَّه من العقوبة لمن كذب عليه .

وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه أوحىٰ إلىٰ نوح لما استعجل قومه نقمة اللَّه بهم وعذابه لهم ، فدعا عليهم نوح دعوته التي قال اللَّه تعالىٰ مخبرًا عنه أنه قال : ﴿ **رب لا تذر علىٰ الأرض من الكافرين ديارًا** ﴾ ، ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** ﴾ فعند ذلك أوحىٰ اللَّه تعالى إليه : ﴿ **أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** ﴾ فلا تحزن عليهم ولا يهمنك أمرهم .

﴿ **واصنع الفلك** ﴾ يعني : السفينة ﴿ **بأعيننا** ﴾ أي : بمرأى منا ﴿ **ووحينا** ﴾ أي : وتعليمنا لك ماذا تصنعه ﴿ **ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون** ﴾ .

فقال بعض السلف : أمره اللَّه تعالىٰ أن يغرز الخشب ويقطعه وييبسه ، فكان ذلك في مائة سنة ، ونجرها في مائة سنة أخرىٰ ، وقيل : في أربعين سنة ، فاللَّه أعلم .

وذكر محمد بن إسحاق عن التوراة ، أن اللَّه أمره أن يصنعها من خشب الساج ، وأن يجعل طولها ثمانين ذراعًا ، وعرضها خمسين ذراعًا ، [وأن يطلي باطنها وظاهرها بالقار ، وأن يجعل لها جؤجؤًا(*) أزورًا يشق الماء .

وقال قتادة : كان طولها ثلثمائة ذراع في عرض خمسين][١] .

وعن الحسن : طولها ستمائة ذراع ، وعرضها ثلثمائة [ذراع][٢] .

(*) جؤجؤ السفينة : صدرها .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .

وعنه مع ابن عباس : طولها ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة .

وقيل : طولها ألفا ذراع وعرضها مائة ذراع ، فالله أعلم .

قالوا كلهم : وكان ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعًا[١] ، ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع ؛ فالسفلىٰ للدواب والوحوش ، والوسطىٰ للإنس ، والعليا للطيور ، وكان بابها في عرضها ، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها .

وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير أثرًا غريبًا(٤٥) من حديث علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن عبد الله بن عباس ؛ أنه قال : قال الحواريون لعيسىٰ ابن مريم : لو بعثت لنا رجلًا شهد السفينة فحدثنا عنها . قال : فانطلق بهم حتىٰ انتهىٰ[٢] بهم إلىٰ كثيب من تراب ، فأخذ كفًّا من ذلك التراب بكفه ، قال[٣] : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال هذا كعب حام بن نوح . قال : فضرب[٤] الكثيب بعصاه ، قال : قم بإذن الله . فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب . قال له عيسىٰ - عليه السلام - : هكذا[٥] هلكت ؟ قال : لا ، ولكني مت وأنا شاب ، ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت . قال : حَدِّثْنَا عن سفينة نوح ؟ قال : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات ؛ فطبقة فيها الدواب والوحش[٦] ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدواب ، أوحىٰ الله - عز وجل - إلىٰ نوح - عليه السلام - أن اغمز ذَنَبَ الفيل ، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا علىٰ الروث ، فلما وقع الفأر بخرز السفينة يقرضه[٧] وحبالها[٨] ، أوحىٰ الله [إلى نوح][٩] أن اضرب بين

(٤٣) - **صحيح** ، تقدم [سورة الأنعام / آية ٥٤] ، [سورة يونس/ آية ١٦] .

(٤٤) - أخرجه ابن هشام في « السيرة » (٢٦٧/١) ، والبيهقي في « الدلائل » (١٦٤/٢) ، وابن الأثير في « أسد الغابة » (٣١٠/٣) ، وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (٣٧/٣) كلهم من طريق ابن إسحاق ؛ قال حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ... فذكره هكذا مرسلًا ، وفي هذا الباب ما أخرجه البخاري في صحيحه (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء مرفوعًا : « **إن الله بعثني إليكم ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق** ...» .

(٤٥) - **إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد** ، تفسير ابن جرير (٣٥/١٢ - ٣٦) وهو في تاريخه (٩١/١، ٩٢) ، وانظر الأثر الآتي برقم (٤٧) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « أتى » .
[٣] - في خ : « فقال » .
[٤] - في ز : « وضرب » .
[٥] - في خ : « أهكذا » .
[٦] - في خ : « الوحوش » ، والمثبت من ز .
[٧] - في خ : « يقرضها » ، والمثبت من : ز .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في خ : « إليه » ، والمثبت من : ز .

عيني الأسد ، فضرب[١] فخرج من منخره سِنَّوْر وسِنَّوْرة فأقبلا على الفأر . فقال له عيسى - عليه السلام - : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت . قال : ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجليها ، فعلم أن البلاد قد غرقت قال فطوقها الخضرة التي في عنقها ، ودعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فمن ثم تألف البيوت . قال : فقلنا : يا رسول الله ، ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدّثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له : عد بإذن الله ، فعاد ترابًا .

وقوله : ﴿ **ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه** ﴾ أي : يطنزون(*) به ، ويكذبون[٢] بما يتوعدهم به من الغرق ﴿ **قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون** ﴾ . وعيد شديد وتهديد أكيد ﴿ **من يأتيه عذاب يخزيه** ﴾ أي : يهينه في الدنيا ﴿ **ويحل عليه عذاب مقيم** ﴾ أي : دائم مستمر أبدًا[٣] .

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾

هذه مواعدة[٤] من الله تعالى لنوح - عليه السلام - إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة والهتّان الذي لا يقلع ولا يفتر ، بل هو كما قال تعالى : ﴿ **ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر** ﴾ .

وأما قوله : ﴿ **وفار التنور** ﴾ فعن ابن عباس : التنور : وجه الأرض . أي : صارت الأرض عيونًا تفور ، حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار صارت تفور ماء ، وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف .

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : التنور : فلق الصبح ، وتنوير الفجر وهو ضياؤه وإشراقه . والأول أظهر .

وقال مجاهد والشعبي : كان هذا التنور بالكوفة . وعن ابن عباس : عين بالهند . وعن قتادة : عين بالجزيرة يقال لها عين الوردة . وهذه أقوال غريبة .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - مكانه في خ : بياض .
[٣] - في ز : « أبداد » .
[٤] - في خ : « موعدة » .

(*) طنزبه : سخر واستهزأ .

فحينئذ أمر الله نوحًا - عليه السلام - أن يحمل معه في السفينة من كلٍّ زوجين اثنين[١] من صنوف المخلوقات ذوات الأرواح ، قيل : وغيرها من النباتات اثنين : ذكرًا وأنثىٰ ، فقيل : كان أول من أدخل من الطيور الدُّرَّة(*) ، وآخر من أدخل من الحيوانات الحمار ، فدخل إبليس متعلقًا بذنبه ، [فدخل بيده][٢] ، وجعل يريد أن ينهض فيثقله إبليس وهو متعلق بذنبه ، فجعل يقول له نوح عليه السلام : مالك ؟ ويحك ! ادخل ، فينهض ولا يقدر ، فقال : ادخل وإن كان إبليس معك ، فدخلا في السفينة .

وذكر [أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود][٣] أنهم لم يستطيعوا أن يحملوا معهم الأسد حتىٰ ألقيت عليه الحمى .

وقال ابن أبي حاتم(٤٦) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث ، حدثني الليث ، حدثني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، [عن أبيه][٤] أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه : وكيف [نطمئن أو تطمئن المواشي] ومعنا الأسد ؟ فسلط الله عليه الحمىٰ فكانت أول حمىٰ نزلت في[٥] الأرض ، ثم شكوا الفأرة فقالوا : الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا[٦] ، فأوحىٰ الله إلىٰ الأسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها** .

وقوله : ﴿ **وأهلك إلا من سبق عليه القول** ﴾ أي : واحمل فيها أهلك - وهم أهل بيته وقرابته - إلا من سبق عليه القول منهم ممن[٧] لم يؤمن بالله ، فكان منهم ابنه يام الذي انعزل وحده وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله .

وقوله : ﴿ **ومن آمن** ﴾ أي : من قومك ﴿ **وما آمن معه إلا قليل** ﴾ أي : نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، فعن ابن عباس : كانوا ثمانين

---

(٤٦) - **مرسل** ، تفسير ابن أبي حاتم (١٠٨٧١/٦) ، وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٢٦/١) وقال : « هذا مرسل » .

---

[١] - سقط من : خ .

(*) الدرة : الببغاء الصغيرة .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - في ت : « بعض السلف » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - في ز ، خ : « فيمن » .

نفسًا منهم نساؤهم ، وعن كعب الأحبار كانوا اثنتين وسبعين نفسًا ، وقيل : كانوا عشرة ، وقيل : إنما كانوا نوح وبنوه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، وكنائنه الأربع نساء هؤلاء الثلاثة[١] ، وامرأة يام ، [ ][٢] ، وقيل : بل امرأة نوح كانت معهم في السفينة ، وهذا فيه نظر ، بل الظاهر أنها هلكت ؛ لأنها كانت على دين قومها ، فأصابها ما أصابهم ، كما أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها ، والله أعلم وأحكم .

۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالىٰ إخبارًا عن نوح - عليه السلام - إنه قال للذين أمر بحملهم معه في السفينة : ﴿ **اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها** ﴾ أي : باسم الله يكون جريها علىٰ وجه الماء ، و[٣] باسم الله يكون منتهىٰ سيرها وهو رسوّها ، وقرأ أبو رجاء العطاردي ﴿ **بسم الله مجريها ومرسيها** ﴾ .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ **فإذا استويت أنت ومن معك علىٰ الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين * وقل رب أنزلني منزلًا مباركا وأنت خير المنزلين** ﴾ ؛ ولهذا تستحب التسمية في ابتداء الأمور عند الركوب علىٰ السفينة وعلىٰ الدابة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا علىٰ ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلىٰ ربنا لمنقلبون** ﴾ .

وجاءت السنة بالحث علىٰ ذلك والندب إليه ، كما سيأتي في سورة الزخرف إن شاء الله وبه الثقة .

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « وقيل كانوا عشرة » ..

[٣] - سقط من : ز .

وقال أبو القاسم الطبراني(٤٧) : [ ][١] حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوي ، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي .

وحدثنا زكريا بن يحيىٰ الساجي ، حدثنا محمد بن موسىٰ الحرشي قالا : حدثنا عبد الحميد بن الحسن الهلالي ، عن نهشل بن سعيد ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن ابن عباس ، عن النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ قال : « **أمان أمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن أن يقولوا : باسم اللَّه الملك ﴿ وما قدروا اللَّه حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ . ﴿ بسم اللَّه مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ﴾** .

وقوله : ﴿ **إن ربي لغفور رحيم** ﴾ مناسب عند ذكر الانتقام من الكافرين بإغراقهم أجمعين ، فذكر أنه غفور رحيم ، كقوله : ﴿ **إن ربك لسريع العقاب * وإنه لغفور رحيم** ﴾ وقال : ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس علىٰ ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب** ﴾ إلىٰ غير ذلك من الآيات التي يقرن[٢] فيها انتقامه ورحمته . وقوله : ﴿ **وهي تجري بهم في موج كالجبال** ﴾ أي : السفينة سائرة بهم علىٰ وجه الماء الذي قد طبق جميع الأرض حتىٰ طفت علىٰ رءوس الجبال وارتفع عليها بخمسة عشر ذراعًا وقيل بثمانين ميلًا ، وهذه السفينة جارية[٣] علىٰ وجه الماء سائرة بإذن اللَّه وتحت كنفه وعنايته وحراسته وامتنانه ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنا لما طغىٰ الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وحملناه علىٰ ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر * ولقد تركناها آية فهل من مدكر** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ونادىٰ نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين** ﴾ هذا هو الابن الرابع واسمه يام وكان كافرًا ، دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثلما يغرق الكافرون ﴿ **قال : سآوي إلىٰ جبل يعصمني من الماء** ﴾ وقيل :

(٤٧) - **إسناده ضعيف جدًا** ، « المعجم الكبير » (١٢٦٦١/١٢) وأخرجه أيضًا في « الأوسط » (٦/ ٦١٣٦) وفي « الدعاء » (٨٠٤/٢) من طريق نهشل بن سعيد به وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ١٣٥) وقال : « وفيه نهشل بن سعيد وهو متروك » وكذبه إسحاق بن راهويه كما في « التقريب » وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٠٢/٣) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

وفي الباب عن الحسين بن علي عند أبي يعلى (٦٧٨١/١٢) ، والطبراني في « الدعاء » (٨٠٣) ، وابن عدي في « الكامل » (٢٦٥٥/٧) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٠٠) وإسناده ضعيف أيضًا .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « حدثنا إبراهيم » . [٢] - في ز : « يفرق » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

إنه اتخذ له مركبًا من زجاج وهذا من الإسرائيليات ، والله أعلم بصحته .

والذي نص عليه القرآن أنه قال : ﴿ **سآوي إلىٰ جبل يعصمني من الماء** ﴾ اعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلىٰ رءوس الجبال ، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق ، فقال له أبوه نوح - عليه السلام - : ﴿ **لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم** ﴾ أي : ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله ، وقيل : إن[١] عاصمًا بمعنىٰ معصوم ، كما يقال : طاعم وكاسٍ بمعنىٰ مطعوم ومكسوّ ﴿ **وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** ﴾ .

وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

يخبر تعالىٰ أنه لما غرق[٢] أهل الأرض كلهم[٣] إلا أصحاب السفينة ، أمر الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها ، وأمر السماء أن تقلع عن المطر ﴿ **وغيض الماء** ﴾ أي : شرع في النقص ﴿ **وقضي الأمر** ﴾ أي : فرغ من أهل الأرض قاطبة ، ممن كفر بالله و[٤] لم يبق منهم ديار ﴿ **واستوت** ﴾ السفينة بمن فيها ﴿ **علىٰ الجودي** ﴾ قال مجاهد : وهو جبل بالجزيرة ، تشامخت الجبال يومئذ من الغرق وتطاولت ، وتواضع هو لله عز وجل فلم يغرق ، وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام .

وقال قتادة : استوت عليه شهرًا[٥] حتىٰ نزلوا منها . قال قتادة : وقد أبقىٰ الله سفينة نوح - عليه السلام - [علىٰ الجودي][٦] [ ][٧] من أرض الجزيرة عبرة وآية ، حتىٰ رآها أوائل هذه الأمة ، وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت وصارت رمادًا[٨] .

وقال الضحاك : الجودي جبل بالموصل . وقال بعضهم : هو الطور .

وقال ابن أبي حاتم(٤٨) : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن رافع ، حدثنا محمد بن عبيد ، عن توبة بن سالم [- ويقال أبو سالم -][٩] ، قال : رأيت زر بن حبيش يصلي في الزاوية

---

(٤٨) - تفسير ابن أبي حاتم (١٠٨٨٩/٦) ورجاله ثقات إلا توبة بن سالم - ويقال أبو سالم - لم يوثقه غير ابن حبان (١٢١/٦) ، وذكره ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (٤٤٦/٢) ، والبخاري في =

---

[١] - في ز ، خ : « أي » .
[٢] - في خ : « أغرق » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - بعده في ز ، خ : « يعني » .
[٦] - في خ : « ما يروى » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « بيافدوي » .
[٨] - في ز : « رمدًا » .
[٩] - سقط من : خ .

حين يدخل من أبواب كندة علىٰ يمينك ، فسألته : إنك لكثير الصلاة هاهنا يوم الجمعة . قال : بلغني أن سفينة نوح أرست من هاهنا .

وقال علباء[١] بن أحمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال(٤٩) : كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلًا معهم أهلوهم ، وإنهم كانوا [في السفينة][٢] مائة وخمسين يومًا ، وإن اللَّه وجه السفينة إلىٰ مكة ، فدارت[٣] بالبيت أربعين يومًا ، ثم وجهها اللَّه إلىٰ الجودي فاستقرت عليه ، فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبر الأرض ، فذهب فوقع علىٰ الجيف فأبطأ عليه ، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ولطخت[٤] رجليها بالطين ، فعرف نوح - عليه السلام - أن الماء قد نضب ، فهبط إلىٰ أسفل الجوديّ ، فابتنى قرية وسماها[٥] ثمانين .

فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم علىٰ ثمانين لغة ، إحداها اللسان[٦] العربي ، فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض ، فكان نوح - عليه السلام - يعبر عنهم .

وقال كعب الأحبار : إن السفينة طافت ما بين المشرق والمغرب قبل أن تستقرعلىٰ الجودي .

وقال قتادة وغيره : ركبوا في عاشر شهر رجب ، فساروا مائة وخمسين يومًا ، واستقرت بهم علىٰ الجودي شهرًا ، وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم . وقد ورد نحو هذا في حديث مرفوع رواه ابن جرير(٥٠) .

وأنهم صاموا يومهم ذلك[٧] ، واللَّه أعلم .

= « التاريخ الكبير » (١٥٦/٢) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً .

(٤٩) - إسناده حسن ، أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٨٨٢/٦ ، ١٠٩١٩)، وابن عساكر في تاريخه (٦٦٤/١٧ - مخطوط) من طريق علي بن عثمان ثنا داود بن أبي الفرات عن علباء - تحرف عند ابن أبي حاتم إلى علي - ابن أحمر به ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٠٢/٣) إلى ابن المنذر .

(٥٠) - تفسير ابن جرير (٤٧/١٢) ، وفي « التاريخ » (٩٦/١) ، وإسناده تالف .

(٥١) - إسناده ضعيف ، « المسند » (٨٧٠٢ ط/ شاكر ، وأيضًا : ٨٧٠١) (٣٥٩/٢) ، وحبيب بن عبد الله الأزدي مجهول كما في التقريب ، وابنه عبد الصمد ضعفه أحمد ، وقال ابن معين : لا بأس به ، وقد ذكر المصنف هذا الحديث في « البداية والنهاية » (١٣٢/١) من نفس الطريق ، وقال : وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من وجه آخر والمستغرب ذكر نوح أيضًا والله أعلم . وانظر ما تقدم (سورة يونس /آية ٩١] .

---

[١] - في ز : « علي » .

[٢] - في خ : « فيها » ، والمثبت في ز .

[٣] - في ت : « فطافت » .

[٤] - في خ : « فلطخت » ، والمثبت من : ز .

[٥] - في ز : « فسماها » .

[٦] - في ز : « لسان » .

[٧] - في ز : « ذاك » .

وقال الإمام أحمد(٥١) : حدثنا أبو جعفر ، حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي ، عن أبيه حبيب بن عبد الله ، عن شُبَيْل ، عن أبي هريرة ؛ قال : مر النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء ، فقال[١] : « **ما هذا من[٢] الصوم ؟** » . قالوا[٣] : هذا اليوم الذي نجىٰ اللّٰه موسىٰ وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينة علىٰ الجودي ، فصام[٤] نوح وموسىٰ - عليهما السلام - شكرًا للّٰه عز وجل . فقال النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أنا أحق بموسىٰ وأحق بصوم هذا اليوم** » . فصام وقال لأصحابه : « **من كان أصبح منكم صائمًا فليتم صومه ، ومن كان أصاب من غذاء أهله فليتم بقية يومه** » .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولبعضه شاهد في الصحيح .

وقوله : ﴿ **وقيل بعدًا للقوم الظالمين** ﴾ أي : [هلاكًا وخسارًا][٥] لهم وبعدًا[٦] من رحمة اللّٰه ، فإنهم قد هلكوا عن آخرهم فلم يبق لهم بقية .

وقد روىٰ الإمام أبو جعفر بن جرير ، والحبر أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيرهما(٥٢)[٧] ، من حديث [موسىٰ بن يعقوب][٨] الزمعي ، عن فائد مولىٰ عبيد اللّٰه بن أبي رافع أن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن أبي ربيعة ، أخبره أن عائشة زوج النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، أخبرته أن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **لو رحم اللّٰه من قوم نوح أحدًا لرحم أم الصبي** » . قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **كان نوح - عليه السلام - مكث في قومه ألف سنة [إلا خمسين عامًا][٩] ، [يدعوهم إلى الله](*) وغرس مائة**

(٥٢) - **محتمل للتحسين** ، أخرجه ابن جرير (١٢/٣٥) ، وفي تاريخه (١/٩١) ، وابن أبي حاتم (٦/ ١٠٨٤٨) والحاكم (٢/٣٤٢ ، ٥٤٧) من طريق موسى بن يعقوب ، به .

وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبي فقال : « إسناده مظلم ، وموسى ليس بذاك » قلت : إبراهيم بن عبد الرحمن وثقه ابن حبان وابن خلفون وروى له البخاري حديثًا واحدًا (٥٤٤٣) ، وفائد مولى عبيد الله وثقه ابن معين وقال أحمد : لا بأس به . وأما موسى بن يعقوب فوثقه يحيى بن معين وابن القطان ، وقال أبو داود : صالح ، وذكره ابن حبان في « الثقات » (٧/٤٥٨) ، وقد ضعفه =

[١] - في ز ، خ : « فقالوا » .

[٢] - سقط من : م .

[٣] - في ز : « قال » .

[٤] - في المسند : « فصامه » .

[٥] - في ز : « هلاك وخسار » .

[٦] - في ز : « وبعد » .

[٧] - في ت : « تفسيريهما » .

[٨] - في خ : « يعقوب بن موسى » .

[٩] - سقط من : خ .

(*) في الأصل : يعني ، والمثبت من تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم .

سنة الشجر ، فعظمت وذهبت كل مذهب ، ثم قطعها ، ثم جعلها سفينة ، ويمرون عليه ويسخرون منه[١] ، ويقولون : تعمل سفينة في البر فكيف تجري ؟ قال : سوف تعلمون . فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك ، خشيت أم الصبي عليه ، وكانت تحبه حبًّا شديدًا ، فخرجت إلىٰ الجبل حتىٰ بلغت ثلثه ، [فلما بلغها الماء ارتفعت حتىٰ بلغت ثلثيه][٢] ، فلما بلغها الماء خرجت به حتىٰ استوت علىٰ الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها فغرقا ، فلو رحم الله منهم أحدًا لرحم أم الصبي » .

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقد روي عن كعب الأحبار ومجاهد بن جبر[٣] قصة هذا الصبي وأمه بنحو من هذا .

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

هذا سؤال استعلام وكشف من نوح - عليه السلام - عن حال ولده الذي غرق ﴿ **قال : رب إن ابني من أهلي** ﴾ أي : وقد وعدتني بنجاة أهلي ، ووعدك الحق الذي لا يخلف ، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين ؟ ﴿ **قال يا نوح إنه ليس من أهلك** ﴾ أي : الذين وعدت إنجاءهم ؛ لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك ، ولهذا قال : ﴿ **وأهلك**

= ابن المديني ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وفي « التقريب » صدوق سيئ الحفظ ، والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (٢٠٣/٨) وقال : رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه موسى بن يعقوب الزمعي وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه ابن المديني ، وبقية رجاله ثقات » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٥٩٣) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

وذكره المصنف في « البداية والنهاية » (١٢٩/١) وقال : « وأحرى بهذا الحديث أن يكون موقوفًا متلقى عن مثل كعب الأحبار والله أعلم » ، وله شاهد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ، يأتي (سورة نوح/ آية ٢٨] .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ : « جبير » .

إلا من سبق عليه القول منهم ﴾ فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق ؛ لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحًا عليه السلام .

وقد نصَّ غير واحد من الأئمة علىٰ تخطئة من ذهب في تفسير هذا إلىٰ أنه ليس بابنه وإنما كان ابن زنية ، ويحكىٰ القول بأنه ليس بابنه وإنما كان ابن امرأته عن مجاهد والحسن ، وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر ، وابن جريج ، واحتج بعضهم بقوله : ﴿ **إنه عمل غير صالح** ﴾ ، وبقوله : ﴿ **فخانتاهما** ﴾ فممن قاله الحسن البصري : احتج بهاتين الآيتين ، وبعضهم يقول : ابن امرأته ، وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن ، أو أراد أنه نسب إليه مجازًا ؛ لكونه كان ربيبًا عنده ، فالله أعلم .

وقال ابن عباس(٥٣) وغير واحد من السلف : ما زنت امرأة نبي قط . قال : وقوله : ﴿ **إنه ليس من أهلك** ﴾ أي : الذين وعدتك نجاتهم .

وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه ، فإن الله تعالىٰ أغير من أن يمكن من امرأة نبي هذه الفاحشة ، ولهذا غضب الله علىٰ الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وأنكر علىٰ المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولىٰ كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم** ﴾ .

وقال عبد الرزاق(٥٤) : أخبرنا معمر ، عن قتادة وغيره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : هو ابنه غير أنه خالفه في العمل والنية . قال عكرمة في بعض الحروف : إنه عمل عملًا غير صالح . والخيانة تكون علىٰ غير باب .

وقد ورد في الحديث أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، قرأ بذلك ، فقال الإمام أحمد(٥٥) : حدثنا يزيد بن هارون ، ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن شهر بن

---

(٥٣) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (٥١/١٢) ، (١٧٠/٢٨) ، وابن أبي حاتم (١٠٩٢٩/٦) ، والحاكم (٢/ ٥٣٨) من طرق عن ابن عباس ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي .

وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣٧٧/٦) إلى عبد الرزاق والفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن المنذر .

(٥٤) - **كسابقه** ، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن جرير (٥١/١٢) ، وابن أبي حاتم (١٠٩٢٧/٦) .

(٥٥) - **صحيح لشواهده** ، « المسند » (٢٧٦٧٧) (٤٥٤/٦) ، وأخرجه أيضًا (٢٧٧٠٣ ، ٢٧٧١٤) (٦/ ٤٥٩ ، ٤٦٠) ، والطيالسي (١٦٣١) ، وأبو داود ، أول كتاب الحروف والقراءات (٣٩٨٢)، والحاكم (٢/ ٢٤٩) من طريق حماد بن سلمة ، به - ورواية الحاكم مقتصره على آية الزمر - وقال الحاكم : =

حوشب ، عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ، يقرأ : (إنه عَمِل غير صالح) وسمعته يقول : (يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللّٰه إن اللّٰه يغفر الذنوب جميعًا ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم) .

وقال أحمد أيضًا(٥٦) : ثنا وكيع ، ثنا هارون النحوي ، عن ثابت البناني ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قرأها : (إنه عَمِل غير صالح) .

أعاده أحمد أيضًا في مسند أم سلمة هي أم المؤمنين ، والظاهر - واللّٰه أعلم - أنها أسماء بنت يزيد ، فإنها تكنىٰ بذلك أيضًا .

وقال عبد الرزاق أيضًا(٥٧) : أنا الثوري وابن عيينة ، عن موسىٰ بن أبي عائشة ، عن سليمان بن قتة قال : سمعت ابن عباس سئل - وهو إلىٰ جنب الكعبة - عن قول اللّٰه : ﴿ **فخانتاهما** ﴾ قال : أما إنه لم يكن بالزنا ، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون ، وكانت هذه تدل علىٰ الأضياف ، ثم قرأ ﴿ **إنه عمل غير صالح** ﴾ . قال ابن عيينة : وأخبرني عمار الدهني أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال : كان ابن نوح ، إن اللّٰه لا يكذب ، قال تعالىٰ : ﴿ **ونادىٰ نوح ابنه** ﴾ . قال : وقال بعض العلماء : ما فجرت امرأة نبي قط .

وكذا روي عن مجاهد أيضًا ، وعكرمة ، والضحاك ، وميمون بن مهران ، وثابت بن الحجاج ، وهو اختيار أبي جعفر بن جرير ، وهو الصواب الذي لا شك فيه .

= « حديث غريب عال ولم أذكر في كتابي هذا عن شهر غير هذا الحديث الواحد » ووافقه الذهبي . وانظر ما بعده .

(٥٦) - **كسابقه** ، « المسند » (٢٦٦٢٨ ، ٢٦٨٤٢) (٦/٢٩٤ ، ٣٢٢) ، وأخرجه أبو داود (٣٩٨٣) ، والترمذي ، كتاب : القراءات ، باب : ومن سورة هود (٢٩٣٢ ، ٢٩٣٣) ، والطيالسي (١٥٩٤) ، وأبو يعلى (١٢/٧٠٢٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/٣٠١) من طرق عن ثابت ، به ، وقال : وقد روي هذا الحديث أيضًا عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قال : وسمعت عبد بن حميد يقول : أسماء بنت يزيد هي أم سلمة الأنصارية وكلا الحديثين عندي واحد ، وقد روى شهر بن حوشب غير حديث عن أم سلمة الأنصارية ، وهي أسماء بنت يزيد ، وقد روي عن عائشة عن النبي ، صلى الله عليه وسلم .

وحديث عائشة المشار إليه أخرجه البخاري في « التاريخ » (١/٢٨٦ - ٢٨٧) (٢/٢٥٢) ، والطبراني في « الأوسط » (٤/٤٣٠٠) ، والحاكم (٢/٢٤١) وسكت عنه ، وقال الذهبي : إسناد مظلم ، وصححه الشيخ الألباني في « الصحيحة » (٦/٢/٢٨٠٩) مستشهدًا له بحديث أسماء السابق وأثر لابن عباس - عند ابن جرير (١٢/٥٣) وفي إسناده ضعف - وأثر عكرمة المتقدم برقم (٥٣) .

(٥٧) - **إسناده صحيح** ، « التفسير » لعبد الرزاق (٢/٣١٠) ومن طريق عبد الرزاق أخرجه ابن جرير (١٢/ ٥١) .

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾

يخبر تعالىٰ عما قيل لنوح - عليه السلام - حين أرست السفينة علىٰ الجودي ، من السلام عليه وعلىٰ من معه من المؤمنين ، وعلىٰ كل مؤمن من ذريته إلىٰ يوم القيامة ، كما قال محمد بن كعب : دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلىٰ يوم القيامة ، وكذلك في العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلىٰ يوم القيامة .

وقال محمد بن إسحاق(٥٨) : لما أراد اللَّه أن يكف الطوفان أرسل ريحًا علىٰ وجه الأرض ، فسكن الماء وانسدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر وأبواب السماء ، يقول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وقيل يا أرض ابلعي ماءك** ﴾ الآية . فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر ، وكان استواء الفلك علىٰ الجودي - فيما يزعم أهل التوراة - في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه ، وفي أول يوم من الشهر العاشر رأىٰ رءوس الجبال ، فلما مضىٰ بعد ذلك أربعون يومًا فتح نوح كوة الفُلكِ التي ركب فيها ، ثم أرسل الغراب لينظر له ما صنع الماء فلم يرجع إليه ، فأرسل الحمامة فرجعت إليه لم تجد لرجليها موضعًا ، فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها ، ثم مضىٰ سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له ، فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتون ، فعلم نوح أن الماء قد قل عن وجه الأرض ، ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع ، فعلم نوح أن الأرض قد برزت ، فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل اللَّه الطوفان إلىٰ أن أرسل نوحٌ الحمامة ، ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنتين ، برز وجه الأرض وظهر اليبس ، وكشف نوح غطاء الفلك ، وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين في سبع وعشرين ليلة منه ﴿ **قيل يا نوح اهبط بسلام منا** ﴾ الآية .

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

يقول تعالىٰ لنبيه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : هذه القصة وأشباهها ﴿ **من أنباء الغيب** ﴾ يعني من أخبار الغيوب السالفة نوحيها إليك علىٰ وجهها كأنك شاهدها ﴿ **نوحيها إليك** ﴾ أي : نعلمك بها وحيًا منا إليك ﴿ **ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا** ﴾ أي : لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها ، حتىٰ يقول من يكذبك : إنك تعلمتها منه ، بل أخبرك اللَّه بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح ، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك ،

(٥٨) - أورده المصنف في « البداية والنهاية » (١٣٢/١) .

فاصبر علىٰ تكذيب من كذبك من قومك وأذاهم لك ، فإنا سننصرك ونحوطك بعنايتنا ، ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ، كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم علىٰ أعدائهم ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون** ﴾ الآية . وقال تعالىٰ : ﴿ **فاصبر إن العاقبة للمتقين** ﴾ .

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالىٰ ﴿ **و** ﴾ لقد أرسلنا ﴿ **إلىٰ عاد أخاهم هودًا** ﴾ آمرًا لهم بعبادة اللّٰه وحده لا شريك له ، ناهيًا لهم عن الأوثان التي افتروها ، واختلقوا لها أسماء الآلهة ، وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجرة علىٰ هذا النصح والبلاغ من اللّٰه ، إنما يبغي ثوابه من اللّٰه الذي فطره . ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ من يدعوكم إلىٰ ما يصلحكم في الدنيا والآخرة من غير أجرة .

ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة ، وبالتوبة عما يستقبلون ، ومن اتصف بهذه الصفة يسر اللّٰه عليه رزقه ، وسهل عليه أمره ، وحفظ شأنه ، ولهذا قال : ﴿ **يرسل السماء عليكم مدرارًا** ﴾ . وفي الحديث[٥٩] : « **من لزم الاستغفار ، جعل اللّٰه له من كل همٍّ فرجًا ، ومن كل ضيقٍ مخرجًا ، ورزقه من حيثُ لا يحتسب** » .

قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ

(٥٩) - **إسناده فيه جهالة** ، أخرجه أحمد (٢٤٨/١) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : في الاستغفار (١٥١٨)، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » من الكبرىٰ (١٠٢٩٠/٦) ، وابن ماجة ، كتاب : الأدب ، باب : الاستغفار (٣٨١٩) ، وغيرهم من حديث ابن عباس ، وصححه الحاكم (٢٦٢/٤) وفي إسناده الحكم بن مصعب ، وهو مجهول كما في «التقريب» ، وبه تعقب الذهبي الحاكم ، فقال : « الحكم بن مصعب فيه جهالة » .

﴿وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾

يخبر تعالىٰ أنهم قالوا لنبيهم : ﴿ **ما جئتنا ببينة** ﴾ أي : بحجة وبرهان علىٰ ما تدعيه ﴿ **وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك** ﴾ أي : بمجرد قولك اتركوهم نتركهم ﴿ **وما نحن لك بمؤمنين** ﴾ بمصدقين ﴿ **إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء** ﴾ يقولون : ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في عقلك ؛ بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها ﴿ **قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه** ﴾ يقول : إني بريء من جميع الأنداد والأصنام ﴿ **فكيدوني جميعًا** ﴾ أي : أنتم وآلهتكم إن كانت حقًا ﴿ **ثم لا تنظرون** ﴾ أي : طرفة عين .

وقوله : ﴿ **إني توكلت علىٰ الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها** ﴾ أي : تحت قهره وسلطانه ، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور في حكمه ، فإنه علىٰ صراط مستقيم .

قال الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أيفع بن عبد الكلاعي(٦٠) : أنه قال في قوله تعالىٰ : ﴿ **ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي علىٰ صراط مستقيم** ﴾ قال : فيأخذ بنواصي عباده [فيلقن المؤمن][١] حتىٰ يكون له ألين من الوالد لولده ، ويقال للكافر ﴿ **ما غرك بربك الكريم** ﴾ .

وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة علىٰ صدق ما جاءهم به ، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام ، التي لا تنفع ولا تضر ، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر ، ولا توالي ولا تعادي ، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له ، الذي بيده الملك وله التصرف ، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه ، فلا إله إلّا هو ولا رب سواه .

---

(٦٠) - **أثر صحيح** ، أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٣١/٥ - ١٣٢) من طريق إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو به نحوه ، وأخرجه أيضًا من حديث الوليد بن مسلم ثنا صفوان بن عمرو عن أيفع ... فذكر حديثًا طويلًا ، ليس فيه هذا اللفظ المذكور هنا ، وتابع إسماعيل بن عياش على هذه اللفظة أبو المغيرة ؛ أخرجه عبد الله بن أحمد في « كتاب السنة » (١٢٠٨/٢) حدثني أبي نا أبو المغيرة به نحوه .

---

[١] - لعلها « فيلين للمؤمن » ، وبنحو ذلك جاءت في الحلية (١٣٢/٥) .

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ (٥٧) وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ (٥٨) وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ (٥٩) وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ (٦٠)﴾

يقول لهم هود : فإن تولوا عما جئتكم به من عبادة اللّٰه ربكم وحده لا شريك له ، فقد قامت عليكم الحجة بإبلاغي إياكم رسالة اللّٰه التي بعثني بها ﴿ **ويستخلف ربي قومًا غيركم** ﴾ يعبدونه وحده لا يشركون به ، ولا يبالي بكم ؛ فإنكم لا تضرونه بكفركم ، بل يعود وبال ذلك عليكم ﴿ **إن ربي علىٰ كل شيء حفيظ** ﴾ أي : شاهد وحافظ لأقوال عباده وأفعالهم ، ويجزيهم عليها إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر ﴿ **ولما جاء أمرنا** ﴾ وهو الريح العقيم فأهلكهم اللّٰه عن آخرهم ، ونجىٰ هودًا وأتباعه من عذاب غليظ برحمته تعالىٰ ولطفه .

﴿ **وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم** ﴾ كفروا بها ، وعصوا رسل اللّٰه ، وذلك أن من كفر بنبي فقد كفر بجميع الأنبياء ؛ لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به ، فعاد كفروا بهود فنزل كفرهم منزلة من كفر بجميع الرسل ﴿ **واتبعوا أمر كل جبار عنيد** ﴾ تركوا اتباع رسولهم الرشيد ، واتبعو أمر كل جبار عنيد ، فلهذا أتبعوا في هذه الدنيا لعنة من اللّٰه ، ومن العباد المؤمنين كلما ذكروا ، وينادىٰ عليهم يوم القيامة علىٰ رءوس الأشهاد ﴿ **ألا إن عادًا كفروا ربهم** ﴾ . الآية .

قال السدي : ما بعث نبي بعد عاد إلا لعنوا علىٰ لسانه .

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ (٦١)﴾

يقول تعالىٰ : ولقد أرسلنا إلىٰ ثمود ، وهم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك

والمدينة ، وكانوا بعد عاد ، فبعث الله منهم أخاهم صالحاً ، فأمرهم بعبادة الله وحده ؛ ولهذا قال : ﴿ **هو أنشأكم من الأرض** ﴾ أي : ابتدأ خلقكم منها ، خلق منها أباكم آدم ﴿ **واستعمركم فيها** ﴾ أي : جعلكم عمارًا تعمرونها وتستغلونها ﴿ **فاستغفروه** ﴾ لسالف ذنوبكم ﴿ **ثم توبوا إليه** ﴾ فيما تستقبلونه ﴿ **إن ربي قريب مجيب** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ . الآية .

قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

يذكر تعالىٰ ما كان من الكلام بين صالح - عليه السلام - وبين قومه ، وما كان عليه قومه من الجهل والعناد في قولهم ﴿ **قد كنت فينا مرجوًا قبل هذا** ﴾ أي : كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت ﴿ **أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا** ﴾ وما كان عليه أسلافنا ﴿ **وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب** ﴾ أي : شك كثير .

﴿ **قال يا قوم أرأيتم إن كنت علىٰ بينة من ربي** ﴾ فيم أرسلني به إليكم علىٰ يقين وبرهان ﴿ **وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته** ﴾ وتركت دعوتكم إلىٰ الحق وعبادة الله وحده ، فلو تركته لما نفعتموني ولما زدتموني ﴿ **غير تخسير** ﴾ أي : خسارة .

وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

تقدم الكلام عليها في سورة الأعراف بما أغنىٰ عن إعادته ، فلله الحمد والمنة .

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولما جاءت رسلنا** ﴾ وهم الملائكة ﴿ **إبراهيم بالبشرىٰ** ﴾ قيل : تبشره بإسحاق ، وقيل : بهلاك قوم لوط ، ويشهد للأول قوله تعالىٰ : ﴿ **ولما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرىٰ يجادلنا في قوم لوط** ﴾ . ﴿ **قالوا سلامًا قال سلام** ﴾ أي : عليكم .

قال علماء البيان : هذا أحسن مما حيّوه به ؛ لأن الرفع يدل علىٰ الثبوت والدوام .

﴿ **فما لبث أن جاء بعجل حنيذ** ﴾ أي : ذهب سريعًا فأتاهم بالضيافة ، وهو عجل ؛ فتىٰ البقر ، حنيذ : مشوي علىٰ الرضف وهي الحجارة المحماة .

هذا معنىٰ ما روي عن ابن عباس وقتادة وغير واحد ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **فراغ إلىٰ أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون** ﴾ .

وقد تضمنت هذه الآية آداب الضيافة من وجوه كثيره .

وقوله : ﴿ **فلما رأىٰ أيديهم لا تصل إليه نكرهم** ﴾ تنكرهم ﴿ **وأوجس منهم خيفة** ﴾ وذلك أن الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ، ولا يشتهونه ولا يأكلونه ، فلهذا رأىٰ حالهم معرضين عما جاءهم به ، فارغين عنه بالكلية ، فعند ذلك نكرهم ﴿ **وأوجس منهم خيفة** ﴾ .

قال السدي : لما بعث الله الملائكة لقوم لوط ، أقبلت تمشي في صور رجال شبان ، حتىٰ نزلوا علىٰ إبراهيم فتضيفوه ، فلما رآهم أجلّهم ﴿ **فراغ إلىٰ أهله فجاء بعجل سمين** ﴾ فذبحه ، ثم شواه في الرضف ، وأتاهم به فقعد معهم ، وقامت سارة تخدمهم ، فذلك حين يقول : (وامرأته قائمة وهو جالس) - في قراءة ابن مسعود - ﴿ **فلما قربه إليهم قال ألا تأكلون** ﴾ قالوا : يا إبراهيم إنا لا نأكل طعامًا إلا بثمن . قال : فإن لهذا ثمنًا . قالوا : وما

ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله علىٰ أوله وتحمدونه علىٰ آخره . فنظر جبريل إلىٰ ميكائيل فقال : حُقَّ لهذا أن يتخذه ربه خليلًا . ﴿ **فلما رأىٰ أيديهم لا تصل إليهم نكرهم** ﴾ يقول : فلما رآهم لا يأكلون فزع منهم وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت إليه سارّة أنه قد أكرمهم ، وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت : عجبًا لأضيافنا هؤلاء نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا ! .

وقال ابن أبي حاتم(٦١) : حدثنا علي بن الحسين ، ثنا نصر بن علي ، ثنا نوح بن قيس ، عن عثمان بن محصن ، في ضيف إبراهيم قال : كانوا أربعة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ورفائيل . قال نوح بن قيس : فزعم عون[١] بن أبي شداد أنه لما دخلوا علىٰ إبراهيم ، فقرّب إليهم العجل ، مسحه جبريل بجناحيه ، فقام يدرج حتىٰ لحق بأمه ، وأم العجل في الدار .

وقوله تعالىٰ إخبارًا عن الملائكة : ﴿ **قالوا لا تخف** ﴾ أي : قالوا : لا تخف منا ، إنا ملائكة أرسلنا إلىٰ قوم لوط لنهلكهم ، فضحكت سارّة استبشارًا بهلاكهم لكثرة فسادهم وغلظ كفرهم وعنادهم ؛ فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس .

وقال قتادة : ضحكت وعجبت أن قومًا يأتيهم العذاب وهم في غفلة .

وقوله : ﴿ **ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ قال العوفي ، عن ابن عباس ﴿ **فضحكت** ﴾ أي : حاضت .

وقول محمد بن قيس : إنها إنما ضحكت من أنها ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط . وقول الكلبي : إنها إنما ضحكت لما رأت من الروع بإبراهيم - ضعيفان جدًّا . وإن كان ابن جرير قد رواهما بسنده إليهما ، فلا يلتفت إلىٰ ذلك ، والله أعلم .

وقال وهب بن منبه : إنما ضحكت لما بشرت بإسحاق . وهذا مخالف لهذا السياق ؛ فإن البشارة صريحة مرتبة علىٰ ضحكها .

﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ أي : بولد لها يكون له ولد وعقب ونسل ، فإن يعقوب ولد إسحاق ، كما قال فى سورة البقرة : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون** ﴾ .

---

(٦١) - « التفسير » لابن أبي حاتم (١١٠١٢/٦) .

---

[١] - في ز ، خ : « نوح » والمثبت من ابن أبي حاتم (١١٠١٢/٦) وهو الصواب .

ومن هٰهنا استدل من استدل بهذه الآية علىٰ أن الذبيح إنما هو إسماعيل ، وأنه يمتنع أن يكون إسحاق ؛ لأنه وقعت البشارة به وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير ، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده ، ووعد اللَّه حق لا خلف فيه ، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه ، فتعين أن يكون هو إسماعيل ، وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه وأبينه ، ولله الحمد .

﴿ **قالت يا ويلتىٰ أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا** ﴾ الآية . حكىٰ قولها في هذه الآية كما حكىٰ فعلها في الآية الأخرىٰ ، فإنها ﴿ **قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز** ﴾ ، وفي الذاريات : ﴿ **فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم** ﴾ كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب ﴿ **قالوا أتعجبين من أمر اللَّه** ﴾ أي : قالت الملائكة لها : لا تعجبي من أمر اللَّه ، فإنه إذا أراد شيئًا أن يقول له : كن ؛ فيكون . فلا تعجبي من هذا وإن كنت عجوزًا عقيمًا وبعلك شيخًا كبيرًا ، فإن اللَّه علىٰ ما يشاء قدير .

﴿ **رحمة اللَّه وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ أي : هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله ، محمود ممجد في صفاته وذاته ؛ ولهذا ثبت في الصحيحين(٦٢) أنهم قالوا : قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك يا رسول اللَّه ؟ قال : « **قولوا : اللهم ، صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد** » .

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

يخبر تعالىٰ عن إبراهيم - عليه السلام - أنه لما ذهب عنه الروع ، وهو ما أوجس من الملائكة خيفة حين لم يأكلوا ، وبشروه بعد ذلك بالولد ، وأخبروه بهلاك قوم لوط ، أخذ يقول كما قال سعيد بن جبير في الآية قال(٦٣) : لما جاءه جبريل ومن معه قالوا له : ﴿ **إنا**

---

(٦٢) - أخرجه البخاري، كتاب : الأنبياء ، باب : (١٠) ، (٣٣٧٠) ، ومسلم ، كتاب : الصلاة، باب : الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد التشهد (٤٠٧) ، وأبو داود (٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨) ، والترمذي (٤٨٣)، والنسائي (٣/٤٧) ، وابن ماجة (٩٠٤) ، وأحمد (١٨١٥٧) (٤/٢٤١) من حديث كعب بن عجرة ، وسياق المصنف ، مغاير في بعض الأحرف .

(٦٣) - أخرجه ابن أبي حاتم (٦/١١٠٤٠) .

مهلكو أهل هذه القرية ﴾ قال لهم : أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن ؟ قالوا : لا . قال : أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا . قال : أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنًا ؟ قالوا : لا . قال : ثلاثون ؟ قالوا : لا . حتىٰ بلغ خمسة قالوا : لا ؟ قال : أرأيتكم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها ؟ قالوا : لا . فقال إبراهيم - عليه السلام - عند ذلك : **﴿ إن فيها لوطًا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته ﴾** الآية . فسكت عنهم واطمأنت نفسه . وقال قتادة وغيره قريبًا من هذا ، زاد ابن إسحاق : أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا : لا . قال : فإن كان فيها لوط يدفع به عنهم العذاب ؟ قالوا : **﴿ نحن أعلم بمن فيها ﴾** الآية .

وقوله : **﴿ إن إبراهيم لحليم أواه منيب ﴾** مدح لإبراهيم بهذه الصفات الجميلة ، وقد تقدم تفسيرها .

وقوله تعالىٰ : **﴿ يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك ﴾** أي : إنه قد نفذ فيهم القضاء ، وحقت عليهم الكلمة بالهلاك وحلول البأس الذي لا يرد عن القوم المجرمين .

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾

يخبر تعالىٰ عن قدوم رسله من الملائكة بعد ما أعلموا إبراهيم بهلاكهم ، وفارقوه وأخبروه بإهلاك اللَّه قوم لوط هذه الليلة ، فانطلقوا من عنده فأتوا لوطًا ، عليه السلام ، وهو - علىٰ ما قيل - في أرض له ، وقيل في منزله ، ووردوا عليه وهم في أجمل صورة تكون ؛ علىٰ هيئة شبان حسان الوجوه ، ابتلاء من اللَّه وله الحكمة والحجة البالغة ، فساءه شأنهم وضاقت نفسه بسببهم ، وخشي إن لم يضفهم أن يضيفهم أحد من قومه فينالهم بسوء **﴿ وقال هذا يوم عصيب ﴾** .

قال ابن عباس وغير واحد : شديد بلاؤه . وذلك أنه علم أنه سيدافع عنهم ويشق عليه ذلك .

وذكر قتادة : أنهم أتوه وهو في أرض له فتضيفوه ، فاستحيا منهم فانطلق أمامهم ، وقال

لهم في أثناء الطريق كالمعرض لهم بأن ينصرفوا عنه : إنه والله يا هؤلاء ، ما أعلم علىٰ وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء ، ثم مشى قليلًا ثم أعاد ذلك عليهم حتىٰ كرره أربع مرات ، قال قتادة : وقد كانوا أمروا أن لا يهلكوهم حتىٰ يشهد عليهم نبيهم بذلك .

وقال السدي : خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فبلغوا نهر سدوم نصف النهار ، ولقوا بنت لوط تسقي فقالوا : يا جارية ، هل من منزل ؟ فقالت : مكانكم حتىٰ آتيكم ، وفَرَقَتْ عليهم من قومها ، فأتت أباها فقالت : يا أبتاه ؛ أدرك فتيانًا علىٰ باب المدينة ، ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحوهم . وكان قومه نهوه أن يضيف رجلًا ، فقالوا : خل عنا فلنضيف الرجال ، فجاء بهم فلم يعلم بهم أحد إلا أهل بيته ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها ، فجاءوا يهرعون إليه .

وقوله : ﴿ **يهرعون إليه** ﴾ أي : يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك .

وقوله : ﴿ **ومن قبل كانوا يعملون السيئات** ﴾ أي : لم يزل هذا من سجيتهم ، حتىٰ أخذوا وهم علىٰ ذلك الحال .

وقوله : ﴿ **قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم** ﴾ يرشدهم إلىٰ نسائهم ، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد ، فأرشدهم إلىٰ ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة ، كما قال لهم في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أتأتون الذكران من العالمين * وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون** ﴾ ، وقوله في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قالوا أولم ننهك عن العالمين** ﴾ أي : ألم ننهك عن ضيافة الرجال ﴿ **قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين * لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ ، وقال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **هؤلاء بناتي هن أطهر لكم** ﴾ قال مجاهد : لم يكن بناته ، ولكن كن من أمته ، وكل نبي أبو أمته . وكذا روي عن قتادة وغير واحد .

وقال ابن جريج : أمرهم أن يتزوجوا النساء ، ولم يعرض عليهم سفاحًا .

وقال سعيد بن جبير : يعني نساءهم هن بناته هو وهو أب لهم نبيهم . ويقال في بعض القراءات : (النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم) .

وكذا روي عن الربيع بن أنس ، وقتادة ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق وغيرهم .

وقوله : ﴿ **فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي** ﴾ أي : اقبلوا ما آمركم به من الاقتصار علىٰ نسائكم ﴿ **أليس منكم رجل رشيد** ﴾ أي : فيه خير يقبل ما آمره به ، ويترك ما أنهاه عنه ؟

﴿ **قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** ﴾ أي : إنك لتعلم أن نساءنا لا أرب لنا فيهن ولا نشتهيهن ﴿ **وإنك لتعلم ما نريد** ﴾ أي : ليس لنا غرض إلا في الذكور وأنت تعلم

ذلك ، فأي حاجة في تكرار القول علينا في ذلك ؟ قال السدي : ﴿ **وإنك لتعلم ما نريد** ﴾ إنما نريد الرجال .

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نبيه لوط - عليه السلام - إن لوطًا توعدهم بقوله : ﴿ **لو أن لي بكم قوة** ﴾ . الآية . أي : لكنت نكلت بكم ، وفعلت بكم الأفاعيل بنفسي وعشيرتي ؛ ولهذا ورد في الحديث(٦٤) من طريق محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **رحمة الله على لوط ! لقد كان يأوي إلىٰ ركن شديد** - يعني الله عز وجل - **فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثَرْوة(*) من قومه** » .

فعند ذلك أخبرته الملائكة أنهم رسل الله إليه ، وأنهم لا وصول لهم إليه ﴿ **قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك** ﴾ وأمروه أن يسري بأهله من آخر الليل ، وأن يتبع أدبارهم ، أي : يكون ساقة لأهله ﴿ **ولا يلتفت منكم أحد** ﴾ أي : إذا سمعت ما نزل بهم ، ولا تهولنكم تلك الأصوات المزعجة ، ولكن استمروا ذاهبين . ﴿ **إلا امرأتك** ﴾ قال الأكثرون ، هو استثناء من المثبت وهو قوله : ﴿ **فأسر بأهلك** ﴾ تقديره : ﴿ **إلا امرأتك** ﴾ وكذلك قرأها ابن مسعود ، ونصب هؤلاء امرأتك ؛ لأنه من مثبت فوجب نصبه عندهم .

وقال آخرون من القراء والنحاة : هو استثناء من قوله ﴿ **ولا يلتفت منكم أحد إلا**

(٦٤) - **حسن** ، أخرجه أحمد (٢/٣٣٢ - وفي مواضع أخر) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٦٠٥) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة يوسف (٣١١٥) ، والنسائي في « التفسير » (٦/ ١١٢٥٤) ، وابن جرير (١٢/٨٧) ، وابن أبي حاتم (٦/١١٠٧٦) ، وتمام في فوائده (٤/١٤٤١ ، ١٤٤٢ - الروض) ، والطحاوي في « مشكل الآثار » (٣٣٠) بروايات مطولة ومختصرة، وقال الترمذي : « حديث حسن »، وصححه ابن حبان (١٤/٦٢٠٦ ، ٦٢٠٧) ، والحاكم (٢/٣٤٧ ، ٥٦١ ، ٥٧١) على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، ومحمد بن عمرو لم يخرج له مسلم في أصل الصحيح ، وإنما أخرج له متابعة ، والجزء الأول منه عند البخاري (٣٣٧٢) ، ومسلم (٢٣٨) (١٥١) من حديث أبي هريرة أيضًا . وفي بعض رواياته لفظة منكرة نبهت عليها عند [سورة يوسف / آية ٤٢] .

(*) الثروة : العدد الكثير .

امرأتك ﴾ فجوزوا الرفع والنصب ، وذكر هؤلاء أنها خرجت معهم وأنها لما سمعت الوجبة ، التفتت وقالت : واقوماه ! فجاءها حجر من السماء فقتلها .

ثم قربوا له هلاك قومه تبشيرًا له ؛ لأنه قال لهم أهلكوهم الساعة فقالوا : ﴿ **إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب** ﴾ . هذا وقوم لوط وقوف علىٰ الباب عكوف ، قد جاءوا يهرعون إليه من كل جانب ، ولوط واقف علىٰ الباب يدافعهم ويردعهم وينهاهم عما هم فيه ، وهم لا يقبلون منه ، بل يتوعدونه ويتهددونه ، فعند ذلك خرج عليهم جبريل - عليه السلام - فضرب وجوههم بجناحه ، فطمس أعينهم فرجعوا وهم لا يهتدون الطريق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر** ﴾ الآية .

وقال معمر[٦٥] ، عن قتادة ، عن حذيفة بن اليمان قال : كان إبراهيم ، عليه السلام ، يأتي قوم لوط فيقول : أنهاكم اللَّه أن تَعَرَّضوا لعقوبته ! فلم يطيعوه ، حتىٰ إذا بلغ الكتاب أجله انتهت الملائكة إلىٰ لوط وهو يعمل في أرض له ، فدعاهم إلىٰ الضيافة فقالوا : إنا ضيوفك الليلة ، وكان اللَّه قد عهد إلىٰ جبريل ألا يعذبهم حتىٰ يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات ، فلما توجه بهم لوط إلىٰ الضيافة ذكر ما يعمل قومه من الشر ، فمشى معهم ساعة ثم التفت إليهم ، فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم علىٰ وجه الأرض شرًّا منهم ، أين أذهب بكم ؟ إلىٰ قومي وهم من أشر خلق اللَّه ؟ فالتفت جبريل إلىٰ الملائكة ، فقال : احفظوها هذه واحدة ، ثم مشى معهم ساعة ، فلما توسط القرية ، وأشفق عليهم واستحيا منهم ، قال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم علىٰ وجه الأرض أشر منهم ، إن قومي أشر خلق اللَّه ، فالتفت جبريل إلىٰ الملائكة ، فقال : احفظوها هاتان اثنتان ، فلما انتهىٰ إلىٰ باب الدار بكىٰ حياء منهم وشفقة عليهم ، فقال : إن قومي أشر خلق اللَّه ، أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم علىٰ وجه الأرض أهل قرية شرًّا منهم . فقال جبريل للملائكة : احفظوا هذه ثلاث قد حق العذاب ، فلما دخلوا ذهبت عَجُوزُه عجوز السوء ، فصعدت فلوحت بثوبها ، فأتاها الفساق يهرعون سراعًا قالوا : ما عندك ؟ قالت : ضيف لوطٌ قومًا ما رأيت قط أحسن وجوهًا منهم ، ولا أطيب ريحًا منهم ، فهرعوا يسارعون إلىٰ الباب ، فعالجهم لوط علىٰ الباب فدافعوه طويلًا ، وهو داخل وهم خارج ، يناشدهم اللَّه ويقول : ﴿ **هؤلاء بناتي هن أطهر لكم** ﴾ فقام الملك فلز بالباب - يقول : فسَدَّه - واستأذن جبريل في عقوبتهم فأذن اللَّه له ، فقام في الصورة التي يكون فيها في السماء ، فنشر جناحه - ولجبريل جناحان - وعليه وشاح من در منظوم ،

(٦٥) - **إسناده منقطع** ، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٠٧) ومن طريقه ومن طريق آخر عن معمر ، أخرجه ابن جرير (١٢/٩٠ ، ٩١ ، ٩٢) ، وقتادة لم يسمع من حذيفة ، ومن طريق آخر عن حذيفة أخرجه ابن أبي حاتم (٦/١١٠٨٩) مختصرًا وفيه انقطاع أيضًا. وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٦٢٢) إلى ابن المنذر .

وهو براق الثنايا أجلىٰ الجبين ، ورأسه حبك حبك مثل المرجان ، وهو اللؤلؤ كأنه الثلج ، ورجلاه إلىٰ الخضرة ، فقال : يا لوط ، ﴿ **إنا رسل ربك لن يصلوا إليك** ﴾ امض يا لوط ، عن الباب ودعني وإياهم ، فتنحىٰ لوط عن الباب ، فخرج إليهم فنشر جناحه ، فضرب به وجوههم ضربة شدخ أعينهم ، فصاروا عميًا لا يعرفون الطريق ، ولا يهتدون إلى بيوتهم ثم أمر لوط فاحتمل بأهله في ليلته قال : ﴿ **فأسر بأهلك بقطع من الليل** ﴾ .

وروي عن محمد بن كعب وقتادة والسدي نحو هذا .

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **فلما جاء أمرنا** ﴾ وكان ذلك عند طلوع الشمس ﴿ **جعلنا عاليها** ﴾ وهي سدوم ﴿ **سافلها** ﴾ ، كقوله : ﴿ **فغشاها ما غشى** ﴾ أي : أمطرنا عليها حجارة من سجيل ، وهي بالفارسية حجارة من طين ، قاله ابن عباس وغيره .

وقال بعضهم : أي : من سنك وهو الحجر ، وكل وهو الطين ، وقد قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **حجارة من طين** ﴾ أي : مستحجرة قوية شديدة ، وقال بعضهم : مشوية ، وقال البخاري(٦٦) : سجيل الشديد الكبير ، سجيل وسجين ، اللام والنون أختان ، وقال تميم ابن مقبل :

وَرَجْلَةَ يَضْرِبُونَ البيضَ ضاحيةً ضربًا تواصى[١] بِهِ الأبطالُ سجينا

وقوله : ﴿ **منضود** ﴾ قال بعضهم : منضودة في السماء ، أي : معدة لذلك .

وقال آخرون : ﴿ **منضود** ﴾ أي : يتبع بعضها بعضًا في نزولها عليهم .

وقوله : ﴿ **مسوّمة** ﴾ أي : معلمة مختومة عليها أسماء أصحابها ، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه ، وقال قتادة وعكرمة : ﴿ **مسومة** ﴾ مطوقة بها نضح من حمرة .

وذكروا أنها نزلت علىٰ أهل البلد وعلىٰ المتفرقين في القرىٰ مما حولها ، فبينا أحدهم يكون عند الناس يتحدث ، إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس فدمره ، فتتبعهم الحجارة من سائر البلاد حتىٰ أهلكتهم عن آخرهم ، فلم يبق منهم أحد .

---

(٦٦) - صحيح البخاري كتاب التفسير ، سورة هود (١١) ، باب : ﴿ **وكان عرشه على الماء** ﴾ .

---

[١] - في ز ، خ : تواصت .

وقال مجاهد : أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ورفعهم حتىٰ سمع أهل السماء نُباح كلابهم ثم أكفأهم ، وكان حملهم علىٰ حوافي جناحه الأيمن . قال : ولما قلبها كان أول ما سقط منها شذانها .

وقال قتادة : بلغنا أن جبريل أخذ بعروة القرية الوسطىٰ ، ثم ألوىٰ بها إلىٰ جوّ السماء حتىٰ سمع أهل السماء ضواغي(*) كلابهم ، ثم دمّر بعضها علىٰ بعض ، ثم أتبع شذاذ القوم صخرًا . قال : وذكر لنا أنهم كانوا أربع قرىٰ ، في كل قرية مائة ألف ، وفي رواية : ثلاث قرىٰ ، الكبرىٰ منها سدوم . قال : وبلغنا أن إبراهيم ، عليه السلام ، كان يشرف علىٰ سدوم ويقول : سدوم ، يوم ما لَكِ .

وفي رواية عن قتادة وغيره بلغنا أن جبريل ، عليه السلام ، لما أصبح نشر جناحه ، فانتسف به أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع ما فيها ، فضمها في جناحه فحواها وطواها في جوف جناحه ، ثم صعد بها إلىٰ السماء الدنيا ، حتىٰ سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب ، وكانوا أربعة آلاف ألف ، ثم قلبها فأرسلها إلىٰ الأرض منكوسة ، ودمدم بعضها علىٰ بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعها حجارة من سجيل .

وقال محمد بن كعب القرظي : كانت قرىٰ قوم لوط خمس قريات : سدوم ، وهي العظمىٰ ، وصعبة ، وصعوة ، وعثرة ، ودوما ، احتملها جبريل بجناحه ، ثم صعد بها حتىٰ أن أهل السماء الدنيا ليسمعون نابحة كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفأها علىٰ وجهها ، ثم أتبعها اللّه بالحجارة ، يقول اللّه تعالىٰ : ﴿ **جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل** ﴾ فأهلكها اللّه وما حولها من المؤتفكات .

وقال السدّي : لما أصبح قوم لوط نزل جبريل فاقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتىٰ بلغ بها السماء ، حتىٰ سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم وأصوات ديوكهم ، ثم قلبها فقتلهم ، فذلك قوله : ﴿ **والمؤتفكة أهوى** ﴾ ومن لم يمت حين سقط للأرض ، أمطر اللّه عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذًا في الأرض يتبعهم في القرىٰ ، فكان الرجل يتحدّث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ **وأمطرنا عليهم** ﴾ أي : في القرىٰ حجارة من سجيل . هكذا قال السدي .

وقوله : ﴿ **وما هي من الظالمين ببعيد** ﴾ أي : وما هذه النقمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد عنه .

(*) جمع ضاغية : وهي الصائحة .

وقد ورد في الحديث المروي في السنن عن ابن عباس مرفوعًا(٦٧) : « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به** » .

وذهب الإمام الشافعي في قول عنه ، وجماعة من العلماء : إلىٰ أن اللائط يقتل ، سواء كان محصنًا أو غير محصن ، عملًا بهذا الحديث .

وذهب الإمام أبو حنيفة إلىٰ أنه يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة ، كما فعل اللّٰه بقوم لوط ، واللّٰه سبحانه وتعالىٰ أعلم بالصواب .

۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾

يقول تعالىٰ : ولقد أرسلنا إلىٰ مدين ، وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريبًا من بلاد معان في بلدٍ يعرف بهم ، يقال لها مدين ، فأرسل اللّٰه إليهم شعيبًا وكان من أشرفهم نسبًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **أخاهم شعيبًا** ﴾ يأمرهم بعبادة اللّٰه تعالىٰ وحده لا شريك له ، وينهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان ﴿ **إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط** ﴾ أي : في معيشتكم ورزقكم ، وإني أخاف أن تسلبوا ما أنتم فيه بانتهاككم محارم اللّٰه ﴿ **وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط** ﴾ أي : في الدار الآخرة .

وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾

ينهاهم أولًا عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس ، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين ، ونهاهم عن العيث في الأرض بالفساد وقد كانوا يقطعون الطريق .

وقوله : ﴿ **بقية اللّٰه خير لكم** ﴾ قال ابن عباس(٦٨) : رزق اللّٰه خير لكم .

---

(٦٧) - **صحيح** ، تقدم تخريجه [سورة الأعراف / آية ٨٤] .

(٦٨) - **إسناده فيه جهالة** ، أخرجه ابن جرير (١٠١/١٢) .

وقال الحسن : رزق الله خير لكم من بخسكم الناس .

وقال الربيع بن أنس : وصية الله خير لكم .

وقال مجاهد : طاعة الله ، وقال قتادة حظكم من الله خير لكم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الهلاك في العذاب والبقية في الرحمة .

وقال أبو جعفر بن جرير(٦٩) : ﴿ **بقية الله خير لكم** ﴾ أي : ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس ، وقال : وقد روي هذا عن ابن عباس .

قلت : ويشبه قوله تعالىٰ : ﴿ **قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **وما أنا عليكم بحفيظ** ﴾ أي : برقيب ولا حفيظ ، أي : افعلوا ذلك لله عز وجل ، لا تفعلوه ليراكم الناس ، بل لله عز وجل .

قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

يقولون له علىٰ سبيل التهكم - قبحهم الله - : ﴿ **أصلاتك** ﴾ قال الأعمش : أي : قرآنك ﴿ **يأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا** ﴾ أي : الأوثان والأصنام ﴿ **أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء** ﴾ فنترك التطفيف عن[١] قولك ، وهي أموالنا نفعل فيها ما نريد .

[قال الحسن في قوله : ﴿ **أصلوٰتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا** ﴾ أي : والله إن صلاته لتأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم][٢] .

وقال الثوري في قوله : ﴿ **أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء** ﴾ يعنون الزكاة .

[وقولهم] ﴿ **إنك لأنت الحليم الرشيد** ﴾ قال ابن عباس وميمون بن مهران وابن جريج وابن أسلم وابن جرير : يقولون ذلك أعداء الله علىٰ سبيل الاستهزاء ، قبحهم الله

(٦٩) - تفسير ابن جرير (١٢/١٠٠) وقال : « وهذا قول روي عن ابن عباس بإسناد غير مرتضى عند أهل النقل » ولم يذكر الإسناد .

[١] - في ز : « على » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

ولعنهم عن رحمته وقد فعل .

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾

يقول لهم : ﴿ **أرأيتم** ﴾ يا قوم ﴿ **إن كنت علىٰ بينة من ربي** ﴾ أي : علىٰ بصيرة فيما أدعو إليه ﴿ **ورزقني منه رزقًا حسنًا** ﴾ قيل : أراد النبوة ، وقيل : أراد الرزق الحلال ، ويحتمل الأمرين .

[وقال الثوري][١] : ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه** ﴾ أي : لا أنهاكم عن شيء[٢] وأخالف أنا في السر فأفعله خفية عنكم ، كما قال قتادة في قوله : ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه** ﴾ يقول : لم أكن لأنهاكم[٣] عن أمر وأرتكبه[٤] ﴿ **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت** ﴾ أي : فيما آمركم وأنهاكم ، إنما مرادي[٥] إصلاحكم جهدي وطاقتي ﴿ **وما توفيقي** ﴾ أي : في إصابة الحق فيما أريده ﴿ **إلا بالله عليه توكلت** ﴾ في جميع أموري ﴿ **وإليه أنيب** ﴾ أي : أرجع ؛ قاله مجاهد وغيره .

قال الإمام أحمد(٧٠) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا أبو قزعة سويد بن حُجَير الباهلي ، عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه أن أخاه مالكًا قال : يا معاوية ، إن محمدًا أخذ جيراني ، فانطلق إليه فإنه قد عرفك وكلمك . فانطلقت معه فقال : دع لي جيراني فقد[٦] كانوا أسلموا . فأعرض عنه ، فقام متمعطًا[٧] فقال : أما والله لئن فعلت ، إن الناس يزعمون أنك تأمر[٨] بالأمر وتخالف إلىٰ غيره . وجعلت أجرّه وهو يتكلم ، فقال رسول الله : « **ما تقول ؟** » فقال : إنك والله لئن فعلت ذلك[٩] إن الناس ليزعمون أنك لتأمر

---

(٧٠) - **حسن** ، « المسند » (٢٠٠٦٨) (٤٤٧/٤) وإسناده رجاله ثقات إلا حكيم بن معاوية فلم يوثقه غير ابن حبان (١٦١/٤) ، لكن للحديث طريق آخر - وهو الآتي .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٢] - في ت : « الشيء » .

[٣] - في ت : « أنهاكم » .

[٤] - في ز : « وأركبه » .

[٥] - في ت : « أريد » .

(*) أي : متسخطًا متغضبًا . النهاية [٤/ ٣٤٣] .

[٦] - في المسند : « فإنهم قد » .

[٧] - غير واضحة في « ز » .

[٨] - في خ : « لتأمرنا » ، والمثبت من : ز .

[٩] - سقط من : ز .

بالأمر وتخالف إلىٰ غيره . قال : فقال : « **أو قد قالوها ؟– أو**[١] : **قائلهم – ولئن فعلت ذاك ما ذاك إلا علي ، وما عليهم من**[٢] **ذلك من شيء ، أرسلوا له جيرانه** » .

وقال أحمد أيضًا(٧١) : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : أخذ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ناسًا من قومي في تهمة فحبسهم ، فجاء رجل من قومي إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو يخطب ، فقال : يا محمد ، علام تحبس جيرتي[٣] ؟ فصمت رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : إن ناسًا ليقولون إنك تنهى عن الشيء[٤] وتستخلي به . فقال النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما يقول ؟** » قال : فجعلت أُعَرِّضُ بينهما بالكلام[٥] ، مخافة أن يسمعها فيدعو علىٰ قومي دعوة لا يفلحون بعدها أبدًا ، فلم يزل رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، به[٦] حتىٰ فهمها ، فقال : « [أو][٧] **قد قالوها ؟** » – أو « **قائلها منهم – واللَّه لو فعلت لكان عليَّ وما كان عليهم ، خلوا له**[٨] **عن جيرانه** » .

ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٧٢) حدثنا أبو عامر ، ثنا سليمان بن بلال ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الملك بن سعيد بن سويد الأنصاري قال : سمعت أبا حميد وأبا أسيد يقولان قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب – فأنا أولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم**[٩] ،

(٧١) – **كسابقه** ، « المسند » (٥/٢) وهو عند عبد الرزاق في « المصنف » (١٠/١٨٨٩١) ومن طريقه أيضًا أخرجه أبو داود ، كتاب : الأقضية ، باب : في الحبس في الدين وغيره (٣٦٣٠) مختصرًا جدًّا ، والطبراني في « الكبير » (١٩/٩٩٦) ، وأخرجه أحمد (٢٠٠٦٧، ٢٠٠٩٠) (٥/٢ ، ٤) ، وأبو داود (٣٦٣١) ، والترمذي ، كتاب : الديات، باب : ما جاء في الحبس في التهمة (١٤١٧) ، والنسائي ، كتاب : قطع السارق ، باب : امتحان السارق بالضرب والحبس (٨/٦٦ ، ٦٧) ، والطبراني (١٩/٩٩٨) من طريق بهز ابن حكيم به مختصرًا ومطولاً ، وقال الترمذي : « حديث حسن » .

(٧٢) – **صحيح** ، « المسند » (١٦١٠٦) (٣/٤٩٧) ، (٢٣٧١٦) (٥/٤٢٥) ، وأخرجه البزار (١/١٨٧ – كشف) ، وابن سعد في « الطبقات » (١/٢٩٥) من طريق سليمان بن بلال ، به ، وصححه ابن حبان (١/٦٣) ، والألباني « الصحيحة » (٢/٧٣٢) . وتقدم عند المصنف (الأعراف/ آية ١٥٧) .

[١] – في ت : « أي » .
[٢] – سقط من : ز .
[٣] – في خ : « جيراني » ، والمثبت من ز .
[٤] – في المسند : « الشر » .
[٥] – في خ : « كلامًا » ، والمثبت من ز .
[٦] – سقط من : ز .
[٧] – ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٨] – زيادة من : ز .
[٩] – سقط من : ز .

وترون أنه منكم بعيد[١] **- فأنا أبعدكم منه »** .

[وهذا][٢] إسناده صحيح . و[٣] قد أخرج مسلم(٧٣) بهذا السند حديثَ : « **إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم ، افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك** » .

ومعناه - والله أعلم - : مهما بلغكم عني من خير فأنا أولاكم به ، ومهما يكن من مكروه فأنا أبعدكم منه ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه** ﴾ .

وقال قتادة(٧٤) ، عن عَزْرَة[٤] ، عن الحسن العرني[٥] ، عن يحيىٰ بن الجزار ، عن مسروق أن[٦] : [امرأة جاءت] إلىٰ[٧] ابن مسعود فقالت : أتنهىٰ عن الواصلة ؟ قال : نعم ، فقالت المرأة : فلعله في بعض نسائك . فقال ما حفظت إذًا وصية العبد الصالح ﴿ **وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه** ﴾ .

وقال عثمان بن أبي شيبة(٧٥) : حدثنا جرير ، عن أبي سليمان الضبي[٨] ، قال : كانت تجيئنا كتب عمر بن عبد العزيز فيها الأمر والنهي ، فيكتب في آخرها : وما كنت من ذلك

---

(٧٣) - صحيح مسلم ، كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : ما يقول إذا دخل المسجد (٦٨) (٧١٣) ، وأخرجه أبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (٤٦٥) ، والنسائي ، كتاب : المساجد ، باب : القول عند دخول المسجد وعند الخروج منه (٥٣/٢) ، وابن ماجة ، كتاب : المساجد والجماعات، باب : الدعاء عند دخول المسجد (٧٧٢) ، وأحمد (٤٩٧/٣) ، (٤٢٥/٥) من حديث أبي حميد أو أبي أسيد ، ورواية ابن ماجه من حديث أبي حميد فحسب .

(٧٤) - **إسناده حسن** ، أخرجه ابن أبي حاتم (١١٤٥/٦) ثنا يحيى بن أبي طالب ، ثنا عبد الوهاب بن عطاء ، ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به ، وأخرجه أحمد (٤١٥/١) ، والنسائي (١٤٦/٨) من طريق قتادة بهذا الإسناد مطولاً ، وليس عند النسائي الجزء الذي أورده المصنف هنا ، وأصل الحديث عند البخاري (٤٨٨٦) ، ومسلم (٢١٢٥) وغيرهما .

(٧٥) - علقه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٤٧/٦) ذكر عن عثمان بن أبي شيبة ، به .

---

[١] - في ز : « بعيدًا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز ، خ : « عزوة » ، والمثبت من ابن أبي حاتم .
[٥] - في ز : « البصري » .
[٦] - في خ : « قال » .
[٧] - سقط من : ز .

[٨] - في خ ، ز : « العتبي » . والمثبت من تفسير ابن ابي حاتم . ولم أهتد لترجمة أبي سليمان هذا .

إلا كما قال العبد الصالح : ﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ .

﴿ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

يقول لهم : ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ﴾ أي : لا[١] تحملنكم عداوتي وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد ، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط من النقمة والعذاب ، وقال قتادة : ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ﴾ يقول : لا يحملنكم فراقي - وقال السدي : عداوتي - على أن تتمادوا في الضلال والكفر فيصيبكم من العذاب ما أصابهم .

وقال ابن أبي حاتم(٧٦) : ثنا [محمد][٢] بن عوف الحمصي ، ثنا أبو المغيرة عبد القدوس ابن الحجاج ، ثنا ابن أبي[٣] غنية ، حدثني عبد الملك بن أبي سليمان ، عن أبي ليلى الكندي قال : كنت مع مولاي أمسك دابته وقد أحاط الناس بعثمان بن عفان ، إذ أشرف علينا من داره فقال : ﴿ يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ﴾ يا قوم ، لا تقتلوني ، إنكم إن تقتلوني[٤] كنتم هكذا . وشبك بين أصابعه .

وقوله : ﴿ وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾ [قيل : المراد في الزمان ، قال قتادة][٥] : يعني إنما هلكوا بين أيديكم بالأمس ، وقيل : في المكان ، ويحتمل الأمران ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه ﴾ [أي : استغفروه][٦] من سالف الذنوب ﴿ ثم توبوا إليه ﴾ فيما تستقبلونه من الأعمال السيئة ، وقوله : ﴿ إن ربي رحيم ودود ﴾ أي : لمن تاب وأناب .

﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ

(٧٦) - **إسناده حسن** ، « التفسير » لابن أبي حاتم (١١١٥٤/٦) ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٩٢٦/٣) إلى ابن أبي شيبة .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ : « قتلتموني » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - زيادة من : ز .

لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾

يقولون ﴿ **يا شعيب ما نفقه** [**كثيرًا مما تقول** ﴾ أي :] ما نفهم كثيرًا من قولك وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب . ﴿ **وإنا لنراك فينا ضعيفًا** ﴾ .

قال سعيد بن جبير والثوري : وكان ضرير البصر . و[١] قال الثوري : كان[٢] يقال له خطيب الأنبياء .

[قال السدي : ﴿ **وإنا لنراك فينا ضعيفًا** ﴾ قال : أنت واحد .

وقال أبو روق : يعنون ذليلًا ؛ لأن عشيرتك ليسوا على دينك][٣] .

﴿ **ولولا رهطك لرجمناك** ﴾ أي : قومك وعشيرتك ، لولا عزة قومك[٤] علينا لرجمناك ، قيل : بالحجارة ، وقيل : لسببناك ﴿ **وما أنت علينا بعزيز** ﴾ أي : ليس لك عندنا معزة .

﴿ **قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله** ﴾ يقول : أتتركوني لأجل قومي ، ولا تتركوني إعظامًا لجناب [الرب تبارك وتعالى][٥] أن تنالوا نبيه بمساءة ، وقد اتخذتم جانب الله ﴿ **وراءكم ظهريًا** ﴾ أي : نبذتموه خلفكم لا تطيعونه ولا تعظمونه[٦] ﴿ **إن ربي بما تعملون محيط** ﴾ أي : هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم بها .

وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « وكان » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في ت : « معزتهم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « الله » .

[٦] - في ز : « تعطونه » .

بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

لما يئس نبي اللَّه شعيب من [استجابة قومه][١] له قال : ﴿ يا قوم اعملوا علىٰ مكانتكم ﴾ أي : على طريقتكم ، وهذا تهديد ووعيد شديد ﴿ إني عامل ﴾ علىٰ طريقتي ومنهجي **فـ** ﴿ **سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه** ﴾ أي : في الدار الآخرة ﴿ **ومن هو كاذب** ﴾ أي : مني ومنكم ﴿ **وارتقبوا** ﴾ أي : انتظروا ﴿ **إني معكم رقيب** ﴾ .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولما جاء أمرنا نجينا شعيبًا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة** ﴾ [وهم قومه][٢] ﴿ **فأصبحوا في ديارهم جاثمين** ﴾ [وقوله : ﴿ **جاثمين** ﴾][٣] أي : هامدين لا حراك بهم ، وذكر هٰهنا أنه أتتهم صيحة ، وفي الأعراف : رجفة ، وفي الشعراء : عذاب يوم الظلة ، وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها ، وإنما ذكر [في][٤] كل سياق ما يناسبه ؛ ففي الأعراف لما قالوا : ﴿ **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا** ﴾ ناسب أن يذكر هناك[٥] الرجفة ، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها ، وهٰهنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم علىٰ نبيهم [ناسب][٦] ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخمدتهم ، وفي الشعراء لما قالوا : ﴿ **فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ قال : ﴿ **فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة ، وللَّه الحمد والمنة كثيرًا دائمًا .

وقوله : ﴿ **كأن لم يغنوا فيها** ﴾ أي : يعيشوا في دارهم قبل ذلك ﴿ **ألا بعدًا لمدين كما بعدت ثمود** ﴾ وكانوا جيرانهم قريبًا منهم في الدار ، وشبيهًا بهم في الكفر وقطع الطريق ، وكانوا عربًا شبههم[٧] .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ

[١] - في خ : « استجابتهم » .
[٢] - زيادة من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - في ز : « هنا » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٧] - في خ : « مثلهم » .

﴿ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴾ (٩٩)

يقول تعالىٰ : مخبرًا عن إرساله[١] موسىٰ ، عليه السلام ، بآياته وبيناته وحججه ودلالاته الباهرة القاطعة ، إلىٰ [فرعون ، لعنه اللَّه ، وهو ملك ديار مصر على أمة][٢] القبط وملئه ﴿ **فاتبعوا أمر فرعون** ﴾ أي : مسلكه ومنهجه وطريقته في الغي [والضلال][٣] ﴿ **وما أمر فرعون برشيد** ﴾ أي : ليس فيه رشد ولا هدىٰ ، وإنما هو جهل وضلال وكفر وعناد ، وكما أنهم اتبعوه في الدنيا وكان مقدمهم ورئيسهم ، كذلك هو يقدمهم يوم القيامة إلىٰ نار جهنم فأوردهم إياها ، وشربوا من حياض رداها ، وله في ذلك الحظ الأوفر من العذاب الأكبر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فعصىٰ فرعون الرسول فأخذناه أخذًا وبيلًا** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **فكذب وعصىٰ * ثم أدبر يسعىٰ * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلىٰ * فأخذه اللَّه نكال الآخرة والأولىٰ * إن في ذلك لعبرة لمن يخشى** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود** ﴾ وكذلك شأن المتبوعين يكونون موفرين في العذاب يوم الميعاد ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون** ﴾ ، وقال تعالىٰ إخبارًا عن الكفرة أنهم يقولون في النار : ﴿ **ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا** ﴾ ، وقال الإمام أحمد(٧٧) : حدثنا هشيم ، حدثنا [أبو الجهم][٤] ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال[٥] : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **امرؤ القيس حامل لواء شعراء الجاهلية إلىٰ النار** » .

---

(٧٧) - **إسناده ضعيف جدًّا** ، (٧١٢٧/شاكر) (٢٢٨/٢) ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢٠٠/١) ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (١٤٠٤/٤) و(٢٥٩٨/٧ ، ٢٧٥٥) ، والبزار (٢/ ٢٠٩١) ، وابن حبان في « المجروحين » (١٥٠/٣) وابن الجوزي في « العلل » من طرق عن هشيم ، به .

وقال ابن عدي : « هذا منكر بهذا الإسناد » ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٢٢/٨) وقال : رواه أحمد والبزار ، وفي إسناده أبو الجهيم شيخ هشيم بن بشير ولم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » . قلت : قال أبو زرعة في أبي الجهيم هذا : « واهٍ » وقال ابن عدي « شيخ مجهول لا يعرف له اسم » .

وللحديث طريق آخر عند الخطيب في « التاريخ » (٣٧٠/٩) ، وابن الجوزي (٢٠١/١) وفي إسناده أبو هفان الشاعر ، قال ابن الجوزي : « لا يُعَوَّل عليه » والحديث أورده الألباني في « ضعيف الجامع الصغير » وانظر تعليق العلامة أحمد شاكر في «المسند» .

---

[١] - في خ : « إرسال » .

[٢] - في خ : « فرعون ملك » .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - ما بين المعكوفتين في المسند : « أبو الجهيم » ، وكلاهما صواب .

[٥] - سقط من : ز .

وقوله : ﴿ **وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود** ﴾ ، أي : أتبعناهم زيادة علىٰ [ما جازيناهم من][١] عذاب النار لعنة في الدنيا ﴿ **ويوم القيامة بئس الرفد المرفود** ﴾ .

قال مجاهد : زيدوا لعنة يوم القيامة ؛ فتلك لعنتان .

وقال علي بن أبي طلحة(٧٨) ، عن ابن عباس ﴿ **بئس الرفد المرفود** ﴾ قال : لعنة الدنيا والآخرة . وكذا قال الضحاك وقتادة ، [وهكذا قوله تعالى][٢] : ﴿ **وجعلناهم أئمة يدعون إلىٰ النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ .

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾

لما ذكر تعالىٰ خبر هؤلاء الأنبياء ، وما جرىٰ لهم مع أممهم ، وكيف أهلك الكافرين ونجىٰ المؤمنين ، قال : ﴿ **ذلك من أنباء القرى** ﴾ أي : [من أخبارها][٣] ﴿ **نقصه عليك منها قائم** ﴾ أي : عامر ﴿ **وحصيد** ﴾ أي : هالك داثر ﴿ **وما ظلمناهم** ﴾ أي : إذ أهلكناهم ﴿ **ولكن ظلموا أنفسهم** ﴾ بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بهم ﴿ **فما أغنت عنهم آلهتهم** ﴾ [أي أصنامهم و][٤] أوثانهم التي [كانوا][٥] يعبدونها ويدعونها ﴿ **من دون الله من شيء** ﴾ أي : ما نفعوهم ولا أنقذوهم لما جاء أمر الله بإهلاكهم ﴿ **وما زادوهم غير تتبيب** ﴾ . قال مجاهد وقتادة وغيرهما : أي : غير تخسير . وذلك أن سبب هلاكهم ودمارهم إنما كان[٦] باتباعهم تلك الآلهة وعبادتهم إياها ، فبهذا[٧] أصابهم ما أصابهم

---

(٧٨) - أخرجه ابن جرير (١١١/١٢) ، وابن أبي حاتم (١١١٩٨/٦) ، وابن المنذر كما في « الدر المنثور » (٦٣١/٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفين سقط من : ح .
[٢] - في خ : « وهو كقوله » .
[٣] - في خ : « أخبارهم » .
[٤] - ما بين المعكوفين سقط من : ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٦] - في ز : « كانوا » .
[٧] - في خ : « فلهذا » .

وخسروا [بهم][١] في الدنيا والآخرة .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾

يقول تعالىٰ : وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا ، كذلك نفعل بنظائرهم وأشباههم[٢] وأمثالهم ﴿ **إن أخذه أليم شديد** ﴾ ، وفي الصحيحين(٧٩) : عن أبي موسىٰ الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته** » . ثم قرأ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) ﴾

يقول تعالىٰ : إن في إهلاكنا الكافرين ونصرة الأنبياء وإنجائنا المؤمنين ﴿ **لآية** ﴾ أي : عظة[٣] واعتبارًا علىٰ صدق موعودنا في [الدار][٤] الآخرة ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فأوحىٰ إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس** ﴾ أي: أولهم وآخرهم فلا يبقىٰ منهم أحد ، كقوله : ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا** ﴾ .

﴿ **وذلك يوم مشهود** ﴾ أي : يوم عظيم تحضره الملائكة كلهم ، ويجتمع فيه الرسل جميعهم ، وتحشر فيه الخلائق بأسرهم ؛ من الإنس والجن ، والطير والوحوش والدواب ، ويحكم فيهم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها .

وقوله : ﴿ **وما نؤخره إلا لأجل معدود** ﴾ أي : ما نؤخر إقامة القيامة إلا أنه قد سبقت كلمة الله وقضاؤه وقدره في وجود أناس معدودين من ذرية آدم ، وضرب مدة معينة إذا

(٧٩) - تقدم برقم (٤٠) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٢] - في خ : « وبأشباههم » .
[٣] - في ز : « عظمة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

انقضت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم من ذرية [آدم أقام الله][١] الساعة ، ولهذا قال : ﴿ **وما نؤخره إلا لأجل معدود** ﴾ أي : لمدة مؤقتة لا يزاد عليها ولا ينقص[٢] منها ﴿ **يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه** ﴾ أي[٣] : يوم يأتي [هذا اليوم وهو][٤] يوم القيامة لا يتكلم أحد [يومئذ][٥] إلا بإذن الله ، كقوله : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفًّا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسًا** ﴾ . وفي الصحيحين عن رسول الله في[٦] حديث الشفاعة(٨٠) [الطويل][٧] : « **ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم !** » .

وقوله : ﴿ **فمنهم شقي وسعيد** ﴾ أي : فمن أهل الجمع شقي ومنهم سعيد ، كما قال : ﴿ **فريق في الجنة وفريق في السعير** ﴾ .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ في مسنده(٨١) : ثنا موسىٰ بن حيان ، ثنا عبد الملك بن عمرو ، ثنا سليمان بن سفيان ، ثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن عمر قال : لما نزلت ﴿ **فمنهم شقي وسعيد** ﴾ سألت النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقلت[٨] : يا رسول الله : علام[٩] نعمل ؟ علىٰ شيء قد فرغ منه ، أم علىٰ شيء لم يفرغ منه ؟ فقال[١٠] « **على**

---

(٨٠) - **صحيح** ، تقدم هنا برقم (٢٦) وانظر ما يأتي [سورة الإسراء / آية ٧٩] .

(٨١) - **إسناده ضعيف ، وهو حديث صحيح** ، لم أقف عليه في المطبوع من مسند أبي يعلى ، وسليمان بن سفيان المدني « ضعيف » كما في « التقريب » ، ومن طريقه أخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة هود (٣١١٠) ، وعبد بن حميد في « المنتخب » (٢٠) وابن أبي عاصم في « السنة » (١٧٠/١) ، والبزار في مسنده (١٦٨/١) ، وابن جرير في تفسيره (١١٧/١٢) ، وابن أبي حاتم (٦/ ١١٢٢١)، وابن عدي في « الكامل » (١١٢١/٣) ، وحسنه الترمذي ، وهو كذلك لشواهده - إن لم يكن صحيحًا - فقد أخرجه أحمد (٢٩/١ ، ٥٢/٢، ٧٧) ، وابن أبي عاصم (١٦٣) ، والبزار (١٢١) ، وأبو يعلى (٥٤٦٣/٩ ، ٥٥٧١) ، والطيالسي (ص٤) ، والآجري في « الشريعة » (٣٦٤/١) من طريق عاصم بن عبيد الله عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن عمر به نحوه ، لكن عاصم بن عبيد الله - وهو العدوي المدني - « ضعيف » وللحديث طريق آخر أخرجه ابن أبي عاصم (١٦٥) ، والآجري (١/ ٣٦٣) ، والبزار (٢١٣٧/٣ - كشف) ، وصححه ابن حبان (١٠٨/١) ، وإسناده حسن ، وللحديث شواهد كثيرة انظرها في « السنة » لابن أبي عاصم بتحقيق أبي عبد الرحمن الألباني .

---

[١] - في خ : « قامت » .
[٢] - في خ : « ينتقص » .
[٣] - في ز : « يقول » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٦] - في خ : « من » .
[٧] - ما بين المعكوفتين زيادة من : ز .
[٨] - في ز : « قلت » .
[٩] - في ز : « ما » .
[١٠] - في ز : « قال » .

شيء قد فرغ منه يا عمر وجرت به الأقلام ، ولكن كل ميسر لما خلق له » .

ثم بين تعالىٰ حال الأشقياء وحال السعداء فقال .

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾

يقول تعالىٰ ﴿**لهم فيها زفير وشهيق**﴾ قال ابن عباس : الزفير في الحلق ، والشهيق في الصدر . أي : تنفسهم زفير وأخذهم النفس شهيق ، لما هم[١] فيه من العذاب ، عياذًا بالله من ذلك .

﴿ **خالدين فيها ما دامت السموات والأرض** ﴾ قال الإمام أبو جعفر بن جرير : من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشيء بالدوام أبدًا قالت : هذا دائم دوام السموات والأرض ، وكذلك يقولون : هو باق ما اختلف الليل والنهار ، وما سمر ابنا سمير ، وما لألأت العُفْرُ بأذنابها ، يعنون بذلك كلمة أبدًا ، فخاطبهم جل ثناؤه بما يتعارفونه بينهم فقال : ﴿ **خالدين فيها ما دامت السموات والأرض** ﴾ .

قلت ويحتمل أن المراد بـ « **ما دامت السموات والأرض** » الجنس ؛ لأنه لابد في عالم الآخرة من سمٰوات وأرض ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ ؛ ولهذا قال الحسن البصري في قوله : ﴿ **ما دامت السموات والأرض** ﴾ قال : تبدل سماء غير هذه السماء ، وأرض غير هذه الأرض ، فما دامت تلك السماء وتلك الأرض . وقال ابن أبي حاتم(٨٢) : ذكر عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **ما دامت السموات والأرض** ﴾ قال : لكل جنة سماء وأرض .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما دامت الأرض أرضًا والسماء سماء .

وقوله : ﴿ **إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد** ﴾ ، كقوله : ﴿ **النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إنَّ ربك حكيم عليم** ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء علىٰ أقوال كثيرة ، حكاها الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه « زاد المسير » ، وغيره من علماء التفسير ، ونقل كثيرًا منها

(٨٢) - **إسناده فيه انقطاع** ، تفسير ابن أبي حاتم (٦/١١٢٢٩) .

[١] - في ز : « لهم » .

الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في كتابه ، واختار هو ما نقله عن خالد بن معدان والضحاك وقتادة وأبي سنان ، ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن أيضًا : أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين ، من الملائكة والنبيين والمؤمنين ، حين يشفعون في أصحاب الكبائر ، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين ، فتخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط ، وقال يومًا من الدهر : لا إله إلا الله ، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بمضمون ذلك ؛ من حديث أنس[(٨٣)] وجابر[(٨٤)] وأبي سعيد[(٨٥)] وأبي هريرة[(٨٦)] وغيرهم من الصحابة ، ولا يبقى بعد ذلك في النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها ، وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديمًا وحديثًا في تفسير هذه الآية الكريمة .

وقد روي في تفسيرها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر ، وأبي سعيد من الصحابة ، وعن أبي مجلز والشعبي وغيرهما من التابعين ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة - أقوال غريبة ، وورد حديث غريب في معجم الطبراني الكبير[(٨٧)] : عن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي ، ولكن سنده ضعيف ، والله أعلم .

و[١] قال قتادة : الله أعلم بثنياه . وقال السدي : هي منسوخة بقوله : ﴿ **خالدين فيها أبدًا** ﴾ .

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾

يقول تعالى : ﴿ **وأمّا الذين سعدوا** ﴾ وهم أتباع الرسل ﴿ **ففي الجنة** ﴾ [أي :

(٨٣) - **صحيح** ، يأتي في [الإسراء / آية ٧٩] .

(٨٤) - تقدم تخريجه [سورة يونس / آية ٢٨] .

(٨٥) - **صحيح** ، يأتي تخريجه [سورة القيامة / آية ٢٣] .

(٨٦) - **صحيح** ، يأتي [الإسراء/ آية ٧٩] .

(٨٧) - **إسناده ضعيف جدًا** ، « المعجم الكبير » (٧٩٦٩/٨) ، ولفظه « **ليأتين على جهنم يوم كأنها زرع هاج وأحمر تخفق أبوابها** » وفي إسناده عبد الله بن مسعر وجعفر بن الزبير وكلاهما متروك ، وانظر «الضعيفة» للألباني (٦٠٦/٢ ، ٦٠٧) ، والعقيدة الطحاوية (ص ٤٢٨) .

[١] - سقط من : ز .

فمأواهم الجنة][١] ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي : ماكثين فيها أبدًا ﴿ **ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك** ﴾ معنى[٢] الاستثناء هٰهنا : أن دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس أمرًا واجبًا بذاته ، بل هو موكول إلىٰ مشيئة اللَّه تعالىٰ ، فله المنة عليهم دائما[٣] ، ولهذا « **يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس** »(٨٨) .

وقال الضحاك والحسن البصري : هي في حق عصاة[٤] الموحدين ، الذين كانوا في النار ثم أخرجوا منها ، وعقب ذلك بقوله : ﴿ **عطاء غير مجذوذ** ﴾ أي : غير مقطوع ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو العالية وغير واحد ؛ لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره المشيئة أن ثَمَّ انقطاعًا أو [لَبسًا أو شيئًا] ، بل ختم له بالدوام وعدم الانقطاع ، كما بين هناك أن عذاب أهل النار في النار دائمًا مردود إلىٰ مشيئته ، وأنه بعدله وحكمته عذبهم ، ولهذا قال : ﴿ **إن ربك فعال لما يريد** ﴾ ، كما قال : ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله : ﴿ **عطاء غير مجذوذ** ﴾ .

وقد جاء في الصحيحين(٨٩) : « **يؤتىٰ بالموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود بلا[٥] موت ، ويا أهل النار خلود بلا[٦] موت** » .

وفي الصحيح أيضًا(٩٠) : « **فيقال[٧] : يا أهل الجنة ، إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا[٨] أبدًا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا ، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا** » .

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ

---

(٨٨) - ورد ذلك في حديث صحيح تقدم [سورة يونس/ آية ١٠] .

(٨٩) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة** ﴾ (٤٧٣٠) ، ومسلم ، كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٩) ، والترمذي كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة مريم (٣١٥٥) ، والنسائي في « التفسير » (٦/ ١١٣١٦) ، وأحمد (١١٠٨٠) (٣/٩) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٩٠) - **صحيح** ، يأتي تخريجه [سورة الحجر/ آية ٤٨] .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « يعني » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - [٦] - في خ : « فلا » .
[٧] - في ز : « فقال » .
[٨] - في ز : « تموتون » .

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء** ﴾ المشركون ، إنه باطل وجهل وضلال ، فإنهم إنما يعبدون ما يعبد آباؤهم من قبل ، أي : ليس لهم مستند فيما هم فيه إلا اتباع الآباء في الجهالات ، وسيجزيهم اللّه علىٰ ذلك أتم الجزاء ، فيعذب كافرهم عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين ، وإن كان لهم حسنات فقد وفاهم اللّه إياها في الدنيا قبل الآخرة .

قال سفيان الثوري(٩١) ، عن جابر الجعفي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ﴿ **وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص** ﴾ قال : ما وعدوا فيه من خير أو شر .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لموفوهم من العذاب نصيبهم[١] غير منقوص .

ثم ذكر تعالىٰ أنه آتىٰ موسىٰ الكتاب فاختلف الناس فيه ، فمن مؤمن به ومن كافر به ، فلك بمن سلف من الأنبياء قبلك يا محمد أسوة ، [فلا يغيظنك][٢] تكذيبهم لك ، ولا يهيدنك ذلك ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم** ﴾ .

قال ابن جرير : لولا ما تقدم من تأجيله العذاب[٣] إلىٰ أجل معلوم لقضى اللّه بينهم . ويحتمل أن يكون المراد بالكلمة : أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه ، كما قال : ﴿ **وما كنا معذبين حتىٰ نبعث رسولًا** ﴾ ، فإنه قد قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزامًا وأجل مسمىٰ * فاصبر علىٰ ما يقولون** ﴾ ثم أخبر أن الكافرين في شك مما جاءهم به الرسول قويٍّ فقال : ﴿ **وإنهم لفي شك منه مريب** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ أنه سيجمع الأولين والآخرين من الأمم ، ويجزيهم بأعمالهم إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر ، فقال : ﴿ **وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون**

---

(٩١) - **إسناده ضعيف لضعف جابر الجعفي** ، أخرجه عبد الرزاق (٣١٣/٢) ، وابن جرير (١٢٢/١٢) ، وابن أبي حاتم (١١٢٤٨/٦) ، وابن المنذر وأبو الشيخ كما في « الدر المنثور » (٦٣٧/٣) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - في ز : « ولا يغيظنهم » .

[٣] - في ز : « العباد »

خبير ﴾ أي : عليم [بأعمالهم جميعًا ؛ جليلها][١] وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، وفي هذه الآية قراءات كثيرة ، يرجع[٢] معناها إلىٰ هذا الذي ذكرناه ، كما في قوله تعالىٰ ﴿ **وإن كل لما جميع لدينا محضرون** ﴾ .

فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

يأمر تعالىٰ رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة ، وذلك من أكبر العون علىٰ النصر علىٰ الأعداء ومخالفة الأضداد ، ونهىٰ عن الطغيان ، وهو البغي ، فإنه مصرعة حتىٰ ولو كان علىٰ مشرك ، وأعلم تعالىٰ أنه بصير بأعمال العباد ، لا يغفل عن شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

وقوله : ﴿ **ولا تركنوا إلىٰ الذين ظلموا** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : لا تُدْهِنُوا .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : هو الركون إلى الشرك .

وقال أبو العالية : لا ترضوا بأعمالهم .

وقال ابن جرير ، عن ابن عباس : ولا تميلوا إلىٰ الذين ظلموا .

وهذا القول حسن ، أي : لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم ﴿ **فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون** ﴾ أي : ليس لكم من دونه من ولي [ينقذكم][٣] ولا ناصر يخلصكم من عذابه .

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار** ﴾ قال : يعني الصبح والمغرب .

---

[١] - في ز : « بأعمالها جليها » .

[٢] - في ز : « ويرجع » .

[٣] - سقط من : ت .

وكذا قال الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال الحسن في رواية وقتادة والضحاك وغيرهم : هي الصبح والعصر .

وقال مجاهد : هي الصبح في أول النهار ، والظهر والعصر من آخره . وكذا قال محمد بن [كعب][١] القرظي والضحاك في رواية عنه .

[وقوله][٢] ﴿ **وزلفًا من الليل** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم : يعني صلاة العشاء .

وقال الحسن في رواية ابن المبارك عن مبارك بن فضالة عنه : ﴿ **وزلفًا من الليل** ﴾ يعني : المغرب والعشاء ، قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هما زُلْفَتَا الليل المغرب والعشاء** »(٩٢) . وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب وقتادة والضحاك إنها صلاة المغرب والعشاء .

وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء ، فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان ؛ صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها ، وفي أثناء الليل قيام عليه وعلىٰ الأمة ، ثم نسخ في حق الأمّة وثبت وجوبه عليه ، ثم نسخ عنه أيضًا في قول ، واللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ يقول : إن فعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن(٩٣) : عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال : كنت إذا سمعت من رسول اللَّه حديثًا نفعني اللَّه بما شاء أن ينفعني منه ، وإذا حدّثني عنه أحد استحلفته ، فإذا حلف لي صدقته ، وحدثني أبو بكر -

(٩٢) - **مرسل** ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٣٠ ، ١٣١) وفي إسناده - فوق الإرسال - مبارك بن فضالة وهو مدلس وقد عنعن .

(٩٣) - **حسن** ، أخرجه أحمد (١/٨ - ٩ ، ١٠) ، وأبو داود ، كتاب : الصلاة ، باب : في الاستغفار (١٥٢١) ، والترمذي ، كتاب : الصلاة ، باب : ما جاء في الصلاة عند التوبة (٤٠٦) ، كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة آل عمران (٣٠٠٩) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » (٦/١٠٢٤٧ : ١٠٢٥٠) ، وفي « التفسير » (٦/١١٠٧٨) ، وابن ماجة ، كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء في أن الصلاة كفارة (١٣٩٥) وغيرهم ، وقال الترمذي : « حديث حسن » ، وصححه ابن حبان (٢/٦٢٣) وجوَّد إسناده الحافظ ابن حجر في « التهذيب » (١/٢٣٥) ، وقال ابن عدي في « الكامل » (١/٤٢١) : « هذا الحديث طريقه حسن وأرجو أن يكون صحيحًا » . وتقدم تحسين المصنف له [آل عمران / آية ١٣٥] .

[١] - سقط من : خ . [٢] - سقط من : خ .

وصدق أبو بكر -: أنه سمع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **ما من مسلم يذنب ذنبًا ، فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له** » .

وفي الصحيحين[٩٤] عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان : أنه توضأ لهم كوضوء رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يتوضأ ، وقال : « **من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلىٰ ركعتين لا يحدّث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه** » .

ورونٰ الإمام أحمد وأبو جعفر بن جرير[٩٥] من حديث أبي عقيل زهرة بن معبد ، أنه سمع الحارث مولىٰ عثمان يقول : جلس عثمان يومًا وجلسنا معه ، فجاءه المؤذن فدعا عثمان بماء في إناء - أظنه سيكون فيه قدر مد - فتوضأ ، ثم قال : رأيت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يتوضأ وضوئي هذا ، ثم قال : « **من توضأ وضوئي هذا ، ثم قام فصلىٰ صلاة الظهر ، غفر له ما كان بينه وبين صلاة الصبح ، ثم صلىٰ العصر غفر له ما بينه وبين صلاة الظهر ، ثم صلىٰ المغرب غفر له ما بينه وبين صلاة العصر ، ثم صلىٰ العشاء غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب ، ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ، ثم إن قام فتوضأ وصلىٰ الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء ، وهنّ الحسنات يذهبن السيئات** » .

وفي الصحيح[٩٦] : عن أبي هريرة ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه قال :

---

(٩٤) - أخرجه البخاري ، كتاب : الوضوء ، باب : الوضوء ثلاثًا ثلاثًا (١٥٩) ، ومسلم ، كتاب : الطهارة، باب : صفة الوضوء وكماله (٣، ٤) (٢٢٦) ، وأخرجه أيضًا أحمد (٥٩/١، ٦٠) ، وأبو داود ، كتاب : الطهارة ، باب : صفة وضوء النبي - صلى الله عليه وسلم - (١٠٦) ، والنسائي ، كتاب : الطهارة ، باب : المضمضة والاستنشاق (٦٤/١) .

(٩٥) - **إسناده صحيح** ، أخرجه أحمد (٥١٣/ شاكر) (٧١/١) ، وابن جرير (١٣٢/١٢ - ١٣٣) ، وابن أبي حاتم (١١٢٧٢/٦) ، والبزار في مسنده (٤٠٥/٢) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٠٢/١) وقال : « في الصحيح بعضه ، رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ، ورجاله رجال الصحيح غير الحارث بن عبد الله - كذا وقال العلامة/ أحمد شاكر : خطأ من الناسخ ، وصوابه « ابن عبد أو ابن عبيد » دون لفظ الجلالة - مولى عثمان بن عفان وهو ثقة » ومن طريق أبي يعلى وأحمد ، اختاره الضياء في « المختارة » (٣٢٣/١ ، ٣٢٤) ، وصحح إسناده السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٠/٣) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه ويأتي عند « المصنف » [الكهف / آية ٤٦] .

(٩٦) - أخرجه البخاري ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : الصلوات الخمس كفارة (٥٢٨) ، ومسلم ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب : المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات (٢٨٣) (٦٦٧) ، والترمذي ، كتاب : الأمثال ، باب : مثل الصلوات الخمس (٢٨٧٢) ، والنسائي ، كتاب : الصلاة ، باب : فضل الصلوات الخمس (٢٣٠/١ - ٢٣١) ، وأحمد (٣٧٩/٢) .

« أرأيتم لو أن بباب أحدكم [نهرًا غمرًا[١]][٢] يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقىٰ من درنه شيء[٣] ؟ » قالوا : لا ، يا رسول اللّٰه . قال : **« كذلك الصلوات الخمس ، يمحو اللّٰه بهنّ الذنوب والخطايا »** .

وقال مسلم في صحيحه(٩٧) : حدثنا أبو الطاهر ، وهارون بن سعيد ، قالا : حدثنا ابن وهب ، عن أبي صخر ، أن عمر بن إسحاق مولىٰ زائدة حدثه ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كان يقول : **« الصلوات الخمس ، والجمعة إلىٰ الجمعة ، ورمضان إلىٰ رمضان ، مكفرات ما[٤] بينهنّ إذا اجتنبت الكبائر »** .

وقال الإمام أحمد(٩٨) : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عَيَّاش ، عن ضمضم ابن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، أن أبا رهم السمعي كان يحدث ، أن أبا أيوب الأنصاري حدثه ، أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كان يقول : **« إن كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة »** .

وقال أبو جعفر بن جرير(٩٩) : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ،

(٩٧) - صحيح مسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر (١٦) (٢٣٣) ، وأخرجه أحمد (٢/٤٠٠) ثنا هارون بن معروف عن ابن وهب ، به .

(٩٨) - **إسناده حسن** ، « المسند » (٢٣٦١٠) (٥/٤١٣) وهذا إسناد حسن ، ضمضم بن زرعة وثقه ابن معين وابن نمير وابن حبان ، وضعفه أبو حاتم . وإسماعيل بن عياش إنما يتقى من حديثه ما رواه عن غير أهل بلده ، لكن شيخه هنا حمصي مثله ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٤/٣٨٧٩) من طريق آخر عن إسماعيل بن عياش به ، وأخرجه الطبراني أيضًا (٤/٣٨٨٠ ، ٣٨٨١) ، وابن عدي في « الكامل » (٢/ ٨٠٢) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/١٩٠) ، وتمام في فوائده (١/٢٣٤ ، ٢٣٥) من طريقين عن مكحول عن أبي رُهم به ، وإسناده إلى مكحول حسن .

والحديث ذكره الهيثمي في « المجمع » (١/٣٠٣) وعزاه لأحمد فقط ، وقال : «إسناده حسن» ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٦٤٠) إلى ابن مردويه .

(٩٩) - **إسناده ضعيف لانقطاعه** ، تفسير ابن جرير (١٢/١٣٣) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٣/ ٣٤٦٠) ثنا هاشم بن مرثد ، ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١/٣٠٤) وقال : « رواه الطبراني في « الكبير » وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال أبو حاتم : لم يسمع من أبيه شيئًا ، قلت : وهنا من روايته عن أبيه ، وبقية رجاله موثقون » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٦٤٠) إلى ابن مردويه .

[١] - هذه اللفظة ليست في البخاري وهي عند أحمد (٢/٤٢٦) من حديث أبي هريرة ، وعند مسلم (٢٨٤) (٦٦٨) من حديث جابر بن عبد اللّٰه . [٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « نهر غمر » .

[٣] - في ز : « شيئًا » . [٤] - في خ : « لما » .

حدثنا أبي ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **جعلت الصلوات كفارات ما[١] بينهن ، فإن اللَّه قال ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾** .

وقال البخاري(١٠٠) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، ثنا يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن ابن مسعود : أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة ، فأتىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأخبره ، فأنزل اللَّه : **﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾** فقال الرجل : [يا رسول اللَّه ، ألي هذا] ؟ قال : « **لجميع أمتي كلهم** » .

هكذا رواه في كتاب الصلاة ، وأخرجه في التفسير : عن مسدد ، عن يزيد بن زريع بنحوه ، ورواه مسلم وأحمد وأهل السنن إلا أبا داود : من طرق ، عن أبي عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن مل[٢] ، به .

ورواه[٣] الإمام أحمد ومسلم [وأبو داود][٤] والترمذي والنسائي وابن جرير - وهذا لفظه(١٠١) - : من طرق ، عن سماك بن حرب ، أنه سمع إبراهيم بن يزيد يحدّث ، عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود قال : « جاء رجل إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللَّه ، إني وجدت امرأة في بستان ، ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها ، قبلتها ولزمتها ولم أفعل غير ذلك ، فافعل بي ما شئت . فلم يقل رسول اللَّه ،

(١٠٠) - صحيح البخاري ، كتاب : مواقيت الصلاة ، باب : الصلاة كفارة (٥٢٦) ، كتاب : التفسير ، باب : **﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل .... ﴾** (٤٦٨٧) ، وأخرجه مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : قوله تعالى : **﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾** (٣٩ ، ٤٠ ، ٤١) (٢٧٦٣) ، وأحمد (١/٣٨٥ ، ٤٣٠) ، والترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : « ومن سورة هود » (٣١١٢) ، والنسائي في « الكبرى » (١/٣٢٦) (٤/٧٣٢٦) (٦/١١٢٤٧) ، وابن ماجة ، كتاب : إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما جاء في أن الصلاة كفارة (١٣٩٨) ، كتاب : الزهد ، باب : ذكر التوبة (٤٢٥٤) .

(١٠١) - **صحيح** ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٣٤) ، وأخرجه أحمد (١/٤٤٥ ، ٤٤٩) ، ومسلم ، كتاب : التوبة ، باب : قوله تعالى : **﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾** (٤٢) (٢٧٦٣) ، وأبو داود ، كتاب : الحدود ، باب : في الرجل يصيب من المرأة دون الجماع فيتوب قبل أن يأخذه الإمام (٤٤٦٨)، والترمذي كتاب : تفسير القرآن، باب : ومن سورة هود (٣١١١) ، والنسائي في « الكبرى » (٦/٧٣٢٣) ولم يسموا الذي سأل النبي - صلى الله عليه سلم - إلا أحمد فوقع عنده أنه عمر .

[١] - في خ : « لما » .
[٢] - في ز : « علّ » .
[٣] - في ز : « وروى » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، شيئًا ، فذهب الرجل ، فقال عمر : لقد ستر اللَّه عليه لوستر علىٰ نفسه . فأتبعه رسول اللَّه بصره ، [ثم قال][١] : « **ردوه علي** » . فردوه عليه ، فقرأ عليه : ﴿ **أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين** ﴾ . فقال معاذ - وفي رواية عمر :- يا رسول اللَّه ، أله وحده أم[٢] للناس كافة ؟ فقال : « **بل للناس كافة** » .

وقال الإمام أحمد(١٠٢) : حدثنا محمد بن عبيد ، ثنا أبان بن إسحاق ، عن الصباح بن محمد ، عن مرة الهمداني ، عن عبد اللَّه بن مسعود قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن اللَّه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين[٣] إلا من أحب ، فمن أعطاه اللَّه الدين فقد أحبه ، والذي نفسي بيده ، لا يسلم عبد حتىٰ يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتىٰ يأمن جاره بوائقه** » . قال : قلنا : وما بوائقه يا نبي اللَّه ؟ قال « **غُشْمُهُ وظلمه ، ولا يكسب عبد مالًا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلىٰ النار ، [إن اللَّه لا][٤] يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث** » .

وقال ابن جرير(١٠٣) : حدثنا أبو السائب ، ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم

---

(١٠٢) - **إسناده ضعيف ، وهو صحيح موقوفًا** ، « المسند » (٣٨٧/١) ومن طريقه أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٦٦/٤) ، وأخرجه محمد بن يحيى العدني في « كتاب الإيمان » (٦٤) وابن أبي الدنيا في « كتاب إصلاح المال » (٤٢) والبزار في مسنده (٢٠٢٦/٥) ، والحاكم (١٦٥/١ ، ٤٤٧/٢) ، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٢٤/٤) ، والبغوي في « شرح السنة » (٢٠٣٠/٨) من طريق أبان بن إسحاق به مطولا ومختصرا ، وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبي ، وليس كما قالا ، فإن الصباح بن محمد هذا ضعيف ، وبه أعله الحافظ ابن حجر فقال : - على « هامش المجمع » (٢٩٥/١٠) متعقبًا الهيثمي عندما قال : « رواه البزار وفيه من لم أعرفهم » - « كلهم معروف ، والآفة من الصباح » ، لكن تابعه زبيد عن مرة به مرفوعًا وموقوفًا ، أخرجه الدارقطني في « العلل » (٢٧١/٥) - ومن طريقه ابن الجوزي في « المتناهية » (١٤٠١/٢) - وأبو نعيم (١٦٥/٤ ، ١٦٦) (٣٥/٥) ، والحاكم (٣٣/١ ، ٣٤) - وعنه البيهقي (١/ ٦٠٧) - وابن المبارك في « الزهد » (١١٣٤) ، وأبو داود في « كتاب الزهد » (١٥٧) ، والطبراني في « الكبير » (٨٩٩٠/٩) ، وقال العقيلي في « الضعفاء » (٢١٣/٢) : « والموقوف أولى » ، وقال الدارقطني : « والصحيح موقوف » .

(١٠٣) - **مرسل** ، (١٣٥/١٢) وذكره الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٣٥٦/٨) من هذا الطريق ، وقال : (وأخرجه ابن أبي خيثمة لكن قال : « إن رجلًا من الأنصار يقال له معتب ») .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « فقال » .
[٢] - في ز : « ألم » .
[٣] - في ز : « الآخرة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لا يمحو » .

قال : كان[١] فلان بن معتب رجلًا من الأنصار ، فقال : يا رسول اللَّه ، دخلت علىٰ امرأة فنلت[٢] منها ما ينال الرجل من أهله ، إلا أني لم أواقعها[٣] . فلم يدر رسول اللَّه ما يجيبه حتىٰ نزلت هذه الآية : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين** ﴾ فدعاه رسول اللَّه فقرأها عليه .

وعن ابن عباس(١٠٤) : أنه عمرو بن غزية الأنصاري التَّمار ، وقال مقاتل : هو أبو[٤] نفيل عامر بن قيس الأنصاري ، وذكر الخطيب البغدادي : أنه أبو اليسر كعب بن عمرو .

وقال الإمام أحمد(١٠٥) : حدثنا يونس وعفان ، قالا : حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن علي بن زيد - قال عفان : أنبأنا علي بن زيد - عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن رجلا أتىٰ عمر قال[٥] : امرأة جاءت تبايعه فأدخلتها الدَّوْلَجَ(*) ، فأصبت منها ما دون الجماع . فقال : ويحك ! لعلها مغيبة[٦] في سبيل اللَّه ؟ قال : أجل . قال : فأت أبا بكر فسله[٧] . قال : فأتاه فسأله فقال : لعلها ! مغيبة[٨] في سبيل اللَّه ؟ فقال مثل قول عمر . ثم أتىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال له مثل ذلك ، قال : « **فلعلها مغيبة في سبيل اللَّه ؟** » ونزل القرآن : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ إلىٰ آخر الآية ، فقال : يا رسول اللَّه ، أَلِيَ خاصة أم للناس عامة ؟ فضرب - يعني عمر - صدره بيده [وقال : لا][٩] ، ولا نُعْمَة عَيْنٍ ، بل للناس عامة . فقال رسول اللَّه ، صلى الله عليه وسلم : « **صدق عمر !** » .

(١٠٤) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أخرجه الكلبي في تفسيره - كما في « الإصابة » (١٣٣/٧) - ومن طريقه ابن منده كما في « الفتح » ، والكلبي متهم بالكذب .

(١٠٥) - **إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد** ، والحديث في « المسند » (٢٤٥/١) ، وأخرجه أيضًا (١/ ٢٦٩) ، والطبراني في « الكبير » (١٢٩٣١/١٢) والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٧١٤/ زوائد) من طريق حماد بن سلمة به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٤١/٧) ، وقال : « رواه أحمد والطبراني في الكبير ... ورواه في الأوسط باختصار كثير وفي إسناد أحمد والكبير علي بن زيد وهو سيئ الحفظ ثقة ، وبقية رجاله ثقات ، وإسناد الأوسط ضعيف » . واستنكر ابن عدي في « الكامل (١٨٤٣/٥) هذا الحديث بعينه لعلي بن زيد ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٣٩/٣) إلى ابن جرير وابن مردويه .

[١] - في ابن جرير : « جاء » (١٣٥/١١)

[٢] - في ز : « فقبلت » .

[٣] - في ز : « أجامعها » .

[٤] - في ز : « ابن » .

[٥] - في خ : « فقال » .

(*) الدولج : المخدع . وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير . النهاية [٢/ ١٤١] .

[٦] - في المسند : « مُغيبٌ » .

[٧] - في ز : « مُغيبٌ » .

[٨] - في ز : « فسأله » .

[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وروىٰ الإمام أبو جعفر بن جرير(١٠٦) : من حديث قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب[١] ، عن موسىٰ بن طلحة ، عن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري قال : أتتني امرأة تبتاع مني بدرهم تمرًا ، فقلت : إن في البيت تمرًا أطيب وأجود من هذا ، فدخلت فأهويت إليها فقبلتها ، فأتيت عمر فسألته ، فقال : اتق اللّٰه واستر علىٰ نفسك ، ولا تخبرن أحدًا ، فلم أصبر حتىٰ أتيت أبا بكر فسألته ، فقال : اتق اللّٰه واستر علىٰ نفسك ، ولا تخبرن أحدًا ، قال : فلم أصبر حتىٰ أتيت النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فأخبرته فقال : « **أخلفت رجلًا غازيًا في سبيل اللّٰه في أهله بمثل هذا ؟** » حتىٰ ظننت أني من أهل النار ، حتىٰ تمنيت أني أسلمت ساعتئذ ، فأطرق رسول اللّٰه ساعة . فنزل جبريل ، فقال أين[٢] أبو اليسر ؟ فجئت ، فقرأ عليَّ [رسول اللّٰه][٣] : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين** ﴾ . فقال إنسان : يا رسول اللّٰه ، أَلَهُ خاصة أم للناس عامة ؟ قال : « **للناس عامة** » .

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني(١٠٧) : حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي ، ثنا يوسف ابن موسىٰ ، ثنا جرير ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ ، عن معاذ ابن جبل : أنه كان قاعدًا عند النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فجاءه[٤] رجل ، فقال : يا رسول اللّٰه ، ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له ، فلم يدع شيئًا يصيبه الرجل من امرأته إلا قد أصابه منها ، غير أنه لم يجامعها ؟ فقال له النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **توضأ وضوءًا حسنًا ثم قم فصل[٥]** » . قال :[٦] فأنزل اللّٰه عز وجل هذه الآية ، يعني

---

(١٠٦) - **حسن** ، تفسير ابن جرير (١٢/١٣٧) ومن طريق قيس بن الربيع أخرجه الترمذي ، كتاب : تفسير القرآن ، باب : ومن سورة هود (٣١١٤) ، والطبراني في « الكبير » (١٩/٣٧١) ، والهيثم بن كليب في مسنده (١٥٣٠) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وقيس بن الربيع ضعفه وكيع وغيره ، وروى شريك عن عثمان بن عبد الله هذا الحديث مثل رواية قيس بن الربيع، قلت: طريق شريك - وهو القاضي - أخرجه النسائي في « الكبرى » (٤/٧٣٢٧) ، (٦/١١٢٤٨)، والبزار في مسنده (٦/٢٣٠٠) ، وابن بشكوال في « الغوامض والمبهمات » (٢٨٠) وشريك بن عبد الله القاضي ، صدوق يخطئ كثيرًا ، لكن الحديث بطريقيه حسن وأصل القصة صحيح من غير وجه - كما تقدم ويأتي - وقد زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٦٣٨) إلى ابن مردويه .

(١٠٧) - **إسناده ضعيف ، لانقطاعه بين عبد الرحمن بن أبي ليلى، ومعاذ بن جبل** ، والحديث في « سنن الدارقطني » كتاب : الطهارة ، باب : صفة ما ينقض الوضوء .. (١/١٣٤) ومن طريقه ابن الجوزي =

---

[١] - في ز : « وهب » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - في خ : « فجاء » .

[٥] - في خ : « فصلي » .

[٦] - سقط من : خ .

قوله : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل** ﴾ فقال معاذ : أهي له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال : « **بل للمسلمين عامة** » .

ورواه ابن جرير [من طرق][١] : عن عبد الملك بن عمير ، به .

وقال عبد الرزاق(١٠٨) : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيىٰ بن جعدة : أن رجلًا من أصحاب النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ذكر امرأة وهو جالس مع رسول اللَّه ، فاستأذنه لحاجة فأذن له ، فذهب يطلبها فلم يجدها ، فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، بالمطر ، فوجد المرأة جالسة علىٰ غدير ، فدفع في صدرها وجلس بين رجليها ، فصار ذكره مثل الهُدْبة ، فقام نادمًا حتىٰ أتىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأخبره بما صنع ، فقال له : « **استغفر ربك وصل أربع ركعات** » . قال : وتلا عليه : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل** ﴾ .

وقال ابن جرير(١٠٩) : حدثني عبد اللَّه بن أحمد بن شبوية[٢] ، ثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثني عمرو بن الحارث ، حدثني عبد اللَّه بن سالم ، عن الزبيدي[٣] ، عن سليم[٤] بن

= في « التحقيق » (١/٢٥٤) وقال الدارقطني عقبه : « صحيح » ، وأخرجه الترمذي (٣١١٣) ، وأحمد (٢٢٢١١) (٥/٢٤٤) ، وابن جرير (١٢/١٣٦) ، والحاكم (١/١٣٥) ، - وعنه البيهقي في « الكبرى » (١/١٢٥) - والطبراني في « الكبير » (٢٠/٢٧٧، ٢٧٨) من طريقين عن عبد الملك بن عمير به ، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي وقال الترمذي : هذا حديث ليس إسناده بمتصل ، عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل ، ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر ، وقُتل عمر وعبد الرحمن بن أبي ليلى غلام صغير ، ابن ست سنين ، وقد روى عن عمر ورآه ، وروى شعبة هذا الحديث عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلًا ، قلت : أخرجه ابن جرير (١٥/ ١٨٦٧٩ ، ١٨٦٨٠ - شاكر) مرسلًا ، وأخرجه النسائي في « الكبرى » (٤/٧٣٢٨) عن شعبة به مسندًا ؛ كذا وقع في المطبوع من « السنن الكبرى » ولعله خطأ ؛ فإن المصنف أشار إلى رواية النسائي هذه عند تفسير آية (٤٣) من سورة النساء وأفاد أن رواية النسائي مرسلة ، والله أعلم . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣/٦٣٨) إلى أبي الشيخ وابن مردويه .

(١٠٨) - « التفسير » لعبد الرزاق (٢/٣١٥) ومن طريقه ابن جرير (١٢/١٣٦ ، ١٣٧) ، ومحمد بن مسلم هو الطائفي ، « صدوق يخطئ من حفظه » كما في التقريب .

(١٠٩) - **صحيح** ، تفسير ابن جرير (١٢/١٣٦) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٨/٧٦٧٥) من طرق ثلاثة عن إسحاق بن إبراهيم به ، وأخرجه مسلم ، كتاب : التوبة ، باب : قوله تعالى : ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ (٤٥) (٢٧٦٥) ، وأبو داود ، كتاب : الحدود ، باب : في الرجل يعترف بحد ولا يسميه (٤٣٨١) ، والنسائي في الكبرى (٤/٧٣١٣ ، ٧٣١٦) ، وأحمد (٢٢٢٦٣ ، ٢٢٣٦٦ ، ٢٢٣٨٦) (٥/٢٥١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥) من طريقين عن شداد بن عبد الله عن أبي أمامة فذكره بنحوه .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من :ز .
[٢] - في ز : « سيبويه » .
[٣] - في ز : « الترمذي » .
[٤] - في ز : « سليمان » .

عامر ، أنه سمع أبا أمامة يقول : إن رجلًا أتىٰ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللَّه ، أقم فيَّ حد اللَّه - مرة أو اثنتين[١] - فأعرض عنه رسول اللَّه ، ثم أقيمت الصلاة ، فلما فرغ النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، من الصلاة قال : « **أين هذا الرجل القائل : أقم فيَّ حد اللَّه ؟** » قال : أنا ذا . قال : « **هل أتممت الوضوء وصليت معنا آنفًا ؟** » . قال : نعم . قال : « **فإنك من خطيئتك كما[٢] ولدتك أمك ، فلا[٣] تعد** » . وأنزل اللَّه علىٰ رسول اللَّه : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١١٠) : حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا علي بن زيد ، عن أبي عثمان قال : كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة ، فأخذ منها غصنًا يابسًا فهزه حتىٰ تحات ورقه ، ثم قال : يا [أبا عثمان][٤] ، ألا تسألني لم أفعل هذا ؟ فقلت[٥] : و[٦] لم تفعله ؟ فقال : هكذا فعل بي رسول اللَّه ، صلى اللَّه عليه وسلم ، وأنا معه تحت شجرة فأخذ منها غصنًا يابسًا فهزه حتى تحاتّ ورقه فقال : « **يا سلمان ، ألا تسألني لم أفعلُ هذا ؟** » قلتُ : ولم تفعله ؟ فقال : « **إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلىٰ الصلوات الخمس تحات[٧] خطاياه كما تحات[٨] هذا الورق** » . وقال : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١١١) : حدثنا وكيع ، ثنا سفيان ، عن حبيب بن[٩] أبي ثابت ، عن

---

(١١٠) - **إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد** ، (٢٣٨٢٠) (٤٣٧/٥) ، وأخرجه أحمد أيضًا (٢٣٨٢٩) (٤٣٨/٥) ، والدارمي (٧٢٥) ، والطيالسي (٦٥٢) ، وابن جرير (١٣٣/١٢ ، ١٣٥) ، والطبراني في «الكبير» (٦١٥١/٦) من طريق علي بن زيد به ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٠٢/١ - ٣٠٣) وقال : « رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير ، وفي إسناد أحمد : علي بن زيد وهو مختلف في الاحتجاج به ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٠/٣) إلى البغوي في معجمه ، وابن مردويه ، كما عزاه المنذري في « الترغيب والترهيب » (٢٣٧/١) إلى النسائي ، وله شاهد من حديث أبي ذر بإسناد حسن عند أحمد (٢١٦٣٩) (١٧٩/٥) وبهذا الشاهد حسن الألباني حديث سلمان في « صحيح الترغيب والترهيب » (٣٥٩) .

(١١١) - **إسناده منقطع بين ميمون بن أبي شبيب ومعاذ** ، « المسند » (٢٢٠٨٤) (٢٢٨/٥) والحديث =

---

[١] - في ز : « ثنتين » .
[٢] - في خ : « كيوم » .
[٣] - في ز : « ولا » .
[٤] - في خ : « يا سلمان » .
[٥] - في خ : « قلت » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ : « تحاتت » .
[٨] - في خ : « تيحات » .
[٩] - في ز : « عن » .

ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ - رضي الله عنه - : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال له : « **يا معاذ ، أتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » .

وقال الإمام أحمد(١١٢) : حدثنا وكيع ، ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن أبي ذر : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **اتق اللّٰه حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن** » .

وقال أحمد(١١٣) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن أشياخه ، عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، أوصني . قال : « **إذا عملت سيئة فأتبعها [حسنة تمحها]**[١] » . قال : قلت : يا رسول اللّٰه ، أمن الحسنات لا إله إلا اللّٰه ؟ قال : « **هي أفضل الحسنات** » .

=في كتاب « الزهد لوكيع ٩٤/١) ومن طريقه أيضًا أخرجه الترمذي ، كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في معاشرة الناس (١٩٨٨) ثنا سفيان ، وأخرجه أحمد أيضًا (٢٢١٥٨) (٢٣٦/٥) والهيثم بن كليب (٢/ ١٦٦) ، والطبراني في « الكبير » (٢٩٥/٢٠ : ٢٩٨) ، وفي « الصغير » (١٩٢/١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٧٦/٤) وغيرهم من طرق عن حبيب بن أبي ثابت - مقرونا به الحكم بن عتيبة عند أبي نعيم - به ، وهذا إسناد رجاله ثقات ، إلا أن رواية ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل وأبي ذر - تأتي رواية أبي ذر بعد هذه - مرسلة ؛ كما قال أبو حاتم في « الجرح والتعديل » (٨/ت ١٠٥٤) . وانظر ما بعده .

(١١٢) - **إسناده منقطع بين ميمون بن أبي شبيب وأبي ذر** ، « المسند » (٢١٤٣٤) (١٥٣/٥) وقال أحمد : قال وكيع : وقال سفيان مرة : عن معاذ - فوجدت في كتابي : عن أبي ذر وهو السماع الأول ، وأخرجه أحمد أيضًا (٢١٤٨٣ ، ٢١٦١٩) (١٥٨/٥ ، ١٧٧) ، والترمذي (١٩٨٨) ، والدارمي (٢٧٩٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٧٨/٤) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (١٣) والقضاعي في « مسند الشهاب » (٦٥٢/١) وغيرهم من طرق عن سفيان به ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، ونقل عن شيخه محمود بن غيلان قال : « الصحيح حديث أبي ذر » ، وصححه الحاكم (٥٤/١) على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وتعقبه ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » فقال : « وهو وهم من وجهين أحدهما : أن ميمون بن أبي شبيب - ويقال ابن شبيب - لم يخرج له البخاري في صحيحه شيئًا ولا مسلم إلا في مقدمة كتابه عن المغيرة ، والثاني أن ميمون بن شبيب لم يصح سماعه من أحد من الصحابة ...» وقال الألباني في « الصحيحة » (٣٦٢/٣) وهو على الوجهين منقطع لأن ميمونًا لم يسمع من معاذ وأبي ذر » .

(١١٣) - **حسن** ، « المسند » (٢١٥٦٨) (١٦٩/٥) ، وفي « الزهد » (ص ٣٥) ، وأخرجه الطبراني في « الدعاء » (١٥٠٠/٣) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٢/١) من طريق أبي معاوية به ، وتابعه أبو خالد الأحمر وجرير عن الأعمش ، به ، أخرجه هناد في الزهد (١٠٧١/٢) ، والطبراني (١٤٩٩) ، قال الألباني في «الصحيحة» (٣٦١/٣) : « إسناد حسن رجاله ثقات غير أشياخ شمر فلم يسموا ، لكنهم جمع ينجبر الضعف بعددهم كما قال السخاوي في غير هذا الحديث » ، وأخرجه ابن جرير (٢٧٩/١٢/شاكر) ، والطبراني (١٤٩٨، ١٥٠١) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٢١٧/٤) من طريق الفضل بن دكين وسفيان =

[١] - في خ : « بحسنة تمحوها » .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي(١١٤) : حدثنا هذيل بن إبراهيم الجُمَّاني ، ثنا عثمان بن عبد الرحمن الزهري من ولد سعد بن أبي وقاص ، عن الزهري . عن أنس بن مالك ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ما قال عبد : لا إله إلا اللَّه في ساعة من ليل أو نهار ، إلا طمست ما في صحيفته من السيئات حتىٰ يسكن إلىٰ مثلها من الحسنات** » .

عثمان بن عبد الرحمن - يقال له الوقاصي - فيه ضعف .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(١١٥) : حدثنا بشر بن آدم وزيد بن أخزم ، قالا : حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا مستور بن عباد ، عن ثابت ، عن أنس : أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه ، ما تركت من حاجة ولا داجة . فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **[أليس](*) تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه ؟** » قال : بلى . قال : « **فإن هذا يأتي علىٰ ذلك** » .

تفرد به من هذا الوجه مستور .

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

=الثوري عن الأعمش به ، إلا أن الفضل قال عن « شيخ من التيم » وقال الثوري « عن رجل من التيم » ، وأخرجه أبو نعيم (٤/٢١٨) ، والبيهقي (١/٢٠١) من طريق يونس بن بكير عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر به نحوه ، قال الألباني : « وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات رجال مسلم » - قلت : أعله الدارقطني في « العلل » (٦/١١٢٦) فقال : «وهم فيه - يعني يونس بن بكير - على الأعمش ، والصواب ما رواه الثوري وغيره .....».

(١١٤) - **إسناده ضعيف جدًا** ، أخرجه أبو يعلى في مسنده (٦/٣٦١١) ، وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٨٥) وقال : « رواه أبو يعلى وفيه عثمان بن عبد الرحمن الزهري ، وهو متروك » .

(١١٥) - **إسناده صحيح** ، أخرجه البزار (٤/ ٣٠٦٧ - كشف) ، وأخرجه أبو يعلى (٦/٣٤٣٣) ، والطبراني في «الأوسط» (٧/٧٠٧٧) ، وفي « الصغير » (٢/٩٣) من طريق الضحاك بن مخلد به ، وقال البزار ، « لا نعلم روى مستور - تصحف عند أبي يعلى وفي « الصغير » إلى مستورد - عن ثابت إلا هذا » وقال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن ثابت البناني إلا مستور بن عباد » ، قلت : وهو ثقة =

(*) سقط من : ز ، خ . وهو خطأ . والصواب إثباتها كما عند أبي يعلى والطبراني في الصغير .

يقول تعالىٰ : فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ، ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض .

وقوله : ﴿ **إلا قليلًا** ﴾ أي : قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم يكونوا كثيرًا ، وهم الذين أنجاهم اللَّه عند حلول غِيرَه(*) وفجاءة نِقَمِهِ ، ولهذا أمر اللَّه تعالىٰ هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلىٰ الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ﴾ ، وفي الحديث(١١٦) : « **إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم اللَّه بعقاب** » .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلًا ممن أنجينا منهم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه** ﴾ أي : استمروا علىٰ ما هم فيه من المعاصي والمنكرات ، ولم يلتفتوا إلىٰ إنكار أولئك حتىٰ فجأهم العذاب ﴿ **وكانوا مجرمين** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ أنه لم يهلك قرية إلا وهي ظالمة لنفسها[١] ، ولم يأت قرية مُصْلِحَةً بأسُه وعذابُه قط حتىٰ يكونوا هم الظالمين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم** ﴾ ، وقال : ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ .

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه قادر علىٰ جعل الناس كلهم أمة واحدة من إيمان أو[٢] كفران ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعًا** ﴾ .

وقوله[٣] : ﴿ **ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك** ﴾ أي : ولا يزال الخلف بين

= كما في « التقريب »، وذكره الهيثمي في « المجمع » (٨٦/١٠) قال : « رواه أبو يعلى والبزار بنحوه والطبراني في « الصغير » و « الأوسط » ورجالهم ثقات » .

(١١٦) - **صحيح** ، تقدم [المائدة/ آية ١٠٥] .

(*) الغِيَرُ : غِيَر الدهر : أحواله وأحداثه المتغيرة . قيل مفرده : غيرة ، وقيل : هو مفرد .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في ز : « و » .

[٣] - سقط من : ز .

الناس في أديانهم ، واعتقادات مللهم[١] ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم .

وقال عكرمة : مختلفين في الهدىٰ . وقال الحسن البصري : مختلفين في الرزق يُسَخِّر[٢] بعضهم بعضًا . والمشهور الصحيح الأول .

وقوله : ﴿ **إلا من رحم ربك** ﴾ أي : إلا المرحومين من أتباع الرسل ، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين ، أخبرتهم به رسل الله إليهم ، ولم يزل ذلك دأبهم حتىٰ كان النبي الأُمِّيّ خاتم الرسل والأنبياء ، فاتبعوه وصدقوه ونصروه ووازروه ، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة ؛ لأنهم الفرقة الناجية ، كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن من طرق يشد[٣] بعضها بعضًا(١١٧) : « **إن اليهود افترقت علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة ، وإن النصارىٰ افترقوا[٤] علىٰ ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق [أمتي][٥] علىٰ ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا فرقة واحدة** » . قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال : « **ما أنا عليه وأصحابي** » .

رواه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة .

وقال عطاء : ﴿ **ولا يزالون مختلفين** ﴾ يعني اليهود والنصارىٰ والمجوس ﴿ **إلا من رحم ربك** ﴾ يعني الحنيفية .

وقال قتادة : أهل رحمة الله أهل الجماعة وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم ، وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم .

وقوله : ﴿ **ولذلك خلقهم** ﴾ قال الحسن البصري في رواية عنه : وللاختلاف خلقهم .

وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(١١٨) : خلقهم فريقين ، كقوله : ﴿ **فمنهم شقي وسعيد** ﴾ . وقيل : للرحمة خلقهم .

قال ابن وهب(١١٩) : أخبرني مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن طاوس : أن

---

(١١٧) - **حسن** ، تقدم [يونس / آية ٩٣] .

(١١٨) - أخرجه ابن جرير (١٤٣/١٢) ، وابن أبي حاتم (١١٢٩٢/٦) .

(١١٩) - أخرجه ابن أبي حاتم (١١٢٩٣/٦) ، ومسلم بن خالد هو الزَّنْجي ، فقيه صدوق كثير الأوهام كما في « التقريب » - وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٦/٣) إلى أبي الشيخ .

---

[١] - في ز : « ما لهم » .

[٢] - في ز : « ينحر » .

[٣] - في ز : « شد » .

[٤] - في خ : « افترقت » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في خ : « هذه الأمة » .

رجلين اختصما إليه[١] فأكثرا ، فقال طاوس : اختلفتما فأكثرتما[٢] . فقال أحد الرجلين : لذلك خلقنا . فقال طاوس : كذبت ! فقال : أليس اللَّه يقول : ﴿ **ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ . قال : لم يخلقهم ليختلفوا ولكن خلقهم للجماعة والرحمة . كما قال الحكم بن أبان(١٢٠) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب . وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة ، ويرجع معنىٰ هذا القول إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .

وقيل : بل المراد وللرحمة والاختلاف خلقهم ، كما قال الحسن البصري في رواية عنه في قوله : ﴿ **ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ قال : الناس مختلفون[٣] علىٰ أديان شتىٰ ﴿ **إلا من رحم ربك** ﴾ فمن رحم ربك غير مختلف . قيل[٤] له : فلذلك[٥] خلقهم . قال : خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه .

وكذا قال عطاء بن أبي رباح والأعمش .

وقال ابن وهب : سألت مالكًا عن قوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾ قال : فريق في الجنة وفريق في السعير .

وقد اختار هذا القول ابن جرير وأبو عبيدة والفراء .

وعن مالك فيما رويناه[٦] عنه من التفسير ﴿ **ولذلك خلقهم** ﴾ قال : للرحمة . وقال قوم : للاختلاف .

وقوله : ﴿ **وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ يخبر تعالىٰ أنه قد سبق في قضائه وقدره ، لعلمه التام وحكمته النافذة - أن ممن[٧] خلقه من يستحق الجنة ، ومنهم من يستحق النار ، وأنه لابد أن يملأ جهنم من هذين الثقلين ؛ الجن والإنس ، وله الحجة البالغة والحكمة التامة ، وفي الصحيحين(١٢١) عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ،

---

(١٢٠) - **إسناده ضعيف** ، أخرجه ابن جرير (١٢/١٤٤) حدثني سعد بن عبد الله ، ثنا حفص بن عمر ثنا الحكم بن أبان به ، وحفص بن عمر هو العدني الصنعاني ، ضعيف .

(١٢١) - أخرجه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **وتقول هل من مزيد** ﴾ (٤٨٤٩) ، ومسلم =

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في خ : « وأكثرتما » .
[٣] - في ز : « يختلفون » .
[٤] - في خ : « فقيل » .
[٥] - في خ : « لذلك » .
[٦] - في خ : « روينا » .
[٧] - في ز : « من » .

صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضَعَفَةُ الناس وسقطهم . وقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . فقال اللّٰه عز وجل للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ، وقال للنار : أنت عذابي أنتقم بك ممن أشاء ، ولكل واحدة منكما ملؤها . فأما الجنة فلا يزال فيها فضل حتىٰ ينشئ اللّٰه لها خلقًا يسكن فضل الجنة ، وأما النار فلا تزال تقول هل من مزيد ؟ حتىٰ يضع عليها رب العزة قدمه فتقول : قط قط وعزتك** » .

وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾

يقول تعالىٰ : و[١] كل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم ، وكيف جرىٰ لهم من المحاجات والخصومات ، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذىٰ ، وكيف نصر اللّٰه حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين ، كل هذا مما نثبت به فؤادك يا محمد ، أي : قلبك ، ليكون لك بمن مضىٰ من إخوانك المرسلين أسوة .

وقوله ﴿ **وجاءك في هذه الحق** ﴾ أي : هذه السورة ، قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة من السلف ، وعن الحسن - في رواية عنه - وقتادة : في هذه الدنيا .

والصحيح : في هذه السورة المشتملة علىٰ قصص الأنبياء ، وكيف نجَّاهُم اللّٰه والمؤمنين بهم وأهلك الكافرين ، جاءك فيها قصص حق ونبأ صدق ، وموعظة يرتدع بها الكافرون ، وذكرىٰ يَتَوَقَّر بها المؤمنون .

وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله : أن يقول للذين لا يؤمنون بما جاء به من ربه علىٰ وجه التهديد : ﴿ **اعملوا علىٰ مكانتكم** ﴾ أي : علىٰ طريقتكم ومنهجكم ﴿ **إنا عاملون** ﴾ أي : علىٰ

= كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء (٢٨٤٦) ، والترمذي ، كتاب : صفة الجنة ، باب : ما جاء في احتجاج الجنة والنار (٢٥٦٤) ، والنسائي في الكبرى (١١٥٢٢/٦) ، وأحمد (٢٧٦/٢ ، ٣١٤، ٤٥٠) من طرق عن أبي هريرة مطولًا ومختصرًا .

[١] - سقط من : ز .

طريقتنا ومنهجنا ﴿ **وانتظروا إنا منتظرون** ﴾ أي : ﴿ **فستعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ .

وقد أنجز اللَّه لرسوله وعده ، ونصره وأيده ، وجعل كلمته هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلىٰ ، واللَّه عزيز حكيم .

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

يخبر تعالىٰ أنه عالم غيب السموات والأرض ، وأنه إليه المرجع والمآب ، وسيوفّي كل عامل عمله يوم الحساب ، فله الخلق والأمر ، فأمر تعالىٰ بعبادته والتوكل عليه ، فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه .

وقوله : ﴿ **وما ربك بغافل عما تعملون** ﴾ أي : ليس يخفىٰ عليه ما عليه مكذبوك يا محمد ، بل هو عليم بأحوالهم وأقوالهم ، وسيجزيهم علىٰ ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة ، وسينصرك وحزبك عليهم في الدارين .

وقال ابن جرير(١٢٢) : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد اللَّه بن رباح ، عن كعب قال : خاتمة التوراة خاتمة هود .

[آخر تفسير سورة هود ولله الحمد][١]

☆ ☆ ☆

(١٢٢) - **أثر صحيح** تفسير ابن جرير (١٤٤/٧) (١٤٨/١٢) ، وأخرجه ابن الضريس في « فضائل القرآن » (٢٠٢) أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحمّاني ثنا جعفر بن سليمان به ، وأخرجه الدارمي (٣٤٠٥) ، وابن الضُّريس (١٩٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٧٨/٥) من طريقين عن همام قال : سمعت أبا عمران الجوني يحدث عن عبد الله بن رباح قال : سمعت كعبًا - والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات - فذكره ، وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٦٤٦/٣) إلى عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » ، وأبي الشيخ .

[١] - بعده في ز : ويتلوه في الرابع تفسير سورة يوسف والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه ، محمد وآله وصحبه وسلم كثيرًا] .

انتهى بحمد الله تعالى وتوفيقه المجلد السابع

ويليه إن شاء الله تعالى المجلد الثامن وأوله تفسير سورة يوسف

☆ ☆ ☆

الفهرست

﴿ تفسير سورة الأنفال ﴾ ٥
صفات المؤمنين ١٤
النهي عن التولي يوم الزحف ٣٥
الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول ٤٥
الله يقبل التوبة حتى من الكافر ويغفر له ما مضى من ذنبه ٧٥
أمر المؤمنين بالثبات وبذكر الله عند قتال الكفار ٩٦
تبرؤ إبليس من الكفار حين رأى الملائكة ٩٩
تعذيب الكفار عند الاحتضار ١٠٤
المعاصي سبب لزوال النعم ١٠٦
شر الدواب عند الله الكفار ١٠٧
الأمر بإعداد القوة لمحاربة الكفار ١٠٩
تأليف قلوب المؤمنين ١١٣
حثّ المؤمنين على قتال الكفار ١١٧
إباحة الغنائم لرسول الله وللمجاهدين ١١٩
المهاجرين والأنصار بعضهم أولياء بعض ١٢٣
ما أعده الله للمهاجرين والأنصار ١٣٢
﴿ تفسير سورة التوبة ﴾ ١٣٥
تبرؤ الإله عزَّ وجل ورسوله من المشركين ١٣٥
الأمر بقتال المشركين في جميع السنة ما عدا الأشهر الحرم ١٤٧
محبة الله للمتقين ١٥٢
شهادة الإله عز وجل لمن يعمر المساجد بالإيمان ١٥٨
ما أعده الله للمهاجرين والمجاهدين في سبيله ١٦١
النهي عن اتخاذ الآباء والأبناء والإخوان والأزواج أولياء إن استحبوا ....
الكفر على الإيمان ١٦٤
نصر الله عز وجل للمؤمنين وتعذيب الكافرين ١٦٥
تحريم دخول المشرك المسجد الحرام ١٧٣
الأمر بقتال اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ١٧٣
تنزه الإله عز وجل عن شرك اليهود النصارى ١٧٨
إتمام الله عز وجل لنور الإسلام ولو كره الكافرون ١٨٠

تفسير ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾ الآية ١٨٣
أكل الأحبار والرهبان أموال الناس بالباطل وصدهم عن سبيل الله ١٨٣
وعيد مانع الزكاة ١٨٣
عدد شهور العام ١٩٢
الحثّ على الجهاد في سبيل اللّه ٢٠٣
وعيد من تباطأ عن الجهاد في سبيل اللّه ٢٠٣
نصر الإله لرسوله ﷺ ٢٠٥
الحثّ على الجهاد في سبيل اللّه بالنفس والمال ٢٠٦
صفة المنافقين ٢١٠
بيان الأصناف الذين تصرف إليهم الزكاة ٢١٨
صفات المنافقين ٢٢٩
صفات المؤمنين ٢٣٢
ما أعدّه اللّه للمؤمنين والمؤمنات ٢٣٢
الأمر بجهاد الكفار والمنافقين ٢٣٦
عقوبة من نقض العهد ٢٤٤
النهي عن الصلاة على من مات من الكفار ٢٥٧
ما أعدّه اللّه للمؤمنين والمجاهدين في سبيله ٢٦٣
ما أعدّه اللّه للمهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ٢٧٠
الأمر بإخراج زكاة الأموال والحثّ على التوبة ٢٧٥
مسجد الضرار ٢٨٠
تفسير قول اللّه تعالى : ﴿ **إن اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ الآية ٣٧٧
صفات المؤمنين ٢٩٢
الحث على الصدق ٣٠٦
الحث على التفقه في الدين ٣١٦
تفسير قوله تعالى : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ الآيتين ٣٢٤
﴿ تفسير سورة يونس ﴾ ٣٣١
الأمر بعبادة اللّه وحده دون سواء ٣٣١
الإيمان بالبعث ٣٣٤

تفسير قوله تعالى : ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل﴾ الآية ٣٣٥
دعاء المؤمنين في الجنة ٣٣٧
تفسير قوله تعالى : ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ الآية ٣٥٠
تفسير قوله تعالى : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ الآية ٣٥٤
عجز البشر عن الإتيان بسورة من القرآن ٣٦٣
المؤمن التقي ولي الله ٣٧٥
تفسير قول الله عز وجل : ﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله﴾ ..... الآية ٣٩١
إغراق فرعون وجنوده في البحر ٣٩٣
توبة الله عز وجل على قوم يونس ٤٠٢
﴿ تفسير سورة هود ﴾ ٤٠٩
الحث على الاستغفار والتوبة ٤١٠
تكفل الله تعالى لجميع خلقه بالرزق ٤١٤
أمر سيدنا نوح لقومه بعبادة الله ٤٣٠
أمره عليه السلام بصنع السفينة ٤٣٤
حمله عليه السلام فيها من كل زوجين اثنين ٤٣٦
جريها وإرساؤها باسم الله ٤٣٨
نداء سيدنا نوح ابنه ٤٣٨
إرساء السفينة على البر ٤٤٠
نداء نوح عليه السلام ربه ٤٤٣
تفسير قوله عز وجل : ﴿ يا نوح اهبط بسلام﴾ الآية ٤٤٦
الأمر بالصبر ووعد المتقين بالفلاح ٤٤٧
أمر سيدنا هود عليه السلام لقومه بعبادة الله ٤٤٧
الحث على الاستغفار والتوبة ٤٤٩
أمر سيدنا صالح عليه السلام لقومه بعبادة الله ٤٥٠
قصة الناقة ٤٥٠
قصة سيدنا إبراهيم مع الملائكة ٤٥١
مجادلة إبراهيم عليه السلام في قوم لوط ٤٥٣
قصة قوم لوط ٤٥٤

قصة مدين قوم شعيب ٤٦٠
أحوال السعداء والأشقياء ٤٧٢
الأمر بالاستقامة وعدم الركون إلى الظالمين ٤٧٦
الحسنات يذهبن السيئات ٤٧٦
الفهرست ٤٩٥